بسم الله الرحمن الرحيم

إلي القارئ.

إستراتيجيات الدراسة الفاعلة والتفكير الناقد.

يعتمد فهم وإستيعاب علم النفس علي بعض السمات التي تساعد الطالب علي تحقيق الحد الأقصي من قدراته التي تمكنه من دراسة وبحث المفاهيم والنظريات والحقائق.بهدف تعلم معلومات جديدة تشكل مجالات علم النفس ، ويتطلب ذلك إتخاذ بعض الخطوات وإتباع مجموعة إرشادات عند دراستك أو قراءتك لعلم النفس ، وعند إتباعك للإرشادات عزيزي الطالب.فسوف يؤدي بك ذلك إلي شحذ وتطوير قدراتك وتنمية مواهبك التي تمكنك من دراسة وإستيعاب علوم أخري من العلوم الإنسانية مثل : الإجتماع والتربية والخدمة الإجتماعية والأنثروبولوجيا والإقتصاد والطب النفسي ، إن ذلك كله يساعدك علي الشرح والتحليل والتفكير في المادة العلمية بطريقة « نقدية » ومن ثم عليك بإتباع الخطوات والإرشادات التالية :

أولا : يجب أن تؤقلم نفسك علي التعود لدراسة البناء المنطقي لأي كتاب تدرسه ، بمعني أن تقرأ أولا فهرس الكتاب حيث أنه يعطي « فكرة بانورامية » شاملة لموضوعات الكتاب كما يعطيك الفهرس إنطباعا عن تسلسل وترابط موضوعات الكتاب وفصوله المختلفة.إبدأ بعد ذلك بقراءة المقدمة لأنها تتضمن شرح محاور الكتاب الرئيسية ، ثم حاول تركيز إنتباهك علي بعض فصول الكتاب الهامة وربط الموضوعات السابقة باللاحقة من كل فصل مع قراءة خلاصة الفصل ومراجعة المعلومات الرئيسية ودراسة المفاهيم والمصطلحات الأساسية ، إن الكتاب المفيد علميا هو الذي يقدم لك مجموعة من المعالم المألوفة والسائدة التي تساعد القارئ علي وضع خطة تحدد له المسار الصحيح لإستيعاب « مادة علمية جديدة » .

ثانيا : يجب أن تستخدم إستراتيجية دراسية محددة.ولما كنا نتعلم من خلال إستخدام مواد علمية مختلفة طوال فترة دراساتنا فقد لاحظنا أنه من النادر أن يتم

تعليمنا طبقا لإستراتيجية منظمة تسمح لنا بالدراسة بطريقة مؤثرة فاعلة.إننا لانتوقع أن يتعلم الطبيب مادة التشريح أثناء دراسته بطريقة المحاولة و الخطأ.إن الطالب النابه هو الذي يستخدم إستراتيجية دراسية ناجحة ومؤثرة.هذا وقد توصل علماء النفس إلي إستنباط طرق حديثة وفعالة تهدف إلي تحسين المهارات الدراسية ومن هذه الطرق طريقتان هما :

الطريقةالأولي : وتعرف باسم طريقة «SQ3R» وهي بدايات لخمس كلمات هي علي الترتيب : (S) « Survey » ومعناها « مسح أو إستقصاء»، (Q) «Question» ومعناه : « سؤال أوتساؤل » ، (R) « Read » ونعني بها «إقرأ » ، (R) «Recite » ومعناها « تسميع » ، (R) «Review » ومعناها « مراجعة » ويمكننا أن نطلق علي هذه الطريقة بلغتنا الجميلة لفظ « مساير » .

الطريقةالثانية: وتعرف باسم « MURDER » وكل حرف في هذه الكلمة له معني مستقل مثل «M = Mood» «مزاج» ، «U = under- standing » ، « فهم »،«R = Recall» «إسترجاع» « D =Digesting» «الهضم والتمثل (الغذائي) أو الإستيعاب والتشرب » «E = Expanding» «التوسع والبسط» « R = Review » « مراجعة » . وتقابل حروف هذه الكلمة «MURDER» الإنجليزية حروفا عربية تكون كلمة« مفاهام » وهكذا .

هذا وبطريقة التفكير الناقد يمكننا تحسين قدراتنا اللازمة لجمع المعلومات وإستذكارها وتذكرها في مادة علم النفس والدراسات الأكاديمية الأخري ، إن طريقة «SQ3R» تتضمن خمس خطوات :

الخطوةالأولي : وتتضمن عملية « المسح والإستقصاء » من خلال قراءة المعلومات المختصرة وتحديد رؤوس الموضوعات ، ومراجعة التعليقات والشرح وإستخدام الصور والأشكال البيانية وإلقاء نظرة عامة علي الفصل أو الموضوع المراد إستذكاره .

الخطوةالثانية : وتتناول وضع أسئلة أو إيجاد صيغة للتساؤل حيث أن الأسئلة تساعدنا علي تكوين أسئلة أخري ، وإستفسارات تهم الطالب أو القارئ بوجه عام ، أن التساؤلات أو الأسئلة من جانب الطالب تجعل البناء الذهني للطالب

مستمرا في طلب المزيد من المعرفة بالإستفسار والتساؤل .

الخطوة الثالثة : وتركز علي القراءة المتأنية للمادة العلمية بطريقة نشطة وإنتقادية ، وقد تتساءل أثناء القراءة عن بعض المفاهيم الغامضة والكلمات الصعبة وهذا وضع مطلوب وموقف مرغوب حيث أن هذه الطريقة سمة من سمات التفكير النقدي والتأمل الإستطلاعي التي تؤدي بك إلي حب البحث والتحقيق وتطوير المادة العلمية بطريقة إنتقادية .

الخطوة الرابعة : وتهتم هذه الخطوة بسرد وتسميع ما قرأته دون النظر إلي الكتاب ، إن محاولة شرح وتفسير موضوع من موضوعات الكتاب لنفسك أو لأصدقائك بالحفظ أو التسميع شئ هام ويدل علي لذة الإنجاز والتحصيل ، إن عملية سرد وتسميع المعلومات تساعدك علي التأكد من فهمك للمادة العلمية التي قمت بقراءتها ، وقد أثبتت بحوث علم النفس أن المادة العلمية التي يتحدث عنها الطالب أو يستذكرها بنفسه لنفسه أو لأصدقائه تساعد بشكل ملموس علي تفهم المادة بطريقة منظمة وعميقة .

الخطوة الخامسة: وتشير إلي أهمية « المراجعة » وإعادة قراءة خلاصة الموضوع أو الموضوعات والنقاط الموجزة والعناصر المبعثرة كالعهن المنفوش وربط الأفكار السابقة باللاحقة ، كل ذلك يؤدي بك إلي تماسك العناصر والأفكار وتكوين هيكل عام لما تدرسه أو تستذكره من موضوعات ، وهذا هو هدف المراجعة ، إن الدور الحيوي والفعال لعملية المراجعة يكمن في إستخدام وسائل الإيضاح والمساعدات التعليمية والأشكال البيانية والرسوم التوضيحية ، هذا ويهتم «التوجيه والإرشاد النفسي » وهو أحد فروع علم النفس بعملية المراجعة وكيفية إستخدامها وجني الثمرة المرجوة منها .

أما عن الطريقة الأخري وهي طريقة بديلة يمكن الإعتماد عليها في الدراسة والبحث تعرف باسم « MURDER » وقد إكتشفها « دانسراو Dansereau ، ١٩٧٨» ، وتعني كلمة « MURDER » القتل وهي طريقة مفيدة للغاية عند الأخذ بها وتطبيقها كإستراتيجية للعملية التعليمية وتسير هذه الطريقة في ستة خطوات كالتالي :

الخطوةالأولي : وتعتمد علي تكوين « مزاج Mood » معين وحالة نفسية متحمسة للدراسة والبحث ، ويبدأ ذلك بتكوين الأهداف المنشودة التحقيق من خلال الفترة الدراسية مع إختيار وتحديد الزمان والمكان المناسبين من ناحية الهدوء والإضاءة والحرارة والرطوبة وكل المؤثرات الخارجية التي تعوق الدراسة

الخطوةالثانية : وتهدف إلي « فهم » ماتقرأه والإهتمام بمعني المادة المراد تعلمها واستيعابها .

الخطوةالثالثة : وهي أن تعتني بعملية الإسترجاع أي ذكر المعلومات من الذاكرة دون الرجوع إلي الكتاب .

الخطوةالرابعة : وتتناول إستيعاب المعلومات وهضمها من خلال تصحيح الأخطاء التي تكتنف ذاكرة الطالب مع إجراء عملية تنظيمية مع تخزين المعلومات الجديدة في الذاكرة .

الخطوةالخامسة : وتلقي الضوء علي إتساع وإمتداد المعلومات إلي آفاق جديدة وتوسعة المادة العلمية الجديدة مع إجراء عملية تقييم وتحليل وتطبيق هذه المعلومات علي موضوعات علمية أخري ، ويجب أن يقوم الطالب بإضافة ما تعلمه إلي شبكة أخري أكبر وأرحب هذه الشبكة هي شبكة المعلومات الموجودة بالذاكرة بحيث يمكن للطالب أن يسترجع المعلومات بطريقة سريعة ويسيره في المستقبل .

الخطوةالسادسة: وتهتم هذه الخطوة بعملية «المراجعة».هذا وتعتبر «المراجعة» عاملا مشتركا بين كل من طريقة « MURDER » و طريقة « SQ3R » من حيث أنهما يعتمدان علي الخطوة النهائية وهي خطوة المراجعة المنظمة للمادة العلمية وهي خطوة هامة وضرورية بهدف تحقيق النجاح الدراسي .

إن هاتين الطريقتين «SQ3R ، MURDER» تعتبران من الطرق المعتمدة المستخدمة التي تؤدي إلي زيادة وتعاظم القدرة التأثيرية في مجال الدراسة والتحصيل والتعلم Learning .

هذا وليس من الضروري الإرتباط بإستراتيجية معينة في الدراسة والتحصيل وإنما يمكن للطالب أن يجمع بين العناصرالخاصة بالطريقتين المذكورتين معا ويستخدمهما في نظام دراسي خاص به

إن هذه الطرق تؤدي بك إلي شحذ قدراتك وتقوية ذاكرتك وهناك نقطة هامة

جدا في هذا المجال وترتبط بنظام الإستذكار ألا وهي تحديد زمان ومكان عملية الإستذكار، ومن الحقائق العلمية المعروفة أننا نتعلم أفضل ما نتعلم ونتمكن من إستيعاب المعلومات بطريقة مثلي إذا كان الإستذكار علي فترات قصيرة منفصلة علي مدار العام الدراسي حيث أن ذلك أفضل بكثير من الإستذكار علي فترات قصيرة مركزة ، إن الإستذكار لساعات طويلة قبل الإمتحان مباشرة لايعتبر مؤثرا بدرجة كافية لأنه يصيب الطالب بالإجهاد الشديد ولذا فمن الأفضل تنظيم الدراسة وتوزيع عملية الإستذكار بطريقة منظمة طوال العام الدراسي بدلا من السهر الكثير أثناء ليالي الإمتحان ،

عليك أن تختار المكان والزمان المناسبين للمذاكرة والدراسة وبالنسبة للمكان يجب أن يكون بعيدا عن الضوضاء وعن أماكن اللهو والنوم لأن تخصيص مكان معين للدراسة يجعلك تتمكن من الدخول في الحالة النفسية اللازمة للدراسة بمجرد البدء في عملية الإستذكار في هذا المكان المعين وعن الزمان.فقد دلت التجارب التي أجريت في علم النفس التعليمي أن أنسب وقت للإستذكار بوجه عام هو مابين الساعة السادسة صباحا حتي العاشرة أثناء النهار.ومن الساعة التاسعة حتي الساعة الثانية عشر ليلا .

الفصل الأول

أساسيات تفهم علم النفس.

* مايربط علماء النفس من مسائل علمهم .
* الأسس البيولوچية والإجتماعية لعلم النفس .
* آفاق سيكلوچية جديدة .
* جذور علم النفس وتطوره قديما وحديثا .
* إسهامات المرأة فى علم النفس .
* نماذج علم النفس المعاصر : البيولوچى - السيكودينامى - المعرفي - السلوكي - الإنسانى .
* علم النفس والإيدز .
* الإتجاهات المستقبلية لعلم النفس .
* مناهج البحث فى علم النفس : الملاحظة على الطبيعة - البحوث المسحية
دراسة الحالة- البحوث الإرتباطية - البحوث التجريبية - البحوث الأرشيفية .
* أخلاقيات البحث العلمي .
* معوقات التجريب فى علم النفس .

أساسيات تفهم علم النفس .

إذا أردنا أن نعرِّف « علم النفس » تعريفا علميا دقيقا لقلنا « إنه دراسة السلوك الإنسانى والحيوانى والعمليات العقلية » ، وفى تعريف آخر : « علم النفس هو ذلك العلم السلوكى الإنسانى الذى يدرس سلوك الإنسان ما ظهر منه وما بطن دراسة تحليلية وصفية بهدف الوصول إلى ضبط هذا السلوك وتفسيره والتنبؤ به على المدى الطويل » .

الرابطة العامة التى تربط ما بين علماء النفس .

هناك رابطة عامة تربط مابين علماء النفس رغم تخصص كل منهم فى مجاله الدقيق ، إن هذا المجال الذى يتخصص فيه كل عالم من علماء النفس يقع داخل الدائرة العامة للدراسة المشتركة التي نطلق عليها «علم النفس Psychology » وهذه الدراسة دراسة علمية للسلوك والعمليات العقلية مثل التذكر والتخيل والتفكير والتصور والإدراك وشتى ضروب السلوك الظاهر والمستتر .

إن العمليات العقلية والسلوكية لاتشمل فقط على ما قد يفعله الناس ، وإنما تشمل أيضا على ما يفكرون فيه وما يشعرون وما يدركون ، كما أنها تتضمن أيضا المناشط البيولوجية التى تجعل الجسم البشرى يعمل بالوظائف المختلفة ، وعندما يتحدث علماء النفس عن السلوكيات الدراسية والعمليات العقلية ، فإنهم يهدفون نحو الإهتمامات الواسعة المجال ولايكتفون فقط بوصف السلوك وإنما بوضع المبادئ التى يقوم عليها علم النفس كعلم سلوكى ، حيث ان علم النفس يهدف أولا وأخيرا إلى شرح وتعديل وتطوير وتحسين حياة الناس مع محاولة التنبؤ بما قد يطرأ على حياة هؤلاء الأفراد فى البيئة التى يعيشون فيها .

ولما كان العلم - أى علم - طريقة قبل أن يكون حقيقة ، فإن علماء النفس يستخدمون طرقا وإجراءات علمية يتمكنون بها من التوصل إلى الإجابات السديدة عن التساؤلات المتعلقة بطبيعة السلوك الإنسانى حيث أن هذه الإجابات بعيدة تماما عن الظن والتخمين

ومن التساؤلات والإستفسارات التى يطرحها علماء النفس ، بحثا عن حقيقة الأشياء أو الموضوعات هذه الأسئلة التالية :

- كيف يمكننا رؤية الألوان ؟
- ماهو جوهر الذكاء وحقيقته ؟
- هل يمكننا علاج السلوك الشاذ والمنحرف ؟
- هل يتشابه النوم الطبيعى مع عملية التنويم المغناطيسى ؟
- هل يمكننا تأخير مرحلة الشيخوخة ؟
- كيف يمكن للضغوط أن تؤثر علينا ؟
- ما هى الطرق المثلى التى يمكن إستخدامها فى عملية الإستذكار ؟

إن إجابات هذه الأسئلة يتصدى لها « علم النفس » شارحا ومفسرا من خلال نظرياته وتجاربه وتطبيقاته العديدة والحديثة فى مجالات الإنسان والحيوان والكائنات الأخرى ، لكى يتمكن علماء النفس من تحديد القواعد العامة التى تحكم سلوكيات جميع الأحياء حيث أن السلوك الحيوانى يقدم لنا إشارات ومفاتيح هامة تساعدنا علي فهم حقيقة السلوك الإنسانى لدي جميع الناس في كل بقاع الأرض . ومن ثم ندرس الأدوار المختلفة التي يلعبها علماء النفس عند قيامهم بأداء مهام وظيفتهم فضلا عن طرائق البحث العلمية التي يستخدمها هؤلاء العلماء عند الوصول إلي إجابات صحيحة لتفسير السلوك الإنساني .

إن مسئولية الكلمة - فى هذا الكتاب - تجعلني ... عزيزى الطالب أحدثك حديث شخصين إثنين ، كما لوكان هذا الحديث أشبه بديالوج داخلى ، أو مناجاة نفسية بين إثنين ... القارئ والمؤلف .

إن هذا الكتاب الذى بين يديك قد راعينا فيه السهولة والدقة العلمية والأسلوبية وضرب الكثير من الأمثلة تجسيدا للفهم وتيسيرا علي الدارس المبتدئ لعلم النفس إن هدف هذا الكتاب هو :

تسهيل عملية التعلم وجودة التحصيل الدراسي وهضم المادة العلمية بسرعة ، ومناقشته المبادئ والقواعد التى يطورها علماء النفس لتواكب عصر « التفجير المعلوماتى » وزمن « التقدم العلمى المذهل » ومسايرة « وقع الحياة » مع « تكنولوجيا العلم والمعرفة » واللحاق بركب « الشبكات الإعلامية الدولية »

و « الإعلانات المحلية » فى القنوات التليفزيونية الفضائية والإقليمية ، وكل ذلك إعتمادا على المبادئ المتخصصة فى مجالات : الذاكرة والإدراك والإنتباه والتأمل والمشاهدة والتفاعل مع كل ما يحدث في عالمنا المعاصر سواء على المستوى المحلى أو العربى أو العالمى من زاوية علم النفس ... علم السلوك ... علم الدوافع الإنسانية ... علم التواصل والإتصال النفسى .

هذا وعندما تقرأ أو تدرس هذا الكتاب دراسة جيدة ، سوف يمكنك أن تجيب على تساؤلات وإستفسارات ضرورية فى علم النفس وإليك بعضها :

أولا : ما مفهوم علم النفس وكيف يمكن وضعه فى الإعتبار كمادة علمية ؟

ثانيا : ماهى فروع ومجالات علم النفس المختلفة؟

ثالثا : ماهى المجالات والميادين التى يعمل فيها علماء النفس ؟

رابعا : ماهى الجذورالتاريخية لمجالات علم النفس؟

خامسا : ماهي النماذج الرئيسية التى يستخدمها علماء النفس ؟

سادسا : ماهى الطريقة العلمية التى يستخدمها علماء النفس تنظيرا وتطبيقا فى مجالات تجذب إنتباههم ؟

سابعا : ماهى طرق البحث المختلفة التى يستخدمها علماء النفس ؟

ثامنا : كيف يقوم علماء النفس بعمل علاقات بين السبب والنتيجة فى دراساتهم البحثية ؟

تاسعا : ماهى الموضوعات الرئيسية والنتائج الهامة التى تكمن وراء عملية إجراء البحوث ؟

الأسس البيولوجية لعلم النفس.

ليس هناك أدنى شك فى أن الأفراد فى عالمنا ما هم إلا كائنات بيولوجية فى صورتها الأساسية ومن ثم يؤكد علماء النفس على أهمية الوظائف الفسيولوجية وهى تلك الوظائف التى يقوم بها مختلف أعضاء الجسم ، إن جميع الأعضاء والبناء الفسيولوجى للجسم كله يعمل فى منظومة متكاملة بإستمرار ليؤثر بالضرورة على سلوك الإنسان الفرد بوجه عام ، ومن ثم يمكن القول بأن علم النفس البيولوجى هو

أحد فروع علم النفس ، ويهتم المشتغلون بهذا الفرع بالتركيز على الكيفية التى يتم بها عمل العقل وتشغيل الجهاز العصبى المركزى ، وبحث الطرق والوسائل التى يحدث من خلالها ترابط بين أماكن ومواقع محددة فى العقل البشرى من جهة وعلاقتها ببعض الأمراض النفسية والعصبية والإضطرابات السيكوسوماتيه (النفسجسمية) من جهة أخرى .

ومن الجدير بالذكر أن هناك علاقة وطيدة بين علم النفس البيولوچى وعلم النفس التجريبى حيث أن هذا الفرع الأخير يقوم بدراسة عمليات الإحساس والإدراك والإنتباه والفهم والتحصيل والتفكير ، وكل هذه العمليات تؤثر وتتأثر بما يحدث فى مجال «علم النفس البيولوچى » وما يتعامل معه من تشغيل المخ البشرى وعمل الجهاز العصبى المركزى وتفاعل هرمونات الغدد الصماء وغير الصماء .

ولما كان « علم النفس » علم بيولوچى إجتماعى ، فإنه كعلم سلوكى إيضا يعتمد على توجيهات العقل البشرى من المنظور البيولوچى من جهة ، ويعتمد أيضا على العيش فى جماعة وهذا من المنظور الإجتماعى من جهة أخرى ، ومن ثم يتعين علينا أن نشير فى عجالة سريعة إلى علماء النفس الإجتماعى والصناعى والتنظيمى ،

الأسس الإجتماعية لعلم النفس .

ذكرنا من قبل أن علم النفس « علم إجتماعى » يتعامل مع الأفراد والجماعات السوية وغير السوية ، وليس أدل على ذلك من أن أحد فروع علم النفس الهامة هو « علم النفس الإجتماعى » و « ديناميات الجماعة » ، ويهتم علم النفس الإجتماعى أساسا بما يحدث من تفاعل وإتصال فى المجالات الإجتماعية والصناعية والتنظيمية والإستهلاكية والإدارية ودراسة الثقافات المختلفة ، حيث أن العالم الآن أشبه بقرية صغيرة يعرف أفرادها بعضهم بعضا ولايعيش فرد بمعزل عن الآخر ، لأننا جميعا أفرادا وجماعات لابد أن نعيش سويا فى هذا العالم ننفعل ونتفاعل نتواصل ونتصل ، نتصارع ونتصالح ، نحب ونكره ، نتقارب ونتباعد ، نكافح ونهادن ، إن حياتنا الإجتماعية من منظور علم النفس الإجتماعى تتأرجح بين قطبين إثنين هما :

الإستاتيكية والديناميكية ، إننا جميعا نشكل جزءا لايتجزأ من شبكة معقدة من العلاقات الإجتماعية ، إن شبكة العلاقات الإجتماعية القائمة بين الأشخاص وبين المجتمع ككل ، هي المركز أو البؤرة التى ينبع منها أنواع مختلفة من العلاقات .

والحق نقول إن وظيفة علم النفس الإجتماعى بوجه عام هى دراسة أفكار ومشاعر وأحاسيس وأفعال الآخرين ، ويقوم علماء النفس الإجتماعى بالتركيز على دراسة العدوانية البشرية والعنف والتعصب السلالى بين السلالات البشرية في العالم ، ونتج عن ذلك ظاهرة « التطهير العرقى » أو « تنقية السلالة » كما هو حادث الآن فى البوسنة والهرسك بين المسلمين والصرب من جهة ، وبين الكروات والصرب من جهة أخرى ، ويحدث هذا أيضا بين الفصائل المتناحرة في الصومال ، وفى أفغانستان وبين قبيلتى« الهوتو والتوتسى » في « رواندا » بأفريقيا،وقل مثل هذا في معظم البلدان التى تضم أقليات عرقية .

وقريب الصلة من علم النفس الإجتماعى مجال آخر هو : علم النفس الصناعى والتنظيمى الذى يهتم بمكان وموقع العمل ودراسة الإنتاج والإنتاجية ودوران العمل ورضاء العمال عن العمل وإتخاذ القرارات وحق العمال فى الإضراب ودراسة ذوق المستهلك والدعاية والإعلان وسيكولوچية الإتصال وهكذا .

آفاق سيكولوچية جديدة .

ومع تشابك المعرفة وتعقدها وتطورها صارت «المعرفة قوة» والقوة حتمية للإنسان صانع الحضارات وعابر القارات ومكتشف المجهول ، وهنا ظهرت مجالات جديدة فى علم النفس «شنايدرSchneider ، ١٩٩٠» ظهر مثلا « علم النفس البيئى Environmental Psychology » وهو يدرس العلاقة القائمة بين الأفراد والبيئة المادية ، وأثر التلوث البيئى على إنتشار أمراض عصرية كثيرة مثل :الربو والحساسية ، والصداع المزمن ، وضغط الدم وضعف السمع والقولون العصبى ، والإندفاعية ، والقلق وإضطرابات النوم وحالات الإسهال وبعض الأمراض الجلدية وبعض حالات الفشل الكلوى الخ .

كمـا بزغ إلى الآفـاق الجديدة « سيكولوچيـة الطب الشـرعي Forensic Psychology » يركـز على الموضوعـات القـانونيـة ووضع المعـاييـر الشرعيـة والقانونيـة للأفراد المصابين بالأمراض العقلية ، وتوضيح الأسس النفسية والشرعية للأفراد العقلاء وغير العقلاء ، ويلجأ القضاة ورجال القانون عند تنفيذ أحكامهم القضـائيـة إلى هذا الفرع الجديد من فروع علم النفس ، والواقع أن « علم النفس الطبى الشرعى » يساعد المحققين ورجال القانون على إتخاذ القرارات العادلة ، هذا وهناك تنوع أيضـا فى العـاملين فى مجـال علم النفس ، فـقـد دلت الإحصـاءات الديموجرافيـة «السكانيـة» أن مـايقـرب من ٦٥ ٪ من علمـاء النفس رجـال ، وأن حوالي ٣٠ ٪ من المشتغلين فى هذا المجال من النسـاء وذلك فى البلدان الصناعيـة المتقدمـة مثل الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا وفرنسا وألمانيا واليابان ، وكذلك فى بعض الدول التى تقف على أعتاب الدخول إلى ساحة الدول الصناعيـة المتقدمة مثل : جمهورية مصر العربية ، والهند ، وتركيا ، وإيران ، وروسيا والمكسيك ، هذا وتدل الشواهد على أن العـاملات فى مجال علم النفس من النساء يمكن أن يتسـاوين مع عدد الرجال ، وقـد يزيد هذا العدد من النسـاء العـاملات فى مجـال علم النفس مستقبلا فى أوائل هذا العقد « أودير Odeer ، ١٩٩١ » ، ومن التنوع والتعدد للعاملين أيضا فى المجال فيما يتعلق «بالجنسية Nationality» والأصل العرقي؛ نرى الكثير من العلمـاء المهاجرين من بلادهم الأصلية قد إستقروا في دول المهجروطبقاللإحصائية «جمعيـة علم النفس الأمريكية APA » نجد أن نسبة ٣٥٪ من المشـتـغلين بعلم النفس المهـاجـرين إلى دول أخرى قـد رفـضـوا الإفـصـاح عن جنسيتهم وأصلهم العرقى ، وأن نسبة ٢٪ من علمـاء النفس هم من أصل إفـريقى مقيمين فى أمريكا و٢٪ مهاجرين من أسبانيا ، و ١٪ من المهاجرين من قارة آسياء

هذا ومن الآفـاق الجـديدة فى علم النفس المعـاصر مـجـال جديد نطلق عليـه «سيكولوچيـة الفـضـاء الخـارجى Psychology in space » فـقـد قـام أحـد المخرجين الأمريكيين بتنفيذ« البرنامج التليفزيونى » « طريق الفضـاء والجيل القادم » وكان يتمتع برأى سديد وشخصية جذابة حيث ضم « عالم نفسى Psycholo-gist » لأعضاء طاقم سفينة الفضاء وهذه بداية تبشر بأهمية علم النفس فى حياتنا العصرية ، وبإنتهـاء القرن القادم - بإذن الله - سوف يصبح من الأمـور العادية أن

تحمل سفينة الفضاء «ألف شخص» وتطول الفترة الزمنيةالمخصصة للرحلة الفضائية بالإضافة إلي زيادةالإهتمام بالإعتبارات النفسية لكل أفراد طاقم سفينة الفضاء وترتبط الجوانب المختلفة بإستكشاف الفضاء بالموضوعات النفسية التى تعتمد على العناصر البيولوچية من ناحية ، والإجتماعية من ناحية أخرى وكمثال لمثل هذه العوامل الخطيرة نورد العوامل والعناصر التالية «Adler، ١٩٨٩، Afary ، ١٩٩٠» :

أولا : إن الفترة الزمنية المخصصة للرحلات الفضائية سوف تصبح طويلة ، فمثلا رحلة إلى المريخ يتوقع لها أن تستمر لمدة ثلاث سنوات ، وسوف يكون أفراد طاقم الرحلة ذوى فئات عمرية متنوعة ، وصفات جسمية مختلفة ، وسمات شخصية متعددة ، وخلفيات عرقية وسلالية كثيرة ، كما أن هناك إحتمالا بحدوث صراعات فى رحلة الفضاء ، بمعنى أنه قد تكون أماكن الإعاشة فى سفينة الفضاء ضيقة فتظهر بعض الصراعات فى مثل هذه الأماكن مما يتطلب الأمر إجراء كشف نفسي دقيق لجميع رواد الفضاء حتى يمكن نبذ هؤلاء الأفراد الذين يثيرون الخلافات والإضطرابات والصراع والتنافر بسبب عدم تحملهم بعض الإضطرابات والأمراض أثناء الرحلة .

ثانيا : من الممكن أن يصاب بعض أفراد الرحلة الفضائية بمرض معروف هو « دوار الفضاء Space Sickness » ومن أعراضه القيئ والغثيان والميل إلى النعاس والصداع ، ويصيب هذا المرض نصف طاقم سفينة الفضاء تقريبا ، ويمثل هذا المرض مقدمة أو بادرة سيئة عند دخول الفضاء الخارجي ، ويتعارض مع المهام المطلوب تنفيذها فى هذه الرحلة ، وقد قام علماء النفس بإستنباط بعض الوسائل التدريبية والوقائية ليستخدمها رجال الفضاء لكي تساعدهم على التحكم فى إستجابتهم البيولوچية من ناحية وأسلوب التغذية الرجعية البيولوچية من ناحية أخرى ، ويتعلم رواد الفضاء أسلوب التغذية الرجعية البيولوچية من خلال التحكم فى رد الفعل البدني . وبإستخدام هذه الطريقة تمكن حوالى ٦٦ ٪ من رواد الفضاء من تجنب الأعراض الخاصة بمرض (دوار الفضاء) (Afary ، ١٩٨٩) .

ثالثا : إن البحوث التى أجريت فى مجال « علم النفس البيئ » قد أثبتت أن الطرق التى يلجأ إليها رواد الفضاء للتغلب على الضغوط النفسية تعتمد على

نظرالأفراد فى سفينة الفضاء إلى خارج النافذة نحو الأرض البعيدة عنهم كثيرا ، إن أفراد طاقم سفينة الفضاء سوف تتاح لهم فرصة النظر ببساطة إلي خارج السفينة ، وهناك عالم متخصص فى علم النفس البيئ هو البروفيسير « يوفون كلير واتر Yvonne Clearwater » يعمل مع هذا الفريق على زيادة إمكانية الحياة والمعيشة فى المحطات المدارية التى تقام مستقبلا فيما بعد ، إن الأبحاث التى قام بها هذا العالم تركز علي أهمية تصميم سفينة الفضاء يمكن رؤية الأجرام السماوية منها والنظر إلي خارج السفينة من منافذ متعددة ، هذا وقد بحث « كليرواتر » أهمية وجود أنظمة مختلفة من الألوان داخل سفينة الفضاء .

رابعا : ونظرا لتنوع الأدوار التى يلعبها عالم النفس فى دنيا الفضاء الخارجى ، فإن المجموعات المنعزلة عن بعضها قد لا يمكنها إتخاذ القرارالسديد عند مجابهتهم بمشكلة ما،ومن ثم يمكن اللجوء إلى ظاهرة معروفة في علم النفس الإجتماعى تعرف باسم «التفكيرالجمعى Groupthink وهى تقلل من التفكير الإنتقادي «چانيس ، مان Janis Mann & ، ١٩٧٧» . ونتيجة لذلك يجب مراقبة هذه القرارات بإستمرار للتأكد من صلاحيتها ودقتها .

خامسا : الموضوعات الجنسية ، إن إختلاط الرجال بالنساء فى مركبة الفضاء قد يعطى إيحاءات جنسية ويتطلب الأمر مواجهة هذا الموقف فى الرحلات الفضائية الطويلة ، بمعنى أنه قد يحدث توتر وقلق بشأن المسائل الجنسية ولذا يجب دراسة الموضوعات التى ترتبط بالذكورة والأنوثة « برود,Broad ، ١٩٩٢ ».وقصاري القول أن علماء النفس يلعبون دورا حيويا فى الرحلات الفضائية والبرامج الإستكشافية ، ولذا نتوقع أن علم النفس مستقبلا سوف يتضمن مجالا آخرا جديدا هو «علم نفس الفضاء» لكى يضاف إلى الفروع والمجالات الأخرى .

هذا ومن الأماكن التى يعمل بها علماء النفس ، التعليم العالى والمتوسط ، وكليات الطب ، والكليات النظرية ، وكليات الصيدلة ، والمستشفيات الخاصة والعامة ، للعمل كممارسين لعلاج العملاء ، ودور التربية الفكرية للمعاقين ، ومراكز الصحة العقلية ، والمراكز الإستشارية ، والوحدات العسكرية للجيش والشرطة ، ومنظمات الخدمات الإنسانية ، والكليات الصناعية ، والمدارس المهنية .

وخلاصة القول أن علماء النفس فى المجتمع يلعبون أدوارا ثلاثة هامة

وخطيرة هى : « المعلم » « والعالم » ، «الممارس الإكلينيكي » وكل هذا بهدف تحسين الحياة النفسية والإجتماعية للأفراد والمجتمع .

تطور علم النفس قديما وحديثا .

منذ حوالى نصف مليون سنة كان الإنسان البدائى يعتقد أن المشكلات النفسية والإضطرابات العقلية تعزى إلى الأرواح الشريرة والمس الشيطاني ولا تعالج إلا بعملية جراحيةبدائية فى الجمجمة وقطعها بمنشار لإزالة طبقات رقيقة من الجمجمة وإحداث حفرة فيها لطرد الأرواح الشريرة المتسببة فى المرض .

هذا وكان يعتقد الطبيب الإغريقى المعروف «هيبوقراط» بأن الشخصية الإنسانية تتكون من أمزجة أربعة هى :

١- المزاج الدموى : ويميل صاحبه إلى المرح والبهجة والتفاؤل والسرور والنشاط وحب الحياة .

٢- المزاج السوداوى : ويميل صاحبه إلى الحزن واليأس والإنطواء والغضب والعنف والتدمير والعدوانية .

٣ - المزاج الصفراوى : ويميل صاحبه إلى السلوك الغضبى دائما وهو متقلب المزاج ، وحاد الطبع .

- المزاج البلغمى : ويميل صاحبه إلى اللامبالاه والبرود والكسل والفتور وإنعدام الهمة .

ويرى « هيبو قراط »أن هذه العناصر الأربعة من الأمزجة تتأثر بالسوائل الموجودة بالجسم البشرى مثال ذلك أن الشخص المرح المتسم بالسعادة يوجد لديه قدر كبير من الدم أكثر من الآخرين وفى هذا الصدد يرى « فرانز چوزيف چل Franz Josef Gall » أحد علماء القرن الثامن عشر أن الملاحظ المتدرب جيدا على دراسة الشخصيات ، يمكن أن يستخلص بمهارة السمات الأخلاقية والقدرات العقلية ومقومات الشخصية من خلال ملاحظة عدد النتوءات الموجودة على جمجمة الشخص بحساب عددها وملاحظة أشكالها ودراسة أوضاعها ، وعن طريق نظرية «فرانز چوزيف چل » أمكن الوصول إلى علم «الفراسة » الذى يهتم بدراسة مظاهر الدماغ

وأشكال الجمجمة بوصفها مظهرا دالا على نمط الشخصية وقوة الملكات العقلية .

ومن الجدير بالذكر - فى هذا المجال - أن الفيلسوف الفرنسي « ديكارت » كان يعتقد أن الأعصاب فى الجسم البشرى عبارة عن « أنابيب مجوفة تمر فيها الأرواح الحيوانية والأشباح الليلية » على شكل ومضات ضوئية أو نبضات شريانية داخل الأنابيب العصبية الجوفاء ، كما كان يعتقد « ديكارت » بأن الشخص عندما يضع أصابعه بالقرب من النار ، فإن الحرارة الناتجة عن النار تنتقل عبر هذه الأرواح الحيوانية داخل الأنابيب العصبية المجوفة لكى تصل إلى العقل على شكل ومضات أو نبضات ولاغرو فى ذلك فقد كان هذا نمط التفكير العلمى فى القرن التاسع عشر فى محيط « علم النفس » الذي لم يكن قد ظهر بعد ، إن معظم التقدم التى تم إحرازه فى مجال علم النفس قد ظهر منذ وقت قريب وذلك بمقارنته بالعلوم الأخرى ، وإذا تتبعنا مسيرة أصول وأسس علم النفس نرى أن الإرهاصات الأولى كانت تضرب بجذورها فى أغوار القدم منذ عهدى الرومان والإغريق غداة أن كانت هناك محاورات فلسفية، ومناقشات بيزنطية ومناظرات سياسية ، وشطحات ميتافيزيقية ، وجدال حاد حول الوجود والعدم والروح والجسد والصورة والجوهر والعقل والنفس .

إن المعرفة فى كل زمان ومكان تراكمات من هنا وهناك ، وإضافات مستمرة لاتنقطع أبدا طالما بقى الإنسان على هذا الكوكب ، وهى أولا وأخيرا « تواصل معلوماتى وتكنولوجي » منذ عهد « هابيل وقابيل » حين علم « الغراب » « قابيل » كيف يدفن أخيه « هابيل » «**فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه**» مرورابالحروب والصراعات التى حدثت بين بنى البشر إبتداءا من نوح عليه السلام حتى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ ووصولا إلى غزوات وحروب الصحابة والخلفاء والتابعين إلى حروب العصور الوسطى ، والحروب الصليبية إلى الحربين العالميتين الأولى والثانية إلى الحرب والتشريد والصراع الدامى الذى لم يخمد أواره بعد بين العرب وإسرائيل وماذا بعد ؟ الله أعلم ... وهو غالب على أمره ولاشك أن البداية العلمية الحقيقية لعلم النفس الحديث كانت عام ١٨٧٩ حين بدأت أول دراسة تجريبية للظواهر السيكولوچية فى معمل علم النفس الذى أنشأه العالم الألمانى « ڤيلهلم ڤونت » فى مدينة « ليبزج » بألمانيا وفى نفس الوقت أقام العالم الأمريكى « وليام چيمس » معمله فى علم

النفس فى مدينة « كامبردج » بولاية «ماساشوسيتس Massachusetts» الأمريكية . وخلال أحد عشر عقدا من الزمان ، واستمر العمل الدءوب والنشاط المستمر فى مجال علم النفس رويدا رويدا حتى صار يافعا رشيدا كما هو الآن على مشارف القرن الحادي والعشرين « هيلجارد ، لارى ، وماك جور Hilgard , Leary , Mcguire ، ١٩٩٠ .

ووصلا بما سبق الحديث عن تطور علم النفس ، تطورت أنساق الأفكار والمفاهيم المستخدمة في تفسير الظواهر السيكولوچية حيث تم التخلص من الأفكار الساذجة والأنساق البدائية والنماذج السطحية والآراء الخاصة « بهيبوقراط » و « ديكارت » ولكن يمكن القول بأن مثل هذه النماذج القديمة ، كانت هي المتاحة والسائدة في وقتها وزمنها حيث إن كل نموذج كان يشكل منظورا مميزا وقائما بذاته ، ويلعب دورا هاما في التطور التاريخي لإكتساب المعرفة عبر عصورها المختلفة ، فضلا عن التركيز علي أهمية العوامل المؤثرة في النماذج البحثية الكثيرة .

مثال ذلك قد نلجأ أحيانا إلي إستخدام خريطة أو أكثر لكي نسترشد بها في إحدي المناطق الجغرافية ، فهناك خريطة توضح الطرق الرئيسية ، وأخري تبين لنا العلامات الجغرافية المميزة وثالثة تهدينا نحو اللوحات الإرشادية ، ورابعة ترشدنا نحو الجوانب الطوبوجرافية للمنطقة من جبال وتلال وهضاب ووديان .

وبالمثل فلدي علماء النفس خرائط سيكولوچية يستدلون بها علي إستخدام أكثر من مدخل واحد من مداخل الفهم المختلفة لإستيعاب الظاهرة النفسية وتفسير السلوك البشري الغامض .

ولما كان السلوك الإنساني من العمليات المعقدة للغاية ، فقد لزم الأمر أن ندرس النموذج الواحد من أكثر من منظور أو إتجاه ، بهدف الوصول إلي التفسير الجيد ، والضبط الدقيق ، والتنبؤ الصادق ، وهذا ما يعرف بلغة علم النفس الحديث - الإتجاه التكاملي «Integrated Approach » .

جذور علم النفس .

منذ تأسيس معمل علم النفس في « ليبزج » بالمانيا عام ١٨٧٩ قام

« فونت » بدراسة القوالب المشكله لبناء العقل البشرى حيث ان علم النفس ما هو إلا دراسة التجارب والخبرات التى نمر بها ونستشعرها .

كما قام « فونت » بتطوير نموذج اطلق عليه «الإتجاه البنائى -Structu ralism» وهو نموذج يتعلق بالتركيب المادى للجسم مع التركيز على العناصر الأساسية لعمليات التفكير والمشاعر والأحاسيس وغيرها من أنواع الحالات العقلية والأنشطة ، وذلك بهدف الجمع بين هذه المشاعر والأحاسيس الأساسية وإدراك العالم الخارجى .

وفى خلال العشرين عاما الأخيرة ، بدأ الناس يهتمون بعملية وصف التجارب الداخلية كالمعاناه من الآلام الجسمية والنفسية من ناحية والتركيز على دراسة التفكير والذاكرة والتذكر والقدرة على حل المشكلات من ناحية أخرى.وقد أدت هذه الصحوة إلى ظهور « الإتجاه الوظيفي Functunalism » وهو من الإتجاهات المبكرة فى علم النفس الذى يركز على عمل العقل ووظائف النشاط العقلى ودور السلوك فى صنع الحياة وتكيف الناس لمجتمعهم الذى يعيشون فيه .

إسهامات المرأة فى علم النفس .

برغم القيود التى كبلت المرأة فى جميع المجالات العلمية ومنعتها من المشاركة فى الكثير من المهن والوظائف لم يكن يستثنى من ذلك « علم النفس » ومع ذلك وجدنا كثيرا من النساء كانت لهم إسهامات واضحة فى مجال علم النفس ففى أوائل هذا القرن وبالتحديد عام ١٩٢٨ ظهرت ليتا ستترهولنجورث Leta stetter Hollingworth وكانت أول من إستخدم مصطلح « الطفل الموهوب» عند قيامها بوصف الأطفال الأذكياء كما ألفت كتابا عن المراهقين . وكان لها قصب السبق بالتركيز علي الموضوعات الخاصة بالنساء عندما قامت بدراسة مسحية لدحض الآراء الشائعة فى أوائل القرن التاسع عشر والقائلة بأن المرأة ذات قدرات محدودة وأن هذه القدرات لديها فى إنخفاض مستمر أثناء فترة الحيض وأثبتت «هولنجورث» خطأ هذه الإفتراءات والأكاذيب

« بنيامين ، شايلدز Benjamin & Shields ، ١٩٩٠ » .

وهناك شخصية نسائية أخرى كان لها أثرها فى دراسة سمات الشخصية عام ١٩٢٠ وهى « جان إيتاداونى June Etta Downey » كما قامت بتطوير إختبارجديد للشخصية حاز على شهرة واسعة النطاق وأصبحت بعد ذلك أول إمرأة تعمل فى وظيفةترئيس قسم علم النفس في إحدى جامعات الولاية بالولايات المتحدة الأمريكية .

هذا وبالرغم من مساهمات الكثير من النساء فى علم النفس إلا أن هذا العلم قد ظل خاضعا لسيطرة الرجال وفي نفس الوقت زاد عدد النساء المؤهلات للعمل فى مجال علم النفس عن أى مجال آخر « سيمونتون Simonton ، ١٩٩٢ » ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الموقف قد حدث فيه إنقلاب درامى أثناء العقد الأخير من هذا القرن حيث حدثت طفرة كبيرة فى عدد النساء المشتغلات بعلم النفس ، ومن ثم فيجب على المؤرخين لعلم النفس وتاريخه فى التسعينات من هذا القرن ألا يغفلوا الدور التاريخى للنساء العاملات فى مجال علم النفس وفروعه .

نماذج علم النفس المعاصر .

أصبح علم النفس اليوم شديد التنوع والتشعب وتتدرج نماذج علم النفس المعاصرة تحت خمسة مكونات رئيسية تؤكدة كلها على أهمية النواحي المختلفة للسلوك والعمليات العقلية ، ونتعرض الآن للحديث عن كل نموذج من النماذج الخمسة فنقول :

أولا : النموذج البيولوچي : يركز هذا النموذج على الأسس البيولوچية للسلوك الإنسانى ، ومدى تأثر هذا السلوك على الغدد والدم والعرق والأمراض العضوية والخلايا العصبية ، والوراثة وكيفية تأثير وظائف الجسم البشرى على الأمن والخوف لدى الإنسان،ويرى أصحاب هذا النموذج أن الإستجابات الشعورية كإستجابة القلق ذات مكونات بيولوچية خطيرة .

ثانيا : النموذج السيكودينامى : وقد طور هذا النموذج « فرويد » واعتبر أن سلوك الناس - على إختلاف أنماطهم الشخصية والإجتماعية - يخضع لما نسميه بالحتمية السيكولوچية والعمليات اللاشعورية ، وأن علم النفس - وفقا لهذا

النموذج - يرتبط قولا وعملا بالأعمال العقلية أوالعاطفية الناشئة بصفة خاصة منذ فجر الطفولة ، ومن ثم فقد كان هذا النموذج له الأثر القوى على الأدب والفن والتربية والإجتماع ، والخدمة الإجتماعية ، والأنثروبولوجيا ، هذا وقد كان لفرويد الفضل في الكشف عن غياهب الدوافع اللاشعورية ومخبوء النفس البشرية ، ومن ثم أمكن لنا إن نتعامل مع الإضطرابات النفسية والعقلية علي أسس علمية صحيحة ، فضلا عن تفسير الظواهر النفسية المعاصرة مثل العدوانية والتحيز ، والأنانية والتعصب ، والإغتراب .

وجملة القول أن النموذج السيكودينامى يقوم على الإعتقاد بأن السلوك الإنسانى « مدفوع Motivated » ومتحرك بقوى داخلية لايستطيع الفرد أن يتحكم فيها إلا قليلا .

ثالثا:النموذج المعرفي : ويهتم هذا النموذج بكيفية معرفة الناس وفهمهم وتفكيرهم فيما يدور حولنا من أحداث ووقائع ، وأثر عناصر الإدراك على السلوك ، ودراسة السبب والنتيجة والعلة والمعلول .

رابعا :النموذج السلوكى : يتعرض هذا النموذج لملاحظة السلوك الخارجى للإنسان ، وكل سلوك يمكن ملاحظته ، وتحديد الأسباب التى تدفع الفرد إلى إتخاذ طريقة معينة للسلوك ، وقد تزعم هذا الإتجاه « چون واطسون » عالم النفس الأمريكى الذى يعتقد بأن التحكم فى البيئة الخارجية للإنسان يؤدى بنا إلى نمط السلوك المطلوب أو المرغوب ، إن البيئة هى التى تصنع أقدارالأفراد ، وتبلور سلوكهم بغض النظر عن السلالات العرقية ، أو الميول الإجتماعية ، أو القدرات العقلية ، أو المواهب الخاصة التى وهبهم الله بها والتنشئة الإجتماعية التى شبوا عليها هكذا يرى « واطسون »،ومن ثم فقد كان من أشد المتحمسين للسلوكية والمنادين بها ، إلى أن جاء بعده من يتابع المسيرة فى النموذج السلوكى وهو العالم الأمريكى « سكنر » الذى توفى عام ١٩٩٠.

هذا وقد لعب النموذج السلوكى دورا حيويا كبيرا فى حياتنا النفسية والإجتماعية غداة أن بدأ يتعمق فى كل فروع علم النفس وترك بصمات واضحة على عملية التعلم وآثارها التطبيقية ، وكيفية الإستيعاب ، وتوضيح طرق العلاج السلوكي المثلى ، والتحكم فى العدوانية ، وحل المشكلات الجنسية وطريقة علاج

الإدمان ، وكيفية الوقاية من التلوث البيئ .

خامسا : النموذج الإنسانى : يرى هذا النموذج بأن الإنسان فرد فى المملكة البشرية أو النوع الإنسانى ويتميز بخاصية فريدة من دون الكائنات الحية الأخرى وأنه نسيج وحدة وأن الله قد خلقه فى أحسن تقويم ، كما أن الناس كل الناس على إختلاف مشاربهم وعاداتهم وتقاليدهم ، هم الذين يتحكمون فى حياتهم ويشكلونها طبقا لنزعتهم الإنسانية.ويعارض هذا النموذج الفكر القائل بأن تحديد السلوك لايأتى إلا من خلال القوى البيولوجية أو أن العمليات اللاشعورية هى التى تتحكم فى سلوكنا ، أو أن البيئة هى صانعة حياتنا النفسية والإجتماعية .

علم النفس والإيدز .

من الافاق التى إرتادها « علماء النفس » فى عصرنا الحالى ، إشتراكهم فى الحرب الضارية ضد مرض الإيدز ، وأخذوا يعملون فى أكثر من جبهة ضد هذا الوباء اللعين :

الجبهة الأولى : ومهمتها تقديم الإستشارات لعلاج الأفراد المصابين بفيروس الإيدز والتركيز على المشكلات النفسية والصحية لدى هؤلاء الأفراد ، حيث أن حاملى هذا المرض يتعرضون للطرد من بيوتهم وأعمالهم ، وقد يفقدون التأمين الصحى والإجتماعى ويتعين عليهم أن يتأقلموا مع الأوضاع غير الثابتة لهذا المرض ، وإنتظار الموت فى أقرب وقت ، ومن ثم يحتاج الأمر من جانب علماء النفس ، مساعدة هؤلاء الأفراد على مجابهة هذه الظروف العصيبة وإستخدام أساليب علاجية مستحدثة .

الجبهة الثانية: وتسلط نيراتها نحو فهم الأساس البيولوچى لمرض الإيدز ودراسة النواحى الفسيولوچية الخاصة بهذا المرض والتعمق فى العلاقة بين الإيدز وعلم وظائف الأعضاء « الفسيولوچيا » ولاسيما وظيفة المخ البشرى حيث إن المصابين بهذا المرض فى مراحل متقدمة قد يعانون من الإصابة ببعض الإضطرابات العقلية والمهارات الخاصة . ومن ثم فإن دراسة وفحص المريض للتأكد من مدى إصابة المخ ، لها ضرورة وأهمية كبيرة لأن ذلك يساعد على وضع برامج علاجية

جيدة ويؤدى إلي كبح جماح وكسر حدة المرض وتأخير تغلغله فى الجسم وإعاقة نشاط فيروس الإيدز .

الجبهة الثالثة : وهى تعمل على منع إنتشار مرض الإيدز عن طريق محاربة العلاقات الجنسية الشاذة وإقتصار هذه العلاقات على العلاقات الزوجية الشرعية النظيفة.وبرغم صعوبة تنفيذ هذا الأمر كلية إلا أن علماء النفس قد قاموا بمواجهة وتطوير الوسائل اللازمة التى تساعد الناس على تعديل الممارسات الجنسية بغرض تقليل الإصابة بفيروس المرض والحد من إنتشاره ، وقد إستخدم العلماء بعض العمليات والممارسات الفعالة على النماذج البيولوچية أثناء قيامهم ببحث الوسائل العملية والتطبيقية لمواجهة إنتقال الفيروس ومن ثم أمكنهم الوصول إلى نوع من الأمصال يمكن إستخدامه كوقاية ضد الإصابة بمرض الإيدز .

الجبهة الرابعة: ووظيفتها إتخاذ القرارات الفعالة فيما يتعلق بإجراء الفحوص الخاصة بمرض الإيدز وتقديم المساعدة من خلال إستخدام النماذج الإدراكية والمعرفية والإسترشاد بها ، إن مرض الإيدز لايمثل المشكلة الإجتماعية الوحيدة التي تتطلب اللجوء إلى علماء النفس للمساعدة في رفع المعاناه عن المصابين بهذا المرض .

مستقبل علم النفس .

ونتسائل : ماهى التصورات الممكنة والآفاق الجديدة ، والظواهر المستقبلية التي سيتناولها علم النفس فى السنوات القادمة ؟

من الصعب التنبؤ بما سوف يحدث من تطورات علمية حديثة فى علم النفس ، ولكن تشير الدلائل إلى إن بعض الإتجاهات ستظهر وتتطور لإضافة الجديد والمفيد فى الدراسات النفسية ، ومن هذه الإتجاهات مايلى :

أولا : الإتجاه المستقبلى الأول : سوف يضم علم النفس في المستقبل القريب الكثير من المجالات شديدة التخصص والتعمق ، مثال ذلك سوف يصبح على الممارسين أن يتخصصوا فى موضوع متنوع مثل عملية « إنتقال النبضات الكهروكيميائية عبر النهايات العصبية وأنماط إتصال العاملين فى المؤسسات

الكبيرة » ... ولذا يصبح من الصعب على علماء النفس الإلمام بكل هذه المجالات التخصصية بسبب إزدياد التخصصات كلما دلف علماء النفس فى أعماق وأغوار المعارف الجديدة .

ثانيا : الإتجاه المستقبلى الثانى : من المتوقع أن تظهر نماذج سيكولوچية جديدة حيث أن علم النفس من العلوم الآخذة فى النمو ، ولذا سيقوم بإستنباط نماذج جديدة مسايرة لروح وطبيعة العصر ، والجمع بين نموذجين لتكوين نموذج واحد جديد من النماذج القديمة بسبب زيادة المعلومات والمعارف الجديدة ، مما يؤدى بإرتقاء مستوى علماء النفس فى مجال القدرة على فهم السلوكيات والعمليات العقلية .

ثالثا : الإتجاه المستقبلى الثالث : التوصل إلى طرق علاج نفسى جديدة وزيادة عدد علماء النفس المتخصصين تخصصا دقيقا ، والميل نحو العمل فى المجالات الإستشارية التى تقدم خدماتها لمجموعات المتطوعين لتمكنهم من مساعدة أنفسهم بصورة فاعلة ومستوى مرتفع .

رابعا : الإتجاه المستقبلى الرابع : يزداد تأثير علم النفس على الإهتمامات العامة المعاصرة بإجراء الدراسات النفسية على العنصرية والإنتماء للأجناس المختلفة والفقر والكوارث الإجتماعية والطبيعية ، والتقنية والبيئة ، وجملة القول أن علم النفس لن يمكنه وحده حل هذه المشكلات ، إلا أنه بالنظر إلى ماتم إنجازه فى الماضى فى هذا العلم ، يمكن التنبؤ بأن علماء النفس سوف يقومون مستقبلا بتقديم الإسهامات الهامة ذات الأثر الفعال على حل هذه المشكلات .

مناهج البحث فى علم النفس .

يعتمد البحث فى علم النفس على عدة طرق علمية شأنه فى ذلك شأن بقية العلوم الأخرى ، وتتضمن الطريقة العلمية عدة خطوات رئيسية هى :

١- تحديد الأسئلة المثيرة للإهتمام .

٢ - إيجاد صيغة مقبولة للتفسير .

٣ - إجراء البحوث العلمية بهدف دعم التفسير أو رفضه .

ومن ثم يمكننا طرح الأسئلة الصحيحة ، وفرض الفروض المناسبة ، ووضع

النظريات والمبادئ العلمية فى علم النفس .

هذا ومن خلال إستخدام الطريقة العلمية قام علماء النفس بإجراء عدد من الملاحظات المتعلقة بالسلوك البشرى ككل الذى تعودالمرءأن يسأله لنفسه فى حياته الإجتماعية مثل :

- ماالذي يؤدي بأحد المعلمين بالمدرسة أن يصبح سريع الغضب ؟
- ماالذى يدفع أحد الأصدقاء للتأخير دائما فى مواعيده ؟
- كيف يفهم الكلب البوليسى أوامر مدربه ويستجيب لتنفيذها ؟

إن علماء النفس يطرحون الأسئلة الخاصة بمسببات السلوك ، وعادة ما تكون هذه الأسئلة من النوع التجريدى وذلك وصولا إلى تطوير نظريات علم النفس التى تهدف أولا وأخيرا إلى شرح وتفسير الظاهرة النفسية الخاضعة للملاحظة ، أن وضع النظريات أساسا ماهو إلا محاولة لإيجاد تفسير واسع المدى للتنبؤ بالظاهرة النفسية المثيرة للإهتمام .

ومن النظريات ماهو واسع المدى عند التفسير والتنبؤ مثل تفسير مشاعر الناس ودوافعهم وإنفعالاتهم بوجه عام ، وهناك من النظريات الأخرى مايتسم بضيق المدى كمحاولة التنبؤ بكيفية قيام الأشخاص بإظهار مشاعر الخوف غير اللفظية بعد تلقيهم تهديدا من أحد الأفراد ، ومن النظريات ماهو أكثر ضيقا وتحديدا وتحاول تفسير كيفية عمل العضلات الجسدية ، وعضلات الوجه وملامحه وإستجابتها مع بعضها البعض لإظهار تعبيرات الخوف والتهديد أو القلق والتوتر الشديد عند شعور الناس بالخوف أو الهلع،وعادة ما تكون نظريات علم النفس في شكل محدد وتتبلور حول فكرة واضحة ، وترتكز على بؤرة واحدة بحيث يتم صياغتها على أساس القراءات المتأنية ، والإطلاع العلمى الغزير وربط الأبحاث السابقة بالأبحاث اللاحقة ، وقراءة البحوث الأكاديمية السابقة ، والإعتماد على المعلومات العامة المتوافرة والمتاحة لدى العاملين فى مجال علم النفس .

ويعتمد علماء النفس على النظريات والفروض العلمية لسببين أساسيين هما :

الأول : تسمح النظريات والفروض لعلماء النفس بالقيام بعمل ملاحظات وجمع بيانات ومعلومات من هنا وهناك بهدف إستخدام هذا الكم المعرفى داخل إطار متماسك ذو بناء ثابت .

الثـانى: يعـتـمـد علمـاء النفس على النظريات والفـروض للوصـول إلي إستنتـاجات تتعلق بالظواهر النفسيـة التى لم يتم تفسيرها بعد ، ومن ثم فإن دور النظريات والفـروض ، هو توجيـه وإرشـاد الدارسين نحـو الأبحـاث المستـقـبليـة والإستفادة القصوى من إكتشاف آفاق جديدة فى عالم العلم ودنيا المعرفة .

الملاحظة على الطبيعة .

فى الملاحظة الطبيعية يعتمد الباحث ببساطة شديدةعلى السلوك الحقيقي الحادث، ولايحاول التدخل فى الحادثة مثال ذلك إذا أراد باحث أن يبحث أو يدرس « إرتفاع معدل حدوث الجريمة » فى أحد أحياء إحدى المدن المزدحمة بالسكان ، فما عليه إلا ملاحظة نوعية المساعدة التى يتم تقديمها لضحايا الجريمة وقت حدوثها .

وعند دراسة عمليـة الملاحظة الطبيعية على الباحث أن يكون سلبيا وكل دوره ينحصر فى تسجيل ما يحدث من حوله ، ومن مميزات الملاحظة الطبيـعيـة أن يأخذ الباحث عينة من أفراد المجتمع المراد بحثه أو دراسته ويقوم بتسجيل سلوكهم فى بيئتهم الطبيعية ، كما يتعين على الباحث أن ينتظر حتى تأتى الفرصة المناسبة التى تساعده على دراسة الظروف المطلوبة .

البحـوث المسـحيـة .

إن أفضل طريقة لمعرفة كيفية تفكير الناس وتفسير مشاعرهم هى القيام بتوجيه الأسئلة المباشرة إليهم ومن ثم فإن البحث بطريقة المسح الشامل يعتبر من الطرق البحثيـة الهامة حيث يعتمد ذلك على إختيـار شريحة من الناس لتـمثل الكثافة السكانية.

إن طرح مجموعة أسئلة على بعض آلاف من الناخبين يساعدنا على التنبؤ بدقة كبيرة بذلك الرجل الذى سيفوز فى إنتخابات الرئاسة للبرلمان أو عضوية مجلس نيـابى فى إحدى الدول بشرط أن يتم إنتـقـاء شريحة المسح بعناية كبـيـرة ، وهنا لاتتعدى درجة الخطأ « واحد » أو « إثنين » فى المائة ، وبشرط آخر ألا يحدث

تزوير فى الإنتخابات وتنقلب الحقائق وتتبدل الصناديق ، ويقع القتلى بكثرة وتتصارع الأحزاب ويودع أصحاب النزاهة والضمير والخبرة غياهب السجون أثناء عملية الإنتخاب وينفض السامر ، وعاش المرشح المغامر ! ! وتصبح النتيجة ٩٩,٩ ٪ بفضل تخطيط الشللية والبلطجية ، فى مثل هذه المجتمعات الهمايونية ! ! ولله فى خلقه شئون .

هذا ومن مساوئ البحث بطريقة المسح الشامل مايلى :

١ - يقدم للناس - أحيانا - معلومات غير دقيقة نظرا لضعف ذاكرتهم وعدم معرفة الباحث شيئا عن أحوالهم العائلية أو الإجتماعية ، كما أنهم لايريدون أن يعرف الباحث مايعتقدونه فى حقيقة الأمر .

٢ - يميل الناس ألا يعرف الباحث الجوانب الشخصية فى حياتهم بهدف المحافظة على أسرارهم .

٣ - يقدم بعض الناس إجابات معينة بهدف إرضاء الباحث .

٤ - يقدم الناس إجابات يرون فيها أن الباحث يريد أن يسمعها .

٥ - يقدم الناس إجابات عن موضوعات لايريد الباحث أن يتطرق إليها .

دراسة الحالة .

تعتمد دراسة الحالة على الدراسة البحثية المتعمقة وإجراء الإختبارات النفسية على الحالة وذلك بهدف مساعدة الباحث على النفاذ ببصيرته إلى لب الحقيقة وإلى داخل أغوار شخصية كل فرد من أفراد المجموعة المطلوب دراستها .

كما أن دراسة الحالة أسلوب بحثى يهدف نحو معرفة المزيد عن الأفراد الخاضعين للدراسة ، والحصول على أكبر قدر ممكن من المعرفة لمساعدتنا على فهم سلوك الناس فى سهولة ويسر .

البحوث الإرتباطية .

تهدف هذه البحوث أساسا نحو تحديد العلاقة القائمة بين نوعين من السلوك الإنسانى ، أو بين نوعين من الإستجابات لسؤالين يتم طرحهما ، مثال ذلك ... قد

يحاول أحد الباحثين إيجاد العلاقة بين درجة « التدين » و « مساعدة الناس » فإذا تم إجراء دراسة على هؤلاء الأفراد المتدينين وبين طريقة تعاملهم مع المواقف الطارئة التى تستدعى مساعدة الآخرين ، وإذا ثبت وجود علاقة إرتباطية فى هذه الدراسة ، دل ذلك على التأكد من مصداقية هذه العلاقة « التدين » و «مساعدة الناس» .

مثال آخر هناك علاقة بين عدد ساعات المذاكرة وتقدير النجاح وهى علاقة إيجابية متبادلة ، إن زيادة عدد ساعات المذاكرة ترتبط بالتقدير العالى « ممتاز » مثلا ، كما أن إنخفاض عدد الساعات يؤدى بالطالب إلى الحصول على تقدير منخفض «مقبول» وهكذا .

إن هذه العلاقة يتم الإشارة إليها بإستخدام رقم إيجابى ، وكلما زادت درجة الترابط والتلاحم بين عدد ساعات المذاكرة فى الدراسة وبين تقدير النجاح كلما إقترب « الرقم الإيجابى » من « + ١ » وفى حالة العلاقة الإرتباطية السلبية تتراوح العلاقة بين « صفر ، -١ » كما أنه لاتوجد علاقة بالمرة بين عدد ساعات الإستذكار للطالب الجامعى وبين طوله أو عرضه ، فالعلاقة هنا معدومة ... إنها تمثل « صفر » .

هذا وقد تكون هناك علاقة إرتباطية موجبة بين :

مشاهدة البرامج التليفزيونية العنيفة وبين مستويات السلوك المتسم بالعنف ، وهذا يتطلب دراسة السبب والنتيجة مع الأخذ فى الإعتبار تمثيل بعض العوامل كأسباب أو نتائج ومنها :

- عدوانية المشاهد .
- زيادة درجة مستوى الشخصية العنيفة التى يكتسبها المشاهد .
- الحالة الإجتماعية الإقتصادية للمشاهد .
- إختيار البرامج التليفزيونية المتسمة بالعنف .
- زيادة مستوى العنف للمشاهد .

إن حدوث العنصرين مع بعضهما ، لا يعنى أن أحدهما هو الذى تسبب فى ظهور الآخر ، مثال ذلك أن العلاقة المتبادلة لاتقدم لنا أى معلومات بشأن السبب والنتيجة ،لأن هذه العلاقة عبارة عن قياس لقوة العلاقة القائمة بين عاملين

فالأطفال الذين يشاهدون الكثير من البرامج التليفزيونية ذات مستويات مرتفعة من العنف ، فإننا نجد أن هؤلاء الأطفال يميلون نحو إظهار درجة مرتفعة نسبيا من السلوك العنيف ، أما بالنسبة لهؤلاء الأطفال الذين يشاهدون عددا أقل من البرامج التليفزيونية العنيفة ، فإنهم لايظهرون إلا درجة بسيطة نسبيا من السلوك العنيف .

هذا ولايمكننا أن نجزم بأن العنف نابع من مشاهدة التليفزيون حيث أن السلوك العنيف قد يعزى إلى عوامل أخرى ، وتشير الأبحاث بأن الأطفال ذوى المستوى الإجتماعى الإقتصادى المنخفض ، نجدهم يميلون إلى مشاهدة البرامج التليفزيونية المتضمنة مواد عنيفة وبالتالى يسلكون سلوكا عنيفا ، إن العوامل المرتبطة بالمستوى الإجتماعى الإقتصادى للأسرة ، هى السبب الحقيقى فى زيادة نسبة حدوث السلوك العنيف وإنتشاره بين أطفال الأسر الفقيرة ، كما أنه من الملاحظ أن الناس ذوى الطبيعة العدوانية ، يختارون مشاهدة البرامج المتسمة بالعدوانية .

البحوث التجريبية .

نقصد هنا بالبحث التجريبي ، تلك الدراسة التى يتم إجراؤها بهدف بحث العلاقة بين عاملين أو أكثر من خلال إحداث تغيير فى إحداهما وملاحظة التأثير الناجم على العوامل الأخرى .

المعالجة التجريبية : هى عملية إحداث التغيير عمدا أو قصدا فى إحدى التجارب بهدف الحصول على إستجابة معينة فى العناصر الأخرى لتحديد العلاقة السببية القائمة بالفعل بين المتغيرات .

المتغير : هو كل سلوك يمكن التأثير فيه ليحدث تغيير .

المجموعة التجريبية : هى المجموعة الخاضعة لإدخال تغيير فيها من خلال التجربة .

المجموعة الضابطة : هى المجموعة التى لايتم إخضاعها لإدخال أى تغيير عليها أثناء التجربة .

خلاصة القول أن البحوث التجريبية تتطلب عقد مقارنة بين إستجابات

مجموعتين على الأقل من الأفراد ، تتلقى المجموعة الأولى معالجة معينة يقوم بها المجرب ولاتتلقى المجموعة الثانية (الضابطة) أى نوع من المعالجة ، ويمكن أن يتم معالجتها بصورة أخرى مختلفة عن الطريقة التى حدثت فى المجموعة الأولى وفى البحوث ، التجريبية يجب أن نثبت كل المتغيرات الدخيلة أثناء إجراء التجربة مثل درجة الحرارة ، درجة الرطوبة ، الإضاءة ،الوقت المحدد ، الضوضاء ، وملاءمةالزمان والمكان لإجراء التجربة ، وذلك لكى تكون المعالجة التى أدخلناها على المجموعة التجريبية هى التغيير الوحيد الحادث عليها وفيها .

المتغيرالمستقل : هو العامل الذى تتم معالجته عن طريق الباحثين .

المتغيرالتابع: هو العامل الذى لايحدث فيه أي معالجه ويمكن قياسه ونتوقع أن يحدث فيه تغيير أو إختلاف .

أفرادالعينة : هو إجراء يتم فيه تعيين الأفراد بطريقة عشوائية للمجموعات التجريبية المختلفة طبقا لظروف المتغير المستقل .

الفروض : فى البحوث التجريبية يربط الفرض بين كل من المتغير المستقل والمتغير التابع سويا .

يجب أن تتوافر هذه العناصر الأربعة السابقة في كل البحوث التجريبية الحقيقية ليمكننا تحديد العلاقة السببية بين السبب والنتيجة هذا وعند إختيار أفراد العينة ، يجب ألا نعتمد كثيراعلى مجموعة من الطلاب الجامعيين المستجدين لأنهم لايمثلون المجتمع الأصل تمثيلا حقيقيا حيث إن إتجاهاتهم الفكرية غير ثابتة وقابلة أحيانا للتغيير والتعديل بالإضافة إلى أنهم يتعرضون كثيرا لضغوط إجتماعية نابعة من الشخصيات القيادية فى المجتمع مثل رجال الأمن العام أو المحافظ أو رئيس مجلس المدينة أو أقرانهم فى الدراسة ، « سيرز Sears 1986 » .

وإذا كانت عملية إختيار عينة من طلاب الجامعة فى بحوثنا الميدانية فى علم النفس عملية يشوبها الشك والتردد ، فإن علماء النفس قد إتجهوا نحو إستخدام بعض الحيوانات مثل الفئران والقطط والكلاب والقرود والحمام كأفراد عينة بدلا من الإنسان ولكن فى حدود ضيقة للغاية حيث يشكل إستخدام مثل هذه الحيوانات من ٧ - ٨ ٪ فى بحوث علم النفس الميدانية .

والفرق كبير والبون شاسع بين إستخدام الإنسان وإخضاعه لدراسة تجريبية

علمية وبين إستخدام الحيوان الذى نجرى عليه تجربة فى فترة زمنية قصيرة ودون إكتراث لما يحدث له من أخطار أو أخطاء ، إن التركيبة المعقدة للإنسان والحفاظ عليه والعناية به أثناء إجراء التجارب في مجال علم النفس ، هى التى جعلت علماء النفس يتجهون لإستخدام الحيوانات فى تجاربهم .

إن المشاركين فى مثل هذه التجارب من البشر يجب أن يتماثلوا جميعا كأفراد من ناحية المستوى الإجتماعى الإقتصادى ، والخلفية البيئية ومستوى التعليم والفئة العمرية الواحدة وتثبيت كل العوامل الدخيلة كلما أمكن ذلك أثناء إجراء التجربة عليهم .

ويمكن القول بأن البحوث التى أجريت علي الحيوانات قد أفادت علماء النفس وأمدتهم بمعلومات كثيرة عند دراستهم للبشر ، مثال ذلك : إجراء البحوث على الحيوانات فى مجال علم النفس ، ساعدتنا على كيفية التعرف على مشكلات العين والإبصارلد ى الأطفال حديثي الولادة لتجنب حدوث أضرار مستمرة ، كما ساعدتناأيضا مثل هذه البحوث على مقارنة سلوك الأطفال المتخلفين عقليا بسلوك حيوانات التجارب ، بالإضافة إلى أنها قللت الآلام وكسرت حدة الآلام المزمنة التى يعانى منها الإنسان « جمعية علم النفس الأمريكية ١٩٨٨ » .

وفى معرض الحديث عن التصميم التجريبى في علم النفس ، يرى كل من « لاتان . دارلى Latane & Darley ، ١٩٧٠ » أنه يمكن القول بأن حجم العينة فى البحوث التجريبية يؤدى إلى تغيير فى درجة ومقدار مساعدة الآخرين الذين يتعرضون لظروف عسيرة ، ويلجأعالم النفس إلى إعادة إجراء التجربة بأستخدام إجراءات أخري ومواقع أخري وأزمنة أخري بالإعتماد علي أفراد عينة أخري لأن إعادة إجراء التجربة عن طريق إختبار أفراد آخرين يمنحنا قدرا كبيرا من الثقة فى الصحة وصلاحية ومصداقية التجربة « لاتان ، نيدا Latane & Nida، ١٩٨١ » ، إن إختبار صحة الفرض – فى هذا المثال – يؤكد لنا أنه : فى الظروف العصيبة التى يعيشها أفراد جماعة من الناس ، فإنهم يتماسكون ويقدمون المساعدة للمنكوبين منهم ، كما يحدث فى ظروف حدوث الزلازل والبراكين والفياضانات والأوبئة والحروب ، ورغم ذلك فإن مثل هذا الفرض يحتاج إلى تدعيم علمى وإجراء المزيد من الأبحاث والتجارب .

إن علم النفس كأى علم آخر يساعدنا على الفهم من خلال خطوات بسيطة وصغيرة وكل خطوة تم بناؤها فى صرح المعرفة السيكولوچية ، تعتمد أساسا على التراكمات العلمية السابقة حيث أن العلم تراكمات يكمل بعضها البعض الآخر .

البحوث الأرشيفية .

هى نوع من البحوث يعتمد بالضرورة على السجلات التاريخية والصحف اليومية كما أن إستخدام المقالات الصحفية يعتبر من الطرق التى يعتمد عليها البحث الأرشيفى بالإضافة إلي بيانات الميلاد والسلالة والنوع وتعداد السكان وحجم الأسرة والمسكن والمهنة ، كل هذه البيانات الأرشيفية تفيدنا في التأكد من صحة الفرض .

إن البحوث الأرشيفية زهيدة التكاليف حيث أن محررى الصحف هم الذين يجمعون البيانات الأساسية ، ويمكن القول بأن الإعتماد على البيانات والمعلومات الصحفية له بعض المساوئ لأن بعض الصحف تستقى بياناتها من جهات غير رسمية وغير موثوق فيها وتتسم بالمبالغة والتهويل ، ومن ثم لايؤدى ذلك بالباحث إلى إختيار الفرض المناسب ، هذا وتجمع بعض الصحف بياناتها بشكل عشوائى وطريقة غير منظمة ومن ثم فإن البحوث الأرشيفية لا يمكن الركون إليها والإعتماد عليها لأنها تسبب فى نهاية الأمر بعض المواقف المحرجة وإصابة الباحث بالإحباط والتضليل .

أخلاقيات البحث العلمى .

لكل مهنة أصول وقواعد متبعة لايحيد عنها أصحابها عند التعامل مع بعضهم بعضا ، فإذا خرج عامل أو صاحب مهنة أو عمل عن هذه الأصول المرعية ، نبذه نقيب المهنة وأعضاؤها بعد فصله وحرمانه من ممارسة المهنة أو العمل وهذا ما نطلق عليه « أخلاقيات المهنة » ولما كان البحث العلمى طريقة قبل أن يكون حقيقة ، كان من الواجب أن يكون هناك « ميثاق شرف » أو « أخلاقيات العلم » يسير

على منوالها وهداها الباحثون عن الحق والحقيقة .

وفى علم النفس هناك « أخلاقيات العلم » التى تلزم الباحث بالعمل والبحث الجاد الأصيل بعيدا عن التضليل والخداع والتزييف والفبركة ، وعلى الباحث المحنك إحترام إنسانية أفراد العينة التى إختارها لإجراء التجربة العلمية عليها بل إننا نذهب إلى أبعد من ذلك حين نلزم الباحث فى علم النفس أن يتعهد بالعناية والرعاية وتوفير الغذاء المناسب لحيوانات التجارب في معمل علم النفس .

هذا ومن أخلاقيات البحث العلمى فى علم النفس نعرض لك العناصر والمحاذير التالية :

١ - إحاطة الأفراد الخاضعين للتجربة البحثية ، علما بأن التجربة هدفها الأساسى خدمة البحث العلمى ولاشئ غير ذلك ومن ثم يتخذ الأفراد موقفا معينا لتحقيق هدف البحث .

٢ - على الباحث ألا يلجأ لإستخدام أسلوب الخداع مع أفراد عينة البحث أثناء إجراء التجربة .

٣ - عدم إنتهاك حقوق الأفراد المشاركين فى التجربة البحثية .

٤ - التزام الباحث بمجموعة الإرشادات الأخلاقية التى تهدف إلى حماية حقوق المشاركين فى التجربة .

٥ - حماية الأفراد من الأضرار العقلية والجسمية .

٦ - المحافظة على الخصوصيات المرتبطة بالسلوك الشخصى .

٧ - الإلتزام بإحاطة المفحوصين (أفراد العينة) علما بطبيعة الإجراءات البحثية قبل البدء فى إجراء التجربة .

٨ - الحصول على تصريح رسمى من الجهة التى يطبق فيها البحث ،

٩ - التوقيع على مستند رسمى من قبل أفراد العينة بقبولهم إجراء التجربة عليهم فى بداية التجربة البحثية .

١٠ - على المشاركين فى التجربة (أفراد عينة البحث) أن يعتبروا أنفسهم متطوعين لهذا العمل العلمى دون مقابل مادى .

١١ - على الباحثين الذين يستخدمون الحيوانات في إجراء التجارب ، المحافظة على الحيوان بعيدا عن أى معاناه أو ضرر .

١٢ - التقليل كلما أمكن من إستخدام حيوانات التجارب فى البحث بهدف منع الآلام والأمراض لدى الحيوان .

١٣ - عدم تعرض الحيوان لبعض الظروف الصعبة أثناء إجراء البحث .

١٤ - إهتمام الباحث بأسلوب تغذية الحيوانات وتنظيف أماكن معيشتها أثناء إجراء التجارب عليها « جمعية علم النفس الأمريكية APA ، ١٩٨٦ - ١٩٩٠ » .

معوقات التجريب فى علم النفس .

تتعرض معظم التجارب اثناء إجرائها لبعض التحريفات والهنات الطفيفة رغم دقة التصميم التجريبى فى بادئ الأمر ، وتنحصر مثل هذه التحريفات البسيطة فى : المحاباة والمجاملة ، والتعصب والتحامل والتحيز ، مما يؤدى بالمجرب إلى تشويش الفهم والتشوه الإدراكي عند تفسير أثر المتغيرات المستقلة على المتغيرات التابعة ، ويبدو ذلك بوضوح فى حالة نقل بعض الإشارات والتلميحات بصورة غير مقصودة للأفراد الخاضعين للتجربة ، بمعني أن المجرب قد ينقل للمفحوصين (الخاضعين للتجربة) بعض الإشارات أوالرموز المتعلقة بالسلوك المتوقع أثناء إجراء التجربة وهذا ما نطلق عليه «توقعات المجرب » .

وتكمن خطورة هذه التوقعات فيما يقابلها من إستجابات أو سلوكيات جديدة من جانب المفحوصين ، مما يؤثر ذلك سلبا على نتائج التجربة ، كما تواجهنا مشكلة أخرى تعوق عملية التجريب ألا وهى مشكلة المفحوصين حيث إنهم نتيجة توقعاتهم المستقلة تتكون لديهم بعض الأفكار والفروض الخاصة بهم مما يؤدى إلى تعارض توقعاتهم مع توقعات المجرب ، ومن ثم يشوب التجربة بعض السلبيات المؤثرة على متغيراتها حيث يصبح التأثير الأكبر ناجما عن توقعات المفحوصين .

لكى نقضى على هذه المشكلة تماما فإنه يجب على المجرب إخفاء هدف التجربة الحقيقي لمنع ظهور مثل هذه التوقعات المؤدية إلى التحيز والمحاباه والتحامل ، مثال ذلك أجري بعض المجربين تجربة هدفها الحقيقي دراسة عن «أثرالإيمان على التحصيل الدراسى لدى طلاب الجامعة » ولكن المجرب أخفى

الهدف الحقيقي ، وأخبر المفحوصين بأنه يجرى دراسة عليهم هدفها الأساسي « المشكلات الشخصية التى تقابل طلاب الجامعة » وبناءعلى ذلك بدأ الطلاب يستجيبون بطريق طبيعية أثناء إجراء التجربة عليهم ولاشك أن الفرق كبير والبون شاسع بين هدف الدراسة الأولى « الإيمان والتحصيل » وبين هدف الدراسة الثانية « مشكلات الطلاب الشخصية »

هذا وقد يكون هناك علاقة إرتباطية بين الإيمان والتحصيل الدراسي لدى الطالب حيث أن التوافق الدينى وهو سلوك موجب مرغوب يؤدى - أحيانا - إلى التوافق الدراسى المطلوب ، وتحضرنى هنا نصيحة الشاعر القديم حين يقول :

شكوت إلى « وكيع » سوء حفظى ∴ فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور ∴ ونور الله لايهدى لعاصى

وفى بعض التجارب يصبح من الصعب - إن لم يكن من المستحيل - إخفاء الهدف الحقيقي من إجراء التجربة ، فقد أجرى أحد الباحثين تجربة هدفها الأساسي والحقيقي هو إختبار درجة تأثير أحد العقاقير الطبية التى تؤدى ألى التخفيف من أعراض الإكتئاب وقام الباحث بإعطاء الدواء المتفق عليه لنصف المفحوصين ، ولم يعطه للنصف الآخر ، وأفترض بأن المجموعة التى أخذت جرعة الدواء سوف يصبح لديهم إنطباع بأنهم أقل إكتئابا عن ذى قبل ويرجع ذلك لشعورهم وإدراكهم بأنهم تلقوا العلاج والدواء المضاد للإكتئاب ، وكان شعور الفريق الآخر (المجموعة الثانية) بأنهم لم يشعروا بأى تحسن أو تقدم بالنسبة لحالة الإكتئاب لأنهم لم يحصلوا علي الدواء .

ولتنفيذ هذه التجربة فى حيز الواقع وعلى الطبيعة ، إتخذ علماء النفس بعض الإجراءات المعينة وذلك بوضع بعض الأفراد فى المجموعة الضابطة التى تتلقى العلاج وهو عبارة عن « نصف حبة فول » ليس لها أى تأثير على أفراد المجموعة الضابطة ، وهى بمثابة دواء خادع ليس لها أى خصائص كيمائية ولاتحتوى على أى عناصر فعالة لعلاج أى مرض أو إضطراب ، وكان كل من المجموعتين الضابطة والتجريبية خاضعين لظروف متشابهة ، ولا يعلم أى فرد من المجموعتين

عما إذا كان قد أخذ دواءا حقيقيا أو دواءا خادعا لأن الدواء « نصف حبة الفول » ليس لها أى أثر بيولوجى حين يتم إستخدامها على أنها دواء لعلاج الإكتئاب لدى الأفراد.وذلك لخداعهم وعدم معرفتهم بنوعية الدواء وأثره على سلوك الإنسان.وعلى الباحث أن يضع فى الإعتبار عند إجراء مثل هذه التجربة أنه يؤثر تأثيرا كبيرا على المفحصوين عن طريق توقعاته ، ومن ثم يجب إخفاء حقيقة الدواء من جانب المجرب عن المفحوصين ، ويطلق على هذه الطريقة إسم « الإجراء الثنائي الإخفاء Double Blind Procedure » وهى طريقة تساعد الباحث على تقييم تأثيرالدواء بصورة دقيقة وفاعلة .

الفصل الثانى

الأسس البيولوچية للسلوك الإنسانى .

* الأصول التعميمية فى العلوم البيولوچية .
* المخ البشري عالم عجيب غريب .
* مركز السيطرة فى المخ .. الأيمن والأيسر .
* وظائف المخ .
* أنماط الموجات الكهربائية المخية .
* جهاز إتصالات شبكية .
* وظيفة الأجهزة العصبية .
* طرائق ضبط السلوك بيولوجيا وكيميائيا .

الأسس البيولوجية للسلوك الإنسانى.

يعتبر الإنسان من المنظور التاريخى والبيولوجي أحدث الكائنات الحية التى ظهرت على كوكب الأرض وذلك على فرض أن الأرض هى الكوكب الوحيد المناسب لوجود الحياة ، هذا وقد ظهر أول الكائنات الحية على الأرض منذ ملايين السنين. وكان من نتيجة التغييرات العظيمة الكثيرة التى حدثت خلال هذه الفترة أن ظهر ما يقرب من مليون نوع من الأنواع الحيوانية وما يقرب أيضا من ٤٠٠ ألف نوع من الأنواع النباتية وذلك بخلاف الأنواع الكثيرة الأخرى التى ظهرت لفترة من الزمن وزالت بعد ذلك تحت ظروف بيئية وبيولوجية مختلفة .

إن علما كعلم الأحياء (البيولوچيا) وثيق الصلة بالعلوم الأخرى وكما يحدث فى العلوم الأخرى يحدث لهذا العلم حيث يحدث نوع من التأثير المتبادل بين مايلاحظ العالم أو الباحث وما يصل إليه من حقائق من جهة وبين التغيرات المختلفة فى صورة نظريات وفروض من جهة أخرى .

وتشهد أصول المنهج العلمى السليم تقدما مذهلا فى أيامنا هذه فى « علم البيولوچيا » مع التأكيد النهائى بأنه ليس من المستطاع الحصول على مادة حية إلا من أصل حى تدب فيه الروح .

والبيولوچيا كعلم لدراسة الأحياء فى شتي صورها الديناميةتدخل فى مجال تجمع هائل لمجموعات من الحقائق والنظريات التى تهتم بدراسة طبيعةالكائنات الحيةمما يؤدى بالدارس لعلم النفس أن يعرف ويدرك تماما الأصول والظروف والمبادئ المسهمة فى معرفة أسرار تحول الإنسان من كائن حى بيولوچى إلى كائن حى إجتماعى له شخصيته الفريدة التى تميزه عن غيره من الأفراد .

وبإكتشاف الميكروسكوب إنتقلت دراسة الكائن إلى مستوى آخر هومستوى الخلية حيث ظهر علم الخلية ، ومن ثم صارت الوحدة الأساسية لتفسير دراسة السلوك هى الخلية علي أنها الوحدة البنائية للكائن الحى .

الأصول التعميمية فى العلوم البيولوچية .

تقوم العلوم البيولوچية على مجموعة مسلمات علمية وبعض « التعميمات Generalizations » التى تشكل الأساس المنهجى والفكرى لمعرفة الإنسان كوحدة بيولوچية حية ونوجز بعض هذه التعميمات فى النقاط الآتية :

أولا : تخضع الكائنات الحية لقوانين الفيزياء والكيمياء حيث يمكننا تفسير الكثيرمن سلوكيات المادة الحية فضلا عن تطبيق القوانين الطبيعية والكيميائية علىالنظم البيولوچية مما أدى بنا إلى الوصول إلى علم « السيبرناطيقا Cyber- netics » أى « علم الضبط الذاتى » ونعنى به فى « علم النفس » أثر الآلات والمعدات الميكانيكية على حياة الإنسان والكائنات الأخرى .

ثانيا : نظرية الخلية الحية وينادى هذا التعميم بأن كل الكائنات الحية تتكون من الخلايا ومنتجاتها من خلال النشاط الحيوى التى تمارسه ، كما أن الخلايا الجديدة تتكون بطريق الإنقسام الذى يحدث للخلايا الموجودة من قبل وهكذا ... .

ثالثا : كل ماهو حى يأتى ويبزغ عن الطبيعة الحية ، وفى هذا يقول « رودولف فيركوف » إن جميع الكائنات الحية تظهر وتبزغ من الخلايا الحية السابقة على ظهورها بمعنى أن التكوين الذاتى للخلايا من مادة غير حية هو ضرب من المستحيل .

رابعا : جميع الخلايا الحية أصلها وأساسها محولات للطاقة بمعنى أنها تعمل على تحويل الطاقة الكيمائية الناتجة عن التمثيل الغذائى إلى طاقة كهربائية يمكن إستغلالها وبالتالى فإن النشاط النفسى ماهو إلا صورة من صور الطاقة حيث أن مانتناوله من غذاء ، وما نقوم به من مجهود عضلى أو ذهنى هو برهان ساطع على تحويل الغذاء إلى طاقة فكرية .

خامسا : نظرية التطور والتعميم فى العلوم البيولوچية بمعنى أن العالم أو الباحث عليه أن يقدم تفسيرا واضحا عن علة وجود الكائنات الحية وهذه نظرية فلسفية بحتة ، ولما كانت المعرفة تراكمات على مر الزمان وتغيير المكان قام العلماء بتحليل أوجه التماثل والتقاربوبين الأنواع الحيوانية وتقسيمها وتصنيفها من الناحية الوظيفية طبقا للإنتقال من البسيط إلى المعقد ومن القديم إلى الحديث بداية

من الكائنات الجرثومية ووصولا إلى الإنسان قمة التطور وأحسن تقويم .

سادسا : التوازن الوراثي والنظرية الوراثية ، ونقصد بهذا التعميم أن كل كائن حي جديد يأتي إلى الوجود نتيجة إتحاد بويضة أنثوية مخصبة مع حيوان منوى لتكوين خلية زيجوتية تؤدى إلى وجود جنين ثم كائن حى كامل بعد ذلك ليرث صفات الوالدين بالوراثة ، وقد تكون الصفات « سائدة » أو « متنحية » طبقا لقوانين الوراثة التى إكتشفها العالم المعروف « جريجور مندل » عام ١٨٦٥.

سابعا : الحامض الأمينى « دايوكسى نيوكليك آسيد » هو الحامل الرئيسي للمعلومات الوراثية ونقصد بهذا التعميم أن هذه الأحماض الأمينيةتلعب دورا أساسيا فى نقل المعلومات الوراثية حيث يظهر كل شئ وكل صفة لدي الكائن الحى قبل الميلاد إلى أن يصبح هذا الكائن شيئا مذكورا وإنسانا كبيرا يتسم بالحركة والنشاط والتفكير والإتزان الإنفعالى .

ثامنا : تحدث التفاعلات البيوكيميائية للكائن الحى طبقا لتعليمات الچينات المتحكمة فيها ونتيجة لذلك فإن أى تفاعل حيوى كيميائى يكون محكوما بنشاط خميرة خاصة يحكم نشاطها « جين » معين .

تاسعا : أولوية الفيتامينات وأسبقيتها لنشاط الإنزيمات ، أي أن العمليات الحيوية الهامة المرتبطة بالتغذية لا يمكن أن تتم بمعزل عن الفيتامينات ، ومن ثم فإن أحد التعميمات المتمثل فى الفيتامينات يعتبر بمثابة الأساس البيولوچى للسلوك لأنه يدعم نشاط هذه الفيتامينات اللازمة لجسم الكائن الحى ونموه .

وننتقل الآن إلى « مايسترو » الجسم البشرى ... ننتقل إلى مخ الإنسان لنتعرف على ما يدور فيه وكيف يعمل ؟ ومتى يتوقف عن العمل ؟

المخ البشرى عالم عجيب غريب .

فى الثلاثينيات من هذا القرن إستطاع جراح المخ والأعصاب الطبيب « بنفيلد Penfield » أن يقوم بجراحة فى مخ أحد المرضى بالصرع واستخدم لأول مرة فى ذلك الوقت تيارا كهربيا بسيطا يمر فى المخ بهدف تنشيط بعض المراكز فيه ، وهنا لاحظ أن تنبيه المخ فى بعض مناطقه الحية يستثير إستجابة فى الأعضاء الجسمية

المقابلة ، كما بدأ يستخدم بعض التنبيهات لمنطقة أخرى من المخ فرأى عجبا ... رأى أن المريض يتذكر أحداثا بعيدة كانت نسيا منسيا وهكذا أمكن للمرضي الذين يعالجون لدى « بنفيلد » أن يشعروا بوخز الإبر هنا وهناك فى أجسامهم من اليد اليمنى إلى اليد اليسرى ومن أصبع إلى أصبع إلى طرف اللسان حتى أصابع القدمين.لقد كان المرضي يشعرون بأن أقدامهم ترتفع وكذلك أيديهم وأصابعهم تتحرك حركات إنسيابية ، وهنا أمكن للطبيب «بنفيلد» أن يرسم خريطة المخ البشرى ، يحدد فيه المراكز العصبية المختلفة والوظائف التى تتولاها من ناحية التوجيه الحركى والحسى والإنفعالي لمختلف أعضاء الجسم وأعصابه وفى جراحة أخرى لنفس الطبيب « بنفيلد » تطلب الأمر إزالة بعض الحبوب الدقيقة والنمش المنتشرة فى مناطق عصبية فى مخ أحد المرضى المصابين بنوبات الصرع المتزايدة والذى يؤدى إلى هياج المريض يوما بعد يوم ، فلما أزال الحبيبات من المناطق العصبية فى المخ توقفت نوبات الصرع عند المريض .

هذه الأمثلة تكشف لنا بوضوح الآثار القوية للمخ البشرى على السلوك الإنسانى من ناحية مجال البحث الطبى ، والتحكم العلمى للمشكلات السلوكية فى عالم البشر .

وهنا نتساءل كيف يعمل المخ البشرى ؟

بداية يتكون المخ من أجزاء ثلاثة هى على الترتيب :

١- **المنطقة الخلفية:** وهى التى تعرف باسم «المخيخ Cerebellum » وهو مركزتنسيق الحركات وإنسيابها ويعتبر المنظم لهذه الحركات الإرادية ويتصل هذا الجزء«المخيخ » من أسفل بالنخاع المستطيل عبر حاجز به عدد كبير من المسارات العصبية يعرف باسم « القنطرة Bridge » .

٢ - **جذع المخ** : وهو الجزء الأسفل من القنطرة ويتصل بالحبل الشوكى وفيه توجد مراكز الوظائف اللاإرادية لإستمرار حياة الكائن الحى كتنظيم ضربات القلب والتحكم فى الدورة الدموية وتنسيق ضغط الدم وضبط عملية التنفس كما يتصل بالجزء الأعلى من الحاجز أو القنطرة الجهاز الطرفى «Limbic System» ومكانه خلف الأنف.وقد يتصور البعض أنه يقوم بوظيفة الشم ولكن هناك بعض الدراسات الحديثة التى أوضحت أن بعض أجزاء من الجهاز الطرفى تقوم بالإنفعال وإثارة

الإنتباه وتنشيط الذاكرة والإستثارة الجنسية .

٣ - أما الجزء الثالث من المخ فهو مانطلق عليه **المخ الجديد** : ويتكون من نصفين إثنين يعرفان باسم النصفين الكرويين ويتكون نصفا كرة المخ من مادة رمادية قريبة من السطح تسمي قشرة المخ وفيها تستقر الخلايا العصبية التى تضبط الملكات العقلية العليا كالذكاء والحكم على الإشياء ، وتعتبر مناطق قشرة المخ من أهم أجزاء المخ الجديد برغم أنها لاتمثل إلا مساحة بسيطة من مادة هذا الجزء بينما أغلب مادة المخ الجديد هى عبارة عن مادة بيضاء تتمثل فى المسارات العصبية الداخلة إلى القشرة أو الخارجة منها .

من المسيطر في المخ - يمينه أو شماله ؟

هناك بين نصفى المخ شق عميق يفصل كل نصف عن الآخر نطلق عليهما نصف المخ الأيمن ونصف المخ الأيسر ، ويقوم كل منهما بوظائف جسمية واحدة ولكن فى إتجاه معاكس بمعنى أن النصف الأيمن يقوم بإدارة أعضاء الجسم اليسرى والذى يتضمن الوظائف والمهام المتعلقة بالتخمين الحدسى ، كذلك مهمة الإبداع وجانب الإنفعال وإستخدام الخيال ، ونطلق عليه أحيانا إسم « النصف الحدسى » أما نصف المخ الأيسر فمهمته تنحصر فى تحريك الأعضاء اليمنى من الجسم ونطلق عليه « النصف التحليلى والعقلى » ومن ثم فإذا أصيب النصف الأيسر ببعض العطب فى المخ فإن ذلك يؤدى إلى شلل فى وظائف أعضاء الجسم اليمنى وإذا حدث هذا الشلل فى وظائف أعضاء الجسم البشرى فإن هذا معناه أن العمل قد توقف فى بعض مناطق النصف الأيمن من المخ ، كما أن هناك وظائف يقوم بها أحد النصفين بصورة أفضل من النصف الآخر والدليل على ذلك أن اليد اليمنى تتعامل مع الأشياء بطريقة أقوى وأفضل من اليد اليسرى ومع ذلك فقد تصبح السيطرة والهيمنة أحيانا لأحد النصفين دون الآخر ولكن الشائع والسائد أن النصف الأيسر له اليد الطولى والغلبة لدى معظم البشر وهكذا ، كما أن للنصف الأيسر السيطرة من حيث ضبط مراكز الكلام والتحكم فى التفكير النقدى والتحليلى والمراكزالعصبية التى تحكم نشاط الأحبال الصوتية وضبط الكلام واللسان والشفتين ولذا فإذا

أصيب النصف الأيسر من الجسم بالشلل فإنه يؤدى إلى صعوبات كبيرة فى النطق والكلام والتحليل ، هذا ويمكن أن نعتبر النصف الأيمن من المخ البشرى لدى أغلب الناس هو النصف الساكن معظم الوقت برغم أنه يكشف عن نشاطه عند بعض الأفراد فيزيد نشاطهم وقدراتهم فى مجالات الفن والإبداع والطابع الحدسى.ومالنا نذهب بعيدافـفى الفرد الواحد قد يتسم أحد النصفين بالنشاط ويهدأ النصف الآخر من المخ البشرى ، ونخرج من هذه المقولة العلمية بأن المخ البشرى يقوم بوظيفته على أكمل وجه عندما يصبح أحد النصفين نشطا والآخر ساكنا ولكن بصورة مؤقتة ، إن السيطرة لأحد النصفين لاتصبح مطلقة من دون النصف الآخر بل قد تصبح أحيانا مشتركة بين النصفين ومن ثم يوجد لدى بعض الناس من يستخدم يديه الإثنين اليمنى واليسرى بنفس المهارة .

كما أن للحضارة والثقافة التى يعيشها الفرد أثر كبير فى تحديد إتجاه السيطرة لأحد النصفين من دون الآخر فإذا قلنا مثلا بأن لحضارة الغربية من سماتها التفكير بعيدا عن الإنفعال فيمكن القول أيضا بأن الحضارة الشرقية يسودها الحدس والإنفعال والأقوال بعيدا عن الفكر والأعمال ، ففى الحضارة الغربية يتولى نصف المخ الأيسر زمام القيادة بين الأفراد بينما يتولى النصف الأيمن من المخ هذه المهمة فى الحضارة الشرقية .

وظـائف المـخ .

يرى علماء الفسيولوجيا أن حدوث أى تهتك أو إصابة فى بعض مواقع المخ تؤثر على السلوك البشرى فقد أمكن إستثمار حالات الحوادث الطبيعية التى تحدث لبعض الأفراد فتؤثر فى وظائفهم السلوكية كالعجز عن إستخدام اللغة أمكن إستثمار ذلك فى تحديد المناطق المخية المسئولة عن تلف هذه الوظائف وذلك عن طريق بعض الجراحات المخية ويرجع الفضل فى ذلك للطبيب الفرنسى بروكا « Broca » عام ١٨٨١ هذا وقد أجري ذات مرة الطبيب الفرنسى بروكا عمليتين جراحيتين أجراهما على شخصين أصيبا بشلل فى النصف الأيمن مع فقدان القدرة على التعبير ومن ثم لاحظ أن هناك تهتك فى بعض مناطق الجزء الأيسر من الفص

الجبهى من المخ فاستدرك المواقع المخية المسئولة عن إستخدام اللغة وأصبحت تعرف هذه المنطقة باسم «منطقة بروكا» « Broca' s Area » .

وبعد ذلك سار على نفس المنوال الجراحى بعض العلماء وهو ويرنك «Wernick » الذى حدد منطقة أخرى من المخ هى المسئولة عن فهم اللغة المنطوقة والمكتوبة هى منطقة تتصل بمنطقة بروكابخلية طويلة منحنية تمر بالمراكز الحسية البصرية السمعية.وقد تحدد سبب هذه الطريقة الجراحية دور كثير من مراكز المخ فى توجيه السلوك الإنسانى.ومن هنا إستطعنا أن نحدد مراكز الإنفعالات ونوبات الغضب والعدوان وأماكن الهلاوس البصرية والسمعية لدى مرضى النفوس والعقول ، ومن اليسير علينا أنه عند تحديد الأصل الفسيولوجى لجانب معين من السلوك. وهنا يمكن إستخدام هذه المعرفة الجديدة فى علاج جوانب إضطراب السلوك البشرى وإنحرافه ، ومن الجراحات التى تثير العجب فى وقتنا الحالى جراحات الفص الجبهى وهو المسئول عن الجوانب العدوانية وإستخدام العنف والغضب فإن إزالته يخفض من نوبات العدوان الشديد ، وهناك طبيب ثالث هو طبيب نفسى برتغالى هو مونيز «Moniz » الذى إكتشف سنة ١٩٣٧ أن تغيرات سريعة تحدث على سلوك المرضى العقليين العدوانيين بعد إستئصال الفص الجبهى بعملية بسيطة فيتحولون إلى الوداعة والسلبية ، وليس إستخدام إزالة الفص الجبهى يؤدى دائما إلى نواح إيجابية بل هناك أيضا نتائج سلبية لإزالته من ذلك مثلا أن بعض الوظائف الأخرى المسئول عنها هذا الجزء من المخ قد تتدهور وتفسد بعد إزالته ولذا نرى أن المرضى الذين عاشوا بدون فص جبهى سرعان ماكانت تظهر عليهم علامات السلبية الشديدة والعجز عن التنظيم والتخطيط للمستقبل.ومن هنا إتجه العلماء وجهة جديدة بديلة عن إزالة الفص الجبهى وذلك بتسجيل النشاط الكهربائى للمخ وهو أسلوب أدى نتائج مثيرة فى بحوث المخ وتحديد وظائفه النوعية .

ويسجل النشاط الكهربائى للمخ بجهاز يعرف باسم « الرسام الكهربائي للمخ » والذى يرمز له بالحروف الثلاثة الأولى « E.E.G » « Electroence-phalograph» ووظيفة الرسام الكهربائى إنه يسجل الموجات الكهربائية المنبعثة من المخ بعد إثارة خلاياه وهى موجات دقيقة تعكس نشاط المخ ويساعد الرسام الكهربائي على إلتقاطها على رسوم بيانية يمكن للخبير الفسيولوجى أن يقرأها وأن

يحدد طبيعة نشاط المخ وبالتالى شخصية الفرد ونشاطه .

أنماط الموجات الكهربائية المخية .

تمكن العلماء من تحديد أربعة إيقاعات أو أنماط من الموجات الكهربائية الصادرة من المخ نوجزها فى النقاط التالية :

أولا : إيقاع ألفا « Alpha Rythm » وهذا النمط هو أول الإيقاعات الكهربائية وأسهلها فى التميز من بين الموجات الكهربائية الأخرى وإيقاعتها الترددية تتراوح مابين ٧ - ١٤ دورة تردد فى الثانية ويبدو ذلك بشكل واضح وجلي عندما يكون الشخص فى حالة اليقظة أو فى حالة إسترخاء تام .

ثانيا : موجات بيتا « Beta Waves » ويتراوح ترددها الإيقاعى مابين ١٤ - ٣٢ دورة ترددية فى الثانية الواحدة وتظهر فى الحالات العادية من نشاطنا وأثناء اليقظة .

ثالثا : نشاط ثيتا « Theta Activity » وهذا النمط أبطأ كثيرا من النمطين السابقين ويرتبط بحالات الإدراكات الحية الخارقة إلا أن ظهوره يزداد لدى الأطفال الصغار والكبار .

رابعا : موجات دلتا « Delta Waves » وهى أبطأ الموجات جميعا وأكثرها سعة وتظهر فى حالات النوم العميق ، ومن أهم الأمراض التى يكشف عنها جهاز الرسام الكهربائى تشخيصه حالات الصرع « Epilepsy » وهو إضطراب دورى فى الإيقاع الأساسى للمخ وله أسباب عضوية وبيلوجية وهو على ثلاث أنواع هي على الترتيب :

١ - نوبة صرعية كبري يصرخ فيها الشخص فجأة ويدخل فى حالات تشنج وفقدان وعى وتحدث إختلاجات عضلية مع رعشة فى الجسم شديدة وزرقة فى الوجه ويتوقف التنفس بعض الوقت ويستمر الشخص فى غيبوبة مؤقتة يستيقظ بعدها فى حالة تعب شديدة وفقدان ذاكرة .

٢ - نوبة صرعية صغرى يفقد فيها الشخص وعيه لعدة ثوان معدودات مع شحوب فى الوجه وإختلاج فجائى ويعود المريض بعد ذلك إلى حالته الطبيعية .

٣ - نوبات صرعية تصيب الوظائف الحركية والنفسية وفيها يظهر على المريض وكأنه فى حلم مستمر مع إنعدام معرفة بالأبعاد الزمنية أو المكانية فضلا عن فقدان الذاكرة والدخول فى حالات شرود وصراخ وبكاء وإكتئاب .

ويكشف الرسام الكهربائى عن صدور موجات كهربائية تتميز بالإضطراب والإنتشار ومدى حدوث كل نوع من أنواع الصرع كما يكشف أيضا عن الإضطرابات الشخصية والعقلية مثل الإضطراب السيكوباتى المصحوب بموجات دلتا وثيتا فى المنطقة الصدغية ، ومن المعروف أن الموجات الكهربائية تتعرض للتغيير السريع وبعضها غير ثابت وبعضها يصعب قراءته مما يجعلنا نؤكد على ضرورة معالجة هذه الجوانب بحذر شديد .

دورات النوم والأحلام واليقظة والنشاط الكهربائى للمخ .

وعن طريق الرسام الكهربائى للمخ أمكننا إزاحة الستار والكشف عن كثير من الإبهام والغموض الذى يكتنف ظاهرة النوم كما أمكن لبعض الباحثين أن يحددوا المراحل التى يمر بها النائم فى نومه عن طريق المتغيرات التى تحدث فى موجات المخ وأن يحددها بمراحل خمس هى على الترتيب :

١ - **مرحلة الإسترخاء** : ويتميز بظهور ألفا .

٢ - **مرحلة بداية النوم** : وفيها تختفى ألفا والنوم الخفيف وتتميز هذه المرحلة بوجود موجات تتناوب الظهور فيها بينما كلما دخل الإنسان فى مراحل عميقة من النوم تظهر ذبذبات ثيتا «Theta» .

٣ - **مرحلة النوم الخفيف** : وتتميز بوجود موجات تتناوب الظهور فيما بينها كلما إتجه النوم إلى العمق .

٤ - **مرحلة النوم العميق** : وتتميز بذبذبات ثيتاودلتا.

٥ - **مرحلة النوم العميق جدا** : وهنا يرسم الرسام الكهربائي ذبذبات دلتا لبطيئة غير المنظمة وهى شبيهة الحال حينما يكون الشخص فى غيبوبة أو حالة تخدير ، والمعروف أن الشخص يدخل فى النوم العميق قبل منتصف الليل أي أنه يصل إلى المرحلتين الرابعة فالخامسة ثم يشرع بعد ذلك فى الدخول فى مرحلة جديدة يزداد عدد هذه الدورات فى الأشخاص الذين يعانون من مرض نفسي أو

إضطراب عقلى بالرغم من أن نمط المراحل وما يستغرق كل منها ويعتبر ثابت إلى حد ما عند الفردالواحد

ومن ثم يري سيجال « Segal » أن إرغام بعض الأطفال على النوم مبكرا لاينجح دائما إذا أردنا تكوين عادة النوم المبكر لديهم ، ومن ثم لايحدث أن نذهب للنوم جميعا فى وقت واحد .أما عن علاقة الرسام الكهربائى للمخ بنشاطاته أثناء الأحلام فقد أوضحت بعض الدراسات عن حقائق لاتقل أهمية من حيث تفسير الأحلام .

هذا وتحدث الحركات السريعة فى العين فى المرحلة الأولى من النوم والتى نسميها باسم مرحلة النوم المتناقض أو السريع « Rapid Eye Movement » لأن الجسم يكون فيها نائما ولكن النشاط الكهربائى للمخ مازال مستمرا فى الكشف عن الإيقاعات الكهربائية كالتى تحدث أثناء اليقظة .

ومن الأساليب الحديثة التى ساعدت على إكتشاف بعض الجوانب المجهولة فى المخ أسلوب الإثارة الكهربائية له وذلك بتوجيه تيار كهربى خفيف للمناطق المختلفة من المخ وعن طريق هذا الأسلوب أمكنه إكتشاف مناطق الإحساس بالألم واللذة .

وذلك يذكرنا بالتجربة التى أجراها جيمس أولدز «G . Olds» على مجموعة من الفئران علمها كيف تضغط على مفتاح مثبت فى الصندوق الذى يعيش فيه الفأر وعند الضغط ينبعث تيار كهربائى خفيف يؤدى إلى إثارة مراكز اللذة فى مخ الفأر خلال أقطاب كهربائية مثبتة بفروة الرأس ، وعندما أدركت الفئران العلاقة بين الضغط على المفتاح والشعور بالسعادة أخذت تسرع لهذا المفتاح وتحاول الضغط عليه لما يقرب من سبعة آلاف مرة فى الساعة الواحدة رغبة فى النشوة والسعادة التى يجلبها هذا المفتاح وكأنه مفتاح السعادة.وفى أيامنا هذه وبعد ثورة علمية ومعلومات مكثفة فى هذا المجال يمكننا إثارة المخ كهربائيا بطريقة « الريموت كونترول » أى التحكم الآلي عن بعد وبهذه الطريق أمكنناالتحكم فى مرضى العقول ومضطربى النفوس حين يتعرضون لنوبات من الجنون والغضب فإذا ضغطنا على المفتاح يتم فورا الإنتقال من حالة الغضب إلى الإسترخاء واللذة وإن كان هذا يتنافى مع بعض الإعتبارات الأخلاقية فى العلوم الإنسانية .

جهاز إتصالات شبكية يعمل بداخلنا .

ذكرنا في الصفحات السابقة أن المخ البشرى يعتبر كعضو أو أعضاء مستقلة يضمها الكائن الحى وهنا يجب أن نذكر أن المخ أحد جزئين رئيسين من الجهاز العصبى «Central Nervous System » أما الجزء الآخر فهو النخاع الشوكي وهناك جزء رئيسي ثاني من الجهاز العصبى يطلق عليه علماء وظائف الأعضاء الجهاز العصبى الطرفى :
« Peripheral Nervous System » ويتولى هذين الجهازين - المركزى والطرفى - توجيه أعضاء الجسم المختلفة بحيث تصبح فى حالة تفاعل وتناغم مع البيئة الداخلية والخارجية ولا يحدث ذلك إلا من خلال جهاز شبكى هائل من الخلايا العصبية.والواقع أن الخليةالعصبية هى الخلية الأساسية فى الجهاز العصبي ويحتوى الجسم البشرى على مايقرب من ١٠ - ١٥ بليون خلية وتأخذ كل خلية شكل محور عصبى يتراوح طوله من قدمين إلى ثلاثة وينتهى لكل طرف من طرفيه بزوائد قصيرة نطلق عليها شجيرات ، إن مهمة أو وظيفة الخلية توصيل السيالات الكهربائية الحسية إلي المخ ويصدر المخ بناءا على هذا إستجابته النابعة منه وصولا إلى الخلايا الأخرى الحركية ثم تنتقل عبر المسارات الحركية إلى الأعصاب الحركية .

كما أن وظيفة الجهازين العصبيين- المركزى والطرفى- القيادة الرئيسية لتوجيه الرسائل القادمة من العالم الخارجى إلى كل الأعضاء الجسمية لكى يقوم كل منها بدوره ، والواقع أن الخلايا العصبية لا تتحول إلى خلايا جديدة ومماينتج عنها لايزداد عدده إلا أن بعض الخلايا تنتهى وتهلك كلما تقدم العمر ، كما يتولى الجهازان العصبيان القيام بالعمليات اللاإرادية مثل الهضم والتنفس ودقات القلب كما أن للجهاز العصبي الطرفى وظيفة إضافية حيث يعتبر بمثابة جهازالطوارئ الذى يتولى إلتقاط إنذارات الخطر مبكرا وكل هذه الوظائف الأخيرة تتم بشكل آلى ويقوم بها الجهاز العصبى المستقل أو الذاتى أو اللاإرادى .

الجهاز العصبى المستقل .

يعتبر هذا الجهاز العصبى المستقل أشبه شئ « بالترموستات » الموجود فى

ثلاجة المنزل والذى يعمل على تشغيلها آليا عندما ترتفع درجة الحرارة أو البرودة عن المعدل المطلوب.ويطلق عليه إسم جهاز الطوارئ لأنه يقوم بعدة وظائف مثل الهضم والتنفس ودقات القلب وإفرازات الغدد ويستمر عمله فى الإنسان سواء فى حالات اليقظة أوالنوم ويتصل الجهاز العصبى المستقل بالمخ ويخضع لشروطه وتنظيماته ولكنه من حيث وظيفته ينقسم إلى قسمين ليسير فى وظيفتين هما: الوظيفة الأستثارية «السمبتاوية» وهى التى تقوم بإثارة الجسم وأعضائه المختلفة فى الخطر أو الإنفعال ، أى أنها تستجيب فى مواقف الخطر كما أنها تستثير الوظيفة السمبتاوية للرئتين فتجعل التنفس سريعا ومتلاحقا .

أما الوظيفة الثانية بالجهاز العصبى المستقل فنطلق عليها الوظيفة الباراسمبتاوية التى تعمل بتناسق كامل مع الوظيفة الإستثارية ، مثال ذلك إذا كانت الوظيفة الإستثارية تحفز للفعل فإن الوظيفة الباراسمبتاوية تحاول أن تقلل من الفعل الزائد .

وتوجد نظرية ينادى بها عالم النفس الإنجليزى المعروف « إيزنك » تثبت أن بعض الأفراد لديهم نشاط فى إحدى الوظيفتين أكثر من الأخرى.ومن رأيه أن الأشخاص الذين يولدون ولديهم زيادة فى الوظيفة السمبتاوية هم طائفة من الأشخاص يسهل إستثارتهم إنفعاليا وتسيطر عليهم المخاوف المرضية ، أما فى الحالات الخفيفة فيوجد منهم الإنطوائيين الذين يتجنبون اللقاءات الإجتماعية وتزداد حساسيتهم للنقد والخجل ويجب أن نقرر أنه حدث فى السنوات الأخيرة تطورات جعلتنا نتحكم إراديا فى الوظائف الإستثارية من هذا الجهاز العصبي ، وهناك العديد من البحوث العلمية التى أجريت على الحيوانات والإنسان توضح أننا فى إمكاننا أن نسرع أو نبطئ من ضربات القلب ويمكننا أن نرفع إراديا من ضغط الدم أو نخفض منه ، كما أن هناك تقارير أثبتت أن تدريب الفرد على ممارسة الإسترخاء العضلى مثلا يساعد على تخفيض الدم وبالتالى إزالة التوتر والإرهاقات العصبية.

وظيفة الأجهزة العصبية .

لو أننا قمنا بتناول دبوس إبرة ووخذنا به طرف أحد الأصابع فإننا نقوم بحركة سريعة لسحب اليدوتجنب هذه الوخذة ، وما حدث هو أن الجهاز العصبي قام

بوظيفتيه الرئيستين وهما الإحساس أوالشعور بالمنبهات الخارجية والإستجابة الملائمة لهاوذلك فى فترة بسيطة لاتتجاوز أجزاء صغيرة من الثانية وفى الحقيقة أن المنبه الخارجي قد إستثارمجموعة من الأعصاب المنتشرة فى كل الأعضاء الحسية ونعنى بها الأعصاب الحسية المستقبلة إلى الجهاز العصبى المركزى أى إما إلي المخ أو الحبل الشوكى وفقا لطبيعة الإستجابة المتوقعة ، ويطلق على هذه العملية القوس الإنعكاسي «Reflex Arc» وقوامها عناصر ثلاثة تتكون من المنبه الحسى والجهاز العصبى والإستجابة السلوكية ، وهنا يمكن القول بأن الجهاز العصبى يعمل من خلال الأعصاب التى تتولى عمليات الإستقبال وتحس بالمنبهات الخارجية وتحولها إلى رموز أو إشارات عصبية وتنتقل المعلومات المقدمة من الأعصاب المستقبلة إلى المراكز الملائمة فى المخ الذى يتولى فرزها وفحصها من خلال مجموعة الأعصاب المعروفة باسم الأعصاب الداخلية .

طرائق ضبط السلوك بيولوجيا وكميائيا .

أولا : العقاقير الطبية .

ونقصد بها مجموعة مركبات كيميائية أو أعشاب يستخدمها الإنسان لإزالة ألم من الآلام كألم الأسنان أوآلام المعدة وهذه العقاقير بشكلها الخام كانت معروفة لدى القدماء من الفراعنة والرومان واليونان والأشوريين والبابليين.فلقد كان بعض أفراد هذه الأمم يتعاطون مثل هذه النباتات فتنقلهم من حال إلي حال وصولا إلى المرح والسروروفى الأزمنة السحيقة والعصورالوسطى والحديثة أيضا كان بعض الكتاب والأدباء والفنانين يتعاطون ما يشبه الأفيون والحشيش ظنا منهم بأن هذه العقاقير هي بمثابة الإلهام الذى يوحى إليهم بقرض الشعر أو كتابة قطعة بلاغية بليغة أو رسم لوحة ذات جمال خلاب ، أو لحن موسيقى يشنف الآذان أوأغنية حماسية يطرب لها الوجدان ، وفى هذا العقد الأخير من قرننا الحالى نرى الكثير من الأشخاص الذين يلهثون جريا ويتكالبون سعيا على تعاطى الكوكايين أوشمه والهروين وغيره من المشتقات البيولوجية والكيمائية فى دنيا العقاقير الطبية

والتى تؤثر بدورها فى السلوك البشرى.إن التقدم الطبى فى مجال تخليق أو صناعة العقاقير الطبية قد أدي إلي صناعة عقاقير تعمل على ضبط النشاطات الحركية والحسية والوصول إلى عقاقير أخرى تؤثر فى الذكاء والتذكر والإبداع سلبا أو إيجابا. فهاهو الطبيب الأمريكي اليكسندر شولجن «Shulgin» يرى أن تطوير عقار ما من العقاقير السابقة يؤدى بدوره إلى مساعدتنا على التفكير الإبداعى عن طريق تأثيره فى بعض أجزاء مراكز المخ ، ونذهب الآن إلى توضيح أنواع العقاقير البيولوجية والكيميائية ومدى التأثير التى تتركه فى نفوسنا وأبداننا وهى كالآتى :

١ - : العقاقير المسكنة « Inhipiting » .

وهى تلك العقاقيرالتى يسمح بهاالأطباء النفسيون ويصفونها لمرضاهم فى الحالات التى تستدعى ذلك مثل حالات القلق والأرق والتوترالعصبى.ومن هذه العقاقير «الفاليوم» وكل العقاقير المنومة وكذلك الخمور أوالكحوليات.إلا أن هذه الفئة الأخيرة تؤثر تأثيرا ضارا على المخ والكبد والجهاز العصبى لأنها تعمل على كف مراكز الإستثارة فى الجهاز العصبي بل إن بعض أنواع الخمور والكحوليات إذا كانت تؤخذ على سبيل الإدمان فإنها تؤدى إلى الهلاك والموت .

٢ - : العقاقير المخدرة « Narcotics » .

وهى مثل الحشيش والأفيون والهروين والكوكايين ولها تأثيرها الضار فى الجهاز العصبى المركزى الباراسمبتاوى.ويتعاطاها الناس بهدف تسكين الألم إلا أن كثرة تعاطيها تؤدى إلى الإدمان وهو مشكلة نفسية وإجتماعية وقومية في حد ذاتها .

٣ - : العقاقير المهدئة « Tranquilizers» .

وهى العقاقير التى من شأنها تقليل مستويات التوتر والقلق ولاتؤثر فى

الوعى أو الإنتباه ولاتؤدى إلى غيبوبة أيضا.ولكن أثرها ينصب على « منطقة الهيبوثلاموس » والأجهزة التى تتحكم فى الإنفعالات القوية كالخوف والقلق.ومن أمثلة هذه العقاقير«الفاليوم والليبرويوم» .

٤ - : العقاقير المنبهة « Stimulants » .

ومن أمثلتها مادة الإمفيتامين والكافيين والبنزدرين ومن آثار هذه العقاقير إثارة الجهاز العصبى وأن يظل الشخص فى حالة وعى تام من اليقظة والنشاط .

٥ - : عقاقير الهلوسة « Hallucinogenes » .

ويلعب هذا النوع من العقاقيردورا كبيرافى تغير مشاعرنا وأحاسيسنا بالأشياء وإدراكنا للعالم ومن أهمها الكوكايين والسكالين ويبلغ تأثيرها على الوعى لدرجات خطرة حتى يعتقد الشخص أنه فقد إتزانه وكأن جسمه قشة فى مهب الريح راحت في جوف الفناء والعدم ، إن الإسراف فى تعاطى الكحوليات والخمور قد يؤدى إلى تدهور خطير فى الوظائف العقلية العليا ويصل صاحبه إلى درجة الجنون.فعلى سبيل المثال وجد أن أثر : الماريجوانا من الناحية الإدراكية ، التشوه الإدراكى البصرى وخلل فى الإحساس بالبعد الزمانى والمكانى والهلاوس السمعية والبصرية .

وحمادى القول أن هذه العقاقيرجميعها بكل أنواعها وخصائصها تؤدى بنا فى نهاية المطاف إلى حالة من المرح والسرور نفسيا وإجتماعيا أو تقليل الألم بسبب مرض من الأمراض المؤلمة أو بلوغ قدرمن اليقظة والوعى.لكن يبقى أن نقول إن ممارسة تعاطى هذهالعقاقير قد لا تؤدى إلى شفاء الكثير من المرضى والمضطربين نفسيا وتعساء الحظ والعاطلين والمنبوذين والمنحرفين ، إنهم يتعاطونها ولكن أمراضهم وإضطراباتهم تظل كما هى غير قابلة للعلاج ... لماذا ؟

لأن العقاقير لاتعالج المشكلات النفسية والإجتماعية ولكنها تحقق حيلا هروبية تبعدهم عن حل المشكلات ، كما أن عقارا كعقار الحشيش مثلا قد يؤدى بالواحد منهم أن يشعر بالبهجة والسرور بينما يصبح أثره لدى شخص آخر الإحساس

بالإغتراب والإكتئاب والحزن الشديد.وبالمثل فإن عامل الإدمان وتعاطى المهدئات كالفاليوم والمخدرات يؤدى إلى ظهور مشاكل جديدة بشكل أقوى وأشد ، وعموما فأن الإسراف فى تعاطى كميات أكبر من العقار يؤدى بالفرد إلى نفس النتيجة التى كانت تشبعه كمية بسيطة فى بداية التعاطى ، إن الآثار الجسمية والنفسية لكثير من العقاقير تؤدى على المدى الطويل إلى حالات الجنون والشرودوالسرحان واللاوعى وعدم التحكم فى البول فضلا عن تليف الكبد .

ثانيا : الغدد الصماء وغير الصماء .

هناك مجموعة عضوية أخرى تعمل فى تناغم مع الجهاز العصبى ونقصد بها الغدد الصماء وغير الصماء حيث أن الغدد غير الصماء هى التى تفرز هرمونات خارج الجسم ومن أمثلتها الغدد العرقية والغدد الدمعية والغدداللعابية ، أما الغدد الصماء فهي التى تتصل بالأوعية الدموية وتصب هرموناتها فى الدم مباشرة وتؤثر فى سلوكنا ومسلكنا البشرى ،

ومن أهم وظائف الغدد الصماء وغير الصماء الرئيسية إفراز الهرمونات التى تقوم بدور فعال فى تحقيق توازن وظائف الجسم ونموه خلال مراحل النمو المختلفة ، ومن وظائف هذه الهرمونات نمو الجسم وعمليات الهدم والبناء وضبط السلوك الإنفعالى ونمو الخصائص الجنسية الثانوية لدى الشخص والتوازن بين مختلف العمليات الجسمية ،

ومن الغدد ست يقوم كل منها بدور خاص ليكمل وظائف الغدد الأخرى بهدف التكامل والتناغم والإتزان الوظيفي البيولوجى وهذه الغدد نجملها كالآتى :

١ - الغدة النخامية : « Pituitary Gland » .

ويطلقون عليها سيدة الغدد وتقع بين ثنايا الأجزاء المركزية للمخ ويؤدى هرمونها إلى دور خاص وهو مسئول عن نمو الجسم فى السنوات الأولي من العمر وقلة هرمون هذه الغدد يؤدى إلى القزامة أما زيادته فتؤدى إلى العملقة .

وفى مرحلة البلوغ تقوم الغدة النخامية بوظيفة هامة حيث تفرز أيضا هرمونا

آخر يعمل على تنشيط الغدة الجنسية وإفراز اللبن عند الأم بعد الولادة .ويعتقد بعض العلماء أن إفرازات الغدة النخامية لا تحدث إلا عن طريق الهيبوثلاموس وهو أحد أجزاء المخ المتوسط.هذا وقد إزداد الإهتمام العلمى فى العقد الأخير من هذا القرن بمنطقة الهيبوثلاموس الموجودة بالمخ لأن هذه المنطقة هى التى تعمل على إثارة الأعصاب السمبتاوية واللا سمبتاوية واليقظة والنوم وضغط الدم وفتح الشهية للأكل أو عدمها ، كما أنه من المعروف أن الهيوثلاموس هو الذى يتحكم فى النشاط الجنسى وتدل التجارب العملية على أن إثارة هذه المنطقة فى الحيوان أو الإنسان تثير مراكز اللذة الجنسية فتدفع الكائن الحى إلى الرغبة فيها .

٢ - الغدة الدرقية « Thyroid Gland » .

تتكون من فصين على جانبى القصبة الهوائية وهى المسئولة عن عملية الأيض «Metabolism » وهى تلك العملية التى تقوم خلايا الجسم من خلالها بتمثيل المواد الغذائية وتحويلها إلى طاقة أو خلايا جديدة .

إن زيادة إفرازات الغدة الدرقية لهرموناتها يؤثر فى تفكيرنا وإدراكنا وإنفعالاتنا وبالتالى فى سرعة عمليات الهدم والبناء فى الخلايا وزيادة ضغط الدم وعدم الإتزان الإنفعالى ، وأما عن قلة إفراز هرمونها الدرقى فيصيب الشخص بتساقط الشعر والشعور بالبرودة واللامبالاه والكسل وبطء معدل النمو وجفاف الجلد وقصر القامة وتسمى هذه الأخيرة بالقصاع .

٣ - الغدة جارات الدرقية « Parathyroid Gland » .

تقوم بإفراز هرمونات تعمل على ضبط عمليات تمثيل الكالسيوم والفسفور وتكوين العظام .

٤ - **الغدة البنكرياسية**ومكانها وراء المعدة ومن أجزائها جزء هام يعرف باسم « جزر لانجرهانز » الذى يفرز هرمون الأنسلين المنظم لإستهلاك السكر فى الدم

والتحكم فيه ، إن نقص هذا الهرمون يؤدى إلى مرض السكر الذى يعالج بمادة الأنسلين .

٥ - الغدتان الأدرناليتان .

ومكانهما فوق الكلية ويعملان على تنبيه الجهاز العصبى السمبتاوى وهاتان الغدتين تفرزان هرمونين هما « الأدرينالين والنورأدرينالين » وهما اللذان يضبطان إستجابات الجسم ويتحكمان فى المواقف الإنفعالية الطارئة بصورة إيجابية مثل تنظيم ضغط الدم ومقاومة التعب وتنظيم ضربات القلب وزيادة إفرازات السكر فى الجسم فى المواقف الحرجة .

الغدتان الجنسيتان

ويتكونان من الخصيتين عند الذكر، ووظيفتهما إفراز الحيوانات المنوية والمبيضين عند الأنثى، ووظيفتهما إفراز البويضات الأنثوية وليس هذا فقط بل لكل غدة منهما سمات مميزة لدى كل نوع منهما كخشونة الصوت ونمو شعر الشارب واللحية عند الذكور، وكذلك نمو الأعضاء التناسلية ، ومن خصائص هذه الغدد لدى الإناث تكوين الثديين وتنظيم الدورة الشهرية .

الفصل الثالث

الإنتباه والإدراك الحسى.

* موثرات الإنتباه .
* الإدراك الحسي كعملية عقلية تحليلية .
* عوامل تنظيم عملية الإدراك الحسي .
* العوامل الذاتية المؤثرة في الإدراك الحسي .

الإنتباه والإدراك الحسى

بداية علينا أن نفرق بين «الإنتباه» و «الإحساس» و«الإدراك» فنقول نعنى بالإنتباه توجيه شعورنا نحو شئ ما فى البيئة الطبيعية أو الإجتماعية التى نعيش فيها ووظيفة الإنتباه تكمن فى الإرتياد والتحسس والتمهيد للإدراك كعملية عقلية هذا عن الإنتباه «Attention» أما عن الإحساس «Sensation» فهو عملية التأثير النفسي الناتجة من تنبيه حاسة من الحواس الخمس ، ووصول هذا الأثر إلى مركز الحس فى المخ كإحساسنا بألوان زاهية أو أصوات عالية أو روائح زكية أو مذاقات شهية أو ملمس ناعم .

أما عن الإدراك « Perception » فنقصد به عملية تفسير وتأويل مانحس به فى عالمنا الخارجي أو الداخلى من أشياء أوأشخاص مثل إدراكى لشيئ لامع مستدير وقع منى على الأرض فأدركه على أنه إحدى العملات المعدنية أو إدراكى لشخص يتحدث بصوت عالي على أنه رجل يتشاجر ، هذا وللإنتباه أنماط ثلاثة هى : الإنتباه الإعتيادى ، والإرادى ، واللاإرادى ونتحدث عن كل نمط بشئ من التفصيل فنقول :

أولا : الإنتباه الإعتيادى Habitual Attention

هو نوع من الإنتباه تعودنا عليه وألفناه حتى صار عادة مكتسبة من خبرة سابقة لدينا أدت بنا إلى تحديد موقف معين إستجبنا له بمثل هذا النوع من الإنتباه ، فهذا طالب جامعى يجهد فكره ، ويشحذ همته بهدف تركيز إنتباهه فى فهم وإستيعاب موضوع هام من موضوعات علم النفس الفسيولوجى ، وقد يترك هذا الموضوع ويمسك بقصة أدبية أو صحيفة سياسية ويركز إنتباهه فى سهولة ويسر ليقرأ هذه القصة أو الصحيفة دون بذل مجهود ذهنى ، فلو أن فلاحا ونجارا وطبيبا ساروا في غابة كثيفة من الأشجار الباسقات والأعشاب المتنوعة لرأينا أن الفلاح يركز إنتباهه فى نوعية التربة الزراعية لهذه الغابة وكيف تروى بالأمطار وأنها صالحة لزراعة بعض المحاصيل بين الأشجار ، كما يركز النجار إنتباهه نحو كيفية الإستفادة من هذه الأخشاب بعد قطع هذه الأشجار وإستخدامها فى صناعة الأثاث

والأبواب والشبابيك ، بينما يركز الطبيب إنتباهه نحو مايوجد بكثرة من الأعشاب الطبية المفيدة فى شفاء بعض الأمراض وهكذا «كل يغنى على ليلاه » كما يقولون وأن كلا من الفلاح والنجار والطبيب ينتبه ويهتم بالشئ من زاوية تخصصه .

ثانيا : الإنتباه الإرادى « Voluntary Attention » .

فى هذا النوع من الإنتباه نحن أحرار فى توجيه أو تركيز إنتباهنا كما نريد ونبغي حيث يحتاج هذا النمط من الإنتباه إلى مجهود شعوري فقط فالجالس أمام التليفزيون يركز إنتباهه نحو مباراة كرة القدم بشغف ومتعه ليرى الفريق الرياضى القوى وكيف ينتصر على خصمه ، ويتطلب دوام هذا النوع من الإنتباه وقتا طويلا وجود دافع قوى لدى الفرد لكى يستمر فى إنتباهه هذا .

ثالثا : الإنتباه اللاإرادى « Involuntary Attention » .

هذا النوع من الإنتباه لايحدث إلا فى المجالات الإضطرارية ، كأن نسمع فجأة صوت صدام سيارتين فى الشارع ، أو صوت جسم ثقيل إرتطم بأرض ، هنا يصبح إنتباهنا قسرا أو غصبا أى بطريقة لاإرادية.وهذا النمط من الإنتباه لايحتاج منا إلى أى مجهود حسى أو شعورى ، إنه يحتاج فقط إلى مجهود كبير لنسيانه أو إهماله لكى ننصرف نحو مايفيدنا من عمل نافع والتركيز فيه .

مؤثـــرات الإنتبـــاه .

هناك عدة عوامل تؤثر فى حدوث الإنتباه منها عوامل خارجية وأخرى داخلية :

١ - العوامل الخارجية .

هناك علاقة قوية بين العوامل والأحوال المرتبطة بالمنبه وقوته ، ومن هذه الأحوال مايلى :

أ - نوع المنبه : ونعنى به هل المنبه سمعى أو بصرى ؟ وإذا كان المنبه سمعيا فى شكل سماع موسيقى أو غناء أو قصيدة شعرية ، يصبح المنبه قويا إذا

كان الكلام به قافية أومسجوعا أو يتخلله بعض المصطلحات الإنجليزية مع تنوع الصوت ، أما إذا كان المنبه بصريا فإن إثارته تكمن فى الصورة أكثر وأكبر من الكلمات كما أن الصورة الملونة تصبح أكثر إثارة من الصورة العادية وهكذا .

ب - مكان المنبه : أثبتت التجارب أن المنبه كلما كان قريبا من العين أو الإذن كان أكثر إثارة وقوة للمشاهد أو المستمع ، فالإعلانات المضيئة بالنيون التى تقع على مقربة من المشاهد أو علي يمينه عادة ما تكون أكثر إثارة وقوة من تلك التى تقع بعيدا عن المشاهد أو على يساره وبالمثل كل منبه يقع فى مواجهة الأذنين مباشرة يصبح أكثر إثارة وأثرا للمستمع ومن المنبه البعيد أو الخافت .

جـ - قوة المنبه : من المعروف أن المنبه القوى الشديد أكثر إثارة من المنبه الضعيف الرقيق ، إن صفارة بعض قطارات الديزل التى تتميز بقوة صوتها وشدة هديرها أفضل بكثير لتنبيه العابرين والمسافرين من الصفارات الضعيفة أو المتقطعة. وبالمثل فإن لافتات المحلات العامة المضاءة بأضواء أو أنوار مبهرة أكثر إثارة من الأضواء الخافتة.كما أن رنين جرس المدرسة فى الصباح أكثر قوة وإثارة من رنين جرس باب المنزل بالنسبة للطالب .

د - إختلاف المنبه : من الثابت علميا أن إختلاف أو تغيير طبيعة المنبه من زيادة قوته أو نقص فى شدته يؤدى بنا نحو إثارة الإنتباه سواء فى مجال الصوت أو الضوء ، فالمحاضر الذى يغير من نغمات صوته ويتباين الصوت إرتفاعا وإنخفاضا لديه يشد إنتباه المستمعين من طلابه ومن الأفراد الآخرين ، كما أن الأضواء المرتعشة التى تضيئ حينا وتنطفئ حينا آخر تصبح هى الأخري أكثر إثارة للإنتباه .

هـ - حركة المنبه : ومن الخصائص الهامة للمنبه حركته فقد وجد أن الحركة الخاطفة الفجائية كالطلقة السريعة ، فى فصل دراسى أو أثناء درس دينى تثير إنتباه الطلاب أو الجالسين فى المسجد أو دور العبادة الأخرى ، وبالمثل فإن الأضواء المتحركة فى دائرة تثير إنتباه المارة فى الشوارع أو الطرقات .

و – حجم المنبه : لاشك أن الشئ الأكبر حجما يثير الإنتباه بشدة عن الأصغر حجما ، خذ على سبيل المثال ، فى منطقة الأهرامات بالجيزة يرى الزائر أولا الهرم الأكبر « هرم خوفو » لأنه أكثر إثارة للإنتباه عن الأهرامات الأخرى كما أن الإعلانات التجارية والصناعية الكبيرة الحجم والمجسدة الشكل ، تشد الإنتباه أكثر وأسرع من تلك الإعلانات الصغيرة فى حجمها .

ز – الأعادة والترديد : إن إعادة وترديد الصوت أوالصورة للمنبه يثير إنتباه الناس ، ومن ثم فإن إعلانا عن قيام أو وصول إحدى الطائرات بصورة معادة أكثر من مرة وبطريقة ترديدية أجدى وأنفع للمسافرين عن الإعلان الذى لايعاد أو يتكرر .

ح – معاصرة المنبه وغرابته : لو أن فردا من الأفراد زار مدينة لندن لأول مرة فإن بعض معالم هذه المدينة سوف يشد إنتباهه بشكل غريب لما يراه من غرابة وحداثة وعصرية فى هذه المدينة مثل حديقة هايدبارك وميدان الطرف الأغر ومطار هيثرو ومحلات إخوان فايد « المصرية » محلات « هارودز سابقا ».وكما يقولون «لكل جديد رهبة » والرهبة هنا هى نوع من شدة الإنتباه الضاربة فى أغوار الدهشة والإستغراب .

٢ – العوامل الداخلية .

ومن عوامل الإنتباه الداخلية ، العومل التالية :

أ – العوامل العضوية : وهى تتمثل فى الحاجات الفيسيولوچية ، فالشخص الظمآن السائر فى الصحراء يحسب كل سراب ماء ، ويرى فى الأفق البعيد أن التلال والكثبان الرملية أشياء أشبه بالمجارى المائية والجائع لاينتبه إلا إلى الطعام .

ب – العوامل الذهنية : فالشخص الجائع لايفكر إلا فى الطعام والتاجر

لايشغل باله إلا المكسب السريع والمحامى لايؤرقه أويقلقه إلا الحصول على البراءة لموكله والأم الحنون النائمة بجوار طفلها شديدة الحساسية لكل صوت يصدر من الطفل بينما الأصوات الأخرى لاوزن ولا أهمية لها عندها .

جـ - **الميول المكتسبة :** تلعب ميولنا المكتسبة دورا كبيرا فى إثارة إنتباهنا نحو مانراه من أشياء أو أشكال أو أشخاص .

د - **الدوافع الهامة :** فمثلا يؤدى دافع التملك بالشخص نحو جمع المال وإدخاره بصورة مستمرة للإنتباه إلى دنيا التجارة والعقار والأطيان وكل الفرص الإستثمارية لحيازة أكبر قدر من الملكية والتملك .

الإدراك الحسى .

لعل أفضل تعريف للإدراك الحسى هو تعريف الدكتور/ محمد عثمان نجاتى، فى كتابه «علم النفس فى حياتنا اليومية» نقصد بالإدراك الحسى عملية يتم بها شعورنا بالبيئة المختلفة المحيطة بناوبأنفسنا عن طريق تنظيم وتفسير الإحساسات المختلفة التى تمدنا بها حواسنا المختلفة ، إن الإدراك الحسى عملية نشيطة لاتوجد فيها مطابقة تامة بين المنبهات الخارجية التى تؤثر فى حواسنا وبين ما ندركه وإنما يحدث فيها تغيير وتنظيم للإحساسات التى تمدنا بها الحواس بحيث تدرك شيئا منظما له معنى ، إننا لاندرك موجات ضوئية أو موجات صوتية أو روائح أو طعوم ، وإنما ندرك أشياء لها حجم ولون ورائحة وملمس خاص كما ندرك العلاقات بين هذه الأشياء وكثيرا ما يحدث أننا لاندرك بعض الأجزاء فى الموقف التنبيهى أو نغيرها بطريقة ما بحيث يصبح له معنى.إن ما يحدث فى حالات الخداعات « Illu- sions » المختلفة ماهى إلا أمثلة للتنظيم الذى يحدث فى عملية الإدراك الحسى ففى الإدراك الحسى الإنتقاء للتنبيهات الحسية ثم تنظيمها فى سياق« Context» ذى معنى وهاتان العمليتان الإنتقاء «الإختيار Selection » و « التنظيم Or- ganization » هما العمليتان الرئيسيتان فى عملية الإدراك الحسى .

وبدون هاتين العمليتين لايحدث إدراك حسى ومن ثم فالإدراك عملية عقلية أولا وقبل كل شئ.عملية تقوم على التفسير والتأويل ... وتأويل المشاعر والأحاسيس تأويلا يزودنا بمعلومات وبيانات جديدة يذخر بها عالمنا الخارجى وما به من أشياء وأشخاص ونبات وحيوان ، والآن وأنت تقرأ هذه الصفحة تسمع أصوات سيارات وزغاريد سيدات وطلقات نارية وصيحات مرحة مدوية ... وهنا يحدث تنظيم للإحساسات وإختيار للتنبيهات وتأويل كل هذه المعلومات والأمارات إلى « موكب فرح لعروسين ، وحفل رباط مقدس بين إثنين » .

إن عملية التفسير أو التأويل تعتمد إلى حد كبير على خبرتنا الماضية،فالطفل الذى يشاهد الزهور لأول مرة فى الحديقة فبالرغم من إحساسه بجمالها وشكلها ولونها ، إلا أنه لايعرف لها معنى ، فإذا أخبرته مدرسته أو والده بأن هذه زهرة فإنه سيرى لإحساسه معنى ومغزى عندما يشاهد هذه الزهرة مرة أخرى ، لذا فإن الخبرة والتعلم هما الركيزتان اللتان تجعل الشخص يترجم ما أحس به من العالم الخارجى إلى معنى ينسجم مع الأشياء المدركة والحق نقول أنه كلما زادت خبراتنا وتراكمت معلوماتنا من التعلم كلما زاد إدراكنا نماء وثراء .

الإدراك الحسى كعملية عقلية تحليلية .

لما كان الإدراك الحسى عملية عقلية متشابكة الجنبات يكتنفها الغموض والتعقيدات بما تحويه من عمليات حسية ورمزية وإنفعالية لما كان ذلك كذلك ، وجب علينا أن نقوم بتحليل هذه العملية العقلية فنقول :

أولا : العمليات الحسية : يشمل الإدراك الحسى تنبيه الخلايا المستقبلة بالمنبهات الحسية الواقعة عليها من عالمنا الخارجى وهنا لايركز الإدراك الحسى على أحدى الحواس منفردة ، بل إنه ينبه مجموعة حواس فى وقت واحد مثال ذلك نحن لانرى الشئ فقط فى حد ذاته ، بل نراه ونسمعه ونشمه ونتذوقه وقد نلمسه أيضا ، إن رؤيتنا للشجرة المورقة المثمرة نسمع أيضا حركة تلامس أوراقها نتيجة لتمايل الأغصان ، كما نشم رائحة عبقة من لحاء خشبها وقد نتذوق بعضا من عصير أو

على أوراقـهـا مـثل شـراب الكركـديه ، وهكذا ندرك تماما أن هذه الإحسـاسات البصرية والسمعيـة والشمية والتذوقية لاتكون الواحدة بمعزل عن الأخرى بل إنها كلها على إختلاف وظائفها تصبح متداخلة متشابكة بحيث تكون لنا خبرة إدراكية متكاملة .

ثانيا العمليات الرمزية: ونعنى بها تلك الملامح والصور الذهنية والمعانى الحسية التى يثيرها فينا الإحساس حيث أن التنبيهات الحسية تترك بصماتها أو ندوبها على جهازنا العصبي بحيث يصبح أثر هذه الندوب تلميحا للإحساس وليس تصريحا للموضوع الأصلى ، أى أن صورة الشئ أو رمزه تكفى لإدراكنا لأصل هذا الشئ ، فعندما أمعن النظر فى صورة صديقى الفوتغرافية ، أستحضر فى ذهنى صورة هذا الصديق ولكنها صورة خافتة غير متماسكة كالعهن المنفوش.ولئن حاولت إستحضار الصورة المعنوية لصديقي فمعنى ذلك تذكر مواقفه معى وتعاونه مع الآخرين وخصائص شخصيته وطريقة حديثه وهكذا ، ومجمل القول أن الصورة الذهنية هي التى تمثل الأشياء الأصلية .

ثالثا :العمليات الإنفعالية: ونقصد بها أثر الخبرات السارة أو المؤلمة فى عملية إدراكنا الحسية للأشياء أو الأشخاص فقد يتذكر أحد الأشخاص حادثة له فى يوم مطير من أيام الشتاء وترتبط هذه الحادثة بمرض أصابه ويشعر نحو هذه الحادثة بحالة إنفعالية معينة ويحاول أن ينساها وهنا تتضمن عملية الإدراك الحسى الجانب الإنفعالى .

عوامل تنظيم عملية الإدراك الحسى .

هناك تنظيمات إدراكية حسية تحدث عند جميع الناس على إختلاف ثقافتهم وحضارتهم وميولهم وإتجاهتهم وأعمارهم حيث يستجيبون للتنبيهات الصادرة من البيئة الخارجية بطريقة تؤكد لنا بأن خصائص التنبيه واحدة بالنسبة للناس جميعا على وجه التقريب ، ويمكن إن نتصور بأن ثمة تنظيمات إدراكية لابد من إتباعها

فى حياتنا النفسية ولهذا السبب نطلق عليها « التنظيمات الإدراكية الفطرية » ومنها على شبيل المثال لا الحصر التنظيمات التالية :

١- الشكل والأرضية : « Figure and Ground » .

نعيش فى بيئة طبيعية مملوءة بالناس والأشياء والموضوعات والجمادات والنبات وكل هذا يتعامل مع تنظيم مدركاتنا البصرية التى نشاهدها على هيئة شكل وأرضيةوفى حياتنا النفسية الإجتماعية والفيزيقية ، العديد من أنماط الشكل والأرضية.فالمحاضر أمام طلابه يعتبر شكلا والطلاب أرضية.والمطرب فى جمع من الناس يعتبر شكلا والكورس « البطانة » أرضية.والقمر والنجوم فى السماء نعتبرها شكلا والسماء أرضية.والكتاب على المكتب يعتبر شكلا والمكتب أرضية. وفريق الكرة فى الملعب نعتبره شكلا وجمهور المشاهدين أرضية.وهكذا فى كل مناحى الحياة .

٢ - التقارب : « Nearness » .

لو أدركنا لوحة ورقية بها مجموعة من الرسوم الهندسية عبارة عن دوائر صغيرة بين كل دائرتين نصف سنتيمتر فقط ودوائر كبيرة بين كل دائرتين منهما خمس سنتيمترات ، هنا ندرك - طبقا لتنظيم مدركاتنا البصرية - الدوائر الصغيرة بسهولة ويسر لعامل تقاربها بينما الدوائر الكبرى ذات المسافات البعيدة بينها لاتدخل ضمن تنظيم مدركاتنا البصرية.كما أن رنين التليفون دقتين كل ثانية يختلف عن دقة طويلة أو رنين مستمر لمدة ثانية يختلف الموقف الإدراكى فى هذه الحالة حيث ندرك الرنين الأول مخابرة تليفونية محلية داخل المدينة أو القرية ، بينما الرنين الطويل فى الحالة الثانية يعتبر مخابرة خارجية « ترنك » وهنا يبدو عامل التقارب فى المدركات السمعية بالنسبة للرنين المتتالى كل ثانية والرنين المتقطع وهكذا .

٣ - التشابه : « Similarity » .

فالوحدات المتشابهة تشكل صيغة متميزة لتشابه وحداتها ففى حجرة

الدراسة التى تحتوى على عشرة صفوف ومقاعد التلاميذ لو أن خمسة صفوف من التلاميذ كانوا في حالة وقوف والخمسة الباقية فى حالة جلوس لرأينا التلاميذ الواقفين يشكلون صيغة أعمدة يمكن رؤيتها وإدراكها بسهولة عن باقى التلاميذ الجالسين الذين يشكلون صيغة صفوف يصعب رؤيتها لعدم تشابه وحداتها .

٤ - الإستمرارية : « Continuity » .

فى عالمنا الخارجى من السهل علينا - طبقا للمدركات السمعية - سماع محاضرة علمية شيقة متصلة الجوانب العلمية واللغوية عن محاضرة بتراء ناقصة منفصلة الجوانب كالتى ذكرناها آنفا ، كما يسهل علينا - طبقا للمدركات البصرية - مشاهدة طابور طويل من التلاميذ فى فناء المدرسة ، عن جماعات من التلاميذ مكونة من ثلاث أو أربع تلاميذ ، حيث الطابور يتسم بخاصية الإستمرار والإتصال بينما تشكل جماعة تلاميذ من ثلاثة أو أربعة تلاميذ صيغة غير مستمرة أو متصلة .

٥ - التكميل : « Closure » .

فى حياتنا العملية سلم خشبى ذو عشر درجات منها ثلاث درجات مكسورة وغير موجودة وهنا يميل المشاهد - طبقا لمدركاتنا البصرية - أن يكمل الدرجات الثلاثة المكسورة.أى أنه يملأ الفراغات الموجودة بالسلم أى يغلقها لسد الثغرات أو الفراغات ، ويهتم مهندسوا الديكور بعامل الإغلاق فى عمل ديكور المنزل وما به من ثغرات أو الفراغات فى الجدران أو الكراسي أو الستائر أو النوافذ ، كما يلعب الإغلاق دورا كبيرا فى عالم المدركات السمعية عندما يقف بنا المخرج الإذاعى عند حدث فى المسلسل يشد إنتباه وإدراك المستمعين ثم يقطع هذا الحدث لحلقة قادمة أى أنه تعمد أن يترك المستمع فى فراغ المدرك السمعى كعنصر تشويق .

٦ - الشمول : « Inclusiveness » .

عند مشاهدتنا لأحد « ماكيتات » رسم مجسد لمنزل جديد فإننا لانرى كل حجرة على حدة ولكننا ندرك المنزل إدراكا شاملا كاملا طبقا لمدركاتنا البصرية الفطرية .

٧ - الخداعات البصرية : « Illusion » .

مثل إعتقادنا بأن كيلو جرام صوف خفيف فى الوزن عن كيلو جرام حديد ، وهذا الإعتقاد الخاطئ عند بعض الناس وليس كل الناس ، وهناك خداع سراب الصحراء حين نتخيل بمدركاتنا البصرية أن ماء يلوح لنا فى الأفق حتى إذا وصلنا إلى هناك لم نجده ماء .

ومن الأمثلة العلمية للخدعات البصرية خداع « مولر ولاير » فى الخطوط المستقيمة المتساوية والقصيرة والطويلة هذا وهناك خداع سمعى يبدو فى الإدراك الخاطئ لسماعنا بعض الروايات أو الأحاديث فيحدث بها تحريف ويعرف ذلك باسم « التشوه الإدراكى » .

العوامل الذاتية المؤثرة فى الإدراك الحسى .

هناك عوامل شخصية وذاتية تؤثر فى إدراكنا للأشياء والأشخاص من حولنا مما أدى بالباحثين والمشتغلين بعلم النفس والسيكوفيزيقا ، إلى اجراء الكثير من التجارب على مجموعات من المفحوصين وهم فى حالة جوع شديد أو ألم جسدى عنيف ، وأثر ذلك على إدراكهم الحسى ، وهناك عوامل ومتغيرات ذاتية وشخصية كثيرة فى هذا المجال نعرضها فى النقاط الآتية :

١ - نوع محيط الفرد .

ونعنى به الظروف والأحوال التى تحيط بالفرد من ناحية البيئة الفيزيقية «الطبيعية » إضاءة - رطوبة - حرارة - تهوية - تدفئة وما يؤثر فى مجاله الإدراكي ، ففى عام ١٩٥٧ قام كل من « ماسلو Maslow » و « منتز Mintz » بدراسة على أثر المكان على سلوك العمال وتحسين إنتاجيتهم ، وقارن الباحثان سلوك العمال فى حجرة مجهزة بإضاءة جيدة وأثاث جديد وتهوية صحية وألوان جدران زاهية ، وحجرة أخرى رديئة التهوية والإضاءة وألوان جدرانها كالحة.وكان هناك مجموعة من المختبرين يقدمون صورا فوتوغرافية مطبوعة وسلبية للعمال لتقدير نسبة الإشراق والجمال الموجودة في كل صورة فوتوغرافية دون معرفة الهدف

من التجربة.وكانت النتيجة تؤكد أثر نوع الحجرة على إدراك العمال لوجوه الصور السلبية المطبوعة كما كانت تقديرات المختبرين متطابقة مع تقديرات العمال على الصور الفوتوغرافية.ففى الحجرة الرديئة كان الجميع يشعرون بالضيق والضجر والملل والسأم والصداع والنوم بعكس الحجرة الجميلة التى كانوا يشعرون فيها بالراحة والمرح والبهجة والسرور والرغبة فى الإستمرار فى العمل .

٢ - الفروق الفردية .

نعيش جميعا فى بيئات سيكولوجية متباينة أشد التباين ، برغم أننا نحيا فى بيئة واقعية « المحيط » واحدة لنا جميعا ، فالمنزل الواحد لايشكل بيئة سيكولوجية واحدة لكل أفراد الأسرة وكذلك المعسكر الكشفى بالنسبة للرياضيين أو أبطال الكشافة وذلك لإختلاف الأفراد فى إتجاهاتهم ومستوى تعليمهم وميولهم وأعمارهم وخبراتهم ، فالناس يختلفون فى مدركاتهم البصرية والسمعية نحو الشئ الواحد .

٣ - التوقع .

كلنا يتوقع أو يأمل فيما يريد أن يراه أو يسمعه فالطالب المتجه نحو دخول لجنة الإمتحان يرى كل فرد غريب عن العاملين بمدرسته أو كليته ماهو إلا أحد المراقبين فى لجنة الإمتحان ، واللص يظن أن كل من ينظر إليه بتمعن فى الطريق هو أحد رجال الشرطة لماذا ؟ ... لأنه يتوقع الشر المستطير دائما ، والشخص المنافق يحسب كل صوت عال أو جلبة أو ضجيج بمثابة العدو المبين « ... يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ... » أى أن الأفراد طبعوا أو جبلوا على رؤية أو سماع المألوف المتوقع لا الواقع .

٤ - الحاجات الفسيولوجية .

يهتم كل منا بما يعيشه ويفكر فيه ويتحرق شوقا لتحقيقه فالشخص الجائع لايرى فى الرسوم الملونة الغامضة إلا الفواكه والحلوى وقطع اللحم المشوى ، والمراهق لايرى فى قطع السحاب المتحركة بعد مغيب شمس الأصيل سوى شاب وفتاة يتهامسان همس الحيارى ! ! ومن هنا فإن أثر الحالة الجسمية أو الفسيولوجية أو

المزاجية تفسد مدركاتنا البصرية والسمعية .

٥ - الأحكام العاطفية .

للعواطف والميول والذاتية أثر كبير على تلوين إدراكنا سواء كان هذا الإدراك مدركات بصرية أو سمعية ، ومن ثم كانت عواطفنا الجياشة بمثابة العدو المضل المبين لكل ما ندركه ، ولذا قيل فى الفولكلورالشعبى الأصيل « القرد فى عين أمه غزال » و «حبيبك يبلع لك الظلط وعدوك يتمنى لك الغلط » ! !

٦ - الحالة الوجدانية .

يلعب الإنفعال أو الحالة الوجدانية دورا كبيرا فى طريقة إدراكنا الحسى فتصاب مدركاتنا البصرية والسمعية بالتشوه والقلق والإغتراب.خذ مثلا ثلاثة أفراد ، زوج غيور.وطالب جامعى أثناء موسم الإمتحانات.ورجل من رجال الدين ، وطريقة إدراكهم لمجموعة من الشباب تقف فى ميدان عام يطل عليه مسجد ومدرسة ثانوية للبنات وبالنسبة للحالة الوجدانية المؤثرة فى إدراك الزوج الغيور كانت تتمثل فى كلماته «إنهم شباب يتسكعون ويعانون من فراغ ولا هم لهم إلا معاكسة طالبات المدرسة والنساء العاملات إنهم يستحقون الضرب والتوبيخ ».أما بشأن الطالب الجامعى فكان إدراكه يتمثل فى قوله « إنهم مجموعة من الشباب ينتظرون خروج أخواتهم البنات من لجان الإمتحان بالمدرسة » بينما كان إنطباع وإدراك رجل الدين لمجموعة الشباب رأيه القائل بأنهم « فتية آمنوا بربهم يقفون فى الميدان قرب المسجد إستعدادا للصلاة » .

٧ - المعتقدات الإجتماعية .

فى زيارة ميدانية لإحدى قبائل أولاد على بالصحراء الغربية لإجراء بعض البحوث العلمية أشار المؤلف إلي بعض المعتقدات الشخصية والإجتماعية لدى أفراد هذه القبائل وهى « التمسك فى الوقت الحاضر بحق إبن العم فى مسك بنت عمه » أى الزواج بها ، وإستطرد يناقش بعض الأفراد المثقفين عن ضرر الزواج من بنت

العم وما يجلبه من أضرار وتشوهات وتخلف عقلى وأن هناك حديثاً صحيحاً لا يحض على مثل هذا الزواج ... قال النبى ﷺ « إغتربوا لاتضووا » أى تزوجوا من الغرباء لكى لايصبح الأطفال ضعفاء مشوهين ... فكان إدراك هؤلاء القوم من المثقفين لهذ القضية معاكس للحقائق العلمية ولم يوافقوا على هذا الرأى طبقا لمعتقداتهم الإجتماعية ، وهنا أدرك المؤلف أن هؤلاء القوم يفكرون ويدركون بعقلهم الجمعى « فكر القبيلة » أفضل من عقلهم الفردى ويعتنقون أفكار ومعتقدات القبيلة لا أفكارهم .

٨ - النسق القيمى .

فى عام ١٩٤٨ قام كل من «بوستمان Postman» و « برونر Pruner » و « ومكجنيز Mcginies » بدراسة علمية على ٢٥ فردا بهدف الوصول إلى أن النسق القيمى Values System لدى الشخص هو الذى يبلور إدراكه ويحدد إستجاباته السلوكية.ويدأ الباحثون بقياس قيم هؤلاء الأفراد « ٢٥ » بمقياس معروف هو « مقياس القيم لألبورت وفيرنون ».ويضم هذا المقياس ستة أنماط من القيم هى : الإجتماعية والنظرية والدينية والسياسية والإقتصادية والجمالية ... وقدم لهم من خلال جهاز عرض « فانوس سحرى » ٣٦ مفردة تمثل جميع القيم الست وبعد ذلك خرج الباحثون بنتيجة مؤداها أن الأشخاص كانوا يدركون المفردات أو الكلمات التى ترتبط بالقيم التى يتمسكون بها أكثر من القيم الهامشية بالنسبة لهم .

الفصل الرابع

سيكولوچية التعلم .

* مفهوم التعلم وأنماطه .
* أسس عملية التعلم .
* معوقات عملية التعلم .
* الإستظهار والتحول فى عملية التعلم .
* حول التعلم والتدريب .
* وسائل عملية التدريس .
* أثر النضج فى عملية التعلم .
* مدخل فى نظريات التعلم .
* النظريات الترابطية .
* التشريط الكلاسيكى .
* السلوكية الوصفية .
* النظريات المعرفية .
* سيكولوچية الجشطالت .
* سيكولوچية المجال .
* سيكولوچية نمو الذات وتطبيقاتها التربوية .

سيكولوچية التعلم

مفهوم التعلم وأنماطه .

لعل أهم الموضوعات جميعها فى علم النفس هو موضوع « التعلم Learn-ing » إذا أننا لانقصد به إلا كل مايسعى إليه الفرد من تحصيل معلومات وما يكتسبه الإنسان من إتجاهات وعادات مختلفة ومهارات بمختلف أنواعها ، عقلية أو حركية أو وجدانية أو خلقية سواء كان هذا الإكتساب شعوريا أو لاشعوريا مثال ذلك :

١ - العواطف النبيلة المحبوبة شعور مكتسب وهى فى الوقت نفسه عملية تعلم .

٢ - العقد النفسية البغيضة ميل مكبوت وصدمة إنفعالية مكتسبة وهى تدخل فى نطاق عملية التعلم المكتسب لاشعوريا .

٣ - إكتساب المعارف والأفكار والرموز والألفاظ والفنون عملية تعلم .

٤ - حفظ الكلمات أوالأشعار والأهازيج والأغانى عملية تعلم مكتسبة .

٥ - عندما تستخدم طريقة علمية فى تفكيرك فإن ذلك لايتم ولايحدث إلا بعملية تعلم .

٦ - عند حلنا لمشكلاتنا اليومية ما كان منها صعبا أو سهلا فإن ذلك يسير طبقا لعملية التعلم وذلك إذا كان الحل صحيحا سليما يتسم برضا الفرد الذاتى لدوافعه السيكولوچية .

٧ - تعلم الموسيقى وممارسة الرياضة البدنية بأنواعها والكتابة على الآلة الكاتبة وقيادة السيارات كل هذا « تعلم حركى » كما أن التعود على تشرب الصفات الحميدة مثل الكرم والوفاء بالوعد والصدق والشهامة فهذا هو تعلم « خلقى » ونود أن نقول فى هذا المجال أن « الدوافع Motives » لازمة وضرورية لعملية التعلم فليس هناك تعلم بدون دوافع وطبقا لنوع هذا الدافع من حيث قوته وهيمنته وسيطرته على الإنسان الفرد أو ضعفه تتوقف عملية التعلم كعملية سيكولوچية إلى حد كبير جدا ، ولم تكن عملية التعلم يوما ما وقفا أوحكرا فقط

على علم النفس وإنما قد إهتمت بها للغاية معظم العلوم الإنسانية كالإجتماع والإقتصاد والأنثروبولوجيا « علم دراسة الإنسان » وعلم النفس الصناعى والإجتماعى ، وينبغي أن نذكر جيدا أن العلوم الإجتماعية لاتهتم فى عملية التعلم إلا بنتائجها بينما تهتم العلوم النفسية بوصف التغيرات التى تحدث أثناء عملية التعلم وعوامل وشروط هذه التغيرات جميعها .

ولمحة عابرة فى مضمون مراحل عملية التعلم يمكننا أن ندرك بسهولة ويسر أن هذه المراحل تختلف وتتباين كأشد ما يكون التباين والإختلاف من فرد إلى آخر ومرد ذلك كله إلي « الفروق الفردية Individual diffrences » ونعنى بها تلك الخلافات والتباينات الفيزيقية والسيكولوجية والشخصية مثل الهيكل العام لجسم الفرد والبنية والذكاء ومدى التحمل والقدرات والمهارات البشرية والمواهب العقلية والدوافع النفسية ... ومن ثم نستنتج أن كل فرد يختلف فى قدرته على الإستيعاب والفهم فى مجال التعلم عن أى فرد آخر فهناك شخص يتعلم سريعا. وآخر يعمل فكره بطيئا.وثالث صعب الإستيعاب عقيم.وفى ذلك يذكر العلامة البرت اينشتاين قوله المشهورلم أعلم تلاميذى ولكنى فقط أحاول أن أهيئ لهم الظروف والأحوال التى يمكنهم أن يتعلموا فيها .

I never teach my pupils , I only attempt to provide condition in which they can learn .

ونتسائل الآن ماهو التعلم ؟ للإجابة على هذا السؤال لابد أن نذكر أن السلوك نوعان :

أحدهما هو السلوك الفطرى وثانيهما هو السلوك المكتسب ... وهذا الأخير ما هو إلا مجموعة من العمليات السلوكية - كما ذكرنا آنفا - الموجهة أصلا وأساسا نحو الإستجابات المختلفة لموقف معين من خلال بيئة الإنسان الجغرافية طبقا لإستجاباته السابقة وعلى سبيل المثال يرى « جلمار » أن عملية التعلم هى « نوع من السلوك المعدل والمحور بطريقة خاصة بهدف فهم وإستيعاب وتحقيق مآرب معينة » بينما يرى « رالف لينتون » أن التعلم إجراء أو حدث من الأحداث كأى نوع من الإجراءات أو الأفعال ، ويشير « هيلجارد » وزميله « أتكسون » أن مفهوم عملية التعلم قد يتحدد بشكل تحويرى وتغير متصل فى السلوك البشرى إلى حد ما

بالتدريب والممارسة .

كما يرى « شرابر » أن عملية التعلم عملية إدراكية مرتبطة أشد الإرتباط بالدوافع النفسية وتعتمد أساسا على التكرار والتعميم حيث أن هذه العملية « ككل » تقوم فى المحل الأول على « ميكانيزمات المنبه والإستجابة والتى تعتمد بدورها على الحواس الخمس » .

أســس عمليــة التعلـم .

من الثابت علميا أن هناك إختلافات أساسية وجوهرية فى مدى السرعة التى يكتسب بها الفرد أى مهارة أو خبرة فى أى موقف معين كما تعتمد عملية التعلم على ما يعرف باسم « مبادئ التعلم » والتى منها مبدأ المنبهات الشرطية والمنعكسات الشرطية والتعلم الشرطى والتعزيز والإستزاده والثواب والعقاب والمنبد المميز ، وفى نظرنا أن التعلم الشرطى السليم يشمل دور التعزيز والإستزادة وكذلك التعلم بالطريقتين الكلية والجزئية وكذلك تبسيط التعلم بتوزيع المادة وتعلمها وتقسيمها إلى وحدات يمكن إستيعابها بسهولة ويسر وأيضا الربط بين التعلم والأداء « performance » .

كما ينبغى أن نذكر أن هناك ثلاثة جوانب تمثل الإطار العام لعملية التعلم وهى التلميذ والمدرس والمادة المطلوب تعلمها وهذه الأبعاد الثلاثة هى التى تؤدى بنا إلى العملية التربوية السليمة ولقد وجد أن عملية التعلم قد تزداد وضوحا وسهولة وفهما فى حالة المواقف السارة مما يتطلب بالضرورة أن تكون العلاقة بين المدرس والتلميذ علاقة أساسها الود والسرور ، وليس هذا فقط إن المواقف الصعبة قد تحدد هى الأخرى نوعا من الوضوح والسهولة لعملية التعلم حيث توجد بعض الروابط بين العمليات الذهنية المؤدية إلى عملية التعلم ومن أهم ركائز عملية التعلم تلك العوامل الثلاثة التالية :

١ - الممارسة « Practicing » .

والمقصود بها أنه كلما كان مقدار ممارسة المادة المراد تعلمها هائلا وكافيا كان

هناك إحتمال كبير لسهولة التعلم ووضوحه ونقله بطريقة إيجابية ناجحة ولا سيما فى حالة التطبيق المحدود فيما بعد على المادة الأصلية والمراد تعلمها .

٢ - التعميم « Generalization » .

لكى نرتقى ونسمو بعملية نقل التعلم يجب على التلميذ أن يشكل ويكون مبادئ مناسبة وتعميما واضحا ولائقا أثناء تعلمه إن مثل هذه التعميمات يجب أن تكون واضحة تماما ومحدودة وليست فضفاضة أو أن تكون مجرد كلمات غامضة أو تفعيلات جوفاء « Verbalization » .

٣ - التطبيق « Application » .

لابد للتلميذ أن يطبق ما تعلمه على عالمه الواقعى « Real Life » أو محاولته - على الأقل - القيام بذلك فى المواقف الجديدة والمناسبة وذلك لكى يتكافأ هذا التطبيق مع مزايا النقل والتحول فى عملية التعلم ويدخل فى ذلك مقترحات وأساليب تنمية وتصوير الإتجاهات السيكولوجية المناسبة نحو نقل وتحول عملية التعلم .

معوقات عملية التعلم .

من المسائل التى تعوق العملية التعليمية وتؤخرها عوامل سبع هى :

أولا : مستوى المقدرة .

فالشخص المتفتح ذهنيا « Open Mindedness » وذو الذكاء المعقول يكون أقدر على الفهم والإستيعاب لأى نوع من أنواع التعلم بسهولة عن ذلك الشخص المكدود ذهنيا والضعيف عقليا والذى يعانى من سوء التكيف والتوافق النفسى ، وعليه فإن مستوى المقدرة المرتفع يلعب دورا فعالا فى الحفظ والإستيعاب والسعى والتحصيل العلمى .

ثانيا : الدوافع .

فمن المعروف أن الدوافع من أهم العوامل التى تسهم بنصيب كبير فى تحديد

السلوك بالإضافة إلى عوامل داخلية وخارجية أخرى تلعب دورها ، ومن ثم فالسلوك لا يفهم إلا فى مجاله الكلى وهنا يمكننا أن نفهم تماما لماذا يتخلف التلميذ فى دراسته ويخفق فى تحقيق هدفه فى المدرسة أو المعهد وكذلك التلميذ المتأجج حماسا لدراسته والمدفوع « Motivated » نشاطا نحو دروسه ومحاضراته أنه الدافع القوى الذى يجعله هكذا .

ثالثا : تاريخ التربية الماضية .

إن الخبرات القديمة وطريقة التربية العتيقة البالية لتؤثر هى الأخرى فى سير عملية التعلم حيث أنها هى البذور الأولى التى يتوقف عليها ما إذا كان هذا الزرع هشا هشيما تعصف به الرياح أو زرعا يتحمل كل العواصف والأنواء لأن ذلك يتوقف كلية على نوع التربية الصالحة سواء كانت تربة خصبة أم تربة يهددها العقم والبوار .

رابعا : أساس تاريخ حياة الأسرة .

لاشك أن نوعية الأسرة وأسلوب حياتها وطريقة معيشتها ونوع سلالتها تؤثر حتما فى أفرادها فتلاميذ الأسر الريفية يختلفون بالطبع فى طريقة تحصيلهم العلمى عن تلاميذ الأسر الحضرية سواء كان ذلك فى الفهم أو الإستيعاب وبالمثل يمكن القول بأن تلاميذ الأسر والعائلات المهاجرة « المهجرة » أو أسر اللاجئين تختلف قطعا عن مثيلاتها تلك التى تعيش فى أمان وإستقرار بعيدة عن الخوف والتوتر والذعر والهلع والتهديد ، ولذا فخلفية الأسرة لها دور كبير فى أسلوب التنشئة السليمة الصحيحة .

خامسا : مستوى الأسرة الإجتماعى والإقتصادى .

يلعب هذا العامل دورا كبيرا فى طريقة تربية وتعليم الأطفال فليس هناك أدنى شك فى أن تلاميذ الأسر الثرية والتى تعيش فى بحبوحة من الرخاء أفضل حالا وأكثر تقدما فى الدراسة عن الأسر الفقيرة المعدمة حيث أن العامل الإقتصادى له الأثر الكبير فى نشأة الأفراد ، وهذا بدون شك قد ثبتت صحته علميا.وصحيح أن

بعض النوابغ والنابهين من عظماء الرجال فى العالم أجمع قد عاشوا حياة أسرية قاسية ونشئوا فى شظف من العيش ومع هذا حققوا مآربهم وأهدافهم من العلم والتعليم ولكن مثل هذه الأنماط يمكن أن تندرج تحت ما يعرف بإسم الحالات الشاذة .

سادسا : مضمون طرق التدريس .

يهمنا هنا أن نؤكد على محتوى طريقة التعلم نفسها مثال ذلك طريقة المناقشة الجماعية « Group Discussion » وهى طريقة ديمقراطية دلت الأبحاث على نجاحها لأنها تعمل على إدماج الفرد فى الجماعة ، هذا وقد قام العلماء السلوكيون فى السنوات الأخيرة بدراسات فى الدوافع والصحة النفسية وديناميات الجماعة وذلك للمساهمة فى إلقاء الضوء على العوامل المؤدية إلى مقاومة التغيير لدي الأفراد وهنا تلعب المناقشات الجماعية دورها فى الناس للمناقشة والتركيز على قائد المناقشة « المدرس » ومدى مرونته وتعرفه على المهارات المطلوبة لكى يتمكن من إدارة المناقشة بنجاح ونود أن نذكر بأن مضمون هذه المناقشة الجماعية يتركز أساسا على تشجيع كل أفراد الفصل الدراسى فى المناقشة وإشتراكهم فيها ، وما وظيفة المدرس هنا إلا إستثارة الشوق والإهتمام بالمناقشة وإدارتها ومن ثم يمارس التلميذ الإستدلال الجمعى « النقد البناء والتقدير والتعاون والأفكار المنظمة والتعبير عنها بصورة واضحة .

سابعا : العلاقة بين المدرس والتلميذ .

ثبت علميا أن العلاقة بين المدرس والتلميذ تلعب دورا هاما فإذا كانت هذه العلاقة تتسم بالجودة وتبادل الأفكار والمشورة والتعاون بين الطرفين فليس هناك أدنى شك أن تتم عملية التعلم فى سهولة ويسر ووضوح والعكس صحيح إذا كانت هذه العلاقة يتخللها الوهن والتصدع والإهمال من الجانبين فإن ثمة صعوبات وعقبات تصادف الفرد أثناء عملية التعلم ، وذلك لأن الإستجابات الإيجابية السارة هى التى تجد طريقها بسهولة ويسر إلى العمليات الذهنية كالتذكر والتعلم للإرتباط بها ومن ثم يسهل الفهم والإستيعاب أثناء عملية التعلم بسهولة ووضوح كاملين .

العناصر السلوكية السبع لعملية التعلم .

يرى العلامة لى . ج . كرونباخ أن عملية التعلم تتكون من عناصر سلوكية سبعة وكانت هذه الفكرة الجديدة متطورة إلى حد ما ولكنها لم تجد أذنا صاغية على إعتبار أنها نظرية فى السلوك الإنسانى ، وبمرور الوقت برزت لنا هذه العناصر السبعة لتقدم لنا رأيا قاطعا وبرهانا ساطعا وأساسا للعمل بهدف فهم وإستيعاب عملية التعلم.والواقع أن هذه العناصر السبع يمكن تطبيقها بسهولة وبطريقة مباشرة فى حجرة الدراسة ونعرضها كالتالى :

١ - الهدف .

يشعر الفرد أن لديه هدف ما ... شئ أو حادث أو حالة وهو يراها ضرورية له لأن هذه الحالة تؤرقه أن شيئا ما ينقصه وقد أضحى هذا الشئ حاجة ملحة لابد من إشباعها.وهنا يتجه الفرد نحو ما ينقصه ويركز عليه إنتباهه كلية وقد يتحقق الهدف فى هذه الحالة على المدى القصير بالإشباع المباشر ، أو على المدى الطويل بإشباع هذه الحاجة الملحة ، ولكن بشئ من التأجيل والإرجاء وهنا يكون الفرد مدفوعا « Motivated » نحو تحقيق الهدف .

٢ - الإستعداد .

يستطيع الفرد نتيجة لتكوينه الفيزيقى وخبراته الماضية أن يستجيب فقط لأنواع معينة من الإستجابات كمحاولة جادة لتحقيق هدفه وإشباع حاجته .

٣ - الموقف .

إن الظروف التى يحياها الفرد وكذلك العوامل الموقفية التى يتأثر بها تهيئ له فرصا كثيرة لإشباع حاجته والواقع أن الإستعداد والهدف والموقف يتكون منها ما يعرف بإسم إطار مرحلة السلوك « Stage Setting for Behavior » .

٤ - التفسير .

لما كان الفرد يأخذ فى إعتباره أهدافه التى يود تحقيقها وتقدير وتقييم

قدراته التى لديه فإنه - والحال كذلك - يختار من خلال خطة العمل المتعاقبة والمتتالية المرحلة التى يراها أكثر تأثيرا وأكثر فاعلية ... إنه يختار وينتقى خطة عمل يراها أكثر ملائمة ومناسبة له فى تحقيق هدفه .

٥ - الإستجابة .

إن الفرد بعد إن ينتقى ويختار خطة عمله وأسلوبه فإنه يبدأ فى العمل Action .

٦ - النتيجة .

إن الإستجابة التى يقوم بها الفرد غالبا ما تكون متبوعة بأحداث من شأنها أن تشد من أزر تفسيره للموقف ، وفى الأحداث التى تتبع الإستجابة فإن أناساآخرين قد يشتركون فى تحديد النتائج ولكن ليس هذا ضروريا وهنا نرى أن الفرد وحده هو الذى يحكم على آرائه بوجه خاص .

٧ - رد الفعل .

عند رد فعل الفرد لنتائج إستجابته فإن نمطين من السلوك يمكن أن يحدثا طبقا للظروف والأحوال الآتية :

أ - إذا كان السلوك مثبتا ومعززا ، أى كنتيجة لعمل الفرد وتحقيق هدفه.فمن الممكن أيضا أن يحقق الفرد هدفه على المدى البعيد فى حالة تعذر تحقيق هدفه بسهولة فى بادئ الأمر ، ومن المحتمل أن يستجيب الفرد نفس الإستجابة مرة أخرى تحت ظروف وأحوال متشابهة .

ب - إذا كان التفسير يتعارض كلية ويسير فى طريق معاكس فإن الإستجابة لاتؤدى بنا نحو إتجاه الهدف ، وحينئذ فإن الفرد يكون لديه بديلان :

أولهما :أن الفرد قد يعيد تفسيره للموقف من جديد ، ويحاول أن يستجيب إستجابة أخرى ، ونحن نعمل جاهدين على تنمية هذا السلوك لدى طلبة المدارس والجامعات بالإضافة إلى ذلك فإن رد الفعل المرغوب يكون رهنا بالظروف والأحوال المواتية .

ثانيهما : قد يعانى الفرد أحيانا من سلوك محبط « Frustrated » غير توافقى « Non Adaptive Behavior » بمعنى أنه يدرك تماما أن

سلوكه لايؤدى إلى هدفه وهنا يفقد الفرد إتزانه الإنفعالى « Emotional Sta-bility » وتثور ثائرته ويكف كلية عن العمل .

الإستظهار والتحول فى عملية التعلم .

إن عملية التعلم بالمدرسة ليست هدفا أو نهاية فى حد ذاتها لأن أهداف التربية قد تقوم بأي وسيلة إذ أنها تدل على أن التلميذ سوف يكون قادرا على إستخدام ماتعلمه فى الفصل الدراسى فى وقت لاحق ، وكذلك خارج المدرسة ، هذا وقد أمدتنا الدراسات التجريبية فى مثل هذه المجالات بمعلومات وبيانات قد تساعد المدرس على فهم أدوار الحفظ وهى غاية فى البساطة ومهمتها صياغة التصميم التجريبى الذى نورده فى النقاط التالية :

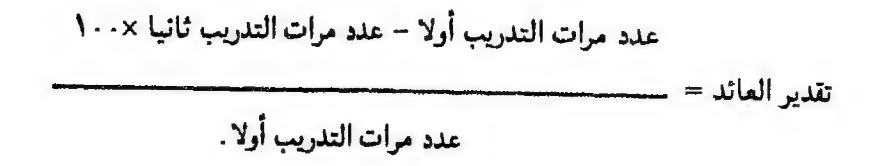
١ - يقاس الإستظهار عند نهاية فترة التعلم .

٢ - فى فترات الراحة لايتخللها أى دراسة رسمية أو عرضا للمادة المراد تعلمها قد تكون محاولة ناجحة وتجربة مفيدة للحفظ أو الإسترجاع .

٣ - يحدد المقياس الثاني مقدار التعلم الذى إستظهر وحفظ بعد فترة الراحة وغالبا ما تكون فترة الراحة بين المقياس عبارة عن مجموعة من الإنشطة الحرة التى تشمل على تعلم مواد إضافية بقصد إختبارات إستظهار لاحقة فيما بعد.ومن أهم الدراسات التى أجريت فى هذا الميدان دراسة « هيرمان أيبنجهاوس » فقد أشار هذا الباحث بعرض بعض قوائم كلمات لامعنى لها مثل : « بوف و جوكس وزيب وساغم » وبعد فترة من الوقت حاول أن يستظهر « بعد سماع » هذه المقاطع المبهمة فوجد أن هذه المحاولة كانت مستحيلة وأنه لايمكن تذكرها على الإطلاق . وقد ذكر إيبنجهاوس « Ebinghus » أن المجهود المبذول فى تعلم القائمة الأصلية لهذه المقاطع لايمكن أن يضيع هباء وفى هذه الحالة شرع إيبنجهاوس فى إبتكار وسيلة قياس سليمة ، ومن خلال مقرر تعليمى وإعادة تعلم قوائم عديمة المعنى لاحظ أنه يستغرق وقتا أقل كثيرا عن ذى قبل أى بطريقة التعلم الإستهلالى « Initial Learning » ، وهنا ظهرت فكرة تقدير العائد « Saving Score » أو طريقة الإدخار وهى عبارة عن منهج تجريبى يستخدم فى ميدان دراسة الذاكرة والتذكر

والكمية التى يمكن أن يتذكرها المرء أو المقدار الذى يمكن أن ينساه بعد فترة راحة محددة ولاحقة على التعلم لأحد الموضوعات عند تكراره عدة مرات ويمثل عدد مرات التكرار اللازمة كمية التعلم الإستهلالى كما أن الفرق بين هذا العدد وعدد مرات التكرار المطلوبة لتعلم موضوع ما مرة ثانية بعد فترة زمنية يسمى باسم « تقدير العائد النسبى ».

مثال : أراد طالب أن يحفظ مجموعة مقاطع لغوية وكان الأمر يتطلب ٢٠ محاولة لكى يصل إلى المعيار المطلوب والذى حدده له أستاذه بعد فترة راحة محددة طلب المعلم من تلميذه أن يسترجع ما تعلمه فلم يستطع التلميذ ، وهنا سمح له المعلم بعدة محاولات لكى يصل إلى مستوى « معيار» الحفظ وكانت هذه المحاولات « ثمانية » لكى يصل الطالب إلى « محك التعلم » وبذلك وفر على نفسه ١٢ محاولة إن الحفظ لأول مرة قد ترك رصيدا لدى الطالب يساوى الفرق بين عدد مرات التدريب فى الحالتين والذى نعنى به « تقدير العائد » ويمكن أن نعبر عنه بالمعادلة الآتية :



تقدير العائد = (عدد مرات التدريب أولا - عدد مرات التدريب ثانيا ×١٠٠) / عدد مرات التدريب أولا .

$$= \frac{(٢٠ - ٨) \times ١٠٠}{٢٠}$$

$$= \frac{١٢ \times ١٠٠}{٢٠} = \frac{١٢٠٠}{٢٠} = ٦٠٪$$

أى أن التدريب على معيار الحفظ فى المرة الأولى قد عاد على الطالب بعائد يقدر بنسبة ٦٠ ٪ من الجهد عند إعادة الحفظ فى المرة الثانية حيث قام بمجهود يعادل ٤٠ ٪ فيما لو كان يتعلم للمرة الأولى .

نقـــل التـــعلم .

من أهم أهداف عملية التربية أنها تتضمن تنمية قدرة الفرد على تطبيق عملية التعلم السابقة فى المواقف الجديدة ، وهذا ما نعنيه أساسا بعملية النقل أو تحول التعلم ، هذا وقد إتفق معظم الباحثين على أنه ليس هناك موضوع أكثر أهمية فى سيكولوچية التعلم من نقل وتحول عملية التعلم أو التدريب ، وفى عالمنا المعاصر والمعقد نري أنه من المستحيل أن تجعل من التلميذ شخصا ملما بكل المعارف الإنسانية ، إن بعض أنواع التعلم يجب أن تترك للفرد ينقل ويحول مهاراته المكتسبة فى المدرسة إلى مهام عملية التعلم الشخصية الخاصة بالفرد وحده .

أنمـــاط التحـــول .

قد يكون تحول التعلم من موقف قديم إلى موقف جديد إيجابيا أو سلبيا وقد يعوق التعلم أو ييسره .

١ - التحول الإيجابى .

يحدث التحول الإيجابى فى حالة تعلم بعض المبادئ والحقائق أوالمهارات ويساعد كل هذا على أداء وإكتساب عامل « لاحق » مثال ذلك دراسة قانون « جيوب التمام » فى حساب المثلثات قد يساعد الطالب فى حل مسائل القوى فى مادة الطبيعة .

٢ - التحول السلبى .

يحدث هذا عندما تتداخل بعض العوامل كالحقائق والمبادئ والمهارات أو

تعوق إكتساب عامل لاحق ، وكثيرا مايحدث هذا الموقف عندما يعلم المتعلم « Learner » شيئا من مجموعة مسائل قليلة جدا .

مثال ذلك قد يلاحظ المتعلم أنه عند صياغة مصدر الفعل المضارع وإضافة «ING» أو تصريف الفعل فى صورته الثالثة « التصريف الثالث » من بعض الكلمات ولتكن كلمة « Delate » إن الحرف النهائى E قد سقط سهوا قبل إضافة ال « ING » بينما تطبق هذه القاعدة على إسم Canoe ومعناها زورق صغير فقد يكون هذا الإسم مضللا ويكتب هكذا Canoeing على أنه فعل مضافا إليه ing وكذلك الحال بالمثل فى حالة الطلبة الذين يبغضون الرياضيات فقد يتحول هذا البغض أوالكره لدراسة مادة القياس النفسى فى علم النفس التربوى وذلك لأن هذه المادة تتطلب الإلمام ببعض المفاهيم الإحصائية المطلوبة فى إستخدام العمليات الرياضة البسيطة .

صفات المتعلم الأساسية .

من السمات الأساسية لدى المتعلم عند تعلم شيئاما تلك السمات التالية :

أولا : الإستعداد أو المقدرة .

لقد وجد أن الأطفال الذين يحرزون درجات عالية فى إختبارات المقدرة العلمية يميلون إلى نقل تعلمهم بكفاءة أكثر عن أولئك الذين يسجلون تقديرات أقل من الجماعة التى أحرزت تقديرات منخفضة ومن الممكن أن نستفيد من عملية التدريس التى تشجع إلى حد كبير على عملية التحول والنقل.ويرجع التباين هنا إلى مستوى ونوع الدوافع النفسية المؤدية إلى قوة الإستقرار والتحصيل ويذكر الباحثون قولهم : « إذا كان الطالب مدفوعا بقوة حماسية للإستيعاب والتحصيل فإنه ولاشك يختلف كثيرا عن زميله المدفوع بدافع ضعيف عقيم والذى يجعله يتعلم ببطء بدرجة تحصيل أقل ، وهذا بالتالى يقلل من فرصة التحول والنقل لديه إلى مواقف جديدة » .

ثانيا : الإتجاه السيكولوجى .

إذا إعتقد الطالب فى قرارة نفسه أن ما يتعلمه يجب أن ينقل ويتحول لموقف

جديد فإنه يسهل بدون شك تطبيق ما يتعلمه هذا الطالب وتسخيره فى حل مشاكله الخاصة .

طرق التعلم .

يحتاج الطالب إلى إكتساب مهارة عالية لكى يؤهل نفسه لمهنة من المهن وفي هذه الحالة يشعر بأنه ينمو كفرد أولا وقبل كل شئ أثناء إكتساب المهارة ويؤدى ذلك إلى التركيز على الدوافع كمسألة هامة فى هذا المجال.إن الدوافع النفسية ولاشك تعتبر حجر الزاوية لإكتساب المهارة لدى أى فرد من الأفراد وسوف نناقش هنا طرق التعلم لأن العلاقة وطيدة بين هذه الطرق والدوافع السيكولوجية مما يلقى الضوء على طبيعة عملية التعلم ، والتى من أهم طرائقها تلك الطرق التالية :

أولا : طريقة الإيضاح .

وهى ذات أوجه ثلاث : الإيضاح الفردى والإيضاح الجمعى وإيضاح الفصل الدراسى الواحد .

ثانيا : طريقة المحاضرة .

وهي ذلك النظام الشائع والذائع فى عرض الأفكار وتقديم المعلومات .

ثالثا : طريقة المناقشة الجماعية .

وهى عرض المعلومات والأفكار بطريقة ديموقراطية بحتة ونتعرض الآن لكل طريقة بشئ من التفصيل فنقول :

١ - من المعلوم أن طريقة الإيضاح بصورها الثلاث لابد وأن تكون مسبوقة ببعض التعليمات ، والتعليمات بدورها لابد وأن تكون مسبوقة بالمحاضرة . إن طريقة الإيضاح الناجحة والمثمرة إنما تعتمد أصلا على نوعية إستخدامها بمهارة من جانب المدرس ، وبذا تصبح طريقة الإيضاح للفصل الدراسى ذات شأن كبير وذلك بسبب مسألة « الفروق الفردية » وإختلاف المستويات العقلية بين التلاميذ فى

الفهم والإستيعاب .

والواقع أننا نستخدم وسيلة الإيضاح الجماعية من وقت لآخر لكى نحقق المستوى التربوى المطلوب والمهارة المنشودة .

٢ - أما طريقة المحاضرة فهى طريقة كلاسيكية لعرض أى نوع من أنواع المعرفة أو المعلومات.وهنا يذكر هنرى سميث فى كتابه سيكولوچية السلوك الصناعى بأن المحاضرة عرض معد ومفصل لمجموعة من المعارف أو التعليمات أو الإتجاهات لجعل مجموعة من الأفراد يفهمون أو يوافقون على فكرة المتحدث أو المحاضر ، وبرغم الحقيقة القائلة بأن المحاضرة تجعل الفرد يصاب بالإجهاد والملل والسأم ، إلا أن المحاضر الناجح يمكنه أن يشد إنتباه سامعيه وأن يجعلهم متشوقين لحديثه بإستمرار .

٣ - طريقة المناقشة الجماعية .

إذا كانت طرق التعلم تهدف أصلا إلى إستمالة وإغراء التلاميذ لتحصيل وتحقيق أهداف مرغوبة فإننا نرى أن إستخدام طريقة المناقشة الجماعية بدقة ونجاح ، تؤدى إلى دفع هؤلاء التلاميذ نحو المعرفة والإستزادة دفعا قويا بالإضافة إلى ذلك قد تساعدنا المناقشة الجماعية إلى بلورة آراء الجماعة وتحقيق النتائج المرغوبة وليست المناقشة الجماعية قاصرة على أداء دورها فى هذا المجال فقط ألا وهو المجال التربوى ولكنها فى الوقت نفسه تعمل على دفع الروح المعنوية وعلاج بعض الأمراض السيكولوچية ولعلنا نري بعد ذلك فى هذا الشأن أن إشتراك التلميذ فى المناقشة الجماعية وصنع القرار كل ذلك يلعب دورا فعالا فى تنمية دافع التحصيل ورفع الروح المعنوية للفرد ، وجدير بنا هنا أن نشير وتؤكد أن مسألة هامة كمسألة الدوافع لتعتبر حجر الزاوية فى كل السلوك الإنسانى .

ولتوضيح ذلك هناك كثير من مفاهيم الدوافع ، ونحن نميل إلى الأخذ بنموذج «ڤيروم » فى الدوافع والقائل بأن الدوافع هى محصلة القيم المتوقعة أو السابقة على أى فعل أو إجراء ... والإحتمال المدرك الذى من شأنه يجعل هذه القيم تتحقق عن طريق هذا الفعل .

ويقصد « ڤيروم » بالقيم المتوقعة مدى تعاظم وتزايد أداء الفرد فى عمله .

من أجل تحصيل وإنتاج معين مرتبط بالآخرين.أما عن التوقع فيعنى به «ڤيروم » شعور الفرد بأن « حدثا معينا سوف يؤدى إلى إنتاج معين » ويؤكد «ڤيروم » بعد ذلك أن الدوافع النفسية هى نتيجة حاصل ضرب القيم المتوقعة فى التوقع ذاته ، وتؤدى فاعلية الدوافع إلى حدث معين وهذا يحقق للفرد هدفه.وتحقيق الهدف هو الإحساس بالرضا أى إحساس وشعور الفرد الذاتى ، والرضا الذاتى ما هو إلا إتجاه من الإتجاهات السيكولوچية التى هى محصلة ونتاج مجموعة إتجاهات نوعية فى ثلاث مجالات هى علي الترتيب : إتجاه عوامل الوظيفة النوعية.وإتجاه التوافق الفردى.وإتجاه علاقات الجماعة خارج العمل ، مثال ذلك عند منح التلميذ جائزة قيمة كنوع من الحوافز فإن الدافع هنا فى هذه الحالة يجب أن يكون الرضا الذاتى وهذا من وجهة النظر السيكولوچية ، ونتيجة لذلك فإن أداء التلميذ سوف يكون بالتالى « الحصول على تقديرات عالية ومعدلات مرضية » .

حول التعلم والتدريب .

فى بداية هذا الموضوع نتساءل : كيف يتعلم الأفراد من خلال التدريب وما هو مفهوم التدريب لدى المشتغلين بعلوم الإدارة والعلوم الإجتماعية ؟

التدريب بوجه عام هو فرع من فروع التعليم وكلاهما يدرجان تحت مفهوم المعرفة بأوسع معانيها وعند تحديد مفهوم التدريب نقول : « هو ذلك النظام الذى يتبع فى دراسة فن من الفنون أو مهنة من المهن أو دراسة أعمال أى وظيفة أو بمعنى آخر هو عملية النشاط المستمر بقصد إمداد الشخص بمهارات وخبرات وإتجاهات تجعله صالحا وملائما لممارسة عمل أو مهنة ما » .

والتدريب عند رجال الإدارة هو : التطور المنطقى المستمر للمعلومات والخبرات والمهارات والسلوكيات التى تحدث خلال طبقات العاملين ويساعد على تقدمهم فى العمل الذى يعملون فيه وعلى ذلك فإن عملية التدريب تهدف إلى الإنتاج وترشيد العمل ووضع المواصفات اللازمة لتأديته على أكمل وجه .

ونعود للإجابة على سؤالنا الأول والخاص بكيفية تعلم الناس من خلال التدريب وهنا نقول :

إن عمليـة التعلم ذاتها كعمليـة سيكولوچيـة أولا وقبل كل شئ تسير طبقا لدورة ذات مراحل ست وهى على الترتيب كالتالى :

١ - مرحــلة عـــدم الرضــا والتــبرم . Dissatisfaction.

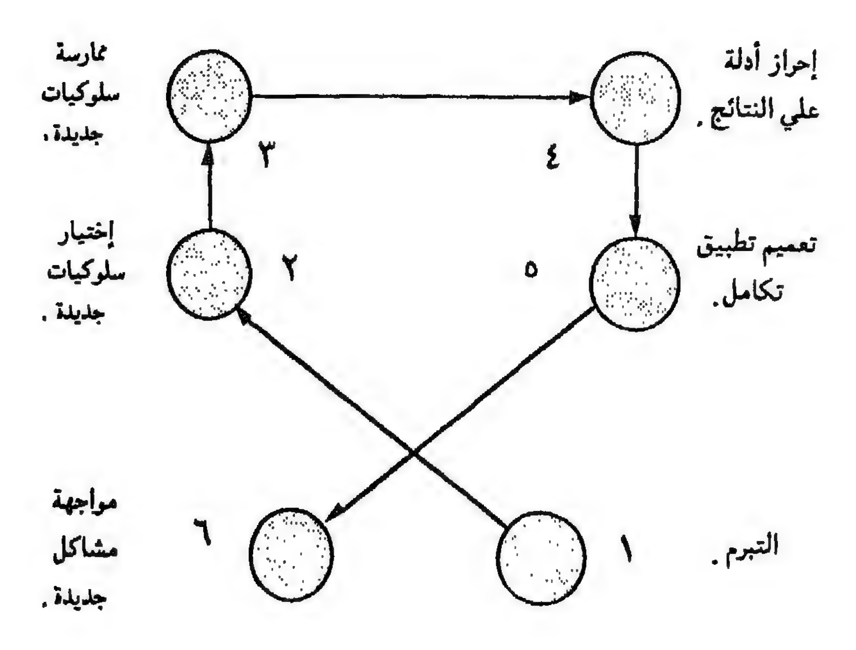
٢ - مرحـلة إختيــار سلوكــيات جديـدة. Seleotion of new Beheviors.

٣ - مرحلة ممارسة السلوكيات الجديدة. Practicing new Behaviors.

٤ - مرحلة إحـراز أدلـة علـى النتائـج. Getting Evedences on Results

٥ - مرحلة التعميم والتطبيق والتكامل. Gen., Integ.and Application.

٦ - مرحـلة مجابـهة المشـاكل الجديـدة. Facing new Probleems.



شكل يوضح دورة عملية التعلم وكيف تسير في مراحلها الست .

وهذه المراحل الست سالفة الذكر هى التى تشكل الأسس الهامـة لعمليـة التعلم ولاسيما عند تعلم عمل ما بطريقة فعالة فى جماعة التدريب وهنا نتعرض لكل مرحلة بشئ من الشرح والإيضاح فنقول :

أولا : مرحلة عدم الرضا والتبرم .

يعتقد التلاميذ فى هذه المرحلة أن جماعة العمل ضرورية لهم لأنها ذات تأثير بالغ الأهمية للفرد فى الجماعة.ويحدو بنا هذا الإعتقاد فى نهاية المطاف إلى شعور الفرد وأحساسه بعدم الرضا إلى حد ما « To Some Ex. » نحو إتجاهاته النفسية ومفاهيمه وسلوكه فى هذه الجماعة ، بالإضافة إلى ذلك قد يعانى الفرد المتعلم التلميذ الكثير من القصور والعجز ، قصور معين يتعلق بدوره فى الجماعة كما أنه لايمكنه إن يتقدم - أحيانا - إلى الأمام فى عملية التعلم.وهنا تبرز المشكلات الإنفعالية ويسود - المتعلم - شعور عدم الرضا ويدرك تماما أن قصورا أو عجزا يعتريه ، وقد يزداد هذا الإحساس قبل وأثناء عملية التعلم وبعد أن يصبح هذا الشعور الحاد بعدم الرضا والتبرم يشير لتغيرات مرغوبة فى سلوك الإنسان ، ونتيجة لذلك كلما زاد دافع التحصيل الناتج من رغبة المتعلم القوية للعمل مع أعضاء جماعته التدريبية فإن تغيرا ملموسا فى سلوكه قد يزداد دائما وبانتظام وتكامل نحو عمله فى جماعة التدريب .

والواقع أنه من الحكمة أن نقلل من مشاعر الخوف والفشل والتوتر لكل فرد فى جماعة التدريب وذلك بأن نجعل الأفراد فى هذه الجماعة يناقشون ويتحدثون عن مشاكلهم بأنفسهم لأن مثل هذا الإجراء هو الأساس المتين للتدريب .

ثانيا : مرحلة إختيار سلوكيات جديدة .

وتهدف هذه المرحلة إلي تقليل الشعور بعدم الرضا لدى الفرد المتدرب حيال سلوكه الحالي وما عليه إلا أن ينتقى أنواعا من السلوكيات الجديدة لتحقيق النتائج المرغوبة فى جماعة التدريب ولذا فإن جماعة التدريب يمكنها أن تساعده وتشد من أزره على طول المدي فيما يتعلق بهذه السلوكيات الجديدة الممكنة التى إختارها من قبل لحظة أن يستعد لتعلم عمل ما .

ثالثا : مرحلة ممارسة السلوكيات الجديدة .

قد نرى فى عملية التدريب الناجحة تخطيطا للأساليب التى تسمح بالتجريب السلوكى Behavioral Experimentaion بأقل قـــــدر ممكن من

المخاطرة وبالمثل قد نري فى التدريب الجيد أن أفراد الجماعة يستمرون فى ممارسة نوع من التجريب السليم للوظيفة وفى هذه الحالة فإن الخبرة الذكية بالإضافة إلى السلوكيات الجديدة ينبغى أن تلعب دورها الفعال فى موقع العمل وذلك لأن مناقشة مشاكل الوظيفة الفعلية والحقيقية من خلال جماعة التدريب ، يؤدى إلى الأداء الأمثل لهذه الوظيفة ، وقصارى القول فإن المتدرب Trainee يجب أن يكون لديه فرص كثيرة لممارسة وظيفة المستقبل .

رابعا : مرحلة إحراز الأدلة على النتائج .

لاشك أن المتدرب الذى يعيش التجريب كسلوك عام فى موقف التدريب يمكنه أن يحرز قدرا من الأدلة على صحة النتائج التى وصل إليها بنفسه من تأثير وفاعلية ما قام به من عمل ، فلقد ثبت علميا أن التعلم بالعمل ليس كافيا ، إذ أنه من الضروري أن يدرك المتعلم أثر سلوكه الجديد على الآخرين وهذه العملية عملية التأثير على الآخرين تعرف باسم التقوية والإستزادة Feedback and Rain-forcement وقد إستعرنا هذا التعبير الفنى فى مجال الأوتوماتية Automation فنحن نعلم أن الترموستات يمد المدفأة بالقوة والإستزادة Feed-back and Rainforcement لكى يتم تشغيلها بطريقة مثلى لتدفئة المنزل . ومن ثم أضحى واضحا إمكانية إستخدام هذا اللفظ فى ميدان التدريب ، وعلى ذلك فلابد أن تتميز القوة والإستزادة بثلاث مميزات رئيسية هى :

١ - الوضوح .
٢ - الثقة والثبات .
٣ - تناغمها وإتساقها مع سلوك الفرد .

وعموما فقد ثبت أنه بالدقة الماهرة يمكن للمتعلم أن يبدأ فى تصحيح وتأكيد سلوكه بفاعلية ، وكل هذه الطرق مجتمعة تعتبر فى الواقع كمرآة عاكسة للسلوك نعنى سلوك التدريب بالإضافة إلى أنها تمنح المتدرب الكثير من المعلومات الصحيحة بشأن « ماهو الفعل الذى يؤدى إلى سلوك ما ؟ » .

خامسا : مرحلة التعميم والتطبيق والتكامل .

يحتاج المتعلم فى هذه المرحلة إلى إستزادة إيجابية من زملائه فى الجماعة

حيث أن التعلم قد أصبح شيئا واقعيا وليس مجرد حدث عابر أوبمعنى آخر فإن المتعلم أو المتدرب يحتاج إلى علاقة وطيدة بين خبرة التدريب ومهام الوظيفة مستقبلا .

سادسا : مرحلة مجابهة المشاكل الجديدة .

فى هذه المرحلة يمكننا أن ندرك أنماط جديدة من السلوك قد تؤدى بدورهاإلى إستحداث مشاكل جديدة لم تكن فى الحسبان فى ظل أنماط السلوك القديمة ونتيجة لذلك فإن المتدرب قد يعيد الكرة فى عملية التعلم لإحراز أفكار خلاقة بشأن تغيير أعمق وأبعد ، ويمكن القول أنه إذا تعلم المتعلم كيف ينمو ويتعلم ويأخذ إتجاها تجريبيا لمشكلات حياة الجماعة التي تقابله وتصادفه ، فإنه والحال هكذا سوف ينمو ويتعلم الكثير فى مجال الوظيفة التى ستوكل إليه بعد ذلك .

ولتوضيح ذلك نضرب المثل التالى : عند تعلم شخص ما قيادة السيارة فإنه يصادف فى بداية الأمر الكثير من الصعوبات بالنسبة لميكانيكا السيارة ، وكيفية قيادتها بمهارة ، وهنا قد نطلق على مثل هذه الحالة « مرحلةاللارضا والتبرم » لأن هذا الموقف يعتبر موقفا صعبا وجديدا بالنسبة للفرد .

يشرع المتعلم بعد ذلك فى محاولة عمل شئ ليعدل ويحور سلوكه وهذا معناه أنه قد بدأ يختار سلوكيات جديدة من جملة أفعال ومناشط سلوكية لديه بهدف مجابهة مشكلته وتقليل إستيائه وعدم رضاه « Dissatisfation ».حسنا ولكن المتعلم هنا فى هذا المجال مازال يجابه تعثرا وإمتعاضا فى خبراته وتجريبه السلوكي ولذا فعليه أن يمارس سلوكيات جديدة لتساعد على تحقيق نتائجه المرغوبه لهذا الموقف الواقعي .

والآن لقد أصبح المتعلم سائقا ماهرا -ولكن من وجهة نظره هو- يرى أحيانا أنه بحاجة لمعرفة النتائج معرفة عما إذا كان يسير فى الخط المستقيم الصحيح أم لا. إنه بحاجة لإحراز أدلة كافية على نتائجه وعموما يجب أن يعرف بأن هذا هو عمله وسلوكه لأن التعلم بالعلم ليس كافيا كما ذكرنا من قبل وبعد ذلك فإن المتعلم قد أصبح فى هذا الصدد كفء أو جدير فى قيادة السيارات ولذا فهو يستطيع أن يقود أنواعا كثيرة من السيارات وقد يؤدى التعلم لديه فى هذه الحالة إلى قيادة سيارات وعربات كثيرة متنوعة وهذا مايعرف باسم التعميم والتطبيق والتكامل فى القيادة .

وبمرور الزمن فإن المتعلم قد يصادف مواقف صعبة وذلك لأن أنماط جديدة من السلوك غالبا ما تحدوا به إلى مشاكل جديدة ونتيجة لذلك فإن المتعلم ما عليه إلا أن يتعلم قيادة قطار أو باخرة أو طائرة مثلا وهنا ينبغى أن يحل السلوك الجديد محل أنماط عملية التعلم القديمة ، وعلى ذلك فإن دورة التعلم وفقا للطرق المبتكرة الجديدة تستمر وتدوم فى مسارها وهكذا .

والشكل السابق يوضح أن دورة التعلم ينبغى أن تكرر بإستمرار لكى يكون التدريب بعد ذلك عملية مجدية ومؤثرة لأنها تتجه دائما نحو الأفضل والإتجاه الصحيح وهذا ما يجعلنا نقرر بأن عملية التعلم ترشيدية بحتة تقوم على أساس إستبعاد الحركات الطائشة والسلوك العشوائى والسير نحو السلوك الجيد والحركات الصحيحة .

جماعة التدريب كوعاء لعملية التعلم .

هناك سمات رئيسية لجماعة التدريب تجعل منها أرضا خصبة وبيئة صالحة لعملية التعلم ونلاحظ ذلك فى العوامل الآتية :

١ - روح الإسهام التعاونية .

إن جماعة التدريب ما هى إلا تجمع من الأفراد وكل فرد يعانى إلى حد ما من عدم الرضا عن سلوكه خلال سلوك الجماعة ولذا يحاول الكل أن يحرز ويحقق مساعدة أو يضيف جديدا فى تقدم هذا السلوك وهذا يؤدى إلى المجهود المشترك خلال جماعة التدريب .

٢ - أفكار إضافية جديدة .

يسير التدريب فى مساره السليم وفقا لنظام الجماعة حيث أن الأفراد ذوى الميول المتباينة والمتضاربة وكذلك القيم والإتجاهات يمكنهم أن يشاركوا بفاعلية كل حسب وجهة نظره وحسب طاقاته بغية تغيير السلوك نحو الأكمل والأفضل عن طريق أى فرد منهم ، وهنا نرى الكثير من الأفكار المختلفة والمتصلة بالوظيفة يمكن أن تظهر لحيز الواقع .

٣ - الموقف التجريبى .

إن فاعلية موقف الجماعة قد يرى بوضوح عندما يمد المتعلم ويزوده بما يسمى« بمعمل التعلم » القائم على النظرة التجريبية والعملية والذي يساعد الأفراد على ملاحظة أنفسهم بأنفسهم وعلاقة بعضهم بالبعض الآخر ، بالإضافة إلى ذلك فإن المتعلم خلال تفاعله بأعضاء الجماعة يمكنه أن يدرك أثر سلوكه على الآخرين كما يحرز - فى الوقت نفسه - حكم الجماعة الموضوعى على سلوكه وبهذا التفاعل بين المتعلم والجماعة يمكن القول أن دراسة المتعلم كفرد وسط الجماعة تعتبر ذات إهمية بالغة لإنه بدون الجماعة وعدم معايشة الفرد لها فإن ذلك كمن يريد إن يتعلم السباحة دون أن يمس جسمه الماء .

٤ - السرعة والفورية .

إن فاعلية موقف الجماعة يمكن أن نراه بوضوح فى سرعتها وفوريتها عند البت فى الأمور ، مثال ذلك فإن السلوكيات الجديدة قد تمارس بسهولة فى الزمان والمكان المناسبين لأفراد الجماعة ووفق حاجتها أى أنها تحدد تماما متى وأين تحتاج لممارسة سلوكيات جديدة.أى أن أشكال وأنواع عملية التعليم لا تؤجل لوقت آخر ولكن كل ذلك يمارس فى اللحظة والتو طبقا لرغبة وإرادة الجماعة ومتى وأين تريد .

٥ - النجاح الواقعى والأكيد .

لاشك أن موقف الجماعة ليساعد ويؤكد أن عملية التعلم تستمر خلال حدود حقيقية ، وهذا يعنى أن أعضاء الجماعة يتخذون قرراتهم بأنفسهم وليس بمساعدة المدرب أوالمدرس مثلا ، وعلى ذلك فليس من المحتمل أن يحاول أفراد الجماعة ممارسة سلوكيات صعبة ، وبالجملة فنحن نعتقد أن النجاح فى أداء الوظيفة مستقبلا أو أى عمل ما ، قد يعتمد كثيرا على الخبرات الصحيحة والسلوك الجديد خلال جماعات التدريب .

حقائق عن عملية التعلم والمعلم .

هناك خمسة حقائق فى هذا المجال جديرة بالمناقشة نجملها فى الآتى :

١ - طرق التعلم القديمة البالية .
٢ - أهميـة المعـلم المحنـك .
٣ - مهارات وخبرات المعلم .
٤ - مهـام وأعمـال المعـلم .
٥ - حوافـز مهنة التدريس .

أولا : طرق التعلم القديمة .

من الطرق القديمة لعملية التعلم والتى مازالت تتواتر وتتكرر حتى أيامنا هذه هى عدم تصنيف تلاميذ الفصل الواحد فنرى التلميذ النابغ الصغير يجلس بجوار التلميذ الخامل الكبير جنبا إلى جنب ليتلقى الجميع طريقة تلقين واحدة وتعليمات ومعلومات متجانسة دون إعتبار للفروق الفردية الأساسية بين ذلك القادم الجديد والرابض القديم . إن ذلك النظام له مساوئ كثيرة عندما نقوم بتقييمه من وجهة النظر البيولوچية ورغم ذلك مازال هذا النظام سائدا .

ثانيا : أهمية المعلم المحنك .

يتوقف نجاح عملية التعليم على حاجات التدريس ومساعدات التدريب الواضحة والواقع أن قيام الأنساق التربوية بشكلها الراهن والسائد لدليل على ضرورة إعداد وتهيئة المتعلم للإرشاد والتوجيه التربوى أثناء عملية التعلم وذلك لمواكبة ومعايشة ظروف العصر المتغيرة بإستمرار ، ولن يتأتى هذا إلا بالتركيز على أهميـة ومزايا الإنسان الخبير فى مثل هذا المجال وهو بالطبع ذلك المعلم الممارس المحنك والملائم لمهنة التدريس .

ثالثا : مهام وأعمال المعلم .

إن المعلم الكفء فى نظرنا هو ذاك الإنسان الذى يعرف تماما أى الأخطاء يمكن تلافيها وأن الأخطاء يمكن تصحيحها أثناء عملية التعلم كما يمكنه أن يقلل إلى أقصى حد ممكن من تلك الإستجابات الخاطئة والحركات الطائشة والعادات التى تعوق عملية التعلم ، لاشك أن التلميذ فى حاجة دائما إلى أن يعرف « كيف »

يلقن العلم وأيضا لماذا هو يتلقاه ... إن المسألة مسألة الكيفية وليست السببية فقط. أى بمعنى إن أسباب رد الفعل لابد أن تسير فى خط واحد مستقيم لابديل له ولماذا كانت أحدى الإجراءات متفوقة ومتقدمة عن الأخرى ؟ إن المدرس أو المعلم الخبير هو من يعرف تماما كيفية وأسباب آداء العمل أو الوظيفة ومن ثم فهو بحاجة لمعلومات وتعليمات توضيحية أساسية تساعده علي الفهم والأستيعاب والبصيرة ، وبذا يصبح تقدم ونجاح المتعلمين أسرع وأفضل حينما نركز إنتباههم علي المفاهيم والمظاهر الهامة لعملية التعلم والتقليل من الجهود الضائعة والروتين البغيض بهدف تيسير عملية التعلم وإنسيابها ،إن إحدى القدرات والإستعدادات الهامة للمعلم والتى يجب أن يتحلي بها هى عملية المفاضلة بين معلم ناجح ومعلم روتيني بحت أى بمعنى أن أهم القدرات لدى المعلم هي طاقته الفائقة علي جذب وإغراء وإستمالة التلاميذ للعمل والتحصيل بمستوى عال من لآداء.

خلاصة القول يجب أن يكون المعلم معلما ملهما خلال عمله بالتدريس وعليه أن يجعل المتعلم يشعر بحاجة شخصية إلى التعلم والتدريب يجب عليه أن يحافظ على ميوله وإهتماماته خشية الوهن أو الفتور ، يجب عليه أن يثير التلميذ الكسول وأن يؤججه حماسه لعملية التعلم ، إن هذه الأشياء والأمور ليست بالسهولة بمكان لتحقيقها أو السعى لتنفيذها ولكنها ضرورية وهامة جدا لإحراز أقصى دافع لدى التلاميذ وهذا أسرع معدل لعملية التعلم .

والواقع أن مثل هذه المنجزات ليست بالضرورة أن نتوقعها من كل معلم أعد نفسه لعملية التدريس ولكن ينبغى عليه أن يتحلى بقدر كاف من الصفات والسمات المرغوبة لكى يدخل فى عداد من يمتهنون مهنة التديس وأن يكون لديه الصفات والمؤهلات والمواصفات التى تجعل منه معلما قديرا .

رابعا : مهارات وخبرات المعلم.

فى هذا المجال قليل من مؤهلات المعلم الكفء يلزم ذكرها فهناك من السمات الرئيسية اللازمة والضرورية للمعلم سمتين أساسيتين هما :

١ - المقدرة على التعلم والرغبة الصادقة فى التعلم .

وتشمل المقدرة على التعلم العناصر التالية :

أ - القدرة على الفهم والأداء للمهام المطلوب تعلمها.

ب - القدرة على فهم وإكتشاف مشاكل التلاميذ والعمل على حلها .

جـ - القدرة على شرح وإيضاح طرائق التدريس بوضوح تام .

د - القدرة على تصحيح أخطاء التلاميذ بإرتياح وكرم وإخلاص .

٢ - أما عن صفة الرغبة الصادقة فى التعلم فتشمل الآتى :

أ - الإهتمام والمساهمة فى المساعدة على تقدم الآخرين .

ب - الميل نحو تلقين الآخرين .

جـ - الصبر فى حذف وإزالة أخطاء التلاميذ .

د - الشعور بالرضا من رؤية تلاميذه يتقدمون بنجاح فى عملهم .

هـ - الإهتمام بالناس ومساعدتهم .

وهاتان السمتان بعناصرهما تؤدى إلى أفراد منتجين أكفاء كفاءة عالية ويتميزون بقدرة على الأداء فى العمل والدافع القوى للتفوق.والواقع أن السمة الأولى ضرورية جدا للتدريس ، أما الثانية فهناك إحتمال أن تتعارض مع مهنة التدريس والحل فى نظرنا هو إنتقاء المدرسين من العاملين الأكفاء والمهتمين بالتدريس كمهنة .

خامسا : حوافز مهنة التدريس .

ونتساءل الآن ماهى الخطوات الضرورية التى يمكن إتخاذها لجعل مهنة التدريس جذابة لدفع المدرسين على أفضل أداء فى أعلى مستوى من الفاعلية والتأثير ؟

للإجابة على هذا السؤال نورد الإجابات والإحتياجات الآتية :

١ - يجب تعويض المدرس ومكافآته بأجور مجزية .

٢ - يجب أن يكون متحررا من أعباء الوظائف الإدارية التى تعتبر عبئا على التدريس .

٣ - يجب ألا يؤخذ فى الإعتبار أن الأجور الإضافية أو تحديد أوقات العمل حوافز فردية تقدم للمدرس الكفء ولكنها أمور ضرورية .

٤ - ينبغى أن نعرف أن أهمية العمل تزيد من مكانة المعلم .

٥ - المشـاركة فـى تخطيـط برامـج التـعلم ومعايشتـها .

وسـائل عمليـة التدريـس .

هناك بعض الإتجاهات والمداخل التى تساعد فى طريق التدريس وهى :

١ - المحاضرة .

وهي تلك الطريقة التقليدية التى تسهم فى إمدادنا ، بالمعلومات ويرى بعض الأفراد أن المحاضرة هى أصلح وأنسب وسائل التدريس لأنها جزء من برامج التدريب التى يمكن لأحد الأعضاء المخضرمين فى المؤسسات التربوية أن يقوم بهاإنها تلك الكلماتالمسموعة التى لابد أن تتسم بالوضوح والسهولة فى توصيل المعلومات المطلوبة.وهنا يجب علي المحاضر أن يتحلى ويتصف بالمقدرة الإدارية فضلا عن مقدرته اللغوية لأن في ذلك فوائد كثيرة بالنسبة للأداء الجيد ، وعلي المحاضر حينذاك أن يدرس متطلبات المحاضرة جيدا لكي يوضح الغموض والإبهام ليصل إلى عرض جيد لمحاضرته وفى هذا الصدد قال أرسطو عن الدراما « إنها تلك الوحدة التى لها بداية ووسط ونهاية » وهذا حقيقي تماما وينطبق على المحاضرة لأن البداية والنهاية تحتاج إلي إهتمام خاص إذا كان الأثر الجيد ينتج من هذه الحبكة المتناسقة بالإضافة إلى ذلك على المحاضر أن يتأكد من حدود وطاقات مستمعيه لكي يحدد حديثه فى المستوى الإدراكى والفكرى السليم لأن هناك حدودا لطاقة المستمع العادى ولابد أن يتخلل ذلك توجيه بعض الأسئلة وإستخدام بعض الوسائل السمعية والبصرية ويتوقف ذلك على فترة المحاضرة وما تستغرقه من وقت مطلوب .

٢ - الدرس .

تعتبر هذه الوسيلة ترجمة صادقة فهناك محاضر ومدرس يمدنا بالمعلومات على فترات ومراحل مع إستعماله بعض الوسائل السمعية البصرية الموجودة بالفصل الدراسي إستخداما حرا أوإيجابيا وحين يتذكر المرء فى الأيام السالفة أيام الدراسة فلسوف تطفو إلى ذهنه ضرورات ومتطلبات الدروس الجيدة فقد كان يقوم المدرس بإعداد درسه وتقسيمه إلى أجزاء ومراحل وفى كل مرحلة يتحدث عن معلومات

جديدة ويكتشف بالأسئلة بعض البيانات الهامة سواء كانت جماعة الفصل كبيرة أو صغيرة بالإضافة إلى ذلك فإن الأسئلة يجب أن تقوم على النقاط الأساسية للدرس مما يثبت الأفكار الرئيسية فى أذهان التلاميذ كما أن ملخصا وافيا للدرس قد يفيد فى مثل هذه الحالة وعلى المدرس أن يستخدم السبورة ليعرض درسه ويقدم بعض الوسائل السمعية ووسائل الإيضاح المناسبة كما أن على المدرس القدير ألا :

أ - يغفل عن تحضير درسه ظنا منه أن هذا الأمر سوف يتحقق بنفسه .

ب - ألا ينفق كل الوقت فى إملاء المذكرات أو أن يجعل كل أفراد الفصل يكتبون مذكرات مطولة من السبورة .

جـ - يقرأ المدرس من الكتاب على طريقة الصحيفة وهذا لايفيد التلاميذ إطلاقا .

٣ - جماعة المناقشة .

هى وسيلة تسهم فى إلقاء المعلومات عندما تكون الجماعة فى حالة مناقشة موضوع من الموضوعات وذلك وفقا لحدود وآفاق معلومات الجماعة وفى هذه الحالة لابد للجماعة أن تستقى معلوماتها من قائد المناقشة ، أن جماعة المناقشة ليست كما يظن البعض مفيدة فقط فى وقت الحرب أو بعده ، ولكنها مفيدة للغاية فى أوقات التصدى لحل مشكلة ما وليس الإستخدام الأمثل لها فى المحاورات السقراطية ، إن المناقشة المثمرة يجب أن تجرى بوضوح عندما يدرك قائد المناقشة في أي إتجاه يسير ليحرك فكر الجماعة ويشحذ هممها ويستميل آراءها ويبلور قرارها لأنه يترك لفكرها العنان حرا طليقا ليشجع كل فرد على المساهمة فى المناقشة والتفكير بحرية أكثر، وخلاصة القول أن نجاح طريقة المناقشة يتوقف على القائد وعلى ما يقوم به من إعداد لإدارة الجماعة ،من ثم تصبح المناقشة ممكنة ومرغوبة.هذا ويجدر بنا أن نخصص جزءا يسيرا للمناقشات الجماعية لإلقاء المزيد من الضوء عليها فى هذا المجال .

٤ - دراسة الحالة .

ومهمة هذه الوسيلة أن تعالج مشاكل المجموعة من خلال موقف عملي ينبغى وصفه وتحليله عن طريق وثائق مكتوبة أو كلمات مسموعة كما هو الحال فى دراسة

حالة مجتمع الرفاهية الصناعية ، وذلك بمساعدة الملصقات الفنية والأجهزة التسجيلية ، ويتناول هذا الموقف وصفا لمشكلة سواء كانت مشكلة إدارية أوفنية أو إنسانية ، وتنتهى عند نقطة يتخذ عندها قرار ، وقد يكون هناك قرار سابق .

إن مزايا دراسة الحالة تكمن فى أهميتها وطريقة تعبيرها عن مشاكل الجماعة حيث أن تلك الجماعة تستخلص منه تفاصيل الموقف « العنصر الكلى » الذى يساعد بدوره على تحديد الموقف بموضوعية أكثر وأفضل وكذلك المبادئ الضرورية التى يجب أن تتبعها الجماعة .

٥ - الجماعة النقابية .

هى أكثر عددا من جماعة المناقشة وهى جماعة ذات مهمة أو موضوع للدراسة تجتمع بهدف حل مشكلة عامة تهم كل أعضاء النقابة.وقد أصبح من مهامها أن تعمل على بحث المشكلة ووضع تقرير عنها.وعندما تستمر هذه الجماعة النقابية فى البقاء فإنها تمارس الكثير من حل المشكلات التى تصادفها والتى قد تصبح جديرة بالمناقشة والدراسة .

٦ - المناظرة .

هذه الوسيلة تعمل على سد الثغرات الموجودة فى موضوع من الموضوعات وقد تحدث المناظرة بين أربعة أشخاص أو خمسة يمثلون مختلف الجوانب أو الجهات فى مؤسسة ما ، كأن يحضر الرئيس وبعض الأعضاء الآخرين على أن تكون مهمة الأعضاء التعليق فى أى موضوع تريده المجموعة وتستخدم هذه الوسيلة مع الكبار والصغار والبنين والبنات فى المصنع أو المدرسة وهنا يمكن للجماعة أن تقوم بمجهود متواضع لحل مشاكل أفرادها وفقا لبعض المشاكل المعينة فى الشركة أو المصنع .

٧ - التعبير الذاتى .

وفحوى هذه الوسيلة أن تمنح أفراد الجماعة ثقة كبيرة فى عقد إجتماع تقوم به جماعة العمل وهذا يعنى الممارسة والتدريب طبقا لمتطلبات المناقشة المثمرة والتى تتضمن أحاديث أفراد الجماعة وتعليقها وكذلك بعض النصائح والمشورات البناءة

من قائد المناظرة .

٨ - تمثيل الدور .

هى وسيلة خلق موقف دون وصف ما يجرى فيه على شرط تحسين مجريات الأمور فى هذا الدور بالتمثيل ويحتاج ذلك إلى إعداد فى هذا المجال لإضافة الكثير من الفوائد الهامة المثمرة .

المناقشات الجماعية .

١ - مقدمة تمهيدية .

إن المناقشات الجماعية سواء كانت رسمية أو غير رسمية لتلعب دورا فعالا فى سلوك المجتمعات الديمقراطية حيث أن هذه المناقشات والمقابلات والمعلومات والأخبار تساعد كثيرا فى تحريك وحل المشكلات الكبيرة.ويذكر الأنجليز دائما أن نمو الخدمات الصناعية وزوال بعض المنتجات الصناعية البدائية كالفحم والقطن كل ذلك أوجد مشاكل شائعة تستلزم منا تطبيق طرقا جديدة للعمل إذا كانت الدولة متخلفة بين الأمم الصناعية .

إن قيم المجتمعات الصناعية تتغير بمرور الوقت وأن مستوي البطالة المرتفع لم نشعر به بعد ولسوف تكون هذه المشكلة من المشكلات المتفاقمة فى العالم أجمع حيث أن مشكلات الدول النامية تزداد وتتعقد يوما بعد يوم ، ومن سمات الدول المتقدمة التى تتمتع بالرفاهية هى زيادة المنافع التى أصبحت حقا من حقوق الأفراد فى عصرنا الحديث لأن هذه المنافع هى بمثابة الوسادة التى يتكئ عليها الناس أملا فى الراحة بعيدا عن حياة العمل العنيفة وكل هذه جعل وظيفة الإدارة مختلفة فى أسلوبها وأهدافها ومضمونها عما كانت عليه من قبل فى الماضى .

وفى أيامنا هذه نرى أن إتجاها جديدا فى الصناعة قد أخذ مكانه وهو يكمن فى تبسيط الوظيفة والتخصص الدقيق والآلية فى العمل ، وهذا المظهر الأخير يتطلب قدرا ضئيلا من مهارات العمل وإهتماماته وقصوره فى المشاركة فى إتخاذ القرارات .

وقد قام العلماء السلوكيون فى السنوات الحديثة بدراسات في الدوافع والصحة التنظيمية وديناميات الجماعة والفرد والمساهمة فى إلقاء الضوء على العوامل المؤدية إلي مقاومة التغيير عند العمال وهنا تلعب المناقشات الجماعية دورها فى تقبل العمال للتغيير والتركيز على قائد المناقشة ، ومدى مرونته وتدريبه على المهارات المطلوبة لكى يتمكن من إدارة المناقشة بنجاح وتغيير بعض إتجاهات الأفراد عن طريق الملصقات والأفلام والمجلات والدوريات والندوات النقاشية وكل ذلك يجب أن يتم على أسس من الثقة .

٢ - المرحلة السابقة على بداية المناقشات الجماعية .

إذا أردت أن تستخدم المناقشات الجماعية فى مؤسسة ما فهناك عدة إعتبارات يجب أن نضعها فى الحسبان وهى :

أ - يجب أن تبحث الإدارة عن المصلحة العامة للأفراد دون اللجوء إلى صراع بين المصالح الفردية والجماعية وبعيدا عن التشتت والنزاع .

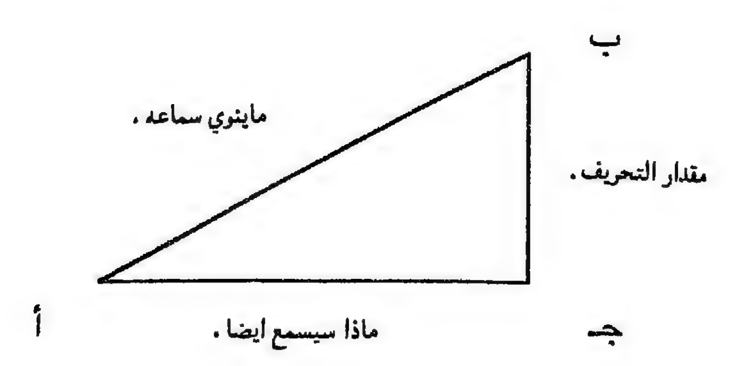
ب - يخشى الناس الدافع وراء تشكيل المناقشات الجماعية بسبب أهدافها البعيدة وما قد يحدث من مهاجمة بعض الأفراد للبعض الآخر .

جـ - المخاوف والقلق لدى بعض الأفراد مما يعانونه أحيانا فى مثل هذه المواقف الجديدة

د - بعض الناس لايثقون كثيرا فى جدوى المناقشات الجماعية بحجة عدم كفاءتها فى الوقت الذى أثبتت فيه مثل هذه المناقشات نجاحها وأهميتها فى حل المشاكل الوظيفية .

هـ - من هم الذين يستجيبون للمشاركة فى المناقشة ؟ وكم عددهم ؟ إن كثيرا من الناس على مستوى الإدارة والإشراف ليس لديهم الإستعداد الكافى لتقبل النصح والإرشاد وذلك لعدم إنصياعهم وتأثرهم بإرادة أى فرد .

و - كيف يشعر الناس بقيادة الشخص للمناقشة ؟



وهنا يمكن أن يحدث فهم خاطئ بسبب عدم الإنتباه بأن بعض الناس سوف يستمعون إلى مايريدون سماعه وليس إلى كل ما يقال كما هو موضح بالشكل ، وقد يمكن للتحريف أن يزيد طبقا لتعليم الفرد وتربيته والحالة الإجتماعية والعمر وطلاقة اللسان والعادات الإجتماعية ونبرة الصوت والمظهر العام والتصورات السابقة والخبرات الخاصة .

٣ - إختبار بعض الفروض .

عند إستخدامنا لأسلوب المناقشة الجماعية بهدف الحصول على تغيير مقبول لابد من مراعاة الآتى :

أ - يجب أن يكون الناس قادرين على التعرف على الحاجة إلى التغير .

ب - من سمات التغير أنه غير مستقر ويميل الناس دائما إلى مقاومة هذا التغير لكى يشعروا بأن لهم دورا فى تشكيله وبلورته .

جـ - هناك عادة الإلتزام بقصد التغيير وتأتى هذه العاددة ممن لديهم فرصة التأثير وإستمالة طبيعة هذا التغير .

د - إن أهمية البدء فى وضع الفرد المراد تغيير إتجاهه السيكولوجى ، لا يكون بالضرورة على شكل أين نحن الآن ؟ وما جدوى مانعمله ؟ هذا على إعتبار أن التغيير نادرا مايسير فى طريق واحد إذ قد تكون أنت نفسك فى حاجة إلى هذا التغيير .

هـ - هل تعتقد أن كل فرد منا يهتم تماما بالمؤسسة التربوية وأن لديه ما يقدمه لها بقصد التقدم والنجاح ؟

و - لقد وجد أن معظم المناقشات التى يجريها الناس قد تتأثر بالمصلحة الشخصية ويمكن أن نكسر من حدة هذه المصلحة بالنسبة لأهداف الجماعة وإحتياجاتها طالما أن الفرد جزء من الجماعة .

ز - إن الثقة هى العنصر الفريد والهام الذى يؤدى بنا إلى المضمون الشامل للمناقشة ، وقد تتزايد وتتراكم مشكلة عدم الثقة على مر السنين وتذهب بعد ذلك أدراج الرياح .

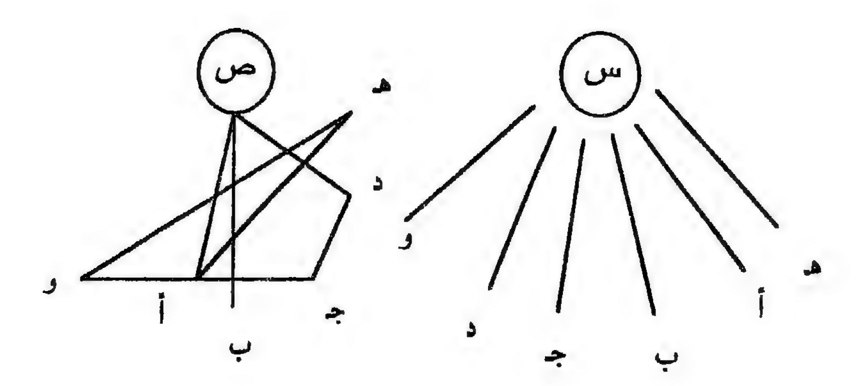
٤ - أسلوب إدارة المناقشة الجماعية .

ماذا ينبغى أن تكون عليه سمة الإجتماعات ؟ وما هو المكان المرغوب الذى يبدأ منه أو فيه التغيير ؟ وهل من سمات هذه الإجتماعات إنخفاض درجة تركيبها ؟ أن ذلك يتوقف على طريقة الفهم والإستيعاب فى إطار القواعد والإجراءات المتبعة فى الإجتماعات .

إن الضبط الذى يمارسه مدير المناقشة الجماعية ينبغى ألا يقوم على السلطة المتطرفة ، ولكن على المهارة فى إدارة هذه المناقشة .

أن المهارات هى الإستماع والإستدلال وكذلك المهارة فى إستخدام الأمثلة وتآزر جهود الحاضرين ويجب أن يكون قائد المناقشة الجماعية قليل الكلام ، وأن يحد من فرض إرادته بالقوة لكى يصل لهدف المناقشة الجماعية الرئيسي وهو الإستنتاج الإستدلالى .

ويوضح الرسم الآتى تدفق الإتصالات أثناء الإجتماعات كما يحدد أين يكون رئيس الجلسة .



وتمثل «س» هنا مجموعة المناقشات المضبوطة ويتوسطها رئيس الجلسة المستعد لإجتماع سريع على مستوى عال . أما «ص » فتدل على المناقشة المفككة كما أنه من الممكن ألا تكون المناقشة بطيئة ويمكننا القول أن ذلك يعتمد على مدى نضج الجماعة .

أن نوعى الإجتماع س ، ص يمكن أن يتفق على موعد ومكان إجراء الإجتماع وتحديد مكان كل منهما ويعرف هذا بإسم « المواجهة » ويشعر الناس بحرية وإسترخاء فى الإجتماع ولكننا نميل إلى الإجتماع س لأنه هو الشكل المرغوب والمتعارف عليه والمقبول لأفراد الجماعة لكى يروا بوضوح رئيس الجلسة ولكن أهمية الإجتماع س ترجع إلى إمكان إتخاذ رئيس الجلسة نقاشه مع فرد معين من الجماعة وربما يؤدى ذلك إلى إتجاه عدائى نحوه ، إن المناقشة الجماعية كما وصفناها تنقد النموذج ص أكثر من النموذج س .

٥ - تنظيم الإجتماع .

أ - يجب أن نوجه إهتمامنا بالإجتماع أينما كان وكذلك بقائد المناقشة الذى يتحتم عليه أن يكون محايدا في نظريته وآرائه .

ب - إذا أردنا أن نعطى فرصة المشاركة لأكبر عدد ممكن من الناس فلابد أن يكون حجم الإجتماع من ١٢ : ١٥ فردا وذلك هو السبيل الأمثل لحل مشكلة الجماعة ومعنى ذلك ألا يزيد حجم الجماعة عن ١١ فردا أو يتعداها قليلا .

جـ - يجب أن يكون زمن الإجتماع ساعتين علي الأكثر وذلك لكى يستطيع الأفراد الإستفادة من المناقشة والإلتزام بها .

د - إن الفقرتين ب ، جـ السابقتين تعتبران من قائمة إختبار الفروض المقترحة والضرورية فى الإعداد والتخطيط من الفرد الذى يجب أن يكون موجودا (إذا كان هناك بعض الأفراد المعوقين للمناقشة ولم يبدأوا الشكوى بسبب قصورهم أو عجزهم فى هذه المشاركة) كم عدد الفقرات التى نوقشت فى الوقت المتاح ؟ ماهو هدف الإجتماع ؟ هل هناك عقبات تؤثر على مجموعة المناقشة ؟ هل كانت هذه العقبات معروفة من قبل وإستبعدت ؟ .

٦ - أهداف الإجتماع .

يجب أن نوضح للناس كيف نقضي وقت المناقشة كما يلزمنا التدريب على إستخدام المساعدات التدريبية والوسائل السمعية والبصرية ويتحقق ذلك عن طريق إبتكار الإطار المرجعى الطبيعى والخاص بكل فرد فى الجماعة وهذا يساعدنا على خلق جو من التعاون أثناء المناقشة ، كما يقلل من إيجاد أى مقاومة تعوق سير المناقشة كما يمكن أن يشكل ذلك إقتراحا يصلح للمناقشة ، وإذا كانت هناك نتائج أخرى فلا بد أن نكشفها وإلا سوف نجد صعوبة فى طريقة التعامل خلال الإجتماع ويمكن للفرد أن يعرف هذه الأهداف ويجب أن ندرك أن السرعة فى المناقشة تؤدى إلى نتائج عقيمة ، وفى المرحلة الأولى لابد من تحقيق الإتجاه المرغوب لأن ذلك يعطى الجماعة فرصة أكبر فى المشاركة أثناء إنعقاد الإجتماع كما يجب أن يكون الفرد عاديا فى تصوراته وأفكاره أثناء المناقشة الجماعية حيث أن ذلك يؤدى إلى حلول ناجحة فى نهاية الإجتماع ، وعند بداية المناقشة ينبغى تحديد الهدف المرغوب ودفع الجماعة نحو الأمام كأن نسأل أنفسنا ... هل هذه العملية ضرورية ؟ وهل نحن نتقدم من ناحية الوقت ؟ ماهو أستعداد الأفراد المطلوب ؟

بهذه الأمثلة نكون قد تعرضنا لموضوع خمسة عناوين فرعية كما يمكن أن نقترح تخصيص ٢٠ دقيقة لكل موضوع تناقشه الجماعة أو الوقت الذى نراه مناسبا ، وينبغى أن نخطط الوقت اللازم خارج القاعة قاعدة المناقشه مع قائد الجماعة وأن نسجل القرار على السبورة أو وسيلة الايضاح ، كما أن كلمة « نحن » لا قيمة لها

إذا كانت بين إثنين فقط من المتحدثين مثل أنا وأنت على سبيل المثال .

٧ - المشاركة .

في المشاركة تواجهنا صعوبات كثيرة حيث أن الناس لايميلون إلى الحديث بسهولة لأسباب نجملها فيما يلى :

أ - عدم وجود التآلف بين الناس ومع هذا النوع من الإدارة .

ب - الخوف من اللوم أو الخطأ والنقد والإنتقام .

جـ - إختلاف درجة الحرية عند الناس عن تلك الدرجة التى يملكونها فعلا .

د - الخوف من الجهل بما يقال وعدم وجود موضوعات هامة للحديث فيها .

هـ - عدم القدرة علي التفكير السريع أو الكلام بطلاقة .

و - العيوب الطبيعية فى الفرد أثناء الكلام مثل التأتأة أو الخجل والصمم .

ز - عدم الرضا والإستياء من الجلوس كثيرا وحضور أفراد الجماعة .

وخلاصة القول أننا نتعامل مع جماعة مختلفة فى طباعها وأتجاهاتها ودوافعها كما أن أهم الأسئلة فى المناقشة هى التى تكمن فى كيف ولماذا ومتى وأين وماذا وليست ذات الإجابة « بلا » أو « نعم » وهناك مناقشة تعرف بأسلوب الفكرة الجديدة التى تبزغ في إحدى لحظات التجلى ونعنى بها أن أفكارنا تخرج عن طريق مناشط وأفعال ينفصل بعضها عن البعض الآخر وذاك بتقيم ونقد هذه الأفكار التي ترى النور وهنا يصبح التفكير كالآتى :

أذا لم يكن هناك ضبط فماذا تفعل ؟ إننا سنفكر في أحسن الطرق لإجراء هذه الممارسة وهذا التدريب ، هل يمكننا التغلب على أى من هذه العقبات ؟ وأيهما وكيف ومتى تصبح عقبات فى طريق هذه الأفكار ؟ كما أن بعض المناشط قد تحققت كما يجب وذلك بإستخدام وسائل الإيضاح من وسائل سمعية وبصرية والتى بواسطتها تصبح الجماعة قادرة على إظهار وضبط وظيفتها وتقدمها نحو إنجازها لأن الوسائل السمعية والبصرية هى المرشد الوحيد الذى يساعدنا على تفهم وحل المشكلة.ومن هنا يجب أن تحدد جماعة المناقشة نفسها ونوع الوسائل الإيضاحية المطلوبة فى حل مشكلتها بالإضافة ألى ذلك فلابد أن يأخذ كل فرد من أفراد

الجماعة دوره فى المشاركة مدفوعا بأهمية الهدف الذى تسعى إليه الجماعة ككل. كما يجب على كل فرد فى الجماعة أن يكتب أفكاره خشية أن ينساها ويطلب منه أن يقرأها على الجميع حتى يمكن كتابة جميع الأفكار .

٨ - التوضيح .

لقد وجدنا أنه من أحد الأسباب الهامة فى إحجام الناس على المشاركة فى المناقشة هى أنهم لا يمكنهم التعبير عما يجيش فى نفوسهم كما يجب أن يكون ، وقد يحدث ذلك بسبب القلق أو بسبب صعوبة التصور أو التفكير السليم .

٩ -الرقابة .

والمقصود بها هى التأكد من حفظ كل النقاط وأهداف الجدال والنقاش وتقييم كل الإجابات الممكنة وشحذ كل الهمم والجهود بقصد التوصل إلى الهدف الأساسى من المناقشة الجماعية ، على أنه من المناسب أن يستخدم قائد المناقشة أسلوب الإهتمام بأفراد الجماعةوجعلهم يشعرون بالأمان والضمان والتقدير الذاتى بأن الناس يفقدون الإهتمام طالما أنه لا يسمح لهم به فى مجال ما .

ويجب أن نذكر أن أى مظهر من مظاهر اللقاءات الجماعية يتضمن مشاعر الناس وإذا كانت هذه المشاعر غير متسمة بروح الإسماح فلسوف تكون مناقشتنا الجماعية مناقشة متبعثرة هنا وهناك.ومن ثم نبعد عن تحقيق الهدف المرغوب لأن نجاح المناقشة والعبرة منها أن تكون نابعة من نفسية الجماعة وأن يسودها النظام والتعبير الحر لكل فرد فى الجماعةوليس مجرد نقاش حاد بين فردين أو أكثر. والواقع أن مهمة قائد الجماعة ألا يدلى بنفسه فى المشاكل البسيطة وأن يعمل على مساعدة الجماعة فى أن تصبح فريق عمل له فاعليته وأهميته وهنا تحصل الجماعة على قرارها الحقيقي والسليم فى نهاية المناقشة .

١٠ - التلخيص .

أن هذا النشاط الفكرى النابع من المناقشة الجماعية لابد وأن يحدث على فترات متقطعة لأن الناس - كبشر - يودون أن يعرفوا أين هم ؟ وما هو المتفق عليه

وغير المتفق عليه ؟ وأين تكمن نقاط التباين ؟ وإلي أين تتجه ظلال الشك والريب؟

ونعنى بهذه النقطة الأخيرة أن الجماعة قد تكون مفككة وغير قادرة على التحكم في تفكيرهاأو أنها لاتستطيع الوصول إلى قرار نهائي حاسم ولايمكننا الإتفاق على رأى واحد لأن الشعور بإنجاز الهدف من الإجتماع هو شعور الرضا الذاتى وإشباع حاجات الأفراد النفسية والإجتماعية إلى حد كبير ، ويمكن تلخيص مجموعة الآراء والأفكار والقرارات فى نهاية الإجتماع على شكل رسوم بيانية أوخرائط توضيحية أو على سبورة مدرسية كل هذا يعمل على تحديد وتحسين وتوضيح الأفكار والقرارات بسهولة وإنسياب .

١١ - خطوات التنفيذ .

بعد ذلك نتخذ خطوات التنفيذ فهى هامة للغاية حيث أنها تؤثر على النهوض بالتوقعات والآمال بدون الوفاء بها وذلك لتهيئة الأذهان نحو العنصر الأول المبهم من عناصر وبنود مفكرة الإجتماعات المقبلة .

١٢ - الإستنتاج .

نستنتج من ذلك أن جماعات المناقشة بهذا الشكل لا يمكنها المداومة والإستمرار مالم تكن هناك موضوعات للمناقشة وإلا فإنهم يعملون على توليد قوتهم الدافعة لكيانهم ويشرعون فى تبرير وجودهم .

١٣ - نبذه عن طبيعة مهارات قيادة المناقشة .

أ - لقد إقترحنا أن حل مشكلة قيادة المناقشة الجماعية تعتبر من المهارات الضرورية للإدارة فى مجتمعنا الصناعي الحديث .

ب - كما إعتبرنا أن هناك عقبات يمكن أن تصادفنا فى قيادة المناقشة المؤثرة وأن بعض الإدعاءات الخاصة بطبيعة أفراد الجماعة ، سيكون لها تأثيرها هى الأخرى على طريقة وأسلوب وشخصية قائد جماعة المناقشة الفعال .

كما قدمنا وإستعرضنا بعض الإقتراحات العلمية لمساعدة قائد المناقشة .

إن الطريقة المثلى لكى تصبح قائدا مناسبا لقيادة المناقشة الجماعية ، هى أن تكون للجماعة بمثابة المرشد الهادي لهم وذا مهارات إجتماعية متمرس بها.كما يحتاج قائد المناقشة الجماعية إلى ذاكرة حادة قوية ليمكنه سماع ومناقشة أفكار الأفراد بسهولة ويسر ووضوح وأن يكون ذا مزاج معتدل قادرا على تشجيع الأفراد على الكلام ، والتحدث بصراحة وأمانة ، إن قيادة المناقشة الجماعية الفعالة والمؤثرة هى مهارة يمكن تنميتها بدرجة معقولة من الكفاءة .

مفاهيم حول الأداء والتعلم .

من الثابت علميا - كما ذكرنا سلفا - إن التعلم عملية تغيير وتحوير فى السلوك الإنسانى بغية تحقيق هدف وإشباع حاجة من الحاجات للفرد فى وسطه الذى يعيش فيه وفى هذه الحالة لابد أن ندرك أن عملية التعلم فى حد ذاتها ترتبط وتتشابك كلية بما يعرف بالأداء وهذا المفهوم الأخير ماهو إلا معيار محدد نستخدمه فى تحديد أبعاد النتائج النهائية التى تمخضت عنها عملية التعلم والتدريب « Training » أو بمعنى آخر إذا كان التعلم عملية تحوير فى السلوك فإن الأداء هو مقياس لنتائج هذه العملية الجديدة فى موقف من المواقف ، وهنا نلمح الفرق الشاسع بين الأداء والتعلم وشتان ما بين الإثنين «عملية ومقياس » على أنه يمكننا أن نقول فى هذا المجال أن عملية التعلم كعملية سلوكية ، من شأنها أن تعمل على حدوث تغييرات واضحة فى الأداء ويحدو بنا هذا الآداء المتغير مباشرة ، نحو تطوير إستجابة جديدة وتنميتها طبقا لمنبه من المنبهات الجديدة وقد يكون هذا التغيير فى الأداء على شكل إشارة أو مدلول معنوى وذلك فى حالة تعلمنا مثلا لغة من اللغات ، كما أن هناك عوامل أخرى تتضافر مع بعضها البعض لتحدث وتؤثر فى الأداء منها علي سبيل المثال لا الحصر التعب والملل والسأم والتسيان كل هذا يعمل علي خفض الأداء إنخفاضا ملموسا بارزا وعوامل أخري مثل الدوافع والمواقف السارة والعلاقات الإنسانية الطيبة بين المعلم والمتعلم وكذلك النمو الفسيلوجي السليم كل هذا يؤثر في الأداء .

وخلاصة القول أن عملية التعلم صعبة فى ضبطها والتحكم فيها ، بمعنى أنه

يستوي في ذلك إذا إستعملنا الأداء كمؤثر فعال فى عملية التغيير في التعلم أو أن نجعله كمقياس لهذا التغيير الحادث .

ولهذا فإن عملية التعلم تستمر مع الإنسان مدى الحياة ومن المهد إلى اللحد .

ولما كان المجتمع متغيرا بإستمرار ومعقدا كأشد ما يكون التعقيد ، كان لزاما على الفرد والحال هكذا أن يتصرف ويشبع حاجاته بطريقة تلائمه.فإذا كان لديه الميل لعملية تعلم شيئا ما فإنه يشرع في كيفية تعلم هذا الشئ ، وسوف يتعلم كيف يخوض سلوكه ويعد له حينما يجابه موقفا جديدا إذا ما فشلت أنماطه السلوكية القديمة التى أصبحت غير ذات بال بعد أن عفا عليها الدهر ، وهنا ندرك أن التعلم فى هذه الحالة يهدف إلى هدفين رئيسين :

أولهما : إكتساب أنماط سلوكية جديدة يبيحها المجتمع الذى يعيش فيه المتعلم .

ثانيهما : إكتساب أسلوب لتغيير السلوك :

ويحقق لنا الهدف الأول عملية توحيد السلوك وتوضيحه ، أما الهدف الثانى فهو يزودنا - عن طريق عملية التعلم - بالقدرة على تغيير السلوك وكذلك التكيف «Adaptation » مع المواقف الجديدة .

التعلم المدرسى .

يمكننا القول بأنه لا يمكن أن يوجد تعلم بدون متعلمين أو طلاب علم أو واجبات مدرسية Tasks ولكن هناك تعلم بدون معلمين والدليل على ذلك أننا نتعلم كيف نحب ونكره ، وكيف نخاف ونتجنب مصدر الألم ، وكل هذا تعلم شخصى وإنفعالى.أنه تعلم غير رسمي إكتسبناه من الأخ والصديق والأسرة وزمرة الزملاء ورفاق الصبا ، وهنا يجب أن نؤكد أنه مهما كانت دوافع المتعلم عقلية - وهذا أمر هام جدا - إلا أننا سنغدو فى حاجة ماسة إلى التمرين والتدريب والممارسة ومعرفة النتائج وكذلك إلى فهم وإستيعاب التعليمات التى يمكننا أن نطبقها على العلاقات ، والآن سوف نعرض لأهم المبادئ الخاصة بالتعلم المدرسى فى أكثر النظريات شيوعا وذيوعا فى عملية التعلم فنقول :

أولا : مبادى نظرية البيئة والإستجابة .

١ - يجب أن يكون المتعلم (التلميذ) والمتدرب إيجابيين إلى أقصى حد أثناء الإستماع أو الإنصات والإهتمام بالدروس لأن هذه النظرية تنادى بشعارالتعلم بالعمل .

٢ - ينبغى أن ندرك أن التكرار المستمر هام جدا فى تحصيل المهارة وإكتسابها وكذلك فى عملية تثبيت التعلم ويبدو هذا المبدأ بوضوح وجلاء فى تعلم الموسيقى والسباحة وتعلم اللغة الأجنبية والكتابة على الآلة الكاتبة وكل هذه المهارات لاتتم إلا بالمران والممارسة والتكرار .

٣ - أن عامل المران والتكرار له دلالته وأهميته حيث أن المران والتكرار يكون وفقا لعامل الثواب والعقاب للإستجابات الصحيحة والخاطئة ، ومن ثم وجد أن إستخدام التقوية والتشجيع الإيجابى بالثواب «جائزة مثلا » أحسن وأكفأ كثيرا من ذلك التشجيع السلبى بالعقاب (اللوم أو الضرب مثلا) .

٤ - لابد من إستخدام التمييز والتعميم والتكامل وأخذ ذلك كله فى الإعتبار أثناء الممارسة والمران العملى والتطبيقى .

٥ - لابد من معرفة أن موضوع الدوافع هام جدا فى عملية التعلم وذلك برغم أن كل الدوافع الشخصية الإجتماعية لاتسير طبقا لما يفسره بعض الباحثين فى مجال عملية التعلم ، فقد يبدو لنا القلق - أحيانا - أنه يقوم بدور الحافز .

ثانيا : مبادئ النظرية الإدراكية .

١ - لابد من عرض المشكلة أمام التلميذ بكل وضوح وجلاء ، وذلك لأن مظاهر المشكلةالتى نراها وندركها بوضوح تام من ناحية إدراك معالمها وأبعادها وإتجاهاتها تمثل أهم الملامح والجوانب .

٢ - علينا بالإتجاه من البسيط إلى المعقد ومن الجزئيات الغامضة إلى الكليات الواضحة ، وكذلك من الكليات البسيطة إلى الكليات المعقدة .

٣ - يجب معرفة أن عملية التعلم بالفهم أكثر ثباتا كما أن قابليته للنقل أكبر من الحفظ وكل هذا أكثر ثباتا ورسوخا من التعلم بالأشكال .

٤ - نحن نعتبر أن تحديد هدف المتعلم هو دافع هام لعملية التعلم حيث أن

مدى نجاحه وفشله هو الذي يحدد أهدافه المستقبلية .

ثالثا : مبادئ نظرية الشخصية .

تقوم مبادئ هذه النظرية أساسا على الفروق الفردية وتتعامل مع المبادئ التالية :

١ - كل متعلم لديه قدرة مختلفة تماما عن زميله ومن ثم يجب أن نفرق بين التلميذ البطئ والسريع .

٢ - تتوقف قدرات التلاميذ وتعتمد إعتمادا كبيرا على عملية النمو السيكولوجى والإجتماعى ومن هنا لابد أن نلم إلماما تاما بمطالب النمو .

٣ - لما كانت الشخصية محصلة إجتماعية لذا لابد أن نأخذ فى الإعتبار أثر الثقافة حيث أنها ذات علاقة وطيدة « بكيف How » و « ماذا What » يتعلم التلميذ .

٤ - مستوى القلق يمكن أن يلعب دوره الفعال فى الشكر والتوبيخ ، مثال ذلك إنه عند أداء بعض الواجبات الدراسية يقوم التلاميذ القلقون للغاية بعملهم بمهارة وإتقان مالم نذكرهم بمدى جودة أو رداءة عملهم بينما التلاميذ ذوى القلق البسيط يتحسن آداؤهم إذا أثنينا عليهم وعلى تقدمهم .

٥ - دور الدوافع عند المتعلم ومالها من علاقة قوية فى هذا الصدد بمعنى أن الأهداف البعيدة لها أثرها الواضح على المناشط القصيرة المدى.فمثلا الطلبة الجامعيون ذوى القدرات المتكافئة قد يقومون بمهامهم بنجاح ملحوظ وتقدم ملموس إذا كان منهج عملهم ذا علاقة كبيرة بتخصصاتهم بعكس ماهو بعيد عن ذلك التخصص .

٦ - الجو الجماعى للتعلم Collective Atmosphere وما يكتنفه من منافسة وديكتاتورية أو ديموقراطية ، كل هذا يؤثر على سد حاجات عملية التعلم ومحصلاته .

أثر النضج في عملية التعلم .

إننا نعنى بكلمة « النضج Maturation » تلك العملية التى تنصب أصلا

على التطور والنمو الجسمي عند الشخص والتى تحدث ابانهما تغيرات ضرورية فسيولوجية وعضلية تجعل بدورها عملية التعلم مستطاعة وممكنة وقد تسمى الطفل المندفع Impulsive الرعديد ، والذى تهزه نوبات الزعر والهلع باسم الطفل العقيم إنفعاليا.بينما نطلق على الطفل الأنانى والذى يعانى من عقدة الترجسية ويميل إلى الشراسة وعدم التعاون «الطفل العقيم إجتماعيا » ويشمل النضج مستويات معينة فى الآداء فى المجالات الدينية والجنسية والإنفعالية والإجتماعية،ويجدر بنا هنا أن نلقى ضوءا على خصائص النضج لدى الفرد الكبير الراشد فنسوق المقارنة الآتية :

فى سن الثانية يقل معدل التطور السريع الذى كان سائدا أثناء مرحلة ما قبل الميلاد ومابعدها إلى معدل ثابت نسبيا يمكننا قياسه بنسبة ٥ ٪ سنويا للطول ، ١٠سنويا للوزن وبين سن ٦ : ١٠ نرى أن المهارات الجسمية تزداد بشكل ملحوظ

وفى الفترة من ١٠ : ١٣ يحدث تطور فجائي يسبق تطور البلوغ السريع فى جانب النضج الجنسي وفى هذه المرحلة تسبق الفتيات بحوالى عامين تقريبا لكى يصلن إلى النضج البدنى فالزيادة لديهن فى الطول أكبر من تلك الزيادة عند الأولاد .

خلاصةالقول أن كل أجهزة الجسم تأخذ فى النمو المطرد فحجم الرأس وشكله وتركيبه وكذلك الهيكل العظمى وحجم القلب وإفرازات الغدد تأخذ كلها في تغييرات محسوسة ملحوظة ، ولا يقتصر ذلك على التغييرات الجسمية فحسب ، بل تتعدى إلى التغييرات العقلية ومن مظاهرها :

١ - القدرة على حل المشكلات إلى حد ما .
٢ - القدرة على التعميم والتجريد .
٣ - القدرة على الإستنتاج .
٤ - زيادة عدد المفردات اللفظية زيادة كبيرة .

مقارنة بين الفرد الناضج وغير الناضج .

الفرد الناضج .	الفرد غير الناضج .
١ - يتحمل المسئولية .	قلق دائما ولايتحمل المسئولية .
٢ - يعرف هدفه جيدا ، طموح .	لايعرف هدفه مشتت الفكر «خامل » .
٣ - ذو تفاعل متبادل بينه وبين الآخرين .	عدواني يهاب الجنس الآخر .
٤ - تتميز علاقاته الشخصية بالإحترام .	تتميز علاقاته الشخصية بالصراع والتوتر والخضوع .
٥ - يشبع حاجاته البدنية بطريقة معتدلة .	الإنكار الذاتى وإنغماس فى الحاجات البدنية .
٦ - لديه القدرة على الإهتمام بالآخرين .	التركيز على الذات يجعله يعاني من المازوخية والسادية .
٧ - يواجه الإحباط بحل وسط .	يواجه الإحباط بالهروب والتعويض والإستبدال .
٨ - يوازن فى حياته بين اللهو والعمل .	يركز نشاطه دائما إما فى اللهو أو العمل .
٩ - خال من مشاعر الذنب والعداء .	يشعر بالذنب دائما .
١٠ - يبذل جهودا مضنية وبناءة فى سبيل الصالح العام .	لايبذل جهدا فى هذا المجال ويميل للتطرف .

أساليب عمليـــة التعــلم .

تشير الدراسات الحديثة فى ميدان التربية أن ثلث الأطفال لايكملون دراستهم بالمدارس الثانوية بسبب عدم تقديم الخبرات التعليمية المناسبة لهم ولذا فمن الضرر السيكولوجي والإجتماعى أن نجبر الأطفال الصغار على الذهاب إلى المدرسة دون إختيارهم وميولهم ، هذا بالطبع من الحماقة ، ولذا فهم يخفقون إخفاقا شديدا،ويجب أن نؤكد أن سبب هذا الإخفاق ليس نتيجة للمناهج العقيمة فحسب بل إن إتجاهات الطبقة الإجتماعية والظروف والأحوال الإقتصادية تساهمان إلي حد كبير فى سبب ترك الأولاد مدارسهم وعدم الإنتظام فيها .

توزيـــع التـــدريب .

إذا حددنا مفهوم التعلم فى الماضى قديما بأنه العملية التى يبدأ بها السلوك ويتغير بالتدريب ، فإن التدريب هنا هو : عدد المحاولات المستخدمة سواء فى إكتساب بعض المعلومات أو حفظها ، مثال ذلك إنك تقوم بالتدريب على مهارة ما بهدف إجادتها وبعد الإجادة التامة لها عليك بالإستمرار فى التدريب بقصد الإحتفاظ بها .

الواقع أن علم النفس يفرق بين مرحلتي الإكتساب والحفظ فيستخدم التدريب فى كل ما يرتبط بالزمن أو عدد المحاولات التى إستغرقت فى عملية الإكتساب ويستخدم «تثبيت التعلم» فيما يرتبط بعملية الحفظ .

صحيح أن الفرد إذا وصل إلى درجة معينة من المهارة فإن كل محاولة ثانية قد لا تؤدى إلى رفع مستوى المهارة فحسب بل أنها تحدو به نحو الإحتفاظ بما حققه وأنجزه هذا الفرد بالفعل ، ولذا فإن مرحلة التدريب هي المرحلة الحاكمة لأى مستوى معين من البراعة ، كما أن التدريب المجزء كعملية تربوية يمكن توزيعه أو تجميده أعنى بذلك يمكن توزيعه على الوقت كله أو التركيز فى مدة زمنية مستمرة ومحدودة ، ولقد أثبتت الدراسات المعاصرة فى التدريب أن مدة التدريب التى تقدر بثلاثين دقيقة تكون ذات فاعلية أكثر عن مدة مقدارها ١٥ أو ٤٥ أو ٦٠ دقيقة

من التدريب على عمل آخر بديل .

وخلاصة القول فى هذا إن فترة التدريب يجب أن تكون قصيرة عندما تقدم أعمال أو مهام حركية جديدة للمرة الأولي ولاسيما فى المدرسة الإبتدائية حيث تكون الفروق فى المحل الأول ، وكذلك تكون مدة الإنتباه ملحوظة وكلما إزدادت صعوبة المهارة ، وجب أن تزيد عن توزيع التدريب .

ويجب أن ندرك أن الكثير من المهارات الحركية تحتوي علي مهارات عقلية أو إجتماعية معقدة مثال ذلك عند الكتابة على الآلة الكاتبة ، فإن هذا المجال يتطلب هجاء الحروف مهارة لغوية للغة المراد كتابتها وسرعة الأصابع وكذلك المهارة اليدوية .

وفى بعض الحالات قد يصبح التدريب المركز مطلوبا بمعني أننا يجب أن ننتقل من التدريب المبسط إلى التدريب المركز وذلك إذا أردنا الوصول إلى آداء مهارة ممتازة ، ولدينا المثال الواقعى لذلك وهو مزاولة الطلبة على الحفظ قرب الإمتحانات والمفروض أن يتم ذلك بعد مزاولة نوع من التدريب المناسب والملائم على نوع المهارة المطلوبة ولكن فى الواقع ومع الأسف لاتحدث مثل هذه الشروط ومن ثم يظهر لنا التعلم العقيم والحفظ المشوش الضعيف فى طريقة الإجابة الهامشية فى الإمتحانات-ولذا فالتدريب المركز يهمنا فى هذه المرحلة ، أما عن عملية التدريب فهي مطلوبة ومرغوبة عندما يكون :

١ - مقدار العمل المطلوب كبيرا .

٢ - مهام العمل عديمة المعني .

٣ - العمل معقد .

٤ - إحتمال الإستجابة الخاطئة كبير .

٥ - الدوافع ضعيفة لكن المجهود الإنسانى المطلوب كبير .

ويمكن القول فى هذا المجال بأن تركيز التدريب هو الآخر يصبح مرغوبا في مثل الحالات الآتية :

١ - عندما تكون المهام والأعمال كثيرة .

٢ - عندما يكون التعلم بالإستبصار .

٣ - عندما يتطلب الأمر النقل أو التحول من عملية تعلم سابقة .

٤ - عندما يكـون لدينا مهـارة قديمـة تتسـم بالدقـة والكفاءة .

٥ - عندما يطـلب منا آداء ممتاز لعلم أو مهارة معروفين جيدا .

٦ - عندمـا تحتـاج منا إنتـاجيـة العـمل فـتـرة طويلة من المران والممارسة «التسخين» .

إدارة وتوجيــه عمليــة التعلــم .

متى يتدخل المعلم ليصحح أخطاء التلاميذ؟للإجابة على السؤال نقول من الصعب تجنب الأخطاء أثناء عملية التعلم لذا فإن التدريب علي التعليمات وشعور التلميذ بأن الأخطاء فى حد ذاتها عمل غير مقبول وغير مسموح به كل هذا له أثره السئ مما يجعل التلميذ غير متحمس بالمرة لمحاولة التعلم خشية الوقوع فى الخطأ ومن ثم وجب تدخل المعلم .

الخطوات الضرورية لتوجيه مناشط عملية التعلم .

هناك بعض الخطوات الهامة فى هذا الصدد وهى :

١ - تحليـل المهـارة .

٢ - تفسيـر المهـارة جزئيـا أو كليا .

٣ - توجيــه الإستـجابات الأوليــة .

٤ - تقديم وعرض التمرينات الملائمة .

٥ - معرفة النتائج .

٦ - تقييم التلميذ لأدائه .

تحليــــل المهـــارة .

والهدف من هذه الخطوة هو تفسير وفهم المعلم للعمل الذى يمكنه أن يعمله أو يقوم به بأبسط طريقة ممكنة ، مثال ذلك عند تعلم السباحة وهى سلسلة من المركبات فيبدأ المدرب أولا بتقسيم عملية السباحة إلى وحدات أو مراحل ويضع لكل مرحلة تمرينا ليبدأ بشرح تنفيذ كل تمرين وهكذا .

توجيـــه الإستجـــابة الأوليـــة .

إن مـعظم المهـارات فى الأعم الأغلب ، تتكون من جـزئين حـركى وإدراكى فالسباحة والجرى والإنزلاق على الجليد ، هذه مهارات معظم مركباتها حركية وأقلها إدراكيـة ، وهنا ينهج التعلم طريق الإقتراب التـدريجى نحو الإستجابة السليـمة. وهناك حقيقة لاشك فيها وهى أن تعلم المهارة الحركية بالذات يحتاج من الشخص ضبطا إراديا فى الحركات وهذا الضبط تقوم به مباشرة منطقة الجهاز العصبى المركزى ، أما القراءة والكلام والخطابة فمعظم مركباتها إدراكية وأقلها حركية .

معرفـــة النتائـــج .

لقد وجد أن معرفة النتائج لأى أستجابه لها أثرها الطيب والفعال فى تحسين الآداء ، كـمـا أن الإرتداد الآلى للنتـائج جزء متـأصل فى مـعظم حالات التـعلم الإدراكى والحركى ، والواقع أن سرعة التحسن فى أى مهارة تزداد بمعرفة النتائج ، وكما ثبت في بعض الدراسات التجريبية عند مقارنة بعض التلاميذ الذين علموا «أخبروا» بالإستجابات الصحيحة بطريقة منتظمة ، وجد أن معدل تعلم المجموعة الثانية أكبر من معدل المجموعة :
الأولي لأن معرفة ماذا يجب أن نعمل أفضل بكثير من معرفة ماذا يجب ألا نفعل أو نعمل؟ .

تقييـــم التلميـــذ لآدائـــه .

إن طريقـة تحديد الدرس وإعطاء التلميـذ الفرصة لدراسته وإستظهاره ثم إمتحانه فيه آخر العام لاتزال واسعة الإنتشار وقد تكون هناك عقبات فى إثبات فاعلية هذا الأسلوب كوسيلة تعليمية للأسباب الآتية :

١ - عدم وجود إستعداد قبل ذلك من جانب الباحثين والدارسين .

٢ - عـــدم وجـــود إستـــعداد لمواجـــهة الفـــروق الفـــردية .

٣ - إنفصال العمل بعضه عن بعض .

٣ - عدم وجود الدوافع .

٤ - عدم وجود التوجيهات المناسبة والسديدة لكيفية التقدم .

على أن تقييم التلميذ لأدائه بطريقة التسميع مثلا تشجع وتعزز عملية التعلم إذا توافرت فيها :

١ - تزايد المعرفة بالنتائج .

٢ - السماح بزيادة إسهام التدريب في المواقف الخاصة بالتدريب .

٣ - التذكر بالطريقة التي تستخدم بها المادة بطريقة متميزة .

٤ - إعتبار التسميع كحافز بتقديم البرهان والدليل علي تقدم النمو .

ويمكن القول بأن تقييم التلميذ نفسه بنفسه يمكن إن يقوم علي تجميع التلاميذ فى مجموعات مناسبة ومحدودة وإعطائهم فحوصا دورية تسمح لهم بالعمل جنبا إلى جنب والتعلم والتسميع والمراجعة ، ويمكن لكل تلميذ إن يفحص وأن يطلع على تقدم زميله ثم نقارن نتائج الإختبارات والفحوص لدى التلاميذ للإتفاق على الطريقة الصائبة أو غيرها

مجمل القول أن هذا الأسلوب فى التقييم يخلق لدى التلاميذ حوافز للعمل المثمر ، والحوافز بدورها توجه طاقات الأفراد نحو أهداف معينة ، ويجب أن نفرق بين الحافز والدافع فالحافز ماهو إلا موضوع أو جزء من أجزاء البيئة الخارجية أو موقف من المواقف التى لها القدرة على إشباع واقع ما ، أما الدافع فهو موجود داخل الفرد وهو جزء من البيئة الداخلية للفرد وجه نشاطه وطاقته نحو هدف محدد معين .

الوصايا العشر لأساليب التدريس .

١ - يجب تقوية الإستعداد الطبيعى لعملية التعلم .

وذلك بأن يدرك التلميذ تماما بأن لديه هدفا يريد تحقيقه من عملية التعلم ومن ثم يزداد إهتمامه به .

٢ - يجب تحديد العمل والمشكلة .

ومعنى ذلك لابد من توضيح الموقف التعليمي لتجنب الأخطاء التى تسهم

فى معرفة النتائج والتى تعوق عملية التعلم ذاتها .

٣ - يجب توزيع التدريب وإعطاء فترات راحة .

إن التدريب الموزع مع فترات الراحة يسهل التعلم كما أن عرض وتقسيم الشرح العملى والتوجيهات اللفظية هى الأخرى تساعد فى هذه العملية التربوية الهامة والبدء بفترات تدريبية قصيرة تطول تدريجيا مع نمو المهارة شئ مرغوب فيه ولاشك أن المراحل الأولى لفترات التدريب هي أهم المراحل نظرا لأن الكفاية تتناقص بتزايد التعب والسأم .

٤ - يجب التدريب على العمل ككل إذا كان بسيطا وجزئيا إذا كان معقدا .

وجد بالبحث والتجارب أن الأطفال يميلون للتعلم الجزئي.أما الراشدون فيفضلون الطريقة الكلية إذا كانت لديهم خبرة سابقة بالعمل الموكل إليهم لأن طريقة الجزء لاتحتاج إلى براعة كبيرة .

٥ - يجب التأكد من دقة الإستجابات .

لابد من تجنب الأخطاء بقدر الإمكان وفحصها عند ظهورها لأول مرة وكذلك العمل على تداعى الخواطر والمعانى لأن ذلك ييسر التنظيم الجزئي لعملية التعلم ويشتمل على نقل الخبرات السابقة .

٦ - يجب معرفة النتائج فوريا .

وهذا يتساوي تماما مع نظام الثواب في تعزيز عملية التعلم « المكافأة » . فالواقع أن للمعلومات الدقيقة المرتبطة بالتقدم أهمية كبرى لتسهيل عملية التعلم والعكس صحيح عند تأخر معرفة النتائج .

٧ - يجب تثبيت التعلم عند الوصول إلى الكفاءة .

إن تثبيت التعلم فى أي درجة يؤدى إلى زيادة الحفظ وإلى تعزيز وإستزادة التحول الإيجابى .

٨ - يجب إستخدام نظم الثواب والعقاب .

لابد من مكافأة كل من يجيد التعلم فورا ، وتكون المكافأة أكثر أثرا وأفضل عملا عندما تكون جزءا جوهريا من النشاط كما أن الحوافز الصناعية « الحوافز » لها فائدتها فى إستمرار المجهود حتى ينشأ الإحساس بالتحصيل والبراعة .

٩ - يجب تطبيق المهارة أو التعلم .

يجب أن ندفع الأطفال إلى إستخدام ما يتعلمونه كى ننمي لديهم الحفظ ويحدث تحولا إيجابيا للتدريب .

١٠ - يجب مساعدة التلميذ على تقييم أدائه .

ونعنى بذلك أن التقييم الواقعى والتحليل النقدى ، يرتبطان إرتباطا كبيرا بنتائج التعلم هذا ولابأس - فى هذا الصدد - أن نتناول بالشرح والإيضاح بعضا من « نظريات التعلم » .

مدخل فى نظريات التعلم .

لعل هذه النظريات نتيجة لرغبة الإنسان الجادة لتنظيم عالمه بطريقة ميسرة مفيدة. إن نظريات التعلم ماهى إلا تفسير منسق لعملية التعلم أو بمعنى آخر إنها محاولة لشرح « كيف » و « لماذا نتعلم ؟ » وما هدف واضعى هذه النظريات إلا وصف عام للفترة التى تتم فيها عملية التعلم وتنظيم القوانين والمبادئ المتعلقة بالمتغيرات الخاصة لمواقف التعلم .

هذا ومن النظريات التى كانت سائدة - ومازالت - نظريات « ترابط المثير بالإستجابة » ، وشرع أصحاب هذا الإتجاه يختبرون إستجابات الفرد المتعلم نحو تغييرات البيئة الخارجية ، إنهم يرون عملية التعلم على أنها عملية تغيير فى العلاقة بين إستجابة المتعلم والمثير الذى ينشطه أو يدعمه ، وبعد ذلك كانت « السلوكية والتشريط » قد شقت طريقها نحو تطبيق الإتجاهات الترابطية .

على أن هناك من النظريات مايعرف بإسم « النظريات العقلية المعرفية »

التي تركز على الأحداث الداخلية للمتعلم والوسط الذى يعيش فيه .

وترى هذه النظريات أن لكل متعلم تنظيما معرفيا فى مختلف المعلومات يقوم على الخبرة الماضية ، وهنا تتضمن عملية التعلم إعادة تنظيم داخلى للمعلومات التى تقسم المادة الجديدة أو الخبرات مع المادة التى سبق تعلمها من قبل ، وتعرف هذه العملية بأنها تغيير فى معلومات المتعلم أو بمعنى آخر « التركيب العقلى المعرفى » للمتعلم .

إن فائدة كل من المثير والإستجابة فى النظريات المعرفية تكمن فى تفسير الظروف التى تؤدى إلى التنبؤ والضبط فى عملية التعلم ، ويعنى هذا بالنسبة للمعلم إنجاز الأهداف التربوية .

والواقع أنه ليس هناك نظرية حقيقية أو صادقة تماما ، بيد أن مضمون النظرية التي تلخص وتفسر وتنبئ وتسمح بالضبط فى عملية التعلم ، تعتبر نظرية صادقة والدليل على ذلك أن نظريات التعلم تنبثق من المعمل « مختبر علم لنفس ». إن كثيرا من المتغيرات الهامة فى عملية التعلم المدرسى لم تؤخذ فى الإعتبار حتى الآن ، ومن ثم يمكن القول أن تطبيق هذه النظريات في حجرة الدراسة يعتبر من المجازفات التى تؤدى للوقوع فى الخطأ ، هذا ويجب على المعلم أن يعرف شيئا من النظريات بهدف إدراك - المصدر المهنى » الذى يستمد منه ممارسة عمله .

النظريات الترابطية للمثير والإستجابة .

يعتبر الترابط من أقدم المفاهيم فى علم النفس ، وترجع جذوره إلى الفيلسوف الإغريقى « أرسطو » الذى عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وقد كان الترابط شائعا عند فلاسفة علم النفس البريطانيين فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، وعلى كل حال فإن هذه الترابطات المبكرة لم تركز على المثيرات والإستجابات بل كانت تبحث فى كيفية ترابط الأفكار فى العقل ويرجع ذلك إلى أن وجهات نظرهم « علماء النفس البريطانيين »كانت غير علمية بالنسبة للترابطيين المحدثين لقد كانوا يتساءلون لماذا يؤدى تفكير ما إلى تفكير آخر؟ ولماذا نميل إلى ربط السكين بالقطع والماء بالسحاب أو المطر والبيض بعيد الفصح مثلا ؟ .

ومع أن واضعى نظرية المثير والإستجابة لم يضيفوا جديدا إلى نظرياتهم فإن الترابطيين الأوائل قد إقترحوا كثيرا من المبادئ التى أدخلت فيما بعد فى نظرية المثير والإستجابة .

وقد إستحسنوا فكرة « التجاور والإقتران » حيث يروا أن الأفكار أو الأحداث التى تحدث عن طريق الخبرات تصبح مترابطة لذلك فإن الفكرة الواحدة توحى بفكرة ثانية ، كما أن الحدوث الفردى أو المفاجئ لايمكن أن يقيم ترابطا دائما أو مستمرا ففى مجال التعلم مثلا ... يخطط الفرد للحصول على أفكار مترابطة لكي تحدث مقامرة أخرى حيث أن الإعادة أو التكرار تعرف على أنها عامل هام فى التعلم .

ولقد كان للعالم الألماني «هيرمان بينجهاوس» ١٩١٣ قصب السبق فى إضافته الأساس التجريبى للنظرية الترابطية عندما جمع كما هائلا من الدلائل فى ذلك الوقت مما جعله يتعلم كيف يعيد تعلم سلسلة من المقاطع عديمة المعنى مثل : زوب - فيم جنكس وغير ذلك ، كما قدم لنا منحنيات الحفظ ليوضح كيف أن كمية التعلم المثبت تتناقض مع مرور الوقت .

هذا وقد قام « أبينجهاوس » ببحث العوامل المؤثرة فى التعلم والحفظ ذات الترابطات اللفظية ، وعندما يدرس علماء النفس الترابطيين المثيرات البيئية المؤثرة فى السلوك الملاحظ يمكن إعتبارهم سلوكيين .

وينادى علماء النفس الترابطيين من أمثال « واطسون » بأن عالم النفس يجب أن يعتبر نفسه فقط مع السلوك الذى يمكن ملاحظته مباشرة كمدخل لدراسة التفكير ، مثال ذلك حالة الحركات الصوتية لأعضاء الكلام أثناء التحدث .

لقد تجنب علماء النفس الترابطيين المحدثين هذه السلوكية المتطرفة واعترفوا بوجود تدخل فى المتغيرات داخل الفرد المتعلم يؤثر فى العلاقة بين المثيرات والإستجابات الملاحظة ... مجمل القول أنهم يعتقدون بأن الباحثين عليهم أن يعكفوا على دراسة السلوك الذى يمكن مشاهدته وقياسه بأى طريقة .

التشريط الكلاسيكى .

إذا هب الهواء غمز جفن العين وإذا كانت هناك نغمة موسيقية فى كل مرة

يهب فيها الهواء مداعبا جفن العين فإن النغمة وحدها تسبب الغمز ، وهذا هو أبسط نوع من أنواع الترابطية بين المثير والإستجابة لقد تركزت عملية « التشريط » فى ربط الإستجابة «الغمز » وتحويلها من مثير « هبوب الهواء » إلى آخر النغمة الموسيقية وبذا حدث ترابط جديد بين الغمز والنغمة دون إلغاء الترابط السابق الا هو الغمز وهبوب الهواء .

بافلوف وواطسون .

كان كل من عالم النفس الروسى » إيفان ب . بافلوف ١٩٣٦ - ١٩٤٩وعالم النفس الأمريكى واطسون ١٨٧٨ - ١٩٥٨ رائدا من الرواد الأوائل فى دراسته الترابطية « المثير والإستجابة » وفى إحدى دراساته إستخدم بافلوف إشارة بسيطة مثل همس أو دوى أو نقطة ضوء قبل إعطاء الطعام لكلب جائع وبعد حدوث هذه الإشارات كان يحدث صوتا قبل تقديم الطعام فيسيل لعاب الكلب عند سماع الصوت فقط كما كانت الإستجابة التى أدت إلى « إسالة اللعاب » قد إستثيرت بالإشارة المحايدة السابقة .

كما أن هناك دليلا لدى « واطسون » يتمثل فى الطفل « ألبرت » عام واحد الذى كان يخاف من الفأر الأبيض الذى جذبه فى أول الأمر وبعد أن جعل «واطسون» الطفل يخاف عندما يرن قضيبا من المعدن مقرونا بمشاهدة الفأر عدة مرات أصبح منظر الفأر وحده يثير إستجابة الخوف لدى الطفل « ألبرت » .

إن ذلك يفسر كيف تتكون إستجاباتنا العاطفية وتصبح عادة لدينا ومن هنا ينظر إلى التشريط الكلاسيكى على أنه وسيلة لتنظيم عملية التجاور Contig-uity أو الحدوث المفاجئ لشئ ما .

التشريط العاطفى عند « موربر » .

أعاد « موربر » دراسة دلائل « التشريط الكلاسيكى » وتوصل إلى أن الإستجابات العاطفية هى المشروطة ، كما أضاف بأن العواطف دائما واحدة وهى نوعان :

١ - الخوف أو الشعور بالضيق .

٢ - الأمل أو الشعور بالتحسن .

فعندما سال لعاب كلب بافلوف ، فعل ذلك لأنه يتوقع ويأمل فى تقديم الطعام حيث كان اللعاب مصاحبا للشعور ، كما أن « ألبرت » طفل واطسون كان لديه « تشريط » الشعور بالخوف عند رؤية الفأر ، وإستجاباته العرضية كانت نتيجة لهذا الخوف ويميز «مورير » بين العواطف التشريطية والإستجابات المصاحبة لها حين يرى أن الأمل والخوف قد يحكمان الإستجابات التى أشار إليها «باجيلسكى Bugelski » عام ١٩٦٤ مثال ذلك عند ممارسة غلام لعب كرة السلة فأنه يكتسب شيئا جديدا حيث يحرك أرجله ويمد أذرعه ويراقب الكرة ... وهكذا ، ونطلق على المثير الناتج عن هذه الحركات «الإحساس الحركى » الذى يتدفق عبر الجهاز العصبى ، وتوجد هذه الحركات لتوظف كمثير شرطى فى الوقت الذى ترى الكرة تخترق السلة أو تحيد عنها « مثير غير شرطى » ، وكل هذا يجعل الغلام يشعر بأنه « جيد أو سيئ » فإذا أصاب هدفه دلت مثيرات من مجموعة الحركات العضلية السابقة والمرتبطة بشعوره بأنه « جيد » وفى المرة الثانية يقذف الغلام الكرة فى نفس الطريق الذى بعثت فيه الحركة مثيرات داخلية فقد بدأت فى الظهور وهنا يشعر الغلام مرة ثانية بأنه جيد ويستمر فى توافق عضلاته لتصبح أكثر تماثلا وتطابقا مع سيرتها الأولى وصولا إلى حالات ناجحة.وكلما كان التماثل كبيرا شعر الغلام بأنه أحسن وأفضل ، ومن ناحية أخرى إذا كانت المثيرات الجديدة لعضلاته ليست متماثلة لتلك الحركات الناجحة من قبل ، فلسوف يشعر بأنه « سيئ » وهذا هو « الكف» Inhibition وهنا يعمل الغلام على تعديل أو تغيير حركاته لكى يشعر بحالات الجودة والتحسن مرة أخرى حتي تصبح الحركات متماثلة لتلك التى نجحت من قبل .

وفى إحدى تفسيرات « مورير الشيقة عن « التشريط الإنفعالى » يرى أن الشعور بالمحاسن والشعور بالمساوئ قد يصبحان مترابطين بالأشخاص أو الموضوعات أو المهام المدرسية «مثيرات شرطية » وذلك كنتيجة لعميلة الإقتران بالمدرسين المحبوبين أو المكروهين « مثيرات غير شرطية» وبعد ذلك يسترجع الطالب مثلا فى مثل هذه الحالة ويبدأ فى البحث عن الموضوع أو الأعمال التى تجعله يشعر بأنه « جيد » كما ينسى أو يتجنب تلك التى تجعله يشعر بأنه سيئ أو خائف .

إن وظيفة المعلم فى هذا الشأن هى أن يجعل تلاميذه يشعرون بطلاوة مادته وجودة طريقته فى الشرح والإيضاح.هذا وقد يحكم على نجاح المعلم بما يرغب تلاميذه فى عمله أو القيام به فيما بعد .

التشريط الأدائي « مبدأ التعزيز » .

فى الوقت الذى كان يفحص فيه بافلوف « التشريط الكلاسيكي » قام ثورنديك بعمل سلسلة من التجارب (١٨٩٨) التى تركت بصمات باهتة على المثير المحدد ، كما ركزت أكثر وأكثر عل إنتقاء الإستجابات وتعزيزها بنتائج مرضية وقد كان ذلك بمثابة الإرهاصات الأولى لتقليد نظرى آخر فى مجال سيكولوجية المثير والإستجابة والذى أصبح معروف بإسم التشريط الأدائى الإجرائي أو « Instrumental or Operant Conditioning » وهكذا .

ترابطية ثورنديك .

كانت أبحاث « ثورنديك » على الحيوانات والبشر (١٨٩٨ - ١٩٣٢) مرتبطة بالأهمية الأساسية لعملية التعزيز فى التعلم ففى إحدى تجاربه وضع قطة صغيرة جائعة فى صندوق مغلق بخارجه طعام ، وأخذت القطة تحاول بشدة الخروج من الصندوق حتى تمكنت من فتح الترباس صدفة مما أعطاها فرصة للخلاص . وإذا وضعنا القطة فى الصندوق مرة أخرى فإن إستجابة شد الترباس المؤدية إلى الطعام سوف تحدث أسرع ، إن إستجابات أخرى مثل شد الترباس وعض وخربشة الصندوق ستصبح أقل إستمرارا أو ثباتا وفى محاولات متكررة فى هذا الموقف فإن الإستجابات الناجحة تحدث بسرعة أكبر بينما غير الناجحة تصبح نادرة وقد أطلق ثورنديك على عملية إتصالات المثير بالإستجابة التى قويت بنتائج مرضية إسم « قانون الأثر » وقد عرف هذا المبدأ الأساسي فيما بعد بإسم « التعزيز » .

هذا ويشير قانون الأثر لثورنديك إلى أن « المضايقات » تضعف الإتصالات. كما أن «المرضيات » تزيد من قوتها وبعد مدة إستحدث ثورنديك مبدأين جديدين يهتمان ويؤكدان على المرضيات ويقللان من شأن ودور « المضايقات » ، إن إدراك ثورنديك لدور التعزيز فى إختيار الإستجابة كان من أهم وأعظم إسهاماته فقد ركز

على خطوتين هامتين هما :

١ - تحديد الإستجابة الخاصة التى ستعزز فيما بعد .
٢ - الحفاظ على المتعلم نشيطا ومنتبها حتى تحدث هذه الإستجابة .

السلوكية الوصفية عند سكنر .

يعتبر سكنر من أهم المؤثرين بين واضعى نظرية التعزيز النشيط والحالى ومع أنه يتحدث بإستمرار ضد النظريات الحديثة المتضمنة إتجاهات المثير والإستجابة التى تستثمر المتغيرات الداخلية إلا أنه سلوكى صريح وهو يعترف بكونه واضعًا نظرية هدفها تفسير الدلائل الملحوظة أو الحقائق المتشابهة فى ضوء التحليل العلمى (١٩٦٩) .

ويشير سكنر إلى الإستجابات المستثارة على أنها سلوك « إستجابى » حيث ميز بين نوعين من السلوك أحدهما : السلوك الإستجابى لمثير ما والثانى : السلوك المؤثر الذى يأتيه الفرد فى غياب مؤثر واضح .

ولقد كان « سكنر » مثله كمثل « ثورنديك » يهتم بالتحكم فى الإستجابات التى يطلقها المتعلم ولما كانت وظيفة السلوك المطلق تبدوإجرائية فى البيئة فقد أطلق «سكنر» على تلك الإستجابات « الإستجابات الإجرائية » كما أثار بأن السلوك المؤثر بالمثيرات السابقة عليه هو السلوك الذى يتأثر بالمثيرات التابعة له كما أثار بأن عملية زيادة قوة التعلم عن طريق التعزيز على أنها «تشريط إجرائى » وهناك برهان تجريبى للتشريط الإجرائى نورده فى **المثال الآتى** :

وضعت قطة فى صندوق صغير يحتوى على رافعة تسمح بمرور وعاء به طعام. وكان الصندوق من تصميم « سكنر » بهدف تبسيط صندوق « ثورنديك » ودربت القطة فى البداية على الذهاب إلى الوعاء طلبا للطعام وتم بحدوث فرقعة يليها تقديم الطعام فورا وفى الحال تذهب القطة للوعاء فى كل مرة تسمع فيها الفرقعة .

وفى المرحلة الثانية للتدريب كانت « الفرقعة » و « الطعام » يقدمان عندما تدفع القطة الرافعة وقبل مضى وقت طويل فإن القطة كانت تدفع « الرافعة » بإنتظام حين تجد نفسها فى الصندوق .

تمييـزالمثيـر .

والآن لنفـترض وجـود نوعين مميـزين من المثيـرات ضـوء سـاطع وضـوء خـافت يتحولان بالتبادل فى الصندوق وتدعم القطة لعمود يضغط فقط عندما يكون النور الساطع موجودا وهنا يصبح الضوء الساطع علامة للعمود الضاغط أو بمعنى آخر إنه يميز فرصة التعزيز « التدعيم » وفى الجانب الآخر فإن الضوء الخافت يعتبر بمثابة علامة لا تؤدى إلى إستجابة بينما يختفى العمود الضاغط تدريجيا فى وجوده ويشار إلى هذه الحالة على أنها « كف » أو « إطفاء » هذا مايعرف بإسم « تمييز المثير » .

إن شرطيـة « سكنر » تحـاول أن تحدثنا عن كل أنواع السلوك وبالإصطلاح البسيـط للمثير والإستجابة فإن الإستجابات تختـار المثيرات على أنها وظيفة «توافقات التعزيز وفى مثالنا هذا فإن الضوء الساطع هو المثير الذى يشير إلى الطعام المناسب لإستجابة ضغط العمود لأن مثير الطعام يتوقف على وجوده ولايحدث مثير حينما ينتهى الضوء الساطع هذا وتشير « التوافقات » إلى الظروف التى يعتمد عليها التعزيز مثل :

١ - نوعيـة الإستجابة .

٢ - توقيـت حدوثـها .

٣ - نمط التعزيز المتاح .

تمييزالإستجابة .

يركز المثال السابق للقطة الضاغطة على العمود على تمييزالمثير وكان نجاح «سكنر» فى إختيار المثير أروع نجاح ولقد أطلق على ذلك « تمييز الإستجابة » برغم أنها - إلى حد ما - مماثلة لتمييز المثيرات إن الضغوط القوية من القطة على العمود هى التى أثيبت وكوفئت ولذا كان التعزيز المناسب هو المقابل لضغط القطة القوى على العمود .

نظم التعزيز .

عندما يشكل نموذجا للإستجابة تعزيزا مستمرا لكل إستجابة صحيحة فإن

ذلك يعتبر مرغوبا فيه ومن ثم فإن بعض أنواع التعزيز المنفصل « المتقطع » قد تعطى نتائج أفضل.إن النظام المنفصل يجعل التعزيز متفقا فى عدد من الإستجابات المرغوب فيها وهذا ما نسميه « بالنظام النسبى » مثال ذلك يقدم مجرب طعاما « لقطة » بعد كل ثالث ضغط على العمود أو يعلق أحد المدرسين بطريقة لطيفة فى كل مرة يعطى فيه طفلا متأخرا دراسيا عددا من الإجابات الصحيحة فى الفصل. كما أن هناك نظام آخر ينادى بالتعزيز بعد مضى فترة من الوقت وذلك بصرف النظر عن عدد الإستجابات المرغوب فيها التى تحدث فى هذه الفترة وهذا هو التعزيز المؤقت وقد تحدد الفترة كل ١٠ دقائق فى كل يوم أو قد تتغير ومن وجهة نظر « المتعلم » فهو فى نموذج وقتى محدد للتعزيز إذا كان بإمكانه التنبوء بوقت حدوث التعزيز.وإذا حدث التعزيز عدة مرات فى كل يوم أو أسبوع فى نظام لايمكن التنبؤ به فإن ذلك يعد تعزيزا متغيرا وليس محددا، هذا وقد تتباين النظم المحددة أو المتغيرة فى تنبؤها بالتعزيز وبذا تختلف النظم النسبية فى المعيار الذى يقوم عليه التعزيز.لقد وجد أن التعزيز المتغير لفترة ما أفضل من التعزيز النسبى للإستجابة ومقاومة الإنطفاء.ويميل كل من التعزيز النسبي للإستجابة ومقاومة الإنطفاء ويميل كل من الحيوان والتلميذ فى فترة التعزيز المثبت نحو الإنتظار حتى تنقضى فترة إنعدام التعزيز قبل الإستجابة.فالتلاميذ الذين يتوقعون لغزا أسبوعيا للتفكير فيه وحله على سبيل المثال وهذا نظام وقتى مثبت ... يعكفون على دراسة الألغاز السابقة فإن التلاميذ يشجعون على أن يستجيبوا بإستمرار ليحصلوا على التعزيز عند حضوره ولذا فإن المعلمين الذين يستخدمون الألغاز والأحاجى يضعون تلاميذهم فى نظام تعزيزى وقتى متغير ، وإذا توقف المعلمون الذين يستخدمون الألغاز المنظمة وغير المنظمة عن إعطاء أو تقديم الغاز بالمرة فقد يستمر التلاميذ الذين منحوا الألغاز الدائمة فى تهيئة أنفسهم لتقبل ألغاز أخرى حيث لايمكنهم التأكد من أن ألغازهم السابقة كانت مستديمة .

أنواع المعززات.

مثال آخر لدى علماء النفس المهتمين بسيكولوجية المثير والإستجابة ، حيث يميز «سكنر» هنا بين « المعززات الإيجابية » التى تجلب لنا السرور و « المعززات

« السلبية » التى تجنبنا الألم فالتعزيز الإيجابى هو الذى يزيد السلوك عند إتباع المرح والطعام والنقود والألقاب والثناء والإنتباه وبعض الإمتيازات الخاصة وعلى وجه العموم فإن العقاب أو الظروف الصعبة أو غير السارة تعتبر « تعزيزات سلبية » لأن تجنبها يزيد من السلوك السابق على إزالتها فمثلا لو أن معلما وبخ تلميذا وإعتذر التلميذ بعد ذلك وتوقف التوبيخ وحيث أن نهاية التوبيخ تميل إلي زيادة السلوك الإعتذارى فإن ذلك يعتبر تعزيزا سلبيا ، وعلى أية حال فإن التوبيخ وغيره من أنواع العقاب ليست بذات فاعلية كما هو الحال فى مجال التعزيز الإيجابى وفى نسق العقاب من أجل العمل فإن الإستجابة التى تنهى ذلك يجب أن تصبح مرغوبة إذا كان العقاب أو التهديد بالعقاب يؤدى إلى الدراسة وعموما فقد يؤدى العقاب إلى الهروب من المدرسة أو أحلام اليقظة أو أشكال أخرى من الأحجام. ومن الجدير بالذكر أن التعزيزات السلبية القوية يمكن أن تعزز السلوك الإحجامى للفرد الذى لا ينطفئ أبدا حيث أن كل إحجام ناجح يقوى الإستجابة فى وجود أو عدم وجود التعزيز السلبى .

تطبيقات سكنر فى الحياة الواقعية .

لقد أولى « سكنر » وحواريوه « تلاميذه » إهتماما كبيرا بتطبيق معلوماته عن التعليم فى المجال التطبيقى ، وكان له دور فعال فى تطوير التعلم الذى نراه فى كتابه القيم « تشكيل السلوك الإنسانى » سكنر ١٩٥٤ فضلا عن تطبيق مبادئه على مشكلة « مرضي النفوس » بهدف إستجاباتهم للمثيرات الإجتماعية « سكنر ١٩٥٧ » .

ولقد كتب بصورة خيالية عن المجتمع المثالى كما أقترح إستخدام مناهجه لعملية التعلم فى صياغة وتشكيل المجتمع فى كتاب جدلى بعنوان « مابعد الحرية والكرامة » «سكنر ١٩٧١ » .

هذا ويعتبر « سكنر مدافعا قويا عن « تكنولوچيا التعليم » ١٩٦٨ والذى يؤكد فيه على أن التعليم المبرمج والعرض المنهجى ماهما إلا محصلة العمل.وسواء إستخدمنا الكتب المبرمجة أو التدريس التقليدى أو نظام حجرة الدراسة السائدة فإن خطتنا ينبغى أن تؤدى بالتلاميذ نحو السلوكيات النهائية المرغوبة وذلك عن طريق

النتائج الدقيقة للخطوات الوسيطة فالمدرس شأنه فى هذا شأن أى مجرب يجب أن تكون لديه السلوكيات النهائية المرغوبة والخطوات الوسيطية واضحة ، إن الإستجابة الواقعية من جانب المتعلم عند كل خطوة ضرورية ولازمة لأن الإستجابات يجب أن تحدث قبل أن يتم تشكيلها بالتدعيم « التعزيز » .

النظريـــات المعرفيـــة .

يتميز أصحاب هذه النظريات بميزات تختلف عن زملائهم نحو رؤيتهم لعملية التعلم أنهم ينظرون إلى هذه العملية « التعلم » على أنها :

١ - تغيير فى المعلومات وليس تغييرا فى الإستجابة .

٢ - عمليات عقلية إستنتاجية حرة هدفها الفهم أو الإستبصار .

٣ - أداء ناجح وثيق الصلة بفهم وإدراك العلاقات الحالية أكثر ما هو عليه فى الخبرات السابقة .

ومع أن النظرية المعرفية للمثير والإستجابة تعوزها الدقة إلا أن ذلك ليس هو التقسيم الوحيد ، إن نظريات« كورت ليفين » و « تولمان » توصف أحيانا « بالغرضية » من وجهة نظر عملية التعلم أو السلوك الذى يهتم بالدوافع أو أغراض المتعلم .

هذا وتعرف الآراء الجشطلتية ونظريات « كورت ليفين » و « تولمان » بالمجال الإدراكى أو « النظريات الفينومنولجية الظاهرية » وذلك بسبب تركيز الإنتباه على طريقة تفاعل الأفراد وتنظيمهم مع مثيرات البيئة .

سيكولوجية الجشطالت .

كانت السمة الغالبة على علم النفس بالولايات المتحدة الأمريكية فى أواخر الثلاثينات هى سمة « سلوكية المثير والإستجابة » وفى هذه الآونة تفجرت آراء مجموعة من علماء النفس الألمان على هذه الساحة وكما وصفها أحدهم « هيلجارد ١٩٦٤ » كانت أشبه شئ « بنسمة الهواء المنعش » .

ويعتقد كل من « ماكس فرتيمر » وزملاؤه كورت وكوفكا وكهلر أن

العمليات الداخلية للإنسان تعتبر الدراسة الحقيقية والسليمة لعلماء النفس ، كما شرعوا فى السخرية من المحاولات التى تنادى بتفسير الفكر أو السلوك تفسيرا ماديا يعتمد على «التركيب الذرى » للإرتباطات .

وكان هؤلاء الألمان المهاجرون إلى أمريكا يعتقدون بأننا نتفاعل مع إدراكنا للأنماط فعندما تجابهنا مشكلة نتعلم ليس بترابط المثيرات بالإستجابات ولكن برؤيتنا « لأنماط جديدة » فى المواقف ، إن كلمة « الجشطالت » تعنى بالألمانية نمط أو شكل أو صيغة ... ومن ثم كانت هذه النظرة الجديدة قد عرفت بإسم سيكولوچية الجشطالت .

الإستبــصار .

لقد أدخل الجشطلتيون مفهوم «الإستبصار» ووصفوا ذلك بالحصول على نقطة إلتقاط الفكرة أو المسلك وبالإستبصار ، يمسك المعلم بالعلاقات الأساسية فى الموقف فهو يعرف ما الذى يؤدى بموضوع ما إلى موضوع آخر وكيف يصل الفرد هنا إلى هدفه .

إن الإستبصار غالبا ما يظهر على أنه يحدث فجأة مع شعور بالإكتشاف أو الفهم وإستخدم « كوهلر ١٩٥٢ » الإستبصار فى حل مشكلة القرود كما وصف «فريتيمر ١٩٥٩» حدوثه فى حل مشكلة الأطفال ولقد طبق « كوهلر » الكثير من أبحاثه في جزر الكنارى أثناء الحرب العالمية الأولى .

وفى إحدى تجاربه وضعت موزه خارج قفص الشمبايزى الجائع ومع قطعتان من العصى داخل القفص وكانت كلتاهما قصيرة لاتصل إلى الطعام الذى يمكن الوصول إليه إذا إتصلت العصاتان ببعض لتصبح كعصا واحدة ولم تبد المحاولة والخطأ فى أن تمد الحيوان بحل ، ولكن الحل يأتى فجأة مثل « الفكرة اللامعة » ، ويشير « كوهلر » بأن ذلك سلوك ذكى قائم على إدراك ماهو مطلوب لحل المشكلة وأن ذلك ما نصفه « بالإستبصار » .

وفى إحدى المشكلات « لفريتمر » إستخدم فى دراسة الإستبصار والفهم أطفالا طلب منهم أن يجدوا شكلا معينا وإذا فهمَ الأطفال كيفية الحصول على

شكل قائم الزوايا بتقسيمه إلى مربعات ، ويحسب عدد المربعات فى صف ويحدد عدد الصفوف ويفكر فى مشكلته الجديدة فلسوف يؤخذ بحقيقة أن المنطقة المحددة تبدو على أنها شكل قائم الزوايا إذا « أعيد تركيبها » بملء أحد الأطراف مع جزء من النهاية الأخرى وعندما يدرك الأطفال ذلك فإنهم يكتشفون أن متوازى الأضلاع ذا القاعدة والإرتفاع هو نفس الشئ بالنسبة للشكل القائم الزوايا .

ويرى « هيلجارد » أن فكرة الإستبصار فكرة أساسية حيث يسير التعلم فيها على أفضل وجه حينما تكون عناصر المشكلة واضحة والحال محتملا كما يرى أن ذلك مكافئ للتعلم مع الفهم ويشير إلى أن هذا التأكيد الجشطلتى قد تبناه معظم علماء النفس مع بعض التغيير حيث يتضمن ذلك معظم العلماء الذين أخذوا بوجهات نظر المثير والإستجابة ، ولقد إكتشف الجشطلتيون عددا من العوامل التى تؤثر على كيفية إدراك الموقف وهل يمكن التوصل إلى إستبصار أم لا ؟ .

إننا نحاول دائما أن نضفى تركيبا من عندنا سواء كان هذا التركيب أو البناء بسيطا أو منظما أو كاملا هذا ما يعرف بقانون الشكل الكامل ، ومعناه أن الشخص يدرك الشكل أو الصيغة بطريقة يراها أحسن الأشكال الممكنة.فإذا رسمنا مجموعة مربعات فقد يراها الإنسان المشاهد على أنها شرح لدروس بعض أشكال مادة الرياضيات ولكنها فى نهاية الأمر رسوم لبعض حجرات المنزل .

مثال ذلك أن مجموعة النقط الموضوعة بنظام رتيب ترى على أنها خط مستقيم بينما النقاط الثلاثة هكذا تري على أنها مثلث والنقاط الأربعة تشاهدعلى أنها مربع أو مستطيل وهكذا نرى أن لكل إدراك شكلا وأرضية ومن ثم فإن سطور إحدى صفحات هذا الكتاب تعتبر شكلا وهذا الشكل قد يتلاشى كلية من الصفحة التى تمثل الأرضية كلما حدث لك شرود أو سرحان أثناء قراءتك لصفحات الكتاب وهكذا ، ولقد قدم الجشطلتيون مبادئ أخرى للتصور والتنظيم الإدراكى ليساعد على معرفة سبب حدوث بعض الإستبصارات أو عدم حدوثها ، وهنا يشير قانون التشابه أن الكلمات المتشابهة أو الرموز الأخرى أسهل فى أن ترتبط وتستعاد عن غير المتشابهة.كما يؤكد قانون التجاور على السبب فى أن قرد كوهلر قد وجد أنه من السهل عليه توصيل العصاتين معا لكى يصل هذا القرد إلى هدفه وهو الحصول على الموزه المعلقة فى سقف الحجرة .

التثبيــــت .

لقد وجد « فرتيمر » وأتباعه أن الإستبصار غالبا ما يؤجل ويعلق بسبب تثبيت المتعلم على بعض ملامح الموقف دون الملامح الأخرى ومن ثم فقدلايدرك الشمبانزى العصا .

هذا وقد نرتبط مخطئين بقياس كاذب أو إفتراض خاص بمشكلة نواجهها، ويبدو ذلك ببساطة فى حل مشكلة النقطة وقدح زناد الفكر المحير والممل وفحوى هذه المشكلة توصيل عدة نقط بأربع خطوط مستقيمة دون أن ترفع القلم عن الورقة . وهنا يظن معظم الناس أن الخطوط قد لا تمتد فيما بعد للنقط،وإذا كان الإستبصار عنصرا أساسيا فى حل المشكلة حلا ذكيا،فإن التثبيت يعتبر عدوه اللدود Archenemy .

سيكولوچية المجال عند ليڤين .

لقد طور ليڤين وتلاميذه (١٨٩٠ - ١٩٤٧) فكرة سلوك الفرد والجماعة التى إشتقت من نظرية الجشطلت المتعلقة بمسائل الدوافع والنفس والشخصية .

و نظرية الجشطلت شأنها شأن نظرية المجال التى هى بمثابة طريقة التفكير التى يدرك بها الفرد الموقف والذات فى أى وقت معين .

وعندما يكون لدى الفرد هدف فإنه غالبا ما يعتقد فى الوسائل المساعدة على تحقيقه أو الحصول عليه وماذا يؤدى شئ ما نحو شئ آخر أو أى الأفعال تؤدى بنا إلى أى الآثار ؟ ولقد قيل أن تصور أو مفهوم الفرد عن هذه العلاقات يعتبر جزءا من مجال حياته أو مجاله السيكولوچى .

فكرة مجال الحياة عند ليڤين .

إذا شعرت يوما بأنك فى ضيق لسبب ما فإن ذلك جزء من مجال حياتك وما تفكر فيه لايمكن رؤيته على أنه مفتاح الحقيقة هنا ... وكيف تشعر وتتصرف ؟ يعتبر ذلك من العوامل الأولية فإذا تصرفت تصرفا ينم عن خوف من رئيس العمل

فإن ذلك الخوف يعتبر عنصرا من مجال حياتك سواء أدركت ذلك أم لا لذلك فإن مجال حياة الفرد يتضمن نفسه وكل شئ يؤثر فيه .

إن مجال حياة الفرد يتغير بإستمرار ففى دقيقة يصبح غير واع لعوامل بيئته. ومن ثم رأى ليفين إن السلوك هو محصلة عملية تفاعل بين القوى الخارجية وعناصر مجال الحياة الأخرى متضمنا الأهداف التى يبحث عنها وكذا الموقف التى يحاول أن يتجنبها والعقبات التى تعوق حركاته من الناحية السيكولوچية وليس من الناحية الواقعية ، هذا وقد أطلق ليفين « طوبولوجية الموقف » على العلاقات بين هذه العناصر أو العوامل .

عمليـــات التعـــلم .

تساهم نظرية المجال مع نظرية الجشطلت فى مفهوم التعلم على أنه إعادة تنظيم أو بناء والبناء بالنسبة لمجال حياة الفرد كما يدركه هو نفسه يعد بناء معرفيا ويحدث التعلم والإستبصار نتيجة للتغيرات فى البناء وهذه التغيرات تأخذ أشكالا عديدة .

التمييز.

هو بناء أو تكوين لبعض مناطق عالمنا السيكولوچى بطريقة تفصيلية وهذا ملائم لإكتساب معلومات أكثر ، وفى هذا يضرب « ليڤين » مثالا فيقول إن الفرد الذى يصل لأول مرة إلى مدينة جديدة غريبة ولايعرف كيف يصل إلى الشقة التى إستأجرها وهذا الجزء من حياته ليس مركبا تماما.وحينما يبحث عن طريقة عند نقل الأمتعة نجد أن المحطة والشقة مرتبطين عن طريق وسيلة المواصلات المستخدمة بين المكانين.وشيئا فشيئا يعرف هذا الفرد الغريب كيف يذهب من مكان إلى آخر فى أى جزء من المدينة.فالجزء الذى لم يكن مركبا من قبل أصبح تركيبه الآن معرفيا أو « مميزا » .

ولقد إعتقد ليڤين كثيرا فى التعلم بأنه عملية إيجاد طريق من خلال بعض أجزاء مجال الحياة .

ويتغير التركيب المعرفى عندما تدخل عوامل جديدة :نفترض أن شخصا ما

يشترى سيارة من مدينة جديدة وتصبح بعض الطرق القديمة أكثر وضوحا له ومن ثم تكتسب معان جديدة وتحدث بعض المتغيرات حيث يفكر فى الذهاب إلى أماكن جديدة والقيام بأشياء لم يكن يفكر فيها من قبل كما تتغير الأبنية المعرفية نتيجة لتغيرات في حياتنا النفسية والإجتماعية وحاجاتنا ، والأمثلة الشائعة تتضمن إما رضا أو ثغوراً .

وهنا سبب واحد للتغيير أو التنوع فى الأنشطة التربوية أن القادم الجديد سرعان ما يضيق ذرعا بالمطعم الذى يقدم دائما نفس الطعام ، إن المحبة والكراهية تتغير مع تقدم العمر والنمو الفسيولوجى ...

مثال ذلك شاب يقود سيارته ويمر بإستمرار بها أمام مسجد بالمدينة ولايفكر فى أن يؤدى فيه بعض الصلوات لأنه لا يفكر فى العبادات كثيرا فى مثل هذا السن. إنه يذهب فقط إلى النادى المجاور للمسجد وبعد أن يتقدم به العمر نراه يدير ظهره للنادى ويصبح متحمسا للذهاب إلى المسجد لأداء الصلاة فيه لقد حدث تغير فى جاذبية النشاط فتغير معنى ومدلول هذا النشاط هذا هو « بناؤنا المعرفى » .

كما تتعرض سيكولوجية المجال أيضا لمفهوم الذات الذى هو جزء من مجال حياتنا والذى يتناول معلومات الفرد ومعتقداته عن نفسه ولقد طور هوب «Hope ، ١٩٣١» تلميذ ليڤين المفهوم المتعلق بمستوى الطموح أى درجة النجاح التى يتوقعها الفرد لإنجاز عمل مقدم له .

وتقترح بعض الدراسات الأخرى المتعلقة بالدافعية إن الناس لديهم ذكريات أحسن عن الأعمال الناقصة بخلاف الأعمال التامة وأن الناس بالطبع غالبا ما يفضلون الأنشطة المنفصلة عن الأنشطة المتصلة .

ويرى ليڤين أن المدرس يبدأ بدوافع الفرد بدلا من إعطاء المكافآت ومحاولة حصر أو تضييق هذه الدوافع فى الأنشطة التعليمية المتاحة والهدف من ذلك هو توسيع وتكملة مجال حياة المتعلم .

السلوكيات المعرفية عند تولمان .

لقد كان النسق «المذهب» السيكولوجى عن «إدوارد تولمان» ١٨٨٦ - ١٩٥٩

معرفيا وغرضيا ، كما كان أيضا نوعا من السلوكية ، لقد جذبته نحوها مشكلات الجشطلت ونظرية المجال ، كما كان معجبا بمناهج « واطسون » ولقد نجح فى أن يجمع بين مزايا الإتجاهات المعرفية والمثير والإستجابة .

لقد كانت نظرية تولمان غرضية وذلك لإعتقاده أنها بمثابة بحث عن الأهداف التى تعطى معني لغالبية السلوك ووجد أن المثير والإستجابة تسبب رضا لبعض أشكال السلوك البسيط والميكانيكى ، كان إتجاهه معرفيا بمعنى أنه رأى التعلم عبارة عن طريقة نعرف بها : ما الذى يؤدى إلى ذلك النشاط ؟ وإذا كانت الترابطات هى ما تم تعلمه فيجب أن تكون ترابطات بين تمثيل المواقف الداخلية وتمثيل الأفعال التي يجب أن تؤخذ وبإختصار فالتعلم هو التشكيل للمواقف التى لها طبيعة التوقعات .

هذا وكون « تولمان » سلوكيا لأنه إعتقد أن السلوك الملاحظ والظروف التى تحدثه «كل مايجب دراسته » ورفض بشدة فكرة التأمل الباطن أو إختبار محتويات عقل الفرد علي أنها مصدر للبيانات ولكنه إذا كان قد إعتقد في ذلك فكيف يكتب عن الأهداف والمعارف ولكنه لم يفكر فيهما على أنهما متغيرات مستقلة بل هما متغيرات متداخلة يمكن ملاحظتها وتأملها.وكان له فضل إختراع وتأليف معادلة المثير والإستجابة التى إستخدمها الكثير من علماء النفس حتى يومنا هذا والتى تشير بأن هذه المعادلة أو هذا القانون « المثير والإستجابة » يتضمن :

١ - مبادرة المثيرات قبل السلوك .
٢ - توسط العمليات الداخلية .
٣ - إنبثاق السلوك .

السلوك الكلى .

ولقد درس تولمان ما يعرف بإسم « السلوك الكلى » فى الأفعال أو الأداء ، تلك الأفعال التى تبدأ بتقديم موقف وتنتهى بتغيير هذا الموقف مثل خلع الملابس وضرب الكرة أو قراءة الكتاب ولم يهتم بحشد التغيرات السيكولوجية أو الحركات العضلية والمعروفة بإسم « السلوك الجزئى » .

هذا ويتسم السلوك الكلى بأنه :

١ - موجه نحـو الهـدف .
٢ - يحدث فى عالم الأشياء .
٣ - يختار أقصر وأسهل الطرق للوصول إلى الأهداف .
٤ - قابل للتغيير والدراسة .

الخرائط العقلية المعرفية .

يرى تولمان أن عملية التعلم هى إكتساب التوقعات التى قد تكتسب عن طريق الترابطات وفكر فى تنسيق خطة العمل المتعلقة بالتوقعات بأن يعمل «خريطة معرفية» أو بناء معرفى قد يفكر فيه على أنه « معلومات عن الموقف » ويحدث التعلم عندما يتغير البناء المعرفى نتيجة لإستبصارات جديدة .

إن الطالب ذو الدافعية القوية يستخدم الخريطة المعرفية لإختيار طريق السلوك الذى يتوقع أنه سوف يؤدى به إلى رغباته وهذا يذكرنا بأن إشارات صندوق « ثورندايك » المحيرة قد قادت القطة بأن تتوقع فتح الترباس وأن هذه العملية الأخيرة بدورها تؤدى إلى الهرب وفى نظر تولمان أن الإستبصار يجب أن يكون تصورى « الجرى إلى الأمام والخلف » لكى يدرك الكائن الحى طريق السلوك الموصل إلى « التوقعات المرغوبة » .

إن الخريطة المعرفية للفرد تعنى ببساطة طريقة الكشف عن إختيار طرق السلوك لهدف متاح .

تقـويم نظـرية المجـال .

بعد إهتمام المجاليين بدراسة المجال الحيوى والقوى المؤثرة على الفرد إهتموا بدراسة التعلم وعلى الأخص دراسة العمليات العقلية المعقدة مثل الإستبصار وسلوك حل المشكلة والتفكير وتكوين المدرك الكلى ومن أهم إضافات المجاليون فى التعليم مايلى (١) :

---

(١) محمد خير عرقسوس وآخرون : التعلم نفسيا وتربويا دار اللواء للنشر والتوزيع الرياض ١٩٧٩ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

١ - التعلم عملية يشترك فيها الفرد إشتراكا نشيطا فيقوم بعمليات التنظيم والإدراك والفهم والتجريد وإختيار القواعد التى تساعد على تحقيق الحلول المطلوبة .

٢ - وهم يختلفون بذلك عن السلوكيين الذين يفسرون عملية التعلم تفسيرا آليا أى أنه عادة تتكون من إرتباط مثير بإستجابة تحت شروط معينة .

٣ - عالجت نظرية المجال علاقة الدوافع والحوافز بعملية التعلم معالجة ديناميكية أقرب إلى المعالجة النفسية الصالحة لتفسير العوامل المعقدة مثل الإتجاه للهدف والصراع وسلوك حل المشكلة .

٤ - نظرية المجال تساعدنا فى المدرسة فنهتم بتحليل الموقف التعليمى ومجال التلميذ الحيوى بقدر الإمكان حتى نستطيع أن نعرف العوامل التى تشجع التلميذ على التحصيل وتلك التى تعرقله وقد عالج ليڤين وتلاميذه مشكلات هامة فى مجال التعلم كظاهرة وتأثير الجماعة فى إحداث التغييرات بل لقد إهتم بديناميات الجماعة فى وقت أنكر فيه علماء النفس وجود الجماعات وكان لليڤين الفضل فى نقل مفهوم الجماعة إلى حيز التجريب العملى .

٥ - حاول ليڤين أن يخضع مثيراته للدقة الرياضية فقد كان موفقا فى إختيار علمى الهندسة والميكانيكا لتفسير نظريته وأن هذه الرسوم البثلوچية يمكن أن تتوفق بسهولة مع شبكة العلاقات فى الموقف السيكولوچى .

ما يؤخذ على النظرية .

١ - لم يهتم أصحاب النظرية بتحديد مفاهيمهم تحديدا إجرائيا دقيقا مستمدا من الوقائع التجريبية المحددة للعالم ، ولعل السبب فى ذلك أنهم تعرضوا فى تفسيرهم للتعلم للعمليات العقلية المعقدة مثل الإستبصار وسلوك حل المشكلة وتحديد المدرك الكلى التى كان لها طابع العوامل المتوسطة فى النظريات السلوكية وهى من العوامل التى لايمكن إخضاعها كلية للعوامل الموضوعية الدقيقة المحددة المعالم .

٢ - كثرت إشارة المجاليين إلى عمليات التنظيم فى مجال الإدراك أو التنظيم فى قوى المجال ولم يحدد لنا كيف يحدث هذا التنظيم .

٣ - يرى بعض النقاد تصوير النظرية بدوائر خطوط ومجالات مقسمة إنما هو

حيلة تبهظ العقل بغموضها فى حين أنها تصوير لظاهرات نفسية بسيطة وأن هذه الرسوم لاتساعد على التنبؤ بل هى ترسم بعد معرفة الحقائق وكثيرا ما يستحيل تخطيط المجال إلا بعد ملاحظة السلوك ذاته ، ولم يكن ليفين موفقا فى إستخدام المقاييس المترية للمسافة والإتجاه مثلا .

تقــويم عــام .

يختلف تقويم علماء النفس ورجال التربية « لتولمان » إختلافا شديدا حيث ينظر علماء النفس إلى أعماله نظرة عالية فى الوقت الذى يعيبون عليه بعض النقص والقصور فى قوانينه التجريبية الشاملة بينما يرى رجال التربية بما فيهم علماء النفس التربويون من أمثال « جيروم برونر » ، « دافيد أوسبول » أن النتائج التى توصل إليها تولمان عن التعلم هامة بالنسبة للتربية ، إلا أن نظرته كانت كفيرها نحو عملية التعلم بمعنى أن المعلمين عليهم أن يبدأوا « بهدف المتعلم » فضلا عن إيجاد طريقة تجعل عملية التعلم سهلة يسيرة على المتعلم وتساعده على فهم وتحقيق هدفه من التعلم .

وهنا نقترح ونقدم أهم متضمنات نظرية تولمان فى النقاط التالية :

١ - يجب أن يكون المعلم على علم بأهمية الأعمال المختلفة وأن الثواب أو المكافآت ليست أساسية .

٢ - يتعلم التلاميذ عن طريق المشاهدة والقول والعمل .

٣ - يجب ألا تتضح تماما درجة تعليم التلاميذ حتى تتم عندهم الدافعية للأداء حيث لايحدث تقويم لأن هذا التقويم لايحتمل إجراؤه فى غياب البواعث .

سيكولوجية نمو الذات وتطبيقاتها التربوية .

يرى « أريك أريكسون » أن كثيرا من المشكلات الإنفعالية تعزى - فى المحل الأول إلى « إرتباك الذات » وهو عبارة عن نقص شعور الفرد بذاته مما يؤدى به إلى الخوف والإضطراب من رؤية الآخرين له فى صورة أو حالة غير الصورة التى

يرى هو نفسه بها ولذا فقد بسط أريكسون القول تفصيلا لمراحل فرويد النفس جنسية وأخذ بعد ذلك بمراحل النمو النفسى الإجتماعى حيث يلتزم الفرد ببناء مفاهيم الذات والواقع المتغير ، هذا ويعتقد أريكسون إن كل مرحلة إرتقائية لها ملامحها الإيجابية والسلبية .

ويذكر أريكسون بأن الشخصية الإنسانية تبزغ من الصراعات الداخلية والخارجية لتكون المحصلة النهائية بعدئذ الشعور العميق بالوحدة الداخلية والحكم الجيد والإحساس الواقعى بالذات.وتبدو هذه المحكات تدريجيا أثناء تقدم الفرد وتطوره خلال مراحل العمر وإظهاره إستعدادا للنضج نتيجة تفاعله مع دائرة الأشخاص الواسعة والخبرات والتجارب العديدة . هذا ويحدث نمو الذات أو نضج الشخصية فى ثمانى مراحل متتالية وتتضمن كل مرحلة « أزمة » وهى عبارة عن فترة تتسم بقابلية عدم التكيف وبالتالى إحتمال عدم توافق أو زيادة فى القوة أو الطاقة الكامنة .

وفى كتابه الشهير « الطفولة والمجتمع ١٩٥٠ » يعرض لنا أريكسون أن هناك فرضين أساسين تتدرج تحتهما مراحله الثمانية هما :

١ - تنمو الشخصية الإنسانية طبقا لنمو قدرة الشخص على التفاعل مع البيئة .

٢ - يحض المجتمع على هذا التفاعل وهذه المحاولات لتشجيع ووقاية المراحل المتتالية .

على أن هناك موضوعا أساسيا فى كتابات « أريكسون » وهو : مجابهة الأفراد بالأزمات التى تنهض بأعباء إتجاه نشاطاتهم مستقبلا.هذا وطالما أن هناك مراحل ثمانية للحياة عند أريكسون فإن هناك أيضا ثمانية أزمات نفسية إجتماعية وهى الموضحة بالجدول الآتى (١) :

---

(١) عن : J . F.Travers في كتابه Edu . Psy طبعة ١٩٧٩ ، ص : ١٦٣.

جدول مراحل أريكسون الثمانية.

أزمات - قوة نفسية إجتماعية - مؤثرات بيئية .

العمر	المرحلة	الأزمة النفسية الإجتماعية.	القوة النفسية الإجتماعية.	التأثير البيئي .
سنة واحدة.	المهد .	الثقة في مقابل عدم الثقة .	الأمل .	سلوك الأمومة .
٢ - ٣	الطفولة المبكرة .	الإستقلال الذاتي في مقابل الخجل والشك.	قوة الإرادة.	الوالدان أوالبديل عن الكبار .
٤ - ٥	الحضانة.	المبادأة في مقابل الذنب .	الغرض.	الوالدان.الأسرة الأصدقاء .
٦ - ١١	الطفولة الوسطي.	المثابرة في مقابل الشعور بالنقص.	المنافسة .	المدرسة .
١٢ - ١٨	المراهقة.	تطابق الهوية في مقابل إرتباك الهوية	الإخلاص.	الأقران الرفاق .
١٨ - ٣٥	سن الرشد	الألفة في مقابل العزلة .	الحب.	الشركاء.الزوج. الأصدقاء .
٣٥ - ٦٥	منتصف العمر .	إمكانية التوليد في مقابل الركود.	الرعاية.	مجتمع الأسرة.
أكثر من ٦٥	الشيخوخة.	وحدة الهوية في مقابل اليأس .	الحكمة.	الجنس البشري.

وتشكل كل مرحلة من هذه المراحل الثمانية قدرات وتحديات وطاقات جديدة وهذه المراحل هي :

أولا : مرحلة الثقة فى مقابل عدم الثقة (السنة الأولى) .

فى هذه المرحلة يستمد الطفل إشباعاته النفسية الأولى من فمه ثم يبدأ التمييز بين النفس وغير النفس وتحتضن الأم طفلها لإمتصاص لبنها والإستمتاع بحنانها من خلال دفئها ومن ثم تنشأ لديه علاقة عاطفية قوية بأمه ، وعن طريق نوعية إشباع حاجات الطفل الفمية يتحدد نمط علاقاته الإجتماعية ، وفى هذا تقول « إيرين جوسيلين » الطفولة التى يجد فيها الطفل إشباعا ورعاية لشئونه سوف يعطى الطفل إحساسا بالطمأنينة المريحة فى العالم الذى يحيط به بحيث يراه مكانا آمنا يعيش فيه وليس مكانا باردا لايهتم به أو مكانا معتديا لابد أن يحمى نفسه منه « سيد أحمد عثمان ١٩٧٥ - ٣٥ » (١) .

ويعتقد أريكسون أن الشخصية السوية تتطلب الشعور بالثقة - ثقة الطفل بالآخرين مثلا - نحو ذات المرء وينمو هذا الشعور أثناء السنة الأولى من العمر وهذه الثقة تتطلب شيئين إثنين هما : الراحة الجسمية والطمأنينة النفسية ، هذا وقد لاحظ أريكسون عام ١٩٦٨ أن الشعور لدى الأطفال ينشأ من نوعية علاقة الأمومة وليس من مجرد الغذاء الجيد أو الرعاية الجسمية.ومعنى ذلك أنه إذا كانت رعاية الأمومة باردة رافضة ، فإن عدم الثقة سوف يظهر ويثار ويؤثر فى كل مراحل النمو الأخرى ، إن أساس الشعور بالثقة هو الأمل الذى يحدد « إريكسون » بأنه إعتقاد فى القدرة على النجاح .

ثانيا : مرحلة الإستقلال الذاتى فى مقابل الخجل والشك (٢ - ٣ سنوات) .

فى عامى ١٩٥٩ - ١٩٦٣ قام أريك أريكسون بتعديل فى نظرية فرويد المعروفة بإسم « النمو النفسى الجنسى » وتضمن هذا التعديل جانبين هامين هما :

١ - التركيز على التفاعل المتبادل بين المضمون الإجتماعى والمراحل البيولوچية المحددة .

٢ - إضافة مراحل إرتقائية جديدة إلى مراحل فرويد الأربعة « فمية - شرجية - قضيبية - تناسلية » لتصبح هذه المراحل ثمانية ، ولكل مرحلة نفسية

---

(١) الرقم الأول بين القوسين يشير إلي سنة النشر والرقم الثاني يشير إلي الصفحة .

جنسية طابعها المميز فى التفاعل الإجتماعى حيث يستمد الطفل لذاته أثناء المرحلة الفمية المبكرة من كل ما يدخل فمه كالطعام أو لبن الأم ، ومن ثم فإن عملية « الإدخال » هى التى تشكل أسلوب العلاقات الشخصية المتبادلة بين الأم والطفل. وفى المرحلة الشرجية يحدث ضبط وتنظيم إخراج الطفل وهنا ينشأ صراع بين الأشخاص يتعلق بإخراج « البراز » أو الإحتفاظ به .

ويرتبط هذا الصراع بالنمو النفسى لسمة شخصية هى الإستقلال الذاتى أو سمات الخجل « ريتشارد س . لازاروس ١٩٨١ - ٨٣ » ، وفى هذه المرحلة يصبح الأطفال أكثر حركة وإنتقالا وأقوى شعورا لضبط سلوكهم إنهم يميزون عالمهم« بأنا » و «أنت» و«ممتلكاتى» وإذا لبى الوالدان مطالب الأطفال لتحقيق السيادة على البيئة فإن شعور الإستقلال الذاتى سوف ينمو كما ذكرنا من قبل .

وإذا كان الوالدان يحدان من نشاط أبنائهم ويرفضان رغباتهم ويسارعان فى توبيخهم على أخطائهم وحوادثهم ، إذا كان هذا النوع من الوالدين كذلك فإن الأطفال يفقدون الشعور بالضبط النفسى ويخامرهم إحساس بالخجل والشك .

إن أساس الشعور بالإستقلال الذاتى هو : قوة الإرادة التى يعتقد أريكسون بأنها تأتي من ضبط الذات المتزايد بدون فقدان إحترام هذه الذات إنها فترة صعبة حرجة للوالدين حيث أن التقييد المفرط يدمر الإستقلال الذاتى والحرية الزائدة قد تصبح خطرا كبيرا ولكن الحل الوحيد فى هذه الحالة هو البحث عن توازن موفق وسليم بين تطرفين .

ثالثا : مرحلة المبادأة فى مقابل الذنب (٤ - ٥ سنوات) .

يلاحظ أريكسون أن الأطفال فى هذه المرحلة يتعرفون على ذواتهم ويؤكدون من هم ؟ حيث يصبح لديهم خيال جميل إنهم يتحركون كثيرا ولديهم حصيلة وفيرة من اللغة ، إن تحديات عالمهم تحتم عليهم أن يتقلدوا أعمالا ومهام جديدة مثل إرتداء الملابس والمحافظة على النظافة والإهتمام بالحيوانات الأليفة مما يؤدى بالطفل - فى هذه المرحلة - إلى تنمية مهارات الإتصال لديه والتعامل مع الأشياء المجردة. مثال ذلك يمكن للطفل أن يتعلم التمييز بين رمز الشيكولاته والشيكولاته نفسها وأن الشيكولاته الحقيقية وليس الرمز هى التى تسد جوعه ، إن نمو مثل هذه

المهارات يسمح للطفل بالتفكير فى الأحداث دون ممارستها بالفعل .

ومن نافلة القول أن الوالدين فى هذه المرحلة يسهمان بدور حيوى فى إرتقاء هذه المهارات ، سواء كانت تلك المهارات لغوية أو إجتماعية أو حركية ، فالوالدان اللذان يشجعان أطفالهما على عمل الأشياء واللعب والمساعدة فى الأعمال المنزلية. إنهما بذلك يغرسان شعور المبادأة بينما الوالدان الذان يسخران من أفكار أطفالهم ومجهوداتهم فإنهم يغرسان فيهم إحساس بالذنب ، إن الغرض هنا هو الشعور بالمبادأة طالما أن هذا الغرض يدفع الأطفال بل ويعدهم لمتطلبات الرشد.ومن هذه المتطلبات تفاعل الطفل مع الآخرين.وتلعب عملية التفاعل بدورها دورا حيويا هاما فى نمو طريقة الإنسان فى الحياة أو ما نسميه بأسلوب الحياة فهى تمد الفرد بأنماط من السلوك تسمح له بالعمل داخل المجتمع (الطفى فطيم وآخرون ١٩٨١ - ١٧٣).

وليس هناك شك في أن السنوات الخمس للطفل هامة جدا فى حياته حيث يتعلم الطفل كثيرا من أنواع السلوك أو العادات التى تحدد شخصيته وهذا مايلتقى فيه كل من « دولارد وميللر » مع « فرويد » ولكن آراء « دولارد » و « ميللر » تتعارض تماما مع وجهة نظر « فرويد » عندما يركزان على الدوافع المكتسبة التى يتعلمها الطفل أثناء النمو فى الوقت الذى يهتم فرويد كثيرا بالدوافع الفطرية ، على أن الطفل يتعلم كثيرا من السلوك المركب والمواقف المعقدة فيستجيب لذلك بإستجابات كثيرة لعديد من المثيرات المتباينة ، ومن ثم تتم عملية التعلم وفق مبادئ أربعة هى : الدافع - الإشارة - الإستجابة - التدعيم ، ولكى يتعلم الطفل يتطلب الأمر أن يكون لديه « دافع » لعملية التعلم ثم يجب أن يرى « إشارة » يستجيب لها إستجابة صحيحة مقبولة ، وبدون تلك «الإستجابة » يصعب على الطفل أن يتعلم ، وفى النهاية تؤدى هذه الإستجابة إلى خفض الدافع أو التدعيم ، إن توطيد العلاقة أو تدعيمها بين الإشارات والإستجابات هى أساس عملية التعلم (محمد عثمان نجاتي ١٩٨٣ - ٣٤٢) .

رابعا : مرحلة المثابرة فى مقابل الشعور بالنقص (٦ - ١١) .

فى هذه المرحلة وأثناء سنوات الدراسة يصبح لدى الأطفال إستعداد للتعلم بسرعة والتخطيط لعمل الأشياء ، كما تصبح لديهم مايسميه أريكسون بالمثابرة :

Industry إن المعلمين والآباء الذين لايشجعون أطفالهم وما يقدمون من أنشطة قد يؤدى بهم ذاك نحو « الإحساس بالنقص » ، إن يأس الأطفال من مهاراتهم ووضعهم مع أقرانهم سرعان ما يجعلهم يشعرون بعدم الكفاءة أو القصور.وهنا يتصدع النمو ، مالم يعد الآباء أطفالهم للمدرسة هذا من ناحية أو إذا أخفقت المدرسة فى تدعيم ما نتوقعه فى المراحل المبكرة وهذا من ناحية أخرى ، ويلعب المعلم دورا فعالا وحيويا فى نمو الذات عند الطفل عن طريق عملية الإمتصاص الإجتماعى ففى المدرسة يزداد شعور الطفل بأهميته كما تزداد مقدرته على التعبير عن الذات فى النشاط العقلى والنشاط الإجتماعى ، ويرتبط نمو الذات بوجه عام خاصة ويجب على الجميع أن يهدفوا إلى إعطاء خبرات ملائمة للنمو السوى للذات مما يؤثر فى عملية التعلم وحياة الطفل (حامد زهران ١٩٧٧ - ٢٥٩) .

ويذكر أريكسون بأن عملية نمو الذات لدى الطفل فى هذه المرحلة ، تتأرجح بين المثابرة من ناحية والشعور بالنقص من ناحية أخرى ، وإذا أحس الطفل بأن مثابرته قد أحبطت Whose sense of Industry is Frustrated فى المنزل « الأسرة » قد يستطيع اللحاق بها بالمدرسة من خلال مجهودات المعلمين النابهين والمربين المخلصين ، ومن هنا فإن الطفل يشعر بأنه مثابر أو عاجز ليس فقط بسبب الوالدين ولكن بسبب الكبار الآخرين أيضا ، إن أساس الشعور بالمثابرة يكمن فى المناقشة تلك هى تحقيق الشعور بالسيادة والهيمنة على البيئة .

ويشكل الكبار الآخرون أهمية كبرى فى إكتساب الطفل لأدواره الإجتماعية أو عملية التعلم الإجتماعى بصفة عامة حيث أن عملية إكتساب الأدوار ليست معرفية فقط بل هى إرتباط عاطفى يوفر عوامل التعلم الإجتماعى بثلاث طرق هى : التعاطف مع أولئك الآخرون وكذلك الإرتباط العاطفى الذى يحرك دوافع الطفل نحو التعلم فضلا عن توفير الإحساس بالأمن والطمأنينة لدى الطفل (سيد أحمد عثمان ١٩٧٥ - ٤٥) .

وخلاصة القول أن الطفل فى هذه المرحلة يتعلم الأدوار الإجتماعية وأنواع السلوك الإجتماعى من محصلة سلوكياته فى المواقف الإجتماعية المتنوعة.بيد أن مسار النمو - فى النهاية - يقوم أساسا على ردود فعل الآخرين وعلى نمو الذات وتطورها .

خامسا : مرحلة تطابق الهوية فى مقابل إرتباك الهوية (١٢ - ١٨ سنة) .

فى هذه المرحلة يجابه المراهقون بدوافع جنسية جامحة وبعض الشكوك والتخبط عن أدوار الكبار مستقبلا ، وغالبا مايصبحون فى شغل شاغل بماذا يظهرون ؟ وكيف يظهرون فى نظر الآخرين بالمقارنة بمعتقداتهم عن هويتهم ؟ ومن يكونون ؟ وهذا هو البحث عن الهوية أو بمعنى آخر إما أن يبلغوا أقصى إحساس بهويتهم أو إرتباك كينونتهم .

ويعتقد البعض أن المراهقين عليهم أن يدمجوا كل الأدوار التى تعلمونها «البنوة - الصداقة - واللعب ... الخ» فى كل له معنى وإذا نجحوا فى ذلك فإنهم يشعرون بهويتهم النفسية الإجتماعية أما إذا أخفقوا فإنهم يظلون متشككين فى ذواتهم ، إن أساس الشعور بالهوية هو الإخلاص ... هو البحث عن أناس وأفكار يؤمنون بهم .

ومن الجدير بالذكر - فى هذا المقام - أن « أريكسون » قد أضاف إلى نظرية فرويد النفسية الجنسية مصطلحا جديدا هو « هوية الأنا » وهى محصلة الصراع الذى يحدث أثناء مرحلة البلوغ بهدف حل عقدة « أوديب » بالنسبة للولد وعقدة «اليكترا» بالنسبة للبنت فى المرحلة القضيبية.لقد إهتم أريكسون كثيرا بمرحلة المراهقة المتأخرة حيث يكتشف الفرد موقعه فى العالم والوصول إلى طبيعتة الموحدة بسلام أى بلوغ هوية الأنا .

وفى هذا الصدد يشير « كينيث كينستون ١٩٦٥ - ١٩٦٨» إلى مرحلة جديدة للشباب تصبح فيها علاقات الشباب موزعة بين « ذات الفرد » والعالم ، وهذه الثنائية ما هى إلا بؤرة الإهتمام الأول للشباب الصغير إبان صراعه مع النظم السياسية والإجتماعية التى تبدو مغتربة عن وجهة نظره« ريتشارد . س لازاروس ١٩٨١ - ٨٤ » .

هذا ويتشابه المراهق مع الراشد فى سلوكه وفى إتجاهاته وقيمه وفى مفهومه الواضح عن ذاته ، ومما يؤثر فى نمو الذات عند الراشد صورة الجسم والمعايير الإجتماعية والدور الإجتماعى والتفاعل الإجتماعى .

ومن التطبيقات التربوية اللازمة لنمو الذات لدى المراهق إنه يجب على الوالدين والمربين والإخصائيين النفسيين والإجتماعيين والمرشدين النفسين أن يهدفوا

نحو تنمية مفهوم موجب مرن سوى للذات وذلك بإعطائهم خبرات ملائمة وتهيئة المناخ النفسى فى الأسرة وفى المدرسة مما يعود عليهم بالفائدة المرجوة والثمار الطيبة فى العملية التربوية بوجه خاص وحياتهم العملية بوجه عام .

سادسا : مرحلة الألفة فى مقابل العزلة (١٨ - ٣٥ سنة) .

يعتقد أريكسون أن المقصود بمعنى الألفة هو ما وراء الألفة الجنسية كما تعنى أيضا القدرة على تنمية الألفة النفسية الإجتماعية المتبادلة السليمة مع الأصدقاء والقدرة على الإهتمام بالآخرين بدون خوف من فقدان الهوية الذاتية وإذا أخفق الشاب اليافع فى أن يشعر بالألفة مع الآخرين فإن إحساسا بالعزلة قد يظهر. إن أساس الشعور بالألفة هو الحب والذى يقصد به أريكسون « التفانى المتبادل » أو كما صاغها أريكسون بمهارة إنها تعنى « مانحبه هو ما نكونه We are what we love. » وليست الألفة هنا قاصرة على التفانى المتبادل بل هى تعنى أيضا بعض أنماط التفاعل الإجتماعى للشباب فى المجتمع بهدف إشباع حاجات نفسية وتربوية لازمة للشباب ومنها على سبيل المثال تلك الحاجات الآتية :

١ - يحتاج كل شاب إلى تنمية المهارات السائدة فى مجتمعه ولاسيما المفاهيم والإتجاهات التى تجعل المرء شخصا ذكيا وإنسانا منتجا فى الميادين الإقتصادية .

٢ - يحتاج كل الشباب إلى التنمية بوجه عام والمحافظة على صحته ولياقته البدنية بوجه خاص .

٣ - يحتاج الشباب لفهم حقوق وواجبات المواطن فى المجتمع الديمقراطى وأن يؤدى إلتزاماته ووجباته بكفاءة وإقتدار كفرد فى مجتمعه وكمواطن في دولته .

٤ - يحتاج الشباب لفهم مغزى الأسرة وأهميتها للفرد والمجتمع والظروف المؤدية إلى الحياة الأسرية الناجحة .

٥ - يحتاج كل الشباب لمعرفة كيفية البيع والشراء وإستخدام السلع والخدمات بحرية وذكاء وفهم قيم المستهلك التى يرتضيها وكذلك النتائج الإقتصادية لسلوكياته وأفعاله .

٦ - يحتاج الشباب لفهم مناهج العلم وأثره على حياة البشرية فضلا عن

الحقائق العلمية الأساسية المتعلقة بطبيعة العالم والإنسان .

٧ - يحتاج كل الشباب لأخذ فرصته بقصد تنمية طاقاته للتعبير عن النواحى الجمالية فى الأدب والفن والموسيقى والبيئة الطبيعية .

٨ - يحتاج الشباب للقدرة على إستخدام وقت فراغه بذكاء وفائدة وأن يقضيه بحكمة وإتزان وأن يقارن بين مناشطه التى تجلب له الرضا المهنى ومناشط الأفراد المبرزين والصالحين فى المجتمع .

٩ - يحتاج كل الشباب لإحترام الأشخاص الآخرين كى يطوروا من إستبصارهم وبصيرتهم للقيم والمبادئ الأخلاقية وأن يكونوا قادرين على التعايش والعمل جنبا إلى جنب فى سلام وتعاون مع الآخرين .

١٠ - يحتاج كل شاب إلى تنمية قدراته وإستعداداته للتفكير بتعقل والتعبير عن آرائه بوضوح وأن يقرأ ويستمع بفهم وحرية « أريكسون إيمانويل ١٩٦٠ - ٢٦٦ - ٢٧٢ » .

سابعا : مرحلة إمكانية التوليد فى مقابل الركود (٣٥ - ٦٥ سنة) .

إن الأفراد خلال أواسط العمر يفكرون فى المستقبل والمجتمع وأطفالهم. ويحدد أريكسون ذلك على إعتبار بناء وتوجيه الجيل القادم ، وإذا كان شعور إمكانية التوليد قد إنخفض فإن الأفراد يميلون للركود ويعانون من إعتبارالذات المرضى.أن أساس الشعور بإمكانية التوليد هو العناية والإهتمام الذى تعنى بأن الأفراد مسئولون عن رفاهية الجيل القادم .

ثامنا : مرحلة وحدة الذات فى مقابل اليأس (أكثر من ٦٥ سنة) .

أن الشخص الذى يمكنه أن يتطلع إلى حياته تطلعات الرضا والقبول ويقنع بحياته بحلوها ومرها وإنتصاراتها وعثراتها هنا يتحقق له شعور وحدة الذات.فليس هناك يأس من العمر أو الفشل أو إضاعة الفرص.إن أساس الشعور بوحدة الذات يكمن في الحكمة حيث لم يعزل الشخص نفسه عن النشاط بعد ذلك النشاط الخاص بالحياة ومعناها .

ومن نافلة القول أن هذه المرحلة الأخيرة تتعامل مع كبار السن إنها تركز على

الشيخوخة التى تقوم بدورها على معايير ثلاثة هي : السن والصحة والتقاعد ، فمعيار السن يقدر - عند معظم الدول - بعمر ٦٥ سنة وهو السائد والمناسب للتقاعد عن العمل بعد رحلة حياة شاقة قطعها المسن خلال مراحل عمره النفسية والفسيولوچية ، بينما معيار الصحة يتضمن امارات الضعف العام وقصور وظائف الحواس وتدهور ميكانيزمات الذاكرة والتذكر وإضطرابات عملية « الأيض » وإصابة الجسم بعدة أمراض مثل أمراض القلب والفشل الكلوى وضعف البصر وتصلب الشرايين والسكر ،ضغط الدم العالى.وأما معيار التقاعد فنعنى به الخلود إلى الراحة بعد حياة حافلة بمتاعب العمل وهموم العيش طوال حياة المسن (عزت الطويل ١٩٨٤ - ٢٢) .

تطبيقات تربوية.

يركز أريكسون على أن الشخصية بوجه عام لاتتأثر فقط بالفرد ذاته بل وبالوالدين أيضا والمجتمع ، وهناك مظاهر ضعف في كل مرحلة ويمكن للفرد أن يقهر الضعف فى أى مرحلة لتدعيم المراحل الأخرى ، ومعلوم أن الشخصية السوية تسود البيئة حيث أنها شخصية متكاملة تتسم بالنظرة الواقعية تجاه الذات والعالم الخارجى (ترافرز ١٩٧٩ - ١٦٧) .

إن إستبصارات وآراء أريكسون صائبة ومفيدة لرجالات التربية حينما يحددون قوى الطالب النفسية والإجتماعية التى تتلائم مع عمره.وعن طريق تشجيع المنافسة وإظهار الود والإخلاص يمكن للمعلم أن يأخذ بزمام الشخصية السوية نحو الأمام فضلا عن تيسير عملية التعلم ، ويرجع التيسير بدوره إلى المعرفة التطبيقية والمهارات الحسية والحركية المكتسبة حيث يتعلم الإنسان أفضل وأسرع ما يتعلم حين يعمل.ومن المعلوم أن البحوث التى أجريت فى مجال إكتساب المهارات الحركية تحتل منزلة فريدة بين الأبحاث التجريبية فى سيكولوچية التعلم ويرجع ذلك إلى إرتباط هذه المشكلة إرتباطا مباشرا بمشكلات التعليم فى المدرسة ومشكلات التدريب المهنى فى المصانع والمؤسسات المهنية فدراسة إكتساب المهارة تتيح الفرصة المباشرة لدراسة أثر الممارسة فى التعلم (أحمد زكى صالح ١٩٧٢ - ٩٢) .

إن جانب التطبيق التربوى لدراسة سيكولوچية نمو الأنا ، ليس بالشئ الهين لأننا نتناول الفرد بالدراسة منذ ميلاده حتى شيخوخته هادفين من وراء ذلك نحو الوصول إلى معرفة « نمط الشخصية » الذى أصبح محصلة مؤثرات عوامل بيئية ووراثية وثقافية شتى ، وهناك فرق كبير بين النظر والتطبيق عند حل مشاكلنا السلوكية التى تتطلب منا تعميق الصلة بين تحليل سلوكنا وحل مشاكلنا مما دعا «ب . ف . سكنر B . F . Skinner » الى أن يقول فى إحدى مقالاته بمجلة «علم النفس اليوم ١٩٨٢) .

« أنا مهتم بما يمكن إن يكون من صلة بين التحليل السلوكى ومشكلات العالم فى يومنا هذا ، فنحن مهددون بنمو جامح للسكان وباستنزاف للموارد وبتلوث البيئة وبشبح الإبادة النووية الكاملة ، ونحن نملك التكنولوچيا الفيزيائية والبيولوچية المطلوبة لحل معظم تلك المشكلات ، ولكن يبدو أننا غير قادرين على وضعها موضع التطبيق وهذه مشكلة من مشكلات السلوك الإنسانى وهى واحدة من المشكلات التى يمكن أن يقدم لها التحليل التجريبى حلا ، وقد كانت البنائية فى العلوم السلوكية ضعيفة دائما فى الجانب الخاص بالدوافع فهى لاتفسر لماذا تكتسب المعرفة أو لماذا تستخدم ؟ ... ومن ثم لاتستطيع أن تخبرنا إلا قليلا عن الظروف التى سيقوم فيها النوع الإنسانى بالتغييرات اللازمة لبقائه » .

الفصل الخامس

الذاكرة والتذكر.

* الذاكرة المؤقتة والذاكرة الدائمة .
* إضطــــراب الذاكــرة .
* الذاكرة الإجتمــاعية .
* الذاكرة الفصــاميــة .

الذاكرة والتذكر .

من المعروف أن دراسة « الذاكرة والتذكر سيكولوچيا » تدخل في نطاق العمليات العقلية المعرفية ، ويمكن تعريف « الذاكرة » بأنها : تلك الوظيفة التى تجعل الشخص يحتفظ بخبرات الماضى وآثاره ، ليتمكن من إسترجاع تلك الخبرات في الوقت المناسب أو حسب ما يريد سواء أكان ذلك شعوريا أو لا شعوريا .

ومنذ فجر التاريخ ، راح العلماء والمفكرون يبحثون فى الذاكرة ، ودراسة التذكر والترابط والتداعى الحر والتصور والتخيل إلى آخر هذه العمليات العقلية العليا التى فضل الله بها الإنسان وجعلها وقفا عليه وحده دون سائر الكائنات الحية الأخرى .

وفى مطلع عام ١٨٨٥ خرج علينا عالم النفس الألمانى « إيبنجهاوس » بمؤلفه الذى تناول فيه بعض التجارب النفسية التى تتضمن موضوعات مثل : التذكر والحفظ والإسترجاع ، هذا وكان من أهم إضافات إيبنجهاوس فى مجال التذكر ما أسماه المقاطع اللغوية عديمة المعنى وكيف يسترجعها الإنسان ؟ والمقصود بلفظ مقطع هنا مجموعة حروف لاتؤدى إلى معنى ، وقد يكون المقطع صورة أو شكلا غير مألوف لنا ، ومن المقاطع اللغوية ذات المعنى المحدد العديد من الكلمات وبالتالى ، فإن مجموعة الكلمات تعطينا جملا مفيدة وهكذا .

ويذكر « إيبنجهاوس » فى دراساته التجريبية على التذكر أنه لقياس : التذكر عندالإنسان يجب أن يمر ذلك بمراحل ثلاث هى :

مرحلة الإنطباع ، مرحلة الإستيعاب ، مرحلة الإسترجاع (١) .

وليس هناك فاصل بين هذه المراحل إذ أنها متداخلة بعضها في بعض على أن هناك علاقة وطيدة بين التعلم والذاكرة ويبدو ذلك بوضوح فى أن عملية التعلم

---

(١) السيد خيري وآخرون : علم النفس التجريبي - مطبوعات جامعة الرياض - الرياض «بدون تاريخ» ص : ٢٠٩ - ٢١٥ .

الصحيحة تساعدنا على تذكر المادة المطلوب تعلمها وإسترجاعها عند طلبها ولاشك أن مهارة القراءة أثناء عملية التعلم تساعد على تقوية الذاكرة وتجردها ، أي أنك لا تستطيع أن تتذكر شيئا بسهولة إذا لم تكن قد تعلمت هذا الشئ « المادة » بالطريقة الصحيحة ، هذا وتعتمد الذاكرة - فى المقام الأول - عند تذكرها لبعض المواد علي تداعي المعاني وترابط الأفكار بعضها ببعض.بيد أن إسترجاع هذه الأفكار يرتبط بدوره بطريقة الإستيعاب أثناء الإسترجاع أى يرتبط ذلك بحالة الفرد لحظة الإستقبال والإرسال ، إننا نتذكر شيئا ما لأننا قادرون على ربطه أو إستدعائه بأشياء أخرى نعرفها من قبل إنك حين تستذكر دروسك مثلا فإن عملية الإستذكار مرتبطة شعوريا مع معلومات جديدة تتصل بما إستذكرته من قبل ولتفسير ذلك يجدر بنا أن نسوق المثال الآتى :

جملة سهلة الفهم قصيرة « أتذكر الحلم الذى رأيته أثناء نومى الليلة الماضية. » كلنا ولاشك - أو معظمنا - يتذكر هذه الجملة بدون مجهود بعد سماعها مرة واحدة لأن كل كلمة فيها مرتبطة بمعنى الكلمات التى تليها على أنه إذا إستبدلنا هذه الجملة السهلة وذات المعنى المفهوم بجملة لامعنى لها ولتكن هذه الكلمات« منديل - شاى - عمل منتصف - الوقت - قواعد - نار» فهذه الجملة ليست واضحة لدرجة أن هذه الكلمات لايمكن تذكرها بعد سماعها مرة واحدة ، هذا وليس فى الجملة الثانية أى ترابط عقلى بين إحدى الكلمات والتى تليها ، ومن هنا فإن كل كلمة يجب تذكرها على حدة حيث أنها منفصلة تماما عن الأخرى كلية ، إن هذه الحقيقة - أى حقيقة الترابط والتداعى - تفسر لنا لماذا كان إستذكار موضوع جديد صعبا عسيرا فالسبب يرجع إلى أننا حين نبدأ بإستذكار موضوع ما لأول مرة فليس لدينا إطار للمعلومات المكتسبة من قبل بهدف ربطها بما نتعلم إننا حين تبدأ فى تعلم لغة أجنبية مثلا فإن ذلك يصبح أشبه شئ بكيفية البدأ فى تعلم الجملة عديمة المعني «منديل - شاى -عمل - منتصف الوقت - قواعد- نار» .

وكلما إزداد نمو معلوماتنا فإن عملية التعلم على المدى الطويل قد تصبح سهلة يسيرة لأننا نملك خلفية المعلومات المشتملة على العناصر التى تتطابق وتتوائم مكونة أبعاد الترابط والتداعي مما يساعد المرء على التذكر والذاكرة على الديناميية والتدريب .

وهناك ذاكرة مدربة على التذكر وأخري غير مدربة وهذه الحقيقة لاشك فيها. فالأولي يمكنها التذكر والإستذكار بسهولة بينما لاتستطيع الثانية « غير المدربة » القيام بهذا العمل لأن المرء لايمكنه أن يتوقع الجرى بسرعة عدة كيلومترات مالم يكن قد تدرب على رياضة الجرى السريع ، إننا نتوقع ألا نتذكر موضوعات بسهولة ودقة ... لماذا ؟ لأننا لم نتدرب عليها .خلاصة القول أن تدريب الذاكرة على تذكر الأشياء أو إستذكار المواد الدراسية يؤدى إلى ذاكرة جيدة والعكس صحيح.فالمرء قد لايمكنه أن يتذكر رقم بطاقته الشخصية ولكنه يتذكر عدد الأمتار التى قطعها فى سباق الجري كما قد يتذكر الطالب الجامعى الدرجة التى حصل عليها فى مادة الحساب عندما كان يؤدى إمتحان الشهادة الإبتدائية.وبالمثل فإن الفنان الذى وضع اللمسات الأخيرة للوحة جميلة إستوحاها من ذاكرته قد لايمكنه أن يتذكر أين ترك الكتاب أو الصفحة التى كان يقرؤها (١)

ويحدو بنا هذا المثال نحو الحديث عن النسيان فنتساءل لماذا ننسي ؟ ننسى لأن النسيان - بطبيعته - عملية عادية لاتعنى أى فقدان شاذ للتذكر بسبب صدمة عصبية أو تلف بالمخ أو تقدم السن « الشيخوخة » ... سؤال آخر ما هى الأسباب التى تكمن وراء النسيان ؟ ترجع هذه الأسباب إلى :

١ - النسيان بسبب الإهمال أو الهمود .

لاشك أن ما تعلمناه ونمارسه فى حياتنا لاننساه بسهولة ، وقديما قالوا : حياة العلم مذاكرته ، لقد لاحظ كل من « هيلجارد » و « أتكسون » عام ١٩٧٥ أن ثمة تفسيرات أخرى للنسيان ومنها أن بعض المهارات الخاصة كركوب الدراجات أو السباحة قد أظهرت مقاومة كبيرة فى وجه النسيان كما أن بعض المواد اللغوية لاتنسى بسرعة حيث أنه من الممكن - أحيانا - إسترجاع بعض سطورمن رواية أو قصة أدبية منذ أن كنا تلاميذ بالمدرسة الإبتدائية فى الوقت الذى ننسى ما تعلمناه من دروس اللغة العربية أو الحساب فى العام الدراسى الماضى بسبب التحلل أو

---

(1) Adock C. J Fundamentals of psychology , penguin books , Great Britian pp 191 - 192 .

مرور الوقت كما أن هناك متغيرات أخرى كالدوافع تلعب دورها فى الحفظ (١) .

٢ - النسيان بسبب الكبت .

هناك خبرات نحاول أن ننساها بسبب ذكريات كريهة غير سارة وقد تكون بسبب الخوف أو القلق المرتبط بها حيث أن الكبت يسبب النسيان .

٣ - النسيان بسبب التداخل أو الإضطراب .

يتفق معظم «السيكولوجين» على أن معظم أنواع النسيان تحدث بسبب تداخل تعلم مواد جديدة مع تعلم مواد قديمة إن عملية المثير اللفظى والإستجابة «Preactive Retroactive Process» توضح هذه النظرية ويقصد بالمثير اللفظى والإستجابة اللفظية أن المثير هو المنبه ذو التأثير اللاحق وهو ما يؤثر على التذكر اللاحق بينما الإستجابة اللفظية هى تلك ردود الفعل اللفظية المؤثرة على التذكر السابق ، ونعنى بذلك أن الإنسان فى بيئته الإجتماعية عرضة بإستمرار لحالات التفاعل Interac-tion والتطور والتغير ، فضلا عن ضرورة التوافق مع الظروف والأوضاع التى نحياها ومن هنا يتوقف مقدار ما يختزنه الفرد فى ذاكرته أو يستبعده منها على أسلوب تفاعله مع هذه الأوضاع والأحوال والتجارب والخبرات ، إن المواقف التى تثير فينا رد فعل بسيط أو إستجابة مؤقته قد ننساها بسرعة بينما تلك التى تثير فيناإستجابة عميقة تؤدى إلى تعديل فى سلوكنا وأوجه نشاطنا طالما كان هذا النشاط مستمرا. هذا ويمكن القول بأن النسيان هو فى الواقع عملية نشاطية مثل عمليات النشاط التعليمية التى يقوم بها الفرد ويكون مندمجا فيها كلية (٢).

ومن منطلق - تداعى المعانى - يذكرنا الحديث عن النسيان بعملية الحفظ أو الإسترجاع فنقول :

---

(1) John . F . Travers , Educational Psychology . Harper and Row . publishers New Yourk , 1979 . PP , 358 - 363 .

(٢) فؤاد أبو حطب ، محمد السروجي مدخل إلي علم النفس التعليمي . مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة « ١٩٨٠ ص : ٤٩ » .

إذا كان الأطفال يتعلمون سريعا بعض الكلمات عديمة المعنى فإنهم أيضا ينسونها بسرعة وأن معدل ما نفقده يتأخر ويتباطأ عندما ننسى معظم ما تعلمناه وهذا ما يثير الدهشة .

مثال : ثبت علميا أنه بعد إستذكار هجاء ٢٠ كلمة يمكن للتلاميذ الصغار أن يسترجعوا هجاء ١٥ كلمة منها إسترجاعا صحيحا.هذا وحتى صباح اليوم التالى قد يمكنهم أن يقوموا بهجاء ١٧ كلمة هجاءا صحيحا ببطء إلى حد ما ، إن التذكر ولاشك عملية صعبة هذا ومما يعطل عملية التذكر التعب المتزايد خلال عملية التعلم الذى يؤثر فى عملية الحفظ وفى الوقت نفسه يتقدم هذا الحفظ بعد فترة زمنية .

وضع المادة المراد تذكرها .

هناك عنصر هام للمعلمين لابد من أخذه فى الإعتبار وهو دور المادة المراد دراستها أو تذكرها أن بداية ونهاية أى عمل يحتاج إلى تذكره إلا أن المرء يتعلم بسهولة أكثر أول القصيدة أو آخرها عن الأبيات التى تقع وسطها وهنا نتساءل: وكيف السبيل للمعلم لكى يساعد تلاميذه على حفظ هذا الجزء الوسيط الصعب ؟ للإجابة على هذا السؤال يطلب المعلم من تلاميذه أن يختاروا كلمتين أو ثلاثا فى القسم ذى المعانى الخاصة بهم ويجعلهم يستخدمون هذه الكلمات كإشارات أو رموز لكى يتخيلوا صورة مرتبطة بهذا الجزء ، إن ممارسة التذكر قد نراها فى أمثلة كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر ، يتعلم الممثل دوره الجديد فى يوم أو يومين على الأكثر ، كما يعزف الموسيقار لحن « بيتهوفن » الموسيقى من الذاكرة.ويحفظ لاعب الورق كل ورقة من أوراق اللعب الكثيرة فى مدة بسيطة أثناء اللعب.ويتذكر لاعب الشطرنج حركات قطع اللعب الكثيرة.كما يعرف الكمسارى كل أجرة لأى مكان أثناء عمله.ويتذكر بواب العمارة أو حارسها وجه كل ساكن من سكان العمارة .

إن هذه الممارسة التذكرية هى التى تجعل من السهل على طلاب الدراسات التاريخية أن يتذكروا التواريخ والأحداث والتشريعات البرلمانية بينما يحتاج طلاب الدراسات العلمية والرياضية إلى ذاكرة للمعادلات والأشكال البيانية والأرقام الحسابية كما أن اللغات تحتاج فى تذكرها إلى معلومات عن الأفعال الشاذة وقواعد النحو المعينة وتركيب الجمل والعبارات .

ومن الصعب فى هذا المجال أن نستذكر موضوعا لايتضمن فى بعض مراحله إستظهار مجموعة حقائق مجردة ويمكنك إجراء ذلك بإتخاذ الوسائل الصحيحة لتدريب ذاكرتك على مثل هذه المهارات فتبدأ بتقييم مغزى الحقيقة الصعبة المتعلقة بالذاكرة ، وهنا تنطلق العناصر القليلة الأولى فى الذاكرة بسهولة ثم تتوالى العناصر الأخيرة أكثر سهولة وإنسيابا ثم تظل العناصر الوسطى أصعب العناصر جميعها ، ويمكن القول أنه لو أردنا حفظ قصيدة شعرية فعلينا أولا قراءة القصيدة مرة واحدة فى المرة الأولى ثم ندونها فى المرة الثانية مع قراءتها فى نفس المرة. وأخيرا نقرأ القصيدة بعد ذلك فى المحاولة الثالثة وهكذا ، إننا حين نستذكر موضوعا ما فإن عناصره لاتقفز إلى أذهاننا دفعة واحدة ، وذلك لأن العناصر الأكثر سهولة والمألوفة لنا تسبق غيرها ، على حين تأتى بقية العناصر فى المحاولات التالية (١) .

الذاكرة المؤقتة والذاكرة الدائمة.

هل هناك فرق بين الذاكرة المؤقتة والذاكرة الدائمة فى طريقة تخزين المعلومات أو تبديدها ؟ للإجابة على هذا السؤال نسوق المثال الآتى :

إذا ألقينا نظرة عابرة على رقم جديد - لأول مرة - فى دليل التليفون لبرهة من الوقت فقد ننسى الرقم ويضيع من ذاكرتنا تماما هذا من ناحية كما قد نتذكر قصيدة شعرية أو قصة أدبية أو أحداث مسرحية أو موقفا من المواقف أو حجرة بالمنزل لمدة سنوات وهذا من ناحية أخرى ، فهل ياترى هناك « ميكانيزمات » متميزة للتخزين لدى الذاكرة المؤقتة والذاكرة الدائمة ؟ أم أن كلتا الذاكرتين وجهان لعملة واحدة ؟ وإذا لم يكن هناك جهد مبذول - من جانب الطلاب - أثناء عملية التعلم لإستجلاب المعلومات وصولا إلى تحويل هذا التعلم من الذاكرة المؤقتة إلى الذاكرة الدائمة ، فإنهم قد ينسون ذلك بسرعة.هذا وقد رأى كل من « هيلجارد وأتكنسون » عام ١٩٧٥ أن الذاكرة المؤقتة ما هي إلى نسق متحلل كالعهن

---

(1) Martin Rhodes , How to study , A Thomas and Company , Northanstonshire ,1977 , pp .17 - 26 .

المنفوش لايثبت على حال بينما الذاكرة الدائمة ما هى إلا مخزون دائم مستمر متماسك الحلقات .

إن الإستجابات تدخل الذاكرة المؤقتة فإذا إسترجعت فإن الطلبة سيحتفظون بمعلومات وتعرف هذه الممارسة بعملية التسميع لحدود المعلومات التى يمكن للذاكرة المؤقتة الإحتفاظ بها.وبعد تأكيد الذاكرة الدائمة للمعلومات ، وإذا حدث تحلل أو تآكل فى الذاكرة المؤقتة قبل تحويل المعلومات إلى الذاكرة الدائمة فإن المعلومات أو البيانات يحدث لها نسيان تام وقد يحدث هذا التحول للمعلومات بشكل مستمر ، ولكن قد تخفق الذاكرة فى حالة عدم ملاءمة الإشارات أو الرموز ونتسائل الآن : ما السبب فى أن بعض العناصر تختزن دائما ويمكن المرء أن يسترجعها حاليا ؟ سؤال لاإجابة له حتى الآن مما جعل « جيلفورد » يتعمق كثيرا فى عمليتى التخزين الدائم ودراسة التسميع التلقائى ولاشك أن هناك « ميكانيزم » يحدد أى العناصر يمكن أن تخزن بإستمرار وأنها لاتختزن أبدا ... إن معظم الخبرات لاتحتاج إلى تخزينها لأنها تتطلب أداء الميكانيزم الملائم لمنع هذا العبء الزائد (١) .

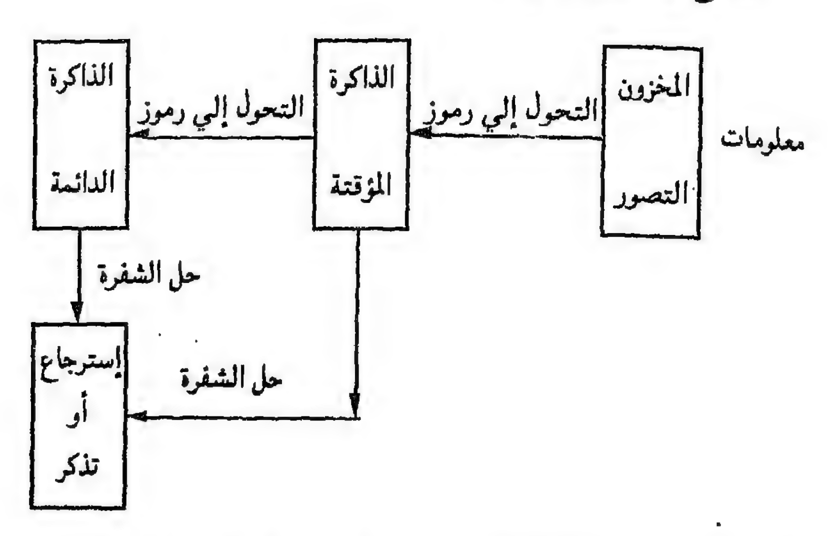
والسؤال الآن كيف تتحرك المادة من الذاكرة المؤقتة إلى الذاكرة الدائمة ؟ يحدث ذلك بتسجيل أسماء العناصر وتحويلها إلى معنى وصولا إلى حل رموز المدلول اللفظى Semantic Coding هذا ولايتطلب الأمر الإحتفاظ بالمعلومات التى يمكن إسترجاعها منذ البداية ، مع أن هذه المعلومات قد تفسر إلى أسماءعند ضرورة إستدعائهاأو إسترجاعها ولم يثبت علميا حتى الآن ما إذا كان المرء يرى الإستجابة متزامنة مع المخزون التصورى .أو الذاكرة المؤقتة وماذا يحدث أثناء حل رموز المدلول اللفظي أو بعده (٢) .

---

(١) مرجع سابق «John. F. Travers»

(2) Relph Norman Haber , How we remember what we see Reading from scientific American Psychology in progress , WH . Freeman and Comp.san Francisco ,1975 , p . 157 .

ويوضح هذا الشكل الآتى :



والواقع أن هذا الشكل يوضح مسار عملية التذكر والإسترجاع لمواد وموضوعات مختلفة مثل الكلمات أو الأرقام أو اللغات ، ومن اليمين تجد المعلومات الصادرة من العين مثل رؤية الكلمة المطبوعة وهنا تختزن مؤقتا حتى ترى بالفعل ، وحينما تنتهى هذه الصورة المرئية فإن الكلمة يمكن إن تفحص بدقة حتي في حالة إختفاء المنبه الأصلى وفى أثناء التمعن فإن الكلمة تتحول إلى رمز وبالتالى إلى إسمها الحقيقى مثل حروف ق . ل . م التى تصبح «قلم» وهنا تدخل الكلمات فى الذاكرة المؤقتة وبعد ذلك تأتى إلى الذاكرة الدائمة « جهة الشمال » ويتم التحول إلي رموز مرة أخري من اسم الكلمة إلى معناها كما ترى فى أسفل الشكل أن الكلمة الصحيحة تسترجع بتحويل شفرتها وحل عقدتها إلى الإسم الصحيح ، هذا ولعملية الإسترجاع أساليب ومناهج خاصة نذكر أهمها فى النقاط التالية :

١ - سعة الذاكرة .

ونعنى بها مدى إمكانية الفرد حفظ أو إسترجاع بعض المواد غير المترابطة مثل حروف الكلمات أو الأرقام بعد عرضها على الفرد مرة واحدة .

٢ - الكمية المسترجعة .

ونقصد بها مقدار ما يستطيع الفرد إن يسترجعه من كلمات أو أرقام أو

مفردات لفظية شتى وهنا تقاس كفاءة الفرد بعدد الوحدات التى يمكنه إسترجاعها .

٣ - مدة التدريب على الإسترجاع .

تعتمد هذه الطريقة على تحديد المدة الزمنية التى يحتاجها الفرد لإسترجاع مادة ما ، فإذا أمكنه إسترجاع قائمة من الكلمات للمرة الأولى وبدون أخطاء كان هذا دليلا على أنه أتم حفظ تلك القائمة فى وقت وجيز .

٤ - توفير المجهود .

ويرجع الفضل فى هذا المنهج التجريبى الكمى إلى « هيرمان ابينجهاوس » العالم الألمانى ، ويقوم هذا المنهج على دراسة كمية المادة المسترجعة وكميتها المنسية بعد فترة زمنية لاحقة لتعلم مادة أو موضوع ما عند تكراره عدة مرات محدودة ، ويعتبر عدد مرات التكرار هو ما يعرف بإسم مقدار « التعلم الإستهلالى Initial learning » والواقع أن الفرق بين هذا العدد وعدد مرات التكرار المطلوبة لإعادة تعلم مادة ما بعد مدة من الزمن يعتبر هذا الفرق بمثابة « توفير المجهود » .

٥ - التعرف والتمييز .

ونقصد بالتمييز تذكر بعض الأشياء لتمييزها وتقديرها عند رؤيتها فمثلا - فى علم النبات - ينبغى علينا أن نكون لدينا المقدرة على تسمية مجموعة من النباتات عند رؤيتها أو مشاهدة صورها ، وقد لايحدث ذلك بدون رؤيتها وهنا ندرك الفرق بين الإسترجاع والتعرف حيث أن قوة سيطرتنا على المعلومات فى حالة الإسترجاع قوة متزايدة وفى زمن أقل بينما يستغرق التعرف على أى نوع من أنواع المعلومات زمنا كبيرا وتحكما فى المعلومات أقل وبالنسبة للتمييز فإنه يتطلب وقتا أطول ومجهودا بسيطا . وهذا يفسر أن بعض الأفراد يتذكرون بصريا وآخرون يتذكرون سمعيا كما أن معظم الناس أساسا ذوو ذاكرة بصرية (١) ويتذكرون الأشياء المطبوعة أسهل وأسرع من الأشياء المسموعة.ولتنمية القدرة على التمييز

---

(١) مرجع سابق .

(1) Martin Rhobes .

علينا أن ندرك أولا ما إذا كانت ذاكرتنا سمعية أم بصرية ، والشكل الآتى يوضح الفرق بين التمييز والتعرف والإسترجاع من ناحية « المدى الزمنى » و « قوة السيطرة على المعلومات » بالنسبة لكل منهم .

الأسترجاع
التعرف
التمييز
قوة السيطرة علي المعلومات.
٤ ٣ ٢ ١
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦
المـــدي الـــزمـــنـــي

ويوضح الشكل أعلاه المدى الزمنى وقوة السيطرة على المعلومات بالنسبة للتمييز والتعرف والإسترجاع ، ونتساءل الآن : كيف يستذكر الطلاب دروسهم ؟ للإجابة على هذا السؤال نسوق النقاط الهامة التالية :

أولا : إبدأ دائما بالأشياء الصعبة.يبدأ كثير من الناس مذاكرتهم بالموضوعات السهلة وهذا إتجاه خاطئ عندما تتطلب الذاكرة اليومية تعلم شئ عن طريق إستظهاره إن البدء بالشئ الصعب له مبررات حيث أن الرغبة فى العمل والإقبال عليه والتحدى لشوارده وصفاء الذهن قد تصبح عونا لنا على إستيعاب ما هو صعب ، علينا أن نبدأ دائما بلب المشكلة ومجالها ، فالمتعلم المبتدئ فى تعلم العزف على البيانو - على سبيل المثال - سوف يجد أن صعوبات التعلم السابقة قد قلت إلى حد كبير إذا كان أستاذه قد بدأ بالتعليم معه بالمفاتيح التى تتضمن رفع درجة النغم أو خفضها.إن الحقائق تتقن بالتعلم المنتظم فى كل يوم ، وبهذه الطريقة فإن قدرا هائلا يمكن أن تتذكره فى وقت قصير وبدون عناء ، إن الطالب الذى يدرس

اللغة اللاتينية والذى يحفظ تصريف أحد الأفعال الشاذة عن ظهر قلب يوميا سوف يتعلم كل قائمة الأفعال الشاذة بالكتاب المدرسي فى أقل من عام والقيام بهذا العمل ، على أن الطالب لابد أن يختبر نفسه دوريا بالحفظ والتسميع وتعزيز الذاكرة بإستخدام الأفعال وتدوينها .

ثانيا : حاول تقوية ذاكرتك.يسهل على كثير من الناس أن يتذكروا كم يوما فى الشهر ؟ ثلاثون يوما فى سبتمبر مثلا ، وقد يؤدى هذا المجهود المبذول إلى مثل هذا التركيز على الحقائق التى تجول بخاطرنا بعد ذلك إن ربط تقوية الذاكرة بالحقائق يجب أن يكون واضحا ، ومن الوسائل السهلة فى فن تقوية الذاكرة هو أن نأخذ الحروف الأولى للحقائق ونرى هل يمكن أن نكون منها جملة مفيدة ، وهناك مثال ممتاز للغاية نسوقه من دروس الجغرافيا حيث يتذكر الطلاب بعض العواصم الأوربية من خلال كلمة بلسم والتى تشير إلى باريس لندن و ستوكهولم و موسكو وهكذا ، ومثال آخر حين يريد طلاب الجغرافيا أيضا أن يتذكروا أسماء البحيرات العظمى فى الولايات المتحدة الأمريكية بالكلمة الإنجليزية « Homes » تدلنا سريعا على أسماء هذه البحيرات كالتالى بحيرة Huron و Ontario وبحيرة Michegan وEire وبحيرة Superior وهكذا ... كما أن هناك من وسائل تقوية الذاكرة الإيقاع الموسيقى للكلمات أو الجمل وإنتظامها فى إطار فنى ذى معنى ولذا كانت « ألفية آبن مالك » فى اللغة العربية لجمع شتات قواعدها فى قالب منظوم وكان الطلاب حفظة هذه الألفية أكثر قدرة على تذكر قواعد اللغة العربية من غيرهم .

والواقع أن إستخدام « فن تقوية الذاكرة » هو مسألة تخيل وإبداع إلى حد كبير ومن الأمثلة على ذلك التوقيت العالمى بين الشرق والغرب فهل يمكنك مثلا أن تتذكر ما إذا كانت أستراليا متقدمة أم متأخرة عشر ساعات فى التوقيت عن أوربا ، وهل توقيت الهند متقدم أم متأخر عنه فى أيسلندة ؟ ... إن مثل هذه التساؤلات يمكن أن يجاب عليها إجابة شافية بإستظهار ذاكرة صناعية كأن نقول مثلا الشرق سريع إن هذه العبارة الأخيرة - كحقيقة ذهنية - بسيطة لاترقى إلى الشك فى أنه كلما بعدنا شرقا كلما كان الزمن متقدما ، ومن ثم يمكن القول أننا نستخدم الذاكرة الصناعية عندما لانجد شيئا يساعدنا على التذكر ، إنها تجعلنا نسيطر على الحقائق

التي يصعب تذكرها ، ولذا فإننا نستخدمها كنوع من تداعى الأفكار وترابطها .

ثالثا : إستخدام الطريقة الترابطية إذا أردت أن تتذكر إحدى الحقائق العلمية الصعبة فإن الطريقة الترابطية هى أنسب الطرق في هذا الشأن إنها وسيلة ربط قوى بين أحد العناصر وبعضها الآخر وتعتمد هذه الطريقة على ترابط الأفكار أو تداعيها ، إن هذه المحاولة هى خلق « رباط » يجعل ذهنك - آليا - يتذكر عنصرا يتعلق بعنصر آخر تال له أو متقدم عليه .

رابعا : إتبع الرسم والملاحظة لاشك أن الرسم وسيلة من وسائل التركيز حيث أنه يساعد على أن تعطى إنتباهك لكل التفاصيل لتجسيد الشئ فى ذهنك ، حيث أن الرسم هو حالة خاصة من حالات الملاحظة والملاحظة بدورها مهارة ينبغي عليك أن تبحث تنميتها عليك بممارسة أو ملاحظة ما يدور حولك ، لاحظ الناس فى أعمالهم وفى ملابسهم وكيف يسلكون ، إمنح نفسك فرصة للتأمل فيما يحدث حولك من مشاهد وأحداث وتذكر ماتراه وما تسمعه من كلمات .

خامسا : ليكن لديك قوة إرادة لكى تتقدم ذاكرتك فإن إستخدام قوة الإرادة والتكرار الدائم للأشياء التى تريد أن تستذكرها سوف يفيدك كثيرا وعندما يقول شخص ما لا أستطيع أن أستذكر ما أتعلم فإن هذه العبارة تعنى بوضوح أنه لم يبذل مجهودا منتظما لإتقان مهارة التذكر فقد ينجح نظام ما بينما تخفق قوة الإرادة. وهنا نقول أن قوة الإرادة هى إجبار النفس على التذكر المطلوب المرغوب .

إضطرابات الذاكـرة .

يشـير « بيبيرجـانيـه » إلى أن الذاكـرة هى : ذلك السلوك المعين والعـمل الإجتماعى الذى أوجده المجتمع للتصدى لفكرة الغياب ، والرواية التى تميز الذاكرة بالتكرار المميز للعادة ومن لا يعرف تكرار بعض أحداث الماضي لايتمتع بذاكرة على الإطلاق (١) ، كما يقسم علماء النفس الذاكرة إلى ثلاثة أنواع هى الذاكرة الحسية والذاكرة الإجتماعية وأخيرا الذاكرة الفصامية .

---

(١) « جان دولاي » أمراض الذاكرة - ترجمة ميشيل أبي فاضل - منشورات عويدات - بيروت - باريس ١٩٧٨ ص ٧ - ٣٩ .

وتتضمن الذاكرة الحسية الذاكرات السمعية والبصرية واللمسية ويؤدى تعطيل هذه الذاكرة الحسية إلى « العمى الحسى » بمعنى أن الفرد الذى يفقد القدرة على تمييز الأشياء يدرك ولكنه لايتعرف إلى ما يدرك ، هذا ويشترك كل من الإنسان والحيوان فى ذاكرة حسية حركية واحدة ومن ثم كانت تجارب « إيفان باڤلوف » حول الفراغ التدريجى والمثيرات الشرطية والتى تشكل جميعها أهم مدخل لدراسة وبحث حالات فقدان الذاكرة الحسية الحركية .

فإذا كانت الذاكرة الحسية الحركية تمثل جانبا كبيرا من البدائية بين الذاكرات فإنها تحمل بين طياتها إلى حد ماالتعرف.إنها ذاكرة الكلب الذى يبدأ لعابه بالسيلان عند سماع الجرس المرتبط بتناول مسحوق اللحم.إنها ذاكرة الإنسان الذى يتعرف على القلم بأنه أداة للكتابة والكتاب وسيلة للقراءة والسرير دعوة للنوم وهكذا .

الذاكرة الإجتماعية .

هى ذاكرة خاصة بالإنسان وحده ووقف عليه حيث أن الإنسان يعيش فى مجتمع لأنه حيوان إجتماعى وهذه الذاكرة تتطلب أنساقا منطقية أى تمثلات جماعية. ، ومن هنا لايمكن فصل الذاكرة الإجتماعية عن فهم معرفة الماضى على أنه ماضى بهدف تعيين تاريخه ، حيث أن تحديد المكان وحده يدخل قدرا محددا من المنطق فى الذاكرة ويمكن القول بأن كل: « نسق زمنى » نستخدمه لقياس الوقت بدءا من مولد المسيح عليه السلام أو من هجرة سيدنا محمد ص.حتى يومنا أقول أن كل هذه ما هى إلا إتفاقيات إجتماعية .

والواقع أن الذاكرة الإجتماعية تتأثر بالضعف الذهنى العام ، وقد يقضى المرض العقلى على هذه الذاكرة ولايؤثر على وظائف الإدراك الحسى أو يعالج الإشياء ، إن دور المرض العقلى « الجنون » فى هذا الشأن هو « محو الطابع الإجتماعى » وبالتالى القضاء على الذاكرة الإجتماعية مع البقاء على الذاكرة الحسية الحركية وهذا ما يؤدى إلى وجود ذاكرة ثالثة هى الذاكرة الفصامية .

الذاكرة الفصامية .

إذا كنا نرى الحلم فى النوم كما يظهر لنا الهذيان فى حالات الجنون فليس

هناك أدنى شك فى أن ذاكرة الأحلام وحالات الهذيان هى الذاكرة الفصامية.وفى الأحلام وحالات الهذيان توجد بعض مشاهد وصور الماضى ولكنه ليس بماض بل يرى على أنه حاضر .

ولعل ذاكرة الحلم تعيش الحلم على أنه واقع وتواكب الوجود على أنه عدم وتحيا الغائب حاضرا.ومن خصائص الذاكرة الفصامية ما يلى :

١ - التذكر الزائد لأحداث الماضى .

٢ - التعرف المشوه .

٣ - إسترجاع أحداث الماضى بطريقة مرضية .

٤ - الخلط الزائد والتفكك لأحداث الحاضر .

إن زيادة التذكر لأحداث الماضى ما هى إلا مظهر من مظاهر التعرف السلبى ومحو فاعلية الذاكرة .

إن تيار الصور المتدفق الناتج عن زيادة التذكر هو ظاهرة تصدع وتدهور وليس ظاهرة إيجابية ترك المرض آثاره عليها ، لكن المرض لا يترك شيئا ، إنه يطلق العقل ويبدده ، فإذا أبيدت الذاكرة الإجتماعية لم يعد هناك شئ يلجم طوفان الصور فيحدث تدفق قوى يؤدى إلى ضعف نفسى .

هذا وتشمل الذاكرة الفصامية مجموعة كبيرة من الذكريات العاطفية حيث أن الذاكرة العاطفية كلها ذاكرة فصامية لأنها في حالة هلوسة ، ومجمل القول أن الذاكرة العاطفية ليست ذاكرة إجتماعية تدرك الماضى كماض ، بل إنها ذاكرة فصامية يعيش فيها المريض ماضيه من جديد حيث أنه لايمكنه أن يتعرف عليه كماض وذلك بفضل الأطر الإجتماعية للذاكرة ، أن الذاكرة الفصامية تتكون أساسا من شحنات عاطفية يعيشها المريض ، وهنا تلعب عملية التحليل النفسى دورها الفعال حين تظهر هذه الشحنات العاطفية فى صورة إنفعال مفاجئ . وعلينا أن نأخذ فى الإعتبار أنه إذا كانت الذاكرة الحسية الحركية تدخل فى مجال علم النفس الفسيولوجي.والذاكرة الإجتماعية تدخل في نطاق علم النفس الإجتماعي.فإن الذاكرة الفصامية تنتمى إلى علم النفس الإكلينيكى .

الفصل السادس

دوافع السلوك الإنسانى .

* فكرة الهيموستازي في الجسم البشرى .
* الدوافع الفسيولوچية (البيولوچية) .
* الدوافع الإجتماعية .
* الدوافع اللاشعورية .
* مدلول التخيل في حياتنا النفسية والإجتماعية .
* بين الكبت والقمع .
* علامات الدوافع اللاشعورية .

دوافع السلوك الإنسانى .

تعتمد حياة الكائن الحى على إشباع العديد من دوافعه الرئيسية فالإنسان مثلا أو الحيوان يحس بالجوع ويلزمه أن يشبع هذه الحاجة ... حاجة الجوع أى يفكر فى تناول الغذاء ، كما يحس الفرد بالعطش ويصبح فى حاجة ماسة إلى تناول الماء ليطفئ لهيب العطش كما يشعر الإنسان - أى إنسان - بالتعب ويلتمس الراحة لأنه فى حاجة إليها.وفى نفس الوقت قد يشعر أحيانا ببرد الشتاء فيهب بسرعة إلى تدفئة نفسه وهو يحس أيضا بكثرة المواد التالفة فى جسمه فيحاول التخلص منها ليشعر بالراحة والهدوء .

وبدون إشباع هذه الحاجات الأساسية للكائن الحى لايستطيع هذا الكائن أن تستمر حياته لأن هذه الدوافع الأساسية التى يتوقف على إشباعها بقاء الكائن الحى هى التى تؤدى إلى توازن حياة الكائن الحى فسيولوجيا ونفسيا وإجتماعيا .

إن موضوع الدوافع يعتبر من أكثر موضوعات علم النفس خطورة وإثارة لإهتمام الناس جميعا بهذا الموضوع فالدوافع النفسية تهم الوالد الذى يحاول معرفة ميول الإبن إلى الإنطواء أو الإنزواء على نفسه وكراهيته للمذاكرة وتكرار مشاكساته وإعتداءاته على إخوته فى المنزل.كما أن هذه الدوافع تثير المعلم فى المدرسة للوقوف على معرفة ميول تلاميذه والسبب فى تحصيلهم الدراسى المنخفض أو المرتفع .

وبالمثل يهتم المعالج النفسى أو الطبيب بموضوع الدوافع فهذا مريض يشكو من بعض الإضطرابات العضوية أو النفسية ويذهب للطبيب مرارا وتكرارا وبعد بحث وفحص يرى الطبيب أن حالته الصحية لا تشوبها أى شائبة وهو خال من الأمراض العضوية .كما تهم الدوافع الزعيم السياسى ليفهم ويدرك إتجاهات الناس وإهتماماتهم أثناء التعامل معهم ولاسيما فى أيام الإنتخابات .

هذا ولا نغالى إذا قلنا أن علم النفس يهم كل صاحب عمل وكل تاجر وكل مهتم بالتعامل والإتصال والتفاعل مع الناس .

إن دوافع الكائن الحى ولاسيماالإنسان كثيرة ومتنوعة ومنهاالخوف والغضب والجوع والعطش والكراهية والحاجة إلى الأمن والأمان ، وكذلك الحاجة إلى التواصل

والإنتماء وبالمثل الحاجة إلى الإهتمام والتقدير الإجتماعى وكذلك الرغبة فى البروز والتميز ، وكذلك الحاجة إلى تحقيق الذات والتعبير عنها كما يتفرع عن هذه الحاجات والرغبات العواطف والميول كعاطفة الولاء والإنتماء للوطن أو المبدأ والميل إلى صداقات بعض الناس فضلا عن أهداف الإنسان فى هذه الحياة وإمكاناته وطاقاته وطموحاته فى الحياة .

ومن الدوافع ما هو فطرى لايحتاج إلى تعلم أو إكتساب كدوافع النوم والجوع والعطش وحب الإستكشاف والإستطلاع ، ومنها أيضا ماهو مكتسب يكتسبه الفرد نتيجة لخبرته اليومية التى إكتسبها من إتصاله وتفاعله مع البيئة التى يعيش فيها كحب التعاون أو إحترام الغير .

وهناك نوع من الدوافع قد يكون شعوريا أو لاشعوريا فالدوافع الشعورية هى التى ندركها ونعيها عند القيام بها أو تنفيذها ومنها ما نطلق عليه « الدوافع اللاشعورية » وهى تلك التى لايشعر بها الفرد ولايدرك الفرد وجودها كالدافع الذى يؤدى بالإنسان إلى النسيان أو الدافع الذى يؤدى بالمرء إلى تفضيل طعام عن طعام آخر .

ما معنى الدافع « Motive » ؟

هو حالة داخلية كامنة قد تكون عضوية أو نفسية تؤدى إلى سلوك معين فى ظروف معينة لتصل فى النهاية إلى هدف منشود أى أن نهاية الدافع تحقيق هدف ولذا قيل «وراء كل سلوك دوافع » .

فالناس كل الناس على إختلاف إتجاهاتهم ومشاربهم وأهوائهم يكافحون فى الحياة كل فى تخصصه أو عمله وهم يعملون جميعا فى منظومة ديناميات الحياة لماذا ؟ للوصول إلى هدف أو تحقيق مآرب أى أن الأصل فى الدافع أن يجعل الإنسان الفرد يعيش فى حالة توازن لأن هدف السلوك هو إشباع وإرضاء الدافع بإزالة التوتر وعودة الإتزان للكائن من جديد ، ويمر الدافع بعدة مراحل ليحقق فى النهاية الهدف أو الغاية من السلوك مثال ذلك إستثارة أو تنبيه تؤدى إلى حالة من الضيق والضجر فنحتاج إلى سلوك مباشر وينتهى هذا السلوك بهدف يرضى الدافع ويشبعه وهنا ينخفض الضيق والضجر ويتلاشى .

وتضم لغتنا العربية الجميلة معانى إجمالية ومترادفات لغوية للفظة الدافع فهناك على سبيل المثال الحاجة والميل والنزعة والباعث والحافز والرغبة والإتجاه والعاطفة والهدف والإرادة والهوى وهكذا .

ولسنا فى حاجة إلى شرح كل نقطة من هذه الألفاظ لأنها مسميات ومترادفات لبعض أنواع الدوافع والغرائز والحاجات .

الإتزان الجسدى والكيميائى للإنسان "الهميوستازى".

أوضحت البحوث والدراسات التى أجريت فى مجال الفسيولوجيا أن هناك ميلا فى الكائن العضوى الحى نحو الإحتفاظ بحالة ثبات وإتزان جسدى وكيميائى وهو ما نطلق عليه التوازن الحيوى Homeostasis وإذا إضطرب توازن الجسم ظهرت فى الحال بعض العمليات الجسدية التعويضية لتقوم بمهمة سد النقص أو إزالة حالة الإضطراب .

مثال ذلك إذا حدث تهتك أو تلف فى بعض أنسجة الجسم فإن خلايا الدم البيضاء تقوم بتجديدهذه الأنسجة ، وإذا زادت حرارة البدن عن حد معين بدأ العرق يتصبب من الجسم لخفض درجة الحرارة وإذا دخل جسم غريب فى العين فإن الغدة الدمعية تزيد من نشاطها لطرد هذا الجسم الغريب من العين وهكذا ، إن عملية الإحتفاظ بحالة التوازن تهدف أساسا إلى تنظيم علاقة الكائن الحى بالبيئة بوجه عام ومن ثم يمكن أن نتخيل الكائن الحى يميل دائما إلى الإحتفاظ بحالة ثابتة من التنظيم الذاتى فإذا أصيب هذا التنظيم الذاتى بشئ من الإضطراب أو الخلل ظهرت دوافع معينة لتوجيه السلوك البشرى الوجهة السليمة .

تصنيف الدوافع .

تنقسم الدوافع - طبقا لتصنيفها الأكاديمى - إلى ثلاثة أنواع كبيرة هى على الترتيب الدوافع الفسيولوجية والدوافع الإجتماعية والدوافع اللاشعورية ونتحدث عن كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة بشئ من التفصيل فنقول :

أولا : الدوافع الفسيولوجية .

من سمات الدوافع الفسيولوچية تلك السمات الآتية :

١ - الدوافع الفسيولوچية شائعة وعامة بين جميع أفراد النوع الواحد حيث أن الجميع يشعر بها ويحسها وتوجد هذه الدوافع أيضا عند الحيوانات وهى ذات وظيفة بيولوچية هامة لأنها المسئولة عن بقاء الكائن العضوى الحى .

٢ - الدوافع الفسيولوچية فطرية وليست مكتسبة أو متعلمة فهى موجودة لدينا منذ الولادة.وسلوك الطفل فى بداية حياته مرهون بإشباع حاجاته الضرورية من ماء وطعام وهواء ونوم وراحة والتخلص من المواد المتراكمة فى جسم الإنسان.

٣ - الدوافع الفسيولوچية لاتحدث إلا نتيجة إضطرات أو خلل فى الإتزان العضوى والكيميائى للجسم .

وتشمل الدوافع الفسيولوچية الجوع والعطش والتنفس والجنس والراحة والنوم والبعد عن الحرارة والبرودة والتبول والتبرز والبعد عن الألم الجسمي والأمومة، ونشير إشارات عابرة إلى بعض هذه الدوافع الفسيولوچية .

الجـــوع .

أوضحت الدراسات الكثيرة على أن إنخفاض المواد الغذائية فى الدم هو من أهم العوامل الرئيسية لوجود دافع الجوع لأن إنخفاض مثل هذه الموادالغذائية فى الدم يؤدى إلى التوتر والتوتر بدوره يؤدى إلى إحداث تقلصات فى جدران المعدة فيزداد النشاط العام فى جسم الكائن الحى ومن ثم يحس الإنسان بدوافع الجوع والرغبة فى تناول الطعام ، على أن بعض نتائج التجارب الأخرى قد أوضحت أن تقلص جدران المعدة ليس هو العامل الوحيد فى إحساسنا بالجوع بل أن حالة الدم الكيميائية هي العامل الأساسي الأول في الإحساس بالجوع وفى إحداث تقلص جدران المعدة .

العطـــش .

يظهر دافع العطش بسبب إنخفاض الماء فى أنسجة الجسم مما يؤدى بشعور الفرد بالجفاف فى الفم والحلق وهو أول تنبيه يتلقاه الفرد بوجود إنخفاض فى كمية

الماء فى الجسم فيدفعه ذلك إلى تناول الماء لإطفاء هذا العطش وهناك أيضا بعض التجارب الكثيرة التى أجريت على دراسة فسيولوچية العطش والتى تشير بأن بالجسم البشرى جهاز خاص حساس لحاجةالجسم للماء ويقوم بتنظيم دافع العطش .

والواقع أن كل من دافع الجوع ودافع العطش يتأثر بالتعلم والعوامل الإجتماعية السائدة فى البيئة ومن ثم تظهر ميول خاصة لتناول المرطبات والسوائل الأخرى والمشروبات المختلفة .

الدافع الجنسى،

هو من الدوافع القوية لدى بنى الإنسان وأكبرها أثرا وأهمها فى تشكيل سلوكه وصحته النفسية ، إن حياتنا الإجتماعية المعقدة فضلا عن تعقد الطبيعة البشرية بالإضافة إلى ضغوط وقيود الثقافات والحضارات العصرية ، تجعل دراسة هذا الدافع وتحليله صعبا للغاية .

كشفت الدراسات الحديثة عن أن نشاط هذا الدافع لدى الحيوان يعتمد على هرمونات تفرزها الغدد الجنسية عند الذكور والمبيضان عند الإناث كما بينت هذه الدراسات أن إزالة المبيض عند إناث بعض الحيوانات يزيل الإهتمام الجنسى لديها. كما بينت بعض الدراسات الفسيولوچية أن الهرمون الجنسى الأنثوى لايفرز إلا أثناء طول التحفز الجنسى فقط .

وبالرغم من أن هناك تشابها أساسيا فسيولوچيا للدافع الجنسى عند الإنسان والحيوان إلا أن بينهما فروقا هامة فقد دلت بعض التجارب العلمية على أن إستئصال الغدد الجنسية الذكرية أو الأنثوية من أشخاص كبار ناضجين لايؤثر فى نشاطهم الجنسى إلا تأثيرا بسيطا.ويلعب التعلم دورا كبيرا فى إكتساب بعض الإتجاهات الجنسية الخاصة من ذلك مثلا إن بعض الأفراد فى المجتمعات المختلفة قد يتعلم ممارسة العادة السرية أو التعلق بالجنسية المثلية أو الوقوع في بعض الإنحرافات الجنسية نتيجة ما إكتسبه من خبرات فى ظروف معينة مرت به ، وتوضح لنا دراسات قام بها كينزى فى أمريكا أن ٥١٠٠ من الرجال من بين ٥٣٠٠ رجل بحثت حالاتهم أثناء البحث الذى قام به كينزى على الأمريكان وهو بعنوان «السلوك الجنسى لدى الرجال والنساء فى أمريكا » قرر هذا العدد من الرجال أنهم

مارسوا العادة السرية كما أن نصف عدد المفحوصين أجابوا بأنهم تورطوا فى عمليات جنسية مثلية مرة واحدة على الأقل وأدلى بعضهم ويقدرون بنسبة ٤٥ ٪ تقريبا من الرجال الذين كانوا يعيشون فى الريف إنهم قاموا بنوع من الإتصال الجنسي مع الحيوانات ، والواقع أن أغلب الإنحرافات الجنسية لدى بعض الأفراد إنما جاءت فى صورة عادات وتقاليد وإتجاهات قد تعلمها هؤلاء الناس نتيجة بعض الخبرات التى مرت بهم .

دافع الأمومة .

إن وظيفة الأم فى عالم الإنسان أو دنيا الحيوان تنحصر فى تغذية الصغار والعناية بهم وتوفير الرعاية لهم والدفاع عنهم وهذا هو السلوك الشائع بين كل الأمهات لدى الإنسان والحيوان من ذلك مثلا قد أوضحت بعض البحوث العلمية التى أجريت على الفئران البيضاء وجود سلوك واضح للأمومة فالفأرة أثناء ولاداتها لصغارها تظهر إهتمام كبير لهم فهى التى تقطع الحبل السرى وتحنو عليهم وتبنى لهم عشا من أى مادة فى البيئة وتسهر على راحتهم وإذا ضل أحد صغار الفئران الطريق أو العش فإنها تعيده إليه كما أوضحت الدراسات الفسيولوچية الكثيرة وجود أساس فسيولوچى لدافع الأمومة فقد تبين مثلا أن هرمون « البرولاكتين Prolactin » الذى تفرزه الغدة النخامية يلعب دورا حيويا فى تنشيط دافع الأمومة مثال ذلك :

إذا حقنت فأرة عذراء بهذا الهرمون فإنه يبدو عليها إهتمام واضح برعاية وعناية الفئران الصغيرة .

أما عن دافع الأمومة لدى الإنسان فهو يختلف من ثقافة إلى ثقافة ومن حضارة إلى حضارة يتأثر بالطبع بعوامل التنشئة الإجتماعية والتقاليد والعادات الإجتماعية ففى بعض المجتمعات البدائية توجد ظاهرة تبنى الأطفال ولا يستطيع الفرد أن يعرف حقيقة نسب الأطفال فى مثل هذه المجتمعات البدائية حيث أن معظم الأمهات يسلمن الأطفال لنساء أخريات ليقمن بعملية التربية . وفى جزر « إندامان » يعتبر أهالى هذه الجزر أنه من مظاهر الشهامة والتعاون والإنسانية أن يطلب الرجل المتزوج تبنى أطفال أصدقائه .

هذا وقد ذكرت بعض الدراسات الأنثروبولوجية إنتشار ظاهرة قتل الأطفال بين بعض المجتمعات البدائية خوفا من الفقر والفاقة كما كان يحدث عند العرب فى الجاهلية ، كما ذكرت بعض الدراسات أن بعض المجتمعات البدائية يرغبون دائما بشكل محموم أن يكون فى الأسرة عدد الأولاد مساوي لعدد البنات فإذا زاد عدد الأطفال من أحد الجنسين عن الآخر قامت الأسرة بقتل العدد الزائد من الأطفال .

الغـرائـز .

ونحن بصدد الحديث عن الدوافع الفسيولوجية لايمكن أن نغفل الإشارة إلى موضوع الغرائز ، حيث أن الدوافع الفسيولوجية دوافع « فطرية » أصلا ومن هنا وجب علينا أن نتحدث عن الغرائز لأن الغريزة فى حد ذاتها سلوك فطرى متحجر ، سلوك غريزى مركب فينا منذ الولادة ، ولقد كان لوليم مكدوجال قصب السبق فى الحديث عن الغرائز ويرى أنها بمثابة المحركات الأولى لأى نشاط حيوى حركيا كان أم عقليا فرديا كان أم جمعيا من قبل الكائن الحى وللغريزة جوانب ثلاثة هى الإدراك والوجدان والنزوع .

وهناك غرائز مشتركة بين الإنسان والحيوان مثل التماس الطعام والراحة والنوم والإخراج والهرب والمقاتلة والغريزة الجنسية والوالدية والغريزة الإجتماعية وحب الإستطلاع والسيطرة والخضوع والتملك والإدخار .

هذا وكلما تقدم الحيوان وتطور فإن ذلك لايعنى أن تتلاشى الغرائز أو تأخذ فى الأفول ، بل كل ما يحدث هو قدرة الفرد أو الحيوان على التحكم فى هذه الغرائز أو تحويرها .

نظرية فرويد فى الغرائز .

يرى فرويد أنه يمكن دمج غرائز وليم مكدوجال فى غريزتين إثنتين هما : غريزة الحياة ، وغريزة الموت فأما غريزة الحياة تكمن فى مظاهر محافظة الفرد على نفسه ، والعمل المستمر والبناء وعمارة الأرض والإبداع والإختراع والفكر والفن. بينما تصبح غريزة الموت ماثلة فى التدمير والعدوان والفناء والعدم والخواء والفراغ وهذه هى كل مظاهرها وهناك طاقة حيوية جنسية تعرف باسم «اللبيدو Libido»

توجد عليها هاتين الغريزتين غريزة الحياة وغريزة الموت ، ويقول فرويد بأن العدوان مثلا لايحدث بسبب الإحباط فقط بل إن الإنسان - فى حد ذاته - عدوانى بطبيعته » أى الدافع العدوانى عند الإنسان دافع جبلى فطرى موروث كالجوع والعطش والجنس يتطلبه تركيب الإنسان الجسدى.إن صفة العدوانية صفة عامة مشتركة بين جميع الأفراد برغم الفروق الفردية بينهم وإختلاف الثقافات والحضارات لديهم وتباين الإتجاهات والقيم والمعايير الإجتماعية عندهم ، إن العدوان خاصية فطرية أساسية عند بنى الإنسان فى كل عصر وكل زمان ومكان ، منذ عهد هابيل وقابيل أبناء سيدنا آدم عليه السلام حتى عصر الذرة وغزو الفضاء ، مرورا بحروب وغزوات العرب التحريرية والخليجية والفلسطينية.ولما كان العدوان أصلا مظهرا للغريزة ، فإن الفرد فى كراهية دائمة لأخيه الإنسان وهى كراهية وبغضاء بالفطرة وأن وراء الحب الظاهر السائد لدى الناس عداوة مستمرة خافية وليست طيبة الفرد سوى الوهم والخرافة والضلال .

كما أسهب وأطال فرويد الحديث عن معنى الغريزة الجنسية « غريزة الحياة » وربطها بالحب بأوسع معانيه فهى تشمل الحب الجنسي وحب الحياة وحب الذات وحب الوالدين والأطفال وحب الأصدقاء والناس جميعا .

ومجمل القول أن فرويد قد قرر بأن الجنسية هى غريزة الحياة لماذا ؟ لأن الجنسية حب وتقدير وبناء علاقات إنسانية مع الآخرين وأى خلل أو إضطراب تصاب به الجنسية أو يلحق بها فمعنى ذلك تقهقر إلى الوراء وكراهية عمياء وخراب وتدمير وفناء نفسي وفراغ إجتماعى وخواء .

ثانيا : الدوافع الإجتماعية .

ليس من الممكن إعتبار الدوافع الإجتماعية دوافع فسيولوجية حيث أنها ليست مرتبطة بالنمو ولكنها بكل بساطة دوافع مكتسبة خبرها وإكتسبها الفرد بالتعلم أثناء مروره بعملية التنشئة الإجتماعية أو التطبيع الإجتماعى ، إن الدوافع الإجتماعية نتاج عوامل ثقافية وحضارية وخبرات جديدة موقفية من الحياة المعاشة ، وقد وضحت الدراسات الحديثة فى علم النفس وفى علم الأنثروبولوجيا .أن مثل هذه

الدوافع الإجتماعية تتأثر بالعوامل الإجتماعية وإنها عملية إكتسابية تكتسب بالتعلم وليست بالفطرة .

هذا وتتباين الظروف الإجتماعية وتختلف كثيرا ومن ثم تختلف تجارب وخبرات ومواقف ونظام الأسرة التى ينشأ فيها الأطفال وينتج عن هذا التباين وجود إختلافات كثيرة فى الميول والإتجاهات والرغبات والقيم التى يتميز بها الأفراد بعضهم عن بعض .

المنابع الأساسية للدوافع الإجتماعية .

لما كان الطفل عند ولادته لايمكنه إشباع دوافعه الفسيولوچية بنفسه بل تتطلب الأمر أن يقوم شخص أو أشخاص برعايته وعنايته وبتغذيته ، لما كان ذلك كذلك فإن إرتباط الشخص بموقف عملية التغذية يصبح ذا قيمة خاصة عند الطفل ، فالأم تقوم بتغذية الطفللأن الغذاء هو العامل الأساسى للمحافظة على حياته ولما كانت الأم هى التى تقدم هذا الغذاء فأن تقديم الغذاء يقترن بوجود الأم ومن ثم تصبح الأم ذات قيمة خاصة عند الطفل حيث أن وجودها فقط بجوار طفلها أمر كاف ومشبع لحاجة الطفل وعلى هذا الأساس ذاته يكتسب الأشخاص الآخرون فى الأسرة قيمة كبيرة عند الطفل وهذا هو أساس حب الطفل لأسرته وتقديره لها وإرتباطه بها حيث إذا سافر الطفل بعيدا عن أسرته شعر بالغربة والإغتراب وألم الفراق وتمنى العودة إلى أسرته .

إن الأطفال دائما في حاجة إلى رعاية وعناية من أسرهم بإشباع دوافعهم الفسيولوچية ، ولا يتم هذا الإشباع دائما إلا على أيدى أفراد آخرين هم أفراد الأسرة ومن هنا يكتسب الطفل حبه للناس والميل إلى الوجود معهم ، ومن الدوافع الإجتماعية أنواع كثيرة كالحاجة إلى الأمن والحاجة إلى البروز فى المجتمع والحاجة إلى التقدير الإجتماعى والإتجاهات الإجتماعية والعواطف الجياشة نحو الوطن أو الأشخاص والميول المكتسبة والعادات والتقاليد المختلفة والأهداف والمثل ومستوى طموح الفرد ، والدوافع المكتسبة قد تكون إجتماعية عامة أو إجتماعية حضارية أو إجتماعية فردية .

الدوافع الإجتماعية والحاجات النفسية .

يجب أن نؤكد أن الحاجات النفسية لاتشبع إلا فى إطار إجتماعى ، وأسرة الطفل هى أولبيئة إجتماعية يمكنها أن تتيح للطفل فرصا لإرضاء حاجاته النفسية المختلفة ، إن توفيق الأسرة فى هذا الإرضاء والإشباع يؤدى بسلوك الفرد وإتجاهاته نحو الجماعات إلى سلوك راض مرض.مثال ذلك الحاجة إلى الأمن النفسى وتعنى شعور الإنسان بالأمن والإطمئنان على صحته وأسرته ومستقبله ومركزه الإجتماعى ولذا يجب على الفرد أن يعمل جاهدا على كسب رضاء الناس وحبهم وإهتمامهم كما يجب على المجتمع أيضا أن يقدم لأفراده أنواع مختلفة من التأمين الإجتماعى ضد حوادث العمل والبطالة والعجز والشيخوخة وهذا هو العدل والعدل أساس من أسس الأمن.كما يجب أن يكون لدى الفرد قدر كبير من المهارات اللازمة للكفاح فى الحياة والمواقف الإجتماعية المختلفة فى المجتمع وبالمثل على الفرد أن يتحلى بالثقة بالنفس تدعيما لشعوره بالأمن وهناك حاجة نفسية ماسة هى الحاجة إلى التقدير الإجتماعى وهى حاجة ضرورية بالفرد ويتوقف نجاح الفرد فيها وقبوله فى المجتمع بأن يتميز بالتقدير والإكبار والإحترام من الآخرين طبقا لمكانته الإجتماعية ، إن التقدير الإحتماعى يقوى ويدعم الشعور بالأمن ولكنه ليس مصدره ، على أن هناك أفرادا يوجهون عدوانهم إلى الناس جميعا وهذا ما نسميهم بالأشخاص المنبوذين من الوالدين ومن المجتمع ومثل هؤلاء الأشخاص يكبتون عدوانهم ولكنهم يصابون بعد ذلك بأعراض الإكتئاب والفصام .

ومن الحاجات النفسية أيضا المرتبطة بالدوافع الإجتماعية الحاجة إلى الإنتماء Need for Belongingness ، لاشك أن شعور الفرد بالأمن والتقدير الإجتماعى يزداد دائما حين ينتمى إلى جماعة قوية كالأسرة أو المدرسة أو النادى أو الجمعية المصرية للدراسات النفسية وتبدو هذه الحاجة بداية من خلال أفراد الأسرة بوجه عام وعلاقة الطفل بأسرته بوجه خاص .

فإذا وجد الفرد الإشباع والإرضاء فى علاقته بالأسرة والأصدقاء أصبح يلتمس العلاقات الإجتماعية مع الناس جميعا لإرضاء مايعانيه من نهم إجتماعى .

وإذا عملت الأسرة على إرضاء حاجة الفرد إلى الإنتماء وشعر الفرد بالإنتماء

إلى جماعة معينة زاد ولاؤه وشعوره بأنه جزء منها ، وقد يحدث العكس لدى عمال أحد المصانع أو المؤسسات الذين يعانون من الجفاء العاطفى والعلاقات الإجتماعية السلبية والواهنة وإنعدام الإنتماء . وهنا يشعر العامل بالفقدان والضياع والغربة النفسية والإغتراب الإجتماعى فيقل شعوره بالإنتماء إلى مصنعه ويقل ولاؤه له وتحمسه لعمله رغم وجوده إلا أنه موجود لأنه شكلا وجسما ولكنه غائب ذهنيا وفكريا فهو موجود كلا لأنه موجود غير معدود كما قال شيخ علماء النفس فى مصر الأستاذ الدكتور / أحمد عزت راجح رحمه الله وطيب ثراه ، ومن الحاجات النفسية أيضا المرتبطة بالدوافع الإجتماعية الحاجة إلى إحترام الذات تلك الحاجة التى تدفع الفرد إلى الحفاظ علي كرامته والدفاع عن ذاته ، إن الحاجة لإحترام الذات تؤكد تماما علي أن نستر عوراتنا الذاتية لأن عيوب الذات يجب أن تظل مستورة والحاجة إلى إحترام الذات ترتبط إلى حد كبير بالحاجة إلى التقدير الإجتماعي فإحترامنا لذواتنا يتطلب إحترام الغير لنا .

ويوجد أيضا من الدوافع الإجتماعية بعض الدوافع الهامة مثل دافع السيطرة دافع التملك وعن دافع السيطرة نقول إنه دافع مشترك بين الإنسان والحيوان وقد يعتبر البعض دافع السيطرة بمثابة الغريزة الفطرية كما يقول بذلك ماكدوجال وألفرد آدلر Adler حيث يعتبران هذا الدافع من أقوي وأهم الدوافع الإنسانية والواقع أن الإعتقاد بأن السيطرة غريزة فطرية قول لاتؤيده نتائج الدراسات والبحوث العلمية الحديثة ويتضح من بعض البحوث الأنثروبلوچية وغيرها أن دافع السيطرة ليس غريزية وإنما هو نتاج لعوامل حضارية وثقافية وإجتماعية نشأ فيها الطفل .

أما عن دافع التملك فنعنى به الرغبة الجامحة في حيازة أشياء لها قية مادية وهذا الدافع موجود بوضوح عند كثير من الحيوانات التى تميل إلى تخزين الطعام وإعداد مأوى خاص بها ، ويظهر دافع التملك بوضوح بين أفراد معظم المجتمعات الإنسانية إلا أن هناك بعض المحتمعات الأخرى لايظهر فيها دافع التملك بوضوح والواقع أن دافع التملك دافع إجتماعى يكتسبه الإنسان تحت تأثير العوامل الحضارية والأجتماعية التي ينشأ فيها وهو ليس غريزة فطرية إلا أن التملك فى حد ذاته ليس غاية وإنما هو وسيلة لإشباع دافع الأمن والسيطرة والشهرة فى معظم المجتمعات .

الإتجاهــات النفســية .

نعنى بالإتجاه النفسى Attitude مقدرة إنفعالية إكتسابية تشكل صورة من صور الدوافع الإجتماعية المكتسبة أثناء عملية التنشئة الإجتماعية للطفل والإتجاه النفسى قديكون نحو :

١ - موضوع من الموضوعات أو شئ من الأشياء فى بيئة الإنسان الطبيعية .

٢ - فرد أو أفراد أو حيوان أليف أو مفترس ، فإتجاهى نحو أستاذى أو والدى أو أحد أقربائى يختلف تماما عن إتجاهى نحو زميل دراسة أو أحد الجيران أو أحد الغرباء من ناحية الحب أو الكراهية أو الإعجاب أو الإحتقار أو عدم الإهتمام أو المنافسة .

٣ - زمرة من الناس كالتحيز لهم أو التعصب ضدهم .

٤ - فكرة مجردة أو نظام سياسى معين أو إعتناق أحد المبادئ أو التضحية في سبيل العلم أو الشرف أو العدل والحق والخير والجمال .

٥ - الذات الفردية مثل إحترام النفس والإعتزاز بها والثقة فيها مما يؤثر إلى حد كبير فى سلوك الفرد نحو نفسه ونحو الآخرين فالمتكبر يرى الناس - فى نظره - صغارا وهم كذلك يرونه صغيرا حقيرا ومن هانت عليه نفسه كانت على الناس أهون وهكذا .

هذا وقد رأى العالم النفسى الأشهر الفرد آدلر Adler أن الفرد الذى يحس بعقدة النقص فى قرارة نفسه يبخس الناس أقدارهم ويقلل من شأنهم .

تصنيفات الإتجاهات النفسية .

للإتجاهات النفسية صور مختلفة نعرضها فى النقاط الآتية :

١ - الإتجاهات الموجبة : كإتجاهات الإحترام والمودة والحنان والمحبة والعطف .

٢ - الإتجاهات السالبة : كإتجاهات الإحتقار والبغضاء والعدوانية والإشمئزاز .

٣ - **الإتجاهات الخاصة** : وهي الإتجاهات التى ترتبط بموضوع معين كحب طعام معين أو التعلق بدراسة الكمبيوتر .

٤ - **الإتجاهات العامة** : وهى الإتجاهات الشاملة الكاملة نحو شئ ما ويعرف الإتجاه هنا فى هذا الصدد « بالخاصية Trait » مثل خاصية إحترام كل ما هو قديم أو كلاسيكى كحب الأغانى القديمة لموسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب ، والحفاظ والتمسك بالعادات القديمة الأصيلة فى الزواج والتعليم الجامعى والإحتفال بالأعياد والمناسبات الدينية ، ومن هذه الخصائص الفريدة تتكون شخصية الإنسان الفرد فى المجتمع .

٥ - **الإتجاهات القوية** : وهى تلك الإتجاهات المدعمة بالحب والحنان والشوق والوجدان وتعرف بالعواطف مثل عاطفة الأمومة وعاطفة الولاء والإنتماء الوطنى وعاطفة الحب المتبادل .

٦ - **الإتجاهات الضعيفة** : وهى إتجاهات موقفية عابرة لاتدوم طويلا مثل الإتجاه نحو حرب أهلية خاطفة .

خلاصة القول أن تكوين العواطف والإتجاهات يتوقف بالضرورة على ممارسة وتكرار علاقة الإنسان بموضوع أو بشئ خاص بالإتجاه أو العاطفة على أن يكون تكرار الشخص بالموضوع يبعث على الرضا والسرور والإشباع النفسى فيرتبط الشخص بالموضوع أو الشئ وهنا مانسميه بالعاطفة أو الإتجاه النفسى .

ثالثا : الدوافع اللاشعورية .

بعد أن تحدثنا من قبل عن الدوافع الفسيولوجية والدوافع الإجتماعية وضربنا الكثير من الأمثلة التوضيحية من حياتنا الواقعية.وعرضنا الأدلة الكثيرة والبراهين العديدة بأن موضوع الدوافع والحاجات من الموضوعات الهامة إلى حد كبير وأن الدوافع بكل أنواعها ما هى إلا محركات لرغبات وتصرفات الإنسان الفرد.ومن هنا فإن وراء كل سلوك دافع وهذا بيت القصيد من دراسة الدوافع.هذا ونتعرض هنا فى هذا المقام للحديث عن أخطر أنواع الدوافع فى حياتنا النفسية والإجتماعية وهى «الدوافع اللاشعورية» تلك الدوافع التى كان لفرويد s . Freud قصب السبق فى

إكتشافها وإرتياد مجاهلها وسبر غورها ، وفك طلاسمها بأن جعلنا نقف أمام هذا الكشف العلمى المذهل مؤمنين بأن اللاشعور والعقل الباطن يشكلان جزءا غامضا مستترا من النفس البشرية التى تجمع بين السواء والفجور والتقوى والتزكية والتدسيه واللوم والتمردوالتطامن .

ونعنى بالدوافع اللاشعورية كل دافع لانشعر أو نحس به من خلال سلوكنا حيث أن هناك سلوكا يحدث جبرا وغصبا عن إرادتنا ولادخل لنا فيه وليس معنى ذلك أن يحدث مثل هذا السلوك مصادفة أو بشكل عشوائى ، لا إنه سلوك مقصود وحتمى لأنه لاشئ يحدث من فراغ طبقا للمقولة العلمية النفسية والحتمية السيكولوچية Psychological Determinism .

لماذا لانشعر بالدافع ؟

للإجابة على هذا السؤال نقول : لأن طريقة إشباع دوافعنا الفسيولوچية والإجتماعية صارت عادات يومية متواترة وجزءا من سلوكنا يحدث من خلال التكرار والممارسة الطبيعية فأصبحنا لانفكر فيما يقوم وراء هذا السلوك من دوافع ، فالمرء يجامل صديقة لأنه يعيش فى جماعة ويمتثل لمعايرها ومثلها وقيمها وعاداتها ، ويتعاون فى العمل ، ويحدث كل هذا بدون إحساس واضح بالدوافع التى تدفعنا على القيام بهذا السلوك ، إننا لانمعن النظر فى دوافعنا وبواعثنا إلا فى حالة إعاقتها وإصطدامها بعقبات إجتماعية أو مادية فالصداقة التى تقوم بين إثنين على أساس من المودة والتعاطف لايحس بها أحد الصديقين إلا إذا شابها بعض الشوائب أو سوء تفاهم أو مايكدر صفو هذه الصداقة كما أن سلوكنا البشرى لايبعثه دافع واحد فقط بل عدة دوافع فالعامل فى المصنع قد يجتهد فى مهنته رغبة أو رهبة أو زهوا وإفتخارا أو حرصا وإعزازا بالصنعة أو من أجل العيش الرغيد أو طلبا للأمن وتحقيق الذات ، وهكذا نرى أن سلوكنا البشرى يحركه باعث لمجموعة دوافع مختلفة وليس دافع واحد .

ومن الدوافع ما يصبح كريها ومنفرا على نفس المرء فيسبب له المتاعب ويجلب له الخزى والعار فى حالة الشعور به ، ولذا يحاول الفرد أن يطمس معالم

هذا الدافع وينساه ويتم كبته فى اللاشعور ولذا يجب علينا ألا نصدق مايقوله الناس عن دوافعهم لا لأنهم يكذبون ولكن لأنهم لا يدركون أو يتخيلون .

مدلول التخيل فى حياتنا النفسية .

قد نشعر يوما ما برعب وهلع من تخيلاتنا ، وما تعنيه هذه التخيلات فهل تمثل هذه التخيلات حقيقتنا الأزلية وواقعنا الملموس ؟ للإجابة على هذا السؤال نستمع لقصة رواها أحد المشتغلين بالتحليل النفسى (١) فى قديم الزمان كان يعيش رجل فى مملكة قديمة ، وكان على قدر من التقوي والتدين والورع ولذا أمر حاكم هذه المملكة أحد الفنانين المشهورين أن يرسم لوحة فنية لهذا الشيخ الورع التقى والذى يحترمه ويقدره ولما تم للفنان ماأراد وإنتهى من رسم اللوحة المطلوبة حضر ليقدمها إلى حاكم المملكة وسط إحتفال مهيب ، وعندما أزاح عنها الستار كاد الحاكم أن يقع مغشيا عليه من هول المفاجأة إذ كان الوجه الماثل أمام الأعين فى اللوحة وجه رجل داعر فاسق ، وهنا صرخ الحاكم بأعلى صوته « هذه إهانة كبيرة » وكاد يقطع رأس الفنان المسكين وهنا هتف الرجل التقى الورع صاحب اللوحة كلا يامولاى صبرا وإستمع إلىّ « تقف أمامك الآن صورة الرجل الذى كافحت طوال حياتى ألا أكونه » إن هذا يعنى - من خلال هذا القصة - أننا جميعا ذلك الرجل المتدين ونعمل مدفوعين دائما على مقاومة ما لدينا من نزوات وغرائز هابطة.وعندما تحدث بعض هذه المقاومات خارج إدراكنا فإن مثل هذه الدوافع والرغبات تأخذ فى الظهور وتصبح أشبه شئ بالنقوش الصغيرة والتي نطلق عليها تخيلات ومن هنا نشعر بألم وبشاعة الكائن الذى نحاول جاهدين ألا نكونه .

بين الكبت والقمع .

نقصد بالكبت Repression محو دافع مهيمن ، أو فكرة حوازية قهرية أو

---

(١) من بحث قام به المؤلف بعنوان « التفكير السحري » دراسة نفسية أنثروبولوجية دار المطبوعات الجديدة الإسكندرية ١٩٨١ ص : ١٧ - ١٨ .

صدمة وجدانية قاسية من منطقة الشعور وكبت الأحداث أى نسيانها ، بينما كبت الدافع فنعني به إنعدام الإحساس به إذ أنه بمثابة الحيلة الدفاعية التى تقى الإنسان وتحافظ عليه من الضيق والضجر والقلق النفسى ، وما يراوده من الرغبة فى الإنتقام من صديق أو الغيرة المرضية على حبيب أو الشعور بالذنب من سلوك شائن قام به.فالدفع المكبوت هو ذلك الدافع الذى لانشعر به ونرفضه تماماونحاول أن نضع سدا منيعا أو حصنا قويا ليشكل مايسمى «بالتعتيم الإخبارى» على سوءاتنا وسيآتنا النفسية.ولا ننسى أن عملية الكبت عملية محو أو إنكار لاإرادى أما عن القمع Suppression فهو محو إرادى لبعض الدوافع من مجال الشعور إنه بمثابة « كظم الغيظ » وتهدئة النفس وضبطها بعد غضب مفاجئ أو حدوث أفعال لانقبلها وتعافها النفس لغرابتها وخروجها عن المألوف من قيمنا ومعاييرها وتقاليدنا .

خلاصة القول أن الكبت عملية لاشعورية تحدث بشكل تلقائى لا إرادة لنا فيه بينما القمع عملية شعورية تحدث بإرادتنا ونتحكم فيها أثناء مسارها .

إمارات الدوافع اللاشعورية .

تتسم الدوافع اللاشعورية فى حياتنا الواقعية ، ببعض الخصائص أو الإمارات البارزة ومنها على سبيل المثال :

أولا : فلتات اللسان أثناء الكلام .

فقد يدعى أحد الأفراد لإلقاء محاضرة عامة فى أحد النوادى الإجتماعية وفى بداية حديثه يقول « سيداتى آنساتى سادتى طالت ليلتكم ... » بدلا من أن يقول طابت ليلتكم وهذه الفلتة اللسانية تكشف - لدى المتخصصين فى التحليل النفسى - عن قلق مقيم ومزاج سقيم وإضطراب أليم ... حيث تبين أن المحاضر كان يعانى من بعض الأمراض السيكوسوماتيه «النفسجسمية (١)

---

(١) أمراض عضوية سببها نفسي بحت مثل : قرحة المعدة والإثنا عشر والذبحة الصدرية والإسهال المزمن.والإمساك المزمن.وضغط الدم الجوهري.والصداع النصفي.وإضطراب الدورة الشهرية.وبعض الأمراض الجلدية والتناسلية.وأمراض الحساسية الخ .

"قرحة المعدة" Psycho-somatic Diseases وتعاوده آلام القرحة ليلا والليل عنده يعتبر طويلا طويلا بما فيه من سهد وسهر وقلق وألم ، ومن ثم نطق بالحقيقة التي يعيشها فكانت هذه الفلتة اللسانية التى حدثت « لاشعوريا » .

ثانيا : ذلات القلم .

نظن أثناء الكتابة أن القلم أخطأ ولكننا الذى نخطئ ، كما هو الحال فى تشغيل الكمبيوتر حينما يقول أحدهم أن الكمبيوتر أخطأ فى النتيجة ولكن ليس العيب فى الكمبيوتر.إن العيب فى الشخص الذى يغذى الكمبيوتر بالبيانات أو المعلومات لتخزينها وإستخدامها فيما يريد.ومن أمثلة ذلات القلم أن ذهب أحدهم لزيارة زميله بالمستشفى فرأى أن سريره الأبيض خاليا منه فسأل أين يكون ؟ فقيل له لقد ذهبوا به إلى غرفة العناية المركزة فكتب له بطاقة هذا نصها : حضرت لزيارتكم للإطمئنان على صحتكم الغالية ودعوت الله لكم بأن يديم عليك « نقمة الشفاء » بدلا من « نعمة الشفاء ».هذا وقد تبين بعد ذلك أن هناك منافسة دراسية قديمة بين الزميلين كانت تتسم بالعداء المستتر والكراهية المكبوتة والغيرة المهنية اللاشعورية ، مما دفعت بصاحبنا أن يخط بقلمه ما جاء على لسانه ولا غرابة في ذلك إنها الدوافع اللاشعورية .

ثالثا:عملية النسيان .

عملية ديناميكية شأنها شأن التذكر.نحن ننسى لأننا بشر ومن ثم كتب علينا الخطأ والنسيان.ويوضح لنا علم النفس أن النسيان الدائم والموصول يعتبر حالة مرضية لا سوية بينما النسيان البسيط أو المؤقت نسيان ضرورى وعادى وحالة سوية والنسيان - بطبيعته - تعبير أصيل عن دوافع لاشعورية أو شبه شعورية ، ومن أنواع النسيان نسيان أسماء بعض الأصدقاء ونسيان بعض الذكريات ، ونسيان إرتداء بعض الملابس.ونسيان بعض الناس ما إقترضوه منا من مال أو متاع.ونسيان الطبيب لبعض الآلات الطبية كالمشارط والفوط فى بطن المريض.ونسيان المريض تناول الدواء والسبب الأساسى هنا مرجعه إلى الدوافع اللا شعورية .

رابعا : فقدان الأشياء .

يرى معظم الناس أن فقدان الأشياء يقوم أساسا على الإهمال واللامبالاه ، ولكن الحقيقة خلاف ذلك.إن سبب فقدان الأشياء يعود إلى تعمد مستتر لاشعورى لاندركه ، إننا نفقد الهدايا التى أهداها لنا أفراد ليس بيننا وبينهم علاقات حسنة أو مودة حميمة ، فالطالب الذى يخشى الرسوب فى مادة دراسية معينة لايفقد الكتاب الخاص بهذه المادة إلا فى ليلة الإمتحان فيها .

ويرى علماء التحليل النفسى بأن الفتاة التى تفقد خاتم الخطوبة دليل قوى ونذير أكيد بعدم إتمام الزواج ، حيث أن هناك كراهية مكبوتة بين الفتاة والشاب المتقدم لها للزواج ، وينتهى ذلك بالصراع والعناد وعدم التفاهم أو القبول بين الطرفين وينفض السامر ويعود الزائر .

خامسا : تدمير الأدوات المنزلية .

تحافظ ربة البيت دائما على الأدوات المنزلية ولكن رغم حرصها الشديد على مثل هذه الأدوات فقد يحدث - أثناء ترتيب المنزل - أن تتحطم إحدى الفازات الجميلة وليس بسبب الإهمال أو الفوضى ولكن هناك قصد دفين فى كسر أو تحطيم بعض الأدوات المنزلية كأن تكون الفازة قديمة وتفكر ربة المنزل في شراء أخري جديدة أو إستبدالها أو إنها موضوعة في غير مكانها الملائم أو إنها هدية من شخص غير مرغوب فيه من ربة المنزل.إن تحطيم مثل هذه الفازة قد حقق لاشعوريارغبة دفينة فى نفس ربةالمنزل وهكذا .

سادسا : الأحداث الطارئة .

وهى عبارة عن أفعال تتسم بالنزعة التشاؤمية لدى بعض الناس فالوقوع أثناء السير فى الطريق يفسره الشخص بأن هذا الطريق محفوف بالمخاطر وأن التعثر أو الوقوع نذير شؤم.والواقع يدل على أن ذلك كله يكمن فى طيات عدة دوافع لاشعورية مستترة.خذ على سبيل المثال ذهب أحدهم لزيارة صديقه ليلا وبدلا من أن يدخل شقة صديقه هذا إتجه نحو شقة أخرى هى شقة جاره ليدخلها لماذا ؟ بسبب سلطان الدوافع اللاشعورية الدفينة .

سابعا : لعبـة الطفــل .

تلعب الدمية أوعروسة الطفلة دورا حيويا فى حياتها النفسية ، فهذا طفل يقطع أنف لعبة على هيئة والده أو أنها رمز الأب ، ، وهذه طفلة صغيرة تقطع رجل عروستها البلاستيكية تخيلا منها بأنها أختها أو شبيهة الأخت ، هذا ويحدث كل ذلك كنوع من التنفيس عن مشاعر طفولية مكبوتة نحو اللعبة التى تمثل الأب أو الأخت في خيال الطفل .

ثامنا : الأحــلام .

هى عالم رحب فسيح نشاهده ونعيشه أثناء النوم.ومن الأحلام مايحدث على هيئة ذكريات أحداث سابقة فيتذكر الشخص الحالم ما حدث له من ضيق وتوتر في إمتحان الأمس.وغالبا مايكون هذا التذكر مشبعا بالخيال الخصيب والمبالغة الوهمية. ، وهذه ناحية وظيفية أساسية للحلم ووسيلة لإشباع الدافع اللاشعورى .

هذا ويرى فرويد فى كتابه الأحلام إن مانحلم به ماهو إلا صراع نفسى قوى بين رغباتنا اللاشعورية الدفينة وبين مانكابده نفسيا من كبت هذه الدوافع اللاشعورية بجهازنا النفسى.ومن ثم يصبح الحلم بمثابة الحل الوسط الذى يرضى كل الأطراف المتصارعة .

إن وظيفة الحلم - كما يراها فرويد - حراسة النوم وإستمراره وتوفير الهدوء ومقاومة كل إزعاج يقلق الحالم أثناء نومه مثال ذلك : إذا شعر النائم بأن حيوانا مفترسا يقترب منه ويهاجمه ، فإن الحلم يظهر فى الحال لصد هذه المشاعر المؤدية إلى إزعاج النائم « الحالم » ، وتصوير الحيوان المفترس بأنه حيوان أليف محبوب لدى الحالم.وهنا تبدو وظيفة الحلم الأساسية التى تتجلى فى عملية إشباع الرغبات والدوافع اللاشعورية للحالم أثناد النوم ، هنا يظهر الحلم فى صورة كلب أليف أو قط نظيف للحالم بدلا من الحيوان المجهول المفترس ، والواقع أن للحلم صورتان : الأولى صورة بارزة واضحة التى نراها على علاتها كما هى دون تبديل أو تحوير. والثانية صورة مستترة كامنة يكتنفها الضباب والغموض والرموز والإشارات وتلك هى الرغبات والدوافع اللاشعورية التي برزت علي سطح الأحداث فى الحلم في صورة مجموعة رموز وأشكال هلامية غير متماسكة .

ويرى المشتغلون بالتحليل النفسى أن الأحلام تلعب دورا حيويا فى الكشف عن مخبوء الدوافع النفسية المؤثرة على مرضى النفوس .

هذا ونرى أن أحلام النوم كأحلام اليقظة كل نوع منهما قائم على عدة تخيلات من نتاج حاجات ورغبات لم تتحقق وصراعات لم تحسم ومن ثم كان الحلم - فى نظر فرويد - إشباع أوهام خيالية لعدة رغبات مكبوتة وغير مكبوتة .

كما أن الحلم ليس صورة هلامية كالعهن المنفوش ، أو مزيجا من زخرف ونقوش كما يعتقد العامة والدهماء وكما يظن الخاصة والأدباء ... لا ... إنه نشاط نفسي يحقق هدفا ويقوم بوظيفة رئيسية في حياتنا النفسية هى وظيفة « حارس النوم » ومساعدة الحالم على النوم الهادئ دون إزعاج .

فى كتابه الشهير « لغز الكون » المؤلف عام ١٨٩٩ يرى هيكل Haekel أن الطاقات الميكانيكية والكهربية والحرارية والصوتية والضوئية كلها فروع لأصل واحد جوهرى هو الطاقة فى حد ذاتها حيث يمكننا أن نحول كل صورة من هذه الصور إلى الصورة الأخرى.وبالمثل أبدع فرويد حين أدرك أوجه التشابه الكامل بين الأحلام وأعراض إضطرابات مرضى النفوس والمخترعات التكنولوجية والرسوم الفنية والإساطير الأولية والشعائر الدينية القديمة وطقوس المجتمعات البدائية وفكرة «الطوطم والتابو».لقد رأى شيخ المحللين فرويد أنه برغم إختلاف وتباين مثل هذه الظواهر النفسية إلي أنها تتسم بسمات رئيسية مشتركة تكمن فى التعبيرات الرمزية عن الرغبات الجامحة والمخاوف اللاشعورية الدفينة .

العقـد النفسـية .

نقصد بالعقدة النفسية حشد هائل من ذكريات متراكمة منذ الطفولة شابها الكبت والإحباط والشحنات الإنفعالية الأليمة فأفرزت هموما نفسية عديدة كالهلع والضجر والغثيان والغيرة المرضية ، وشعور دفين بالذنب وقلق نفسى مقيم.والأصل فى العقدة النفسية أنها نتاج التربية الأسرية الخاطئة أو خبرات طفولية مؤلمة أو فشل الفرد مرارا وتكرارا فى تحقيق هدف ما ، أو مواجهة الفرد بصراعات نفسية أو صدمات إنفعالية متواترة ويحدث لكل هذه المشاعر والأحاسيس أن تتوارى فى زوايا

النسيان وتأخذ مكانها فى نطاق الكبت فتتكون العقدة .

مثال لبعض المصابين بعقدة نفسية : شاب فى سن ٢٤ يصاب بالإغماء والصداع دائما إذا دخل أحد المستشفيات ويحاول جاهدا ألا يقرب المستشفى إذا كان سائرا بالشارع ، وقد أوضح التحليل النفسى إن هذا الشاب وهو فى الخامسة من عمره قد رأى حادثة تصادم بالشارع فذهب مع المصاب وحشد كبير من الناس إلى المستشفى وهناك سقط تحت سيارة الإسعاف فأصيب ببعض الكدمات والجروح ووقع مغشيا عليه ، وعندما شب عن الطوق وأصبح كبيرا يافعا تذكر تفاصيل هذا الحادث وهنا هاجت الذكرى وإجتاح إنفعال الخوف من المستشفى وأصبح صاحبنا يدخل المستشفيات ويغشى المصحات والعيادات دون خوف أو عقد .

ونطلق على العقدة إسم الإنفعال السائد فيها مثل « عقدة أوديب » و« عقدة النقص » و « عقدة إليكترا » و«عقدة الأم » و« عقدة الأخ هابيل وقابيل ». وفرق كبير وبون شاسع بين عقدة النقص والشعور بالنقص فعقدة النقص Inferiority Complex نعنى بها إستعداد لاشعورى مكبوت لدى الفرد نتيجة مجابهة الشخص بأفعال قهرية ومواقف عدوانية تجعل الفرد يحس إحساسا مؤلما بعجزه وإرتباكه وإنعدام خبرته .

أما عن الشعور بالنقصInferiority Sense فالمراد به إعتقاد الفرد بأنه أقل كثيرا من الآخرين ، مما يؤدى به إلى الخوف والقلق والدونية ويحاول دائما أن يقلل من شأن ذاته والعمل على إحتقار نفسه ، وقد يحدث هذا الشعور بالنقص لشخص ما إذا عرف أنه يعانى من بعض العيوب الخلقية أو الإجتماعية أو البدنية. ومن المعلوم أن الشعور بالنقص قد يتلاشى إذا قام صاحبه بعملية تعويض ناجح ، فترى النحيل متفوقا دراسيا.وترى الفتاة الفقيرة تعمل على التفوق والبروز فى مجال اللغة الإنجليزية وهكذا .

الفصل السابع

دافعية العمل والرضا المهنى .

* نظرية الحــاجات .
* نظرية الوجود والإنتماء والنمو .
* نظرية الحاجات عند ماكليلاند .
* نظرية ذات العاملين عند "هيرزبرج" .
* النظــريات الإدراكيــة " المعرفيــة " .
* النظريات السلوكية .
* مبـــدأ " بريمــاك " .
* نظرية التعلم الإجتماعى .
* نظرية الفـــروق الفرديــة .
* قيـــاس الرضـــا المهـــنى .

دافعية العمل والرضا المهنى .

سوف نتعرض في هذا الفصل للنقاط الآتية :

١ - **نظرية الحاجات** : وتتضمن :

أ - الحاجات البيولوجية والأساسية .

ب - الحاجة إلى الأمن والأمان .

جـ - الحاجات الإجتماعية .

د - الحاجة إلى تقدير الذات .

هـ - الحاجة إلى تحقيق الذات .

٢ - **نظرية الوجود والإنتماء والنمو (E . R . G)** :

ومن أبعاد هذه النظرية الأبعاد التالية :

أ - بعد الحاجة إلى الوجود « EXistance » .

ب - بعد الحاجة إلى الإنتماء « Relatedness » .

جـ - بعد الحاجة إلى النمو « Growing up » .

٣ - **نظرية ذات العاملين** « هيرزبرج » .

٤ - **نظرية الحاجات عند** « ماكليلاند » .

٥ - **النظريات المعرفية** وتضم عدة نظريات منها :

أ - نظرية العدالة والإنصاف .

ب - نظرية التوقع .

جـ - نظرية الإتساق « الثبات » .

٦ - **النظرية السلوكية** .

وتشمل على عدة مبادئ ونظريات منها :

أ - الإشـراط الفاعـل .

ب - مبدأ « بريماك » .

جـ - التغذية الرجعية .

د - نظرية التعلم الإجتماعى « Social Learning » .

هـ - نظرية الفروق الفردية « Indivual Diffrenes » .

د - قياس الرضا الوظيفي « المهني » .

هذا ويتطلب الأمر من كل مؤسسة أو هيئة أن تقوم بتدريب العاملين فيها والتأكد من ملاءمة الوظائف والأعمال التى يشغلونها مما يحفزهم على الإنجاز والشعور بالرضا المهنى نحو هذه الأعمال ، ويرى علماء النفس الصناعى أن الدافع على الإنجاز ما هو إلا القوة التى تدفع العامل إلى الأمام لتجويد وتحسين أدائه ، إن القدرة والمهارة هما المؤشر على قيام العامل بعمله على الوجه الأكمل من جهة بينما يحدد لنا الحافز صحة وسلامة أداء العامل من جهة أخرى ، وبرغم الإرتباط الوثيق بين الحافز والأداء وصعوبة قياس هذا الإرتباط ، إلا أن الباحثين قد إتفقوا على أن زيادة الحافز لدى العامل تؤدى إلى إرتفاع مستوى الأداء الوظيفى ، كما أن شعور العامل بالرضا والإرتياح يؤثر على عملية الأداء إيجابا ، وفى المقابل فإن شعوره بالضيق والضجر والقلق نحو عمله ومدير العمل يؤدى بالعامل نحو التغيب والإنسحاب من الموقف وبالتالى يؤثر على الأداء سلبا .

وبالرغم من إزدياد وفاء العمل بمتطلبات العامل ، إلا أن ذلك قد لايؤدى إلى مستوى أعلى فى الأداء حيث أن المواظبة ومدة بقاء العامل فى عمله يمثلان متغيرين على قدر كبير من الأهمية فى هذا الشأن.وبعد هذا العرض الموجز والمقدمة التمهيدية لنظريات الرضا الوظيفى نقدم وصفا تفصيليا لهذه النظريات فنقول :

نظريـة الحاجـات .

تفترض هذه النظرية أن الرضا الوظيفى يتحدد وفقا لما تقدمه الوظيفة أو المؤسسة من إشباع إحتياجات العامل مثل الأمان والتقدير ، وقد قدم « إبراهام ماسلو A . Maslow » تسلسلا هرميا لهذه الحاجات لكى تصبح بعد ذلك أشهر نظرية لإشباع الحوافز والحاجات ، ويرى « ماسلو » أن العامل يصبح راضيا عن

عمله عند أى نقطة معينة إذا ما تم الوفاء بإحتياجات معينة ، وهناك خمسة أنماط من الحاجات الرئيسية ذات تسلسل هرمى بمعنى أنه لابد من إشباع المستويات السفلى من الإحتياجات أو الحاجات قبل أن يهتم العامل بالمستوى التالى من الحاجات ويعتبر هذا التسلسل الهرمى بمثابة « درجات السلم » يتم صعوده درجة بدرجة ، ودرجة واحدة فى المرة الواحدة حتى يتم الوصول إلى القمة ، وقد قام «ماسلو» بتصنيف هذه الحاجات على الوجه التالى :

أولا : الحاجات البيولوچية الأساسية .

وفحواها أن الفرد يسعى أولا لإشباع الحاجات البيولوچية الأساسية مثل الطعام والماء والهواء والمأوى ، فالفرد العاطل بلا عمل والمشرد فى نفس الوقت «بلامأوى» ويكاد يموت جوعا فإنه - فى هذه الحالة - يقبل أى عمل طالما أنه يوفر له إستمرار الحاجات الأساسية .

ثانيا : الحاجة إلى الأمن والأمان .

بعد إشباع الحاجات البيولوچية الأساسية فإن الوظيفة التى تقوم بمجرد توفير الطعام والمأوى لاتعتبر وظيفة توفر الرضا ، ويتحول إهتمام الموظف عندئذ نحو إشباع الحاجة إلى الأمن والأمان ، فقد يعمل الفرد فى منجم فحم مثلا غير آمن تهدده الأخطار من كل جانب وذلك ليكسب قدرا كافيا من المال لضمان بقاء أسرته على قيد الحياة ، ولكن إذا ما حصلت أسرته على الطعام والمأوى بسهولة فإن رضا العامل عن عمله سوف يستمر فى حالة توفير الأمن والأمان لمكان العمل .

ثالثا : الحاجات الإجتماعية .

عندما يتم الوفاء بأول مستويين من الحاجات الأساسية فإن رضا العامل عن عمله سوف يستمر وذلك فقط عندما يتم إشباع حاجاته الإجتماعية ، وتشمل الحاجات الإجتماعية : التعاون والعمل مع الآخرين والعيش فى جماعة مناسبة والشعور بالإنتماء نحو الجماعية والبروز الإجتماعى وعقد العلاقات الإجتماعية والصداقات مع الآخرين ، وتحاول المؤسسات والمصالح الحكومية والقطاعات المهنية

الخاصة إشباع الحاجات الإجتماعية للعاملين فيها والأفراد بمختلف الطرق فنجد مثلا أن الشركات والمؤسسات والمرافق والمنظمات والمصانع توفر للعاملين فيها : إستراحات للنوم وكافتريا لتناول المشروبات وبعض الوجبات الخفيفة ومكان للعاملين لمناقشة أمورهم المعيشية والمهنية وتنظيم رحلات سياحية وترفيهية ودينية وإقامة برامج رياضية وتقديم عروض فكاهية وكل هذا فى سبيل الوصول إلى إشباع الحاجات الإجتماعية .

رابعا : الحاجة إلى تقدير الذات .

عندما يتم إشباع الحاجات الإجتماعية فإن العامل بعد ذلك يقوم بالتركيز على إشباع هذه الحاجات الذاتية مثل الشعور بالتقدير والنجاح ، وتقوم المؤسسة بإشباع هذه الحاجة من خلال الشكر والمديح والإعجاب والمكافآت والترقيات وزيادة المرتب أو العلاوات ، هذا وليست المسألة هنا المرتب المرتفع فقط بل إن طبيعة العمل وطريقة الآداء هما اللتان تجعلان الفرد فى المكانة المرموقة ، وبالإضافة إلى ذلك فإن بعض المؤسسات تهتم كثيرا بتأثيث مكاتب العاملين فيها لإشباع الحاجة إلى تقدير الذات ، وكلما زادت أهميــة وضع الموظف مهنيا كلما كان أثاث مكتبه فاخرا ، وبالمثل فإن بعض الشركات الهندسية لاتسمح لمهندسينها بتعليق شهاداتهم الدراسية أو مؤهلاتهم العلمية على الحائط إلا بعد الحصول على الشهادة المهنية أو الخبرات الطويلة فى الأعمال النقابية .

خامسا : الحاجة إلى تحقيق الذات .

عندما يصبح للإنسان أصدقاء ويكون لديه شهادات تقدير ويتقاضى أجرا عاليا عن عمله ، فإنه قد لايكون راضيا تماما عن عمله لأنه لم يتم إشباع حاجة تحقيق الذات لديه وتلك الحاجة هى المستوى الخامس والأخير فى التسلسل الهرمى للحاجات عند « ماسلو » .

ويمكن تعريف « الحاجة إلى تقدير الذات » عن طريق شعار تجنيد الشباب المعمول به بالولايات المتحدة الأمريكية القائل : كن كل مايمكنك أن تكونه Be all that you can be إن العامل أو الموظف الذى يجاهد ويكافح من أجل تحقيق

الذات يريد أن يصل إلى أقصى إمكانات فى كل مهمة ... إنه رجل المهمات الصعبة أو المستحيلة الذى يحقق الصعب فى يسر وسهولة .إن العامل الذى يعمل على ماكينة لمدة عشرين عاما قد يصاب بالملل والسأم والضجر من عمله هذا لأنه أنجز كل ما يمكن إنجازه مع هذه الآلة ، إنه يبحث الآن عن نوع آخر من التحدى ليحقق ذاته وفى بعض الوظائف يصبح إشباع الحاجة إلى تحقيق الذات سهلا ومريحا مثال ذلك : أستاذ الجامعة مطالب دائما بالبحث والتنقيب عن كل جديد فى تخصصه كما إنه يقابل كل عام مجموعات جديدة من الطلاب من بيئات مختلفة وثقافات مختلفة متباينة ليقوم بالتدريس لهم .

هذا وهناك الكثير من المهام والأعمال الأكاديمية والبحوث العلمية التى يقوم بها أستاذ الجامعة بالإضافة إلى الأعباء الإدارية الأخرى وكل هذا يعتبر تحديا مستمرا يؤدى به إلى أعلى قدر من الرضا المهنى والوظيفى وبالتالى يؤكد «الحاجة إلى تحقيق الذات» .

وهناك أنواع أخرى من المهن والوظائف لاتعمل على إشباع حاجات تحقيق الذات مثل الموظف الذى يعمل بقسم الأرشيف بإحدى المؤسسات الحكومية إن طبيعة عمله تتطلب وضع الملفات والمستندات والأضابير والخرائط المساحية والأوراق الهامة لمدة ست ساعات يوميا وست وثلاثون ساعة إسبوعيا ، إنه يقوم بعمل روتينى واحد منذ عشرين عاما أو يزيد مما سبب له الملل والضجر والشعور العميق بأن وظيفته هذه غير قابلة للتجديد أو التطوير ومن ثم أصبح تحقيق الذات فى عمله بعيد المنال أن لم يكن من المحال .

التناوب والتوسع والإثراء .

ومما يساعدنا على إشباع حاجات تحقيق الذات يمكننا إجراء الكثير من التغيرات والتطوير في « بيئة العمل » حيث يعتبر تناوب العمل وتوسيعه وإثراؤه أسهل هذه التغيرات وأكثرها شيوعا ، فضلا عن تعلم العامل كيفية تشغيل مختلف الآلات والماكينات وأداء الكثير من المهام فى وقت قصير ، ولاشك أن التوسع فى العمل والتناوب فى أوقاته والإثراء فى إنتاجيته يحقق لنا هدفين كبيرين :

أولهما : زيادة التحدى للعامل وإجباره تعلم الجديد فى العمل من تشغيل

آلات وإدارة أعمال إضافية أخرى ، وعلى هذا الأساس فإنه إذا ما أتقن عملا ما أو تشغيل آلة من الآلات فأنه سوف يتمكن من تشغيل آلات وماكينات أخرى .

ثانيهما : تناوب العمل يمكن العامل من تغيير الأعمال وتنوعها مما يقلل من الملل والسأم مثال ذلك أن العامل الزراعى الذى يحرث الأرض الزراعية بالجرار الزراعى فى أحد الأيام ، ويسقى الزرع فى يوم آخر ويجمع ثمارالفاكهة من الحديقة فى يوم ثالث ويحصد القمح فى يوم رابع ويجمع محصول البطاطس فى يوم خامس . كل هذا يؤدى بالعامل إلي تقليل الضجر والتعب والملل ، وليس هناك أدنى شك فى أن إثراء العمل وتناوبه يعتبر خير وسيلة جيدة لإشباع الحاجة إلى تحقيق الذات ، والفرق بين تناوب العمل وإثرائه يكمن فى أن التناوب يجعل العامل قادرا على أداء مختلف الأعمال الكثيرة ، بينما إثراء العمل يجعل العامل مؤهلا لتحمل مسؤلية العمل ومخاطره .

ولو نظرنا مرة ثانية إلى وظيفة الأستاذ الجامعى لوجدنا أن مسألة إثراء العمل شئ أساسى فى عمله حيث إنه يقرر ما سيقوم به من بحوث وما يختاره من مقررات الدراسة الجامعية ، وهذه السلطة الشخصية فى حد ذاتها تعتبر نوعا من إتخاذ القرارات التى تؤدى بدورها إلى أعلى مستوى من عملية الرضا الوظيفى ، إن إثراء العمل فى مؤسسة أو مصنع ما يتطلب منا أن نعالجه ونتعامل معه من خلال طريقتين :

الطريقةالأولى : مثال ذلك عندما يبدأ الشخص عمله فى موقع ما فإن مفتش «التحكم فى الجودة » يتأكد من جودة عمله وبعد أن يعمل العامل لفترة طويلة فى الشركة تكفى لإشباع مستويات الحاجات الأربع السابقة فإنه سيتحمل مسئولية التأكد من مدى جودة عمله كما يستطيع أن يقرر موعد أجازته السنوية ومكان وزمان تناول طعام الغذاء بالشركة ، وكذاك الوقت المناسب الذى ينجز فيه عمله .

وفى بعض الشركات الصناعية مثلا لاتوجد ساعات حائط لكى يتحمل العمال مسئولية أكبر فى أدآء عملهم وعدم النظر كثيرا إلى مثل هذه الساعات وذلك من خلال وعيهم الحقيقى لمدة العمل الذى يتحقق عن طريق إستخدام ساعاتهم الخاصة.إن إتخاذ العامل لمثل هذه القرارات البسيطة تحدو به نحو أداء مرتفع للعمل

هذا وقد أثبتت البحوث النفسية أن عملية إتخاذ القرار المتاحة للعمال تزيد من ثراء العمل وتجويده حتى لو كانت هذه القرارات بعيدة عن عملهم وليست لها علاقة مباشرة بأداء هذه الأعمال .

الطريقةالثانية : لإثراء العمل لدى العمال عليهم أن يدركوا أن لعملهم هدفا كما أنه من خلال عملهم يمكنهم أن يحققوا أهدافا جديدة متوالية وجديرة بالإهتمام ، ففى مصانع السيارات مثلا يقوم العمال والفنيون بتحقيق أكثر من هدف من خلال العمل الجماعى لصناعة السيارات ، وبدلا من أن يقوم العامل بمهمة واحدة طوال اليوم ، فإنه يقوم بعدة مهام وأعباء كما يفعل باقى العاملين فى مجموعته الفنية. ومن ثم فإن العامل يرى أنه شارك بأكثر من عمل أو مهمة رئيسية فى تصنيع سيارات مكتملة ، إن زيادة سرعة خط التجميع وطريقة تقليل الفاقد وزيادة معدلات الجودة وإتخاذ القرارات فى يسروسهولة وتحمل المسئولية فى العمل كل هذا يؤدى بدوره إلى زيادة حاجات تحقيق الذات وبالتالى إلى زيادة الرضا المهنى للعاملين .

وفى بحث أجراه كل من « هاكمان و أولد هام عامى ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ ، Hackman - Old ham » لتدعيم فكرة المفاهيم الكامنة وراء إثراء الوظيفة ، وكان أساس نظريتهم من الخصائص الوظيفية المعروفة بإسم « Jop Character-istics theory » وترى هذه النظرية أن الأفراد يختلفون في حاجاتهم إلى النمو، كما تفترض هذه النظرية أن الأفراد ذوى الحاجة القوية للنمو فإن الوظائف والأعمال التى تؤدى بالعامل نحو إشباع وظيفى ورضا مهنى مرتفعين تسمح للعامل بإستخدام مختلف المهارات فضلا عن توفير الإستقلالية فى العمل ، مما يؤثر تأثيرا إيجابيا فعالا على المجتمع وبذلك يمكن للعامل إكمال مشروع بأكمله وليس مجرد جزء منه ، هذا ويمكن القول بأن نظرية « ماسلو » للحاجات قد لعبت دورا حيويا بما قدمته من إرشادات أخذت بها معظم المؤسسات والشركات الصناعية أملا فى زيادة الإشباع الوظيفى للأفراد العاملين فهى تتطلب توفير التقدير وتحسين المستوى ومكان العمل المريح والمتميز بالأمن والأمان للعامل لزيادة الإحساس بالإشباع ومن ثم فإن علماء النفس فى مجال الصناعة قد إستخدموا هذه النظرية علي نطاق واسع

بالرغم من عدم شيوعها لدى الأكاديمين والباحثين .

نظرية الوجود والإنتماء والنمو E . R . G .

في عام ١٩٧٢ قدم « أولد فير Aldefer » نظرية الحاجات ذات المستويات الثلاثة وهي الوجود Existance (E) والإنتماء -Related (R) ness والنمو Growth (G) وتعرف هذه النظرية بإسم E . R . G ، هذا وقد أيدت الأبحاث التى أجراها كل من «وا نوس Wanous » و « إزواني Zwany عام ١٩٧٧ » عدد المستويات التى إقترحها «أولدفير » إن الفرق بين نظريتي «ماسلو وأولدفير » أن نظرية « أولدفير » تتناول المستويات الثلاثة على أنها نوع من مستويات متتابعة أكثر منها متدرجة ، بمعنى أن الشخص يمكنه أن يتخطى بعضا من المستويات الثلاثة ، وعندما سمح « أولدفير » بمثل هذا التخطى فى المستويات فإنه قد أزال واحدة من أكبر المشكلات التى واجهت نظرية « ماسلو » بالإضافة إلى ذلك فإن « أولدفير » قد فسر السبب فى أن المستوى الأعلى فى بعض الأحيان قد لايكون أكثر أهمية بمجرد إشباع حاجات المستوى الأدنى .

ويرى أولدفير أن الترقي للمستوى التالى بالنسبة لبعض الوظائف فى كثير من الشركات غير ممكن حيث يعزى لبعض العوامل مثل : سياسة الشركة أو طبيعة الوظيفة ومن ثم فإن الطريق إلى المستوى التالى هو طريق مسدود يؤدى بالعامل أو الموظف إلى الإحباط مما يولى أهمية أكثر للمستوى السابق ، وقد يكون هذا من أهم الأسباب التى جعلت بعض النقابات تطالب بنفوذ وفوائد أكثر لأعضائها أكثر من مطالبتها بتحسين أوضاع العاملين بالشركات .

نظرية ذات العاملين « لهيرزبرج Herzberg» .

تشتمل هذه النظرية على عاملين إثنين وفقا لترتيب « هيرزبرج » :

عوامل الصحة النفسية .	المحفزات .
أجر .	مسئولية .
أمن .	نمـــو .
زمـلاء عمل .	تحدي .
ظروف عمل .	إثارة .
سياسة الشركة .	إستغلال .
جدول عمل .	تنوع .
مشــــرفون .	إنجاز .
	تحكم .
	عمل محبب .

قام هيرزبرج عام ١٩٦٦ بتطوير نظرية حاجات أخرى تتضمن مستويين إثنين هما مستوى خاص بالمحفزات وآخر خاص بعوامل الصحة النفسية.وعنده أن الصحة النفسية هى تلك العناصر ذات العلاقة الوطيدة بالوظيفة وهى تنتج عن الوظيفة ولاتشملها ، وعلى سبيل المثال فإن الأجر والمنافع هى نتاج الوظيفة وليست الوظيفة نفسها ، كما أن تكوين صداقات جديدة وعلاقات طيبة قد تنتج عن العمل وأثناء الذهاب إليه ، ولكن ذلك لايتضمن بشكل مباشر أعباء وواجبات العمل .

هذا ومن عناصر المحفزات مستوى المسئولية وقدر كاف من الرقابة على الوظيفة وإهتمام العامل بعمله ، ويرى « هيرزبرج » أن عوامل الصحة النفسية ضرورية ولكنها غير كافية بالنسبة للرضا الوظيفى والتحفيز بمعنى أنه إذا غاب عامل صحي نفسي فى مستوى ملائم وليكن مثلا إنخفاض أجر العامل ، فإن العامل أو الموظف سوف يتضجر ويمل ويقلق ، ولكن أذا كانت كل العوامل الصحية النفسية موجودة ومتوفرة فإن مستوى الرضا للموظف يصبح متعادلا ومتوازنا ، أن وجود كل المحفزات والعوامل الصحية النفسية هما فقط اللذان يمكن أن يسببا الرضا

المهنى والتحفيز ، ومن ثم فإن الموظف ذو الأجر المرتفع وليست عليه رقابة أو مسئولية على وظيفته قد لايكون راضيا عن عمله ، بينما نرى أن الموظف ذا الأجر المنخفض يصبح متبرما وقلقا برغم ما يتمتع به من هيمنة وسلطة فى عمله ، وبالجملة فإن العامل ذا الأجر المرتفع ولديه قدر كبير من الرقابة والمسئولية على وظيفته يصبح هو العامل السعيد الراضى عن عمله .

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نقدم مقارنة بين نظريات : « ماسلو » و« أولدفير » و «هيرزبرج » كالتالى :

« ماسلو ».	« أولدفير ».	« هيرزبرج ».
حاجة تحقيق الذات .	نمو .	محفزات .
حاجة تقدير الذات .		
حاجة أجتماعية .	إنتماء .	عوامل صحة نفسية .
حاجة الأمن والأمان .		
حاجة بيولوجية .	وجود .	

نظرية الحاجات عند « ماكليلاند » .

يرى « ماكليلاند » أن العاملين يختلفون من ناحية الرضا الوظيفى طبقا لحاجات ثلاثة هى : الحاجة إلى الإنجاز Achievement والحاجة إلى الإنتساب Affiliation والحاجة إلى السلطة Power فالعاملون الذين يتمتعون بحاجة كبيرة نحو الإنجاز يتطلعون إلى الأعمال التى تتحدى قدراتهم ويصبح لهم السيطرة

عليها ، فى حين أن العاملين ذوى الحاجة المحدودة للإنجاز يصبح لديهم قدر كبير من الرضا الوظيفى إذا كانت وظائفهم تتضمن قدرا قليلا من التحدى لقدراتهم ، ويصبح إحتمال النجاح فى وظائفهم كبيرا وعلى العكس من ذلك نجد أن العاملين ذوى الحاجة الكبيرة للإنتساب يفضلون العمل كثيرا مع أفراد آخرين ومساعدتهم وغالبا ما توجد هذه الأنماط من العاملين فى الوظائف الخدمية بشكل أكبر من وجودهم فى الوظائف الإدارية ، بينما العاملون ذوو الحاجة الكبيرة للسلطة يصبح لديهم رغبة جامحة فى التأثير على الآخرين بشكل يزيد عن رغبتهم فى أن يكونوا ناجحين بسهولة .

وقد أظهرت عدة بحوث نفسية أجريت فى الفترة ما بين ١٩٧٦ - ١٩٨٦ أن العاملين ذوى الحاجة القوية للسلطة والحاجة الكبيرة للإنجاز عادة ما يصبحون مديرين ناجحين ، هذا من ناحية بينما العاملون المحفزون بشكل كبير وذوو حاجة إلى الإنتساب قد يصبحون من أسوأ المديرين ويمكن قياس هذه الحاجات بإختبار تفهم الموضوع « T A T » وفى هذا الإختبار يتم عرض سلسلة من صور الإختبار على أحد العاملين ويطلب منه إن يحكي قصة عن كل صورة من صور الإختبار المذكور ومن إستجابات الموظف أو العامل يتعرف الأخصائى النفسى على القدر الذى تحتوى عليه كل فكرة من أفكارالإنجازوالإنتساب والسلطة في هذه القصص .

النظريات الإدراكية « المعرفية » .

١ - نظرية العدالة والإنصاف :

قام « آدمز Adams » عام ١٩٦٥ بتطوير نظرية العدالة والإنصاف التى تعتمد على الفرض المنطقى القائل بأن مستويات الرضا الوظيفى والتحفز يرتبط إلى حد كبير بمقدار العدالة والإنصاف التى نرى أننا نعامل بها بالمقارنة بالآخرين ، فإذا كنا نعتقد أننا نعامل بطريقة غير عادلة وغير منصفة فإننا نحاول أن نغير من معتقداتنا أو سلوكنا حتى يتضح أن الموقف عادل ، وهناك ثلاثة عناصر تدخل فى هذا الإدراك الحسى للعدالة والإنصاف تلك هى : مدخلات Inputs مخرجات Out puts نسبة مدخلات ومخرجات Inputs - Out puts Ratio ، والمدخلات هى

تلك العناصر الشخصية التي تتطلبها الوظائف التى نعمل بها والعوامل الواضحة هي الوقت والتعليم والخبرة ، بينما العوامل الفرعية تتضمن تكاليف رعاية الأطفال والمسافة بين المسكن ومكان العمل .

أما عن مخرجات العمل فتشمل كل الفوائد المادية والمعنوية التى تعود علينا من الوظيفة أو العمل ، وتشمل عناصر المخرجات الواضحة الأجر والمزايا والمنافع العامة والتحدي والمسئولية ، بينما المخرجات الفرعية « الأقل وضوحا » فتدخل فى الأصدقاء وتأثيث المكتب والسكرتارية الفنية .

وطبقا لهذه النظرية فإن كل عامل يقوم لاشعوريا بعمل قائمة بالمخرجات والمدخلات ثم يقوم بحساب نسبة المدخلات والمخرجات بقسمة قيمة المخرج على قيمة المدخل ، وهذه النسبة فى حد ذاتها ليست مقيدة على وجه الخصوص ، بيد أن كل عامل يمكنه إن يقوم بحساب نسبة المدخل والمخرج للعاملين الآخرين ثم يقارن ذلك بموقفه الوظيفى فإذا كانت النسبة الخاصة به أقل من نسبة الآخرين فإنه يقلق ويتبرم ومن ثم يجب تحفيزه بهدف إيجاد توازن بينه وبين الآخرين ويتحقق ذلك بطريقتين إثنتين هما :

أولا : قد ينشد العامل أو الموظف مدخلات أكبر بوسائل مثل طلب علاوة أو قدر أكبر من المسئولية .

ثانيا : قد يعمل العامل أوالموظف على أن تصبح النسبة أكثر تساويا بتقليل مدخلاته فيقلل من جهده المطلوب أو من حضوره إلى العمل .

هذا وقد دعمت البحوث النفسية فكرة إنخفاض الرضا الوظيفى عندما تصبح نسبة مدخلاتنا - مخرجاتنا أقل من الآخرين وهذا ما أثبتته بحث « لورد Lord هوهنفيلد Hohenfeld » عام ١٩٧٩ من ناحية وبحوث « هونستاين Hauenstein و لورد Lord ،١٩٨٩» من ناحية أخرى .

وقد نتج عن هذه النظرية تنبؤ طريف يتمثل فى موقف كانت نسبة المدخل - المخرج أعلى من نسب الآخرين ، ولما كانت هذه النظرية قائمة على العدالة والإنصاف فإن التنبؤ المتوقع هو أن يعمل الموظف أو العامل بجد بهدف الحصول على نسب متساوية إما بزيادة مدخلاته أو تخفيض مخرجاته ، بمعنى أنه إما يعمل بجد أكبر أو يطلب تخفيض أجره ، والواقع أن البحوث التى أجريت فى هذا المجال

تشير ألى أن العاملين غالبا مايستجيبون لزيادة الأجر عن طريق العمل بجد وإجتهاد أكبر وأكثر « آدمز Adams » و « روزنبوم Rosenbaum » ١٩٦٢ و « بريتشارد Preitchard » و « دونيت Dunnette » و « جورجنسون Jorgenson » ١٩٧٢ غير أن مشاعر عدم العدالة والإنصاف الناتجة عن زيادة الأجر لدى العاملين لاتستمر طويلا .

هذا ومن الأفضل أن نجعل العاملين يشعرون بالرضا الوظيفى عند معاملتهم من خلال العدالة والإنصاف وزيادة أجورهم لقاء ما يقومون به من أعمال ، وقد لا يوافق البعض على هذا المدخل حيث من الصعب تنفيذه لعدة أسباب منها :

السبب الأول : تستطيع أى مؤسسة أن تتحكم فى متغيرات مثل الأجر الشهرى وساعات التشغيل وبعض المزايا المادية ولكنها لاتستطيع أن تتحكم بسهولة فى متغيرات أخرى مثل بعد السكن عن مكان العمل أو عدد الأصدقاء الذين يتعرف عليهم العامل فى الوظيفة .

السبب الثانى : إدراك العامل أو الموظف للمدخلات والمخرجات ومدى فهمه لها هو الذى يحدد العدالة فى المعاملة وليست المدخلات والمخرجات الفعلية هى التى تحدد العدالة فى العمل .

مثال ذلك : حصل طالبان بقسم علم النفس وهما ذوا قدرة علمية متساوية على نفس الدرجة فى إحد المقررات الدراسية ، وكان أحدهم يدرس ١٠ ساعات إستعدادا للإمتحان ولم يشاهد زميله مطلقا فى المكتبة ، وهنا يستشعر الطالب الأول أن الدرجات غير عادلة حيث أنه درس كثيرا وذهب إلى المكتبة للقراءة والإطلاع والبحث ، وقد يكون الطالب الآخر - الذى لم يذهب إلى المكتبة - على حق فى الدرجة التى حصل عليها حيث كان يدرس ويبحث لمدة ٢٠ ساعة بدون أن يعرف الطالب الأول ذلك ، وفى هذه الحالة لايمكن إن يصبح إدراك الطالب لمستوى المدخل مطابقا للواقع .

ومن هنا فمن الأهمية بمكان أن يدلى العاملون بأحكامهم على معلومات واقعية حيث إن ذلك يعتبر من الأمور التى يصبح قولها أسهل من فعلها ولو أمكن لمؤسسة ما أن تحافظ على العدالة والإنصاف للعاملين فيها فهذا لايمنع مقارنة النسب الخاصة بهم بنسب غيرهم من العاملين بمؤسسة أو شركة أخرى ، وقد تكون

المدركات الخاصة بالأجور والمزايا فى المؤسسات الأخرى أكثر تشويها وغموضا من المدركات الداخلية وعلى فرض أن نظرية الإنصاف نظرية سليمة ومطابقة للواقع ، فإن الحفاظ والإلتزام بمستوى مرتفع من الرضا الوظيفى قد يصبح أمرا صعبا .

٢ - نظرية التوقع Expectancy Theory :

وتقوم النظرية المعرفية الأخرى على تحفيز العامل وتعرف باسم نظرية التوقع وقد قدمها لأول مرة « ڤروم Vroom » عام ١٩٦٤ وتم تعديلها عام ١٩٦٨ بواسطة بورتر « Porter » و « لاولر Lawler » وتشمل هذه النظرية ثلاث عناصر لكل منها تعريف خاص يختلف مع كل تعديل للنظرية وهذه التعريفات كالتالى :

- **التوقع (E)** : عبارة عن العلاقة المدركة بين كمية الجهد التى يبذلها العامل والمحصلة النهائية .

- **الفائدة (I)** : Instrumentalily عبارة عن المدى الذى ينتج فيه أداء العامل عند ملاحظته نتيجة معينة .

- **التكافؤ (V)** : Valence عبارة عن المدى الذى يقوم فيه العامل بتقييم نتيجة معينة .

وإذا أردنا فهم مستوى تحفيز العامل فإن هذه العناصر تستخدم فى المعادلة الآتية :

التحفيز = التوقع (الفائدة × التكافؤ)

$$\text{Motivation} = E\,(I * V)$$

وهكذا يتم تحديد كل نتائج السلوك بضرب تكافؤ كل عامل فى الإحتمال الذى يحدث عند مستوى أداء معين ثم ضرب هذه النتائج فى التوقع الذى يبذل فيه العامل جهدا لتحقيق مستوى معين من الأداء ، وبالنسبة للتوقع فإذا إعتقد العامل أنه مهما يعمل بجد وإجتهاد فلن يصل إلى مستوى الأداء المطلوب ، ومن ثم يصبح تحفيزه منخفضا. أما بالنسبة للفائدة سيتم تحفيز العامل إذا تمخض عن سلوكه نتيجة معينة بمعنى أن العامل إذا إستمر في عمله ساعات إضافية فإنه يتوقع أن يكافأ أو يثاب عليها والعكس إذا تغيب بدون عذر مقبول عن العمل فإنه يتوقع أن يعاقب

علي ذلك ، هذا ولكى يصبح للسلوك نتيجة مرغوبة لابد أن يتوفر فى هذا المجال عاملان إثنان هما :

الأول : أن يكون سلوك العامل ملحوظا حيث أنه بدون الأداء الملحوظ أو الملموس ، ستنخفض واقعية « تحفيز » العامل نحو العمل .

الثانى : يجب مكافأة السلوك الملموس أو الملاحظ حيث أنه بدون مكافأة العامل سينخفض التحفيز .

وبالنسبة « للتكافؤ » يجب أن تكون مكافأة العامل بشئ له قيمة مادية ومعنوية فى حالة الأداء الجيد وفى حالة عقوبة الموظف أو العامل بالإيقاف عن العمل ، فإن هذا النوع من العقاب يعتبر عقابا مؤثرا فعالا إذا كان العامل فى حاجة ماسة إلى المال .

هذا وقد طبقت « نظرية التوقع » فى مجالات كثيرة منها : توقع تعدى السرعة القانونية لدى مجموعة من سائقي السيارات والغش في أحد الإمتحانات بالنسبة لمجموعة طلاب جامعيين ، وفى حالة الغش فى الإمتحانات يجب أن نناقش عنصر «التوقع » فنقول : أن إحتمالية ضبط الطالب أثناء الغش ، يراها الطالب من وجهة نظره إنها ذات إحتمالية منخفضة للغاية ، ولتحديد العنصر الفعال قد نتساءل عن إحتمالية النتائج السلبية التى تقع على الطالب الذى يغش إذا تم ضبطه ، ففى كثير من الجامعات تصبح هذه الإحتمالية منخفضة لسببين هما : صعوبة إثبات غش الطالب من جهة فضلا عن أن العقوبة العامة لاتزيد عن إيقاف الطالب عن حضور الإمتحانات لبضعة أيام وهذا من جهة أخرى . هذا وإذا أردنا أن نطبق « نظرية التوقع » فى مجال الغش فى الإمتحانات والحد من هذه الظاهرة فما علينا إلا أن نزيد من إحتمالية ضبط الطلبة الغشاشين وإمكان إثبات عملية الغش أكثر سهولة وأن نجعل نتائج الغش أكثر صرامة .

وفى « نظرية التوقع » نجد أن مقدار التكافؤ والفائدة يمكن قياسهما بدقة ومن ثم تصبح لهذه النظرية قدرة فائقة على التوقع ولكن فى حالة سلوك الناس بشئ من العقلانية ، وهذا بعيد المنال ، ووجود مصدر داخلى للتحكم وهو ليس بالقدر الكافى دائما وبرغم توجيه بعض الإنتقادات لهذه النظرية إلا أنها مازالت أكثر النظريات فائدة فى توقع سلوك العاملين في المصانع والشركات .

٣ - نظرية الثبات Consistency Theory :

تهتم هذه النظرية بتفسير الرضا الوظيفى والدافعية نحو العمل ، وقد قام «كورمان Korman » عام ١٩٧٦ بتعديلها وتطويرها ، هذا وتلقى هذه النظرية أضواء على « مستوى التقدير الذاتى » للعامل من ناحية « وأداء العمل » من ناحية أخرى حيث وجد أن العلاقة إيجابية بين الإثنين ولاشك فى ذلك فالعامل ذو التقدير الذاتى المرتفع يميل نحو أداء العمل المرتفع والعكس صحيح ، وهناك ثلاثة أنواع من التقدير الذاتى للعاملين على الترتيب :

أ - **تقدير الذات الدائم** : وهو شعور الفرد بنفسه بوجه عام .

ب - **تقدير الذات الموقفى** : وهو شعور الفرد بنفسه فى موقف معين مثل تشغيل ماكينة .

جـ - **تقدير الذات المتأثر إجتماعيا** : وهو شعور الفرد بنفسه طبقا لتوقعات الآخرين

إن مسألة تقدير الذات الدائم - مثلا - أمر صعب حيث يتم ذلك بطريقتين :

(١) يتم بتبصير العامل بمواطن القوة فيه سواء فى الورشة أو الشركة لأن التبصير بدوره يؤدى إلى زيادة التقدير الذاتى من خلال توضيح مواطن القوة لدى العامل .

(٢) يكلف العمل بمهمة سهلة بحيث يتم ضمان نجاح العامل فى تأديتها حيث أن هذا النجاح يزيد من التقدير الذاتى للعامل .

وهذه الطريقة تقوم على مبدأ التنبؤ بتحقيق الذات القائل بأن الفرد سوف يؤدى أداء عاليا أو متواضعا طبقا لتوقعه لأدائه وعندما يصبح الفرد مدركا بتوقعات الآخرين ويطابق توقعه الشخصى مع توقعاتهم فسيكون أداؤه متمشيا مع توقعاتهم .

النظريات السلوكية .

وهناك مجموعة أخرى من النظريات تفترض أنه يتم تحفيز « دفع » العاملين فى حالة إثابتهم ومكافأتهم على الأداء الممتاز ،وتقوم النظريات السلوكية بالتنبؤ بالكثير من نفس السلوك الذى تتنبأ به النظريات المعرفية ،غير أن هناك إختلافا فى

كيفية التنبؤ بذلك السلوك ، هذا وتقوم النظريات السلوكية بالتركيز فقط على السلوك العلنى الصريح للعامل أو الموظف بينما تقوم النظريات المعرفية بالتركيز على العمليات التى يقوم بها العامل أو الموظف لإتخاذ القرار .

نظرية الإشراط الفاعل .

قد تصبح أكثر النظريات السلوكية تأثيرا هى الإشراط الفاعل حيث ترى الأخيرة أن العامل سوف يستمر فى أداء سلوكه الذى يتم تعزيزه ، ومن ثم فإذا كوفئ عامل ما لعدم إرتكابه أخطاء ، فهناك إحتمال كبير فى أن يقدم لنا نوعية جيدة عالية من العمل ، وإذا كوفئ العامل علي كمية العمل التى تحققت أو أنجزت فسيقابل ذلك بقدر أقل من الإهتمام على النوعية ويحاول زيادة الكمية .

وهناك طريقة المكافأة المالية للعاملين عن أدائهم الممتاز وذلك عن طريق أجر التفوق والفرق الرئيسى بين أجر التفوق وبين الطريقتين السابق شرحهما هو أن أساس أجر أنظمة التفوق هو الحوافز التى يتم منحها حسب درجات تقييم الأداء ولايكون الأساس هو مقاييس الأداء الموضوعية ،

ومن ثم فإن أجر التفوق يعتبر أسلوبا جيدا للوظائف التى يصعب فيها قياس التفوق ، وفى نظام أجر التفوق الذى تستخدمه إحدى الشركات الصناعية التى لاتعتمد على الربح فإنه يتم قسمة تقييم أداء كل عامل أو موظف على إجمالى عدد نقاط الأداء الممكنة وعندئذ يتم ضرب هذه النسبة المئوية فى أقصى زيادة وهى ٣ ٪ والتى يمكن أن يحصل عليها الموظف أو العامل ، وفى ظل هذا النظام لابد وأن يحصل العامل على تقدير سليم لكى يتسلم الزيادة الكاملة وهى ٣ ٪ وهنا كان معظم العاملين يتسلمون مابين ٢ ٪ إلى ٢,٥ ٪ .

والواقع أن كثيرا من العاملين يميلون نحو أنماط مختلفة من المكافآت وهذا يستوجب أن يكون المشرف على العمل على وعى ودراية تامة بالتدريب فى هذا المجال على عوامل التدعيم ، مثال ذلك قد يطرب العامل ويتحمس للكلمة الطيبة ، وابتسامة الرضا الساحرة وهناك عامل آخر لايهمه سوى المكافأة المالية كما أن هناك عامل ثالث يري أن المكافأة عنده هى إتاحة الفرصة له للقيام بالعمل الذى يحبه

وهكذا كل يغنى على ليلاه !! لقد أصبح إستخدام النقود كمكافأة للعامل أو الموظف ودفعه للعمل لتحسين أدائه ، من الأمور الشائعة والسائدة ويتخذ أشكالا كثيرة ، ومع خطة الأجر على قدر الأداء يتم دفع أجر الموظفين طبقا لمقدار ما ينتجه كل عامل أو موظف .

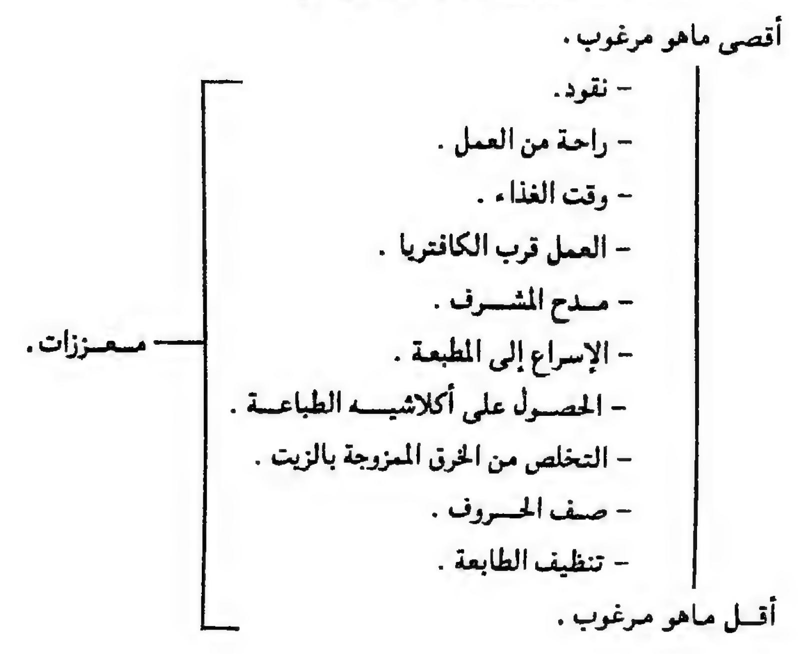
إن إحدى المشكلات الكبرى المرتبطة بأجر التفوق تكمن فى أن الزيادات تعتمد على تقديرات آراء شخصية ، وإنطلاقا من ذلك فإن بعض المشرفين يبالغون فى درجات تقييم الأداء لكى يزداد أجر موظفيهم أو عمالهم فضلا عن زيادة مشاعر العامل الإيجابية نحو المشرفين ، ومن المعلوم أيضا إن المديرين يبالغون فى تقييم الأداء عندما يرون أن المرتبات الأساسية لبعض الأعمال منخفضة جدا ، على أن هناك مشكلة أخري ترتبط بأجر التفوق تظهر بوضوح فيما هو متاح من مبالغ تتغير مع كل سنة مالية ، ومن ثم فإن الأداء الممتاز في إحدى السنوات قد يكون سببا فى الحصول على مكافأة كبيرة ، فى حين أن نفس الأداء فى سنة أخرى قد لايتسبب فى الحصول على أى مكافأة ، وينطبق ذلك على وجه الخصوص فى القطاع العام ، وإذا أردنا أن يكون أجر التفوق ناجحا فلابد من إتاحة التمويل والمعلومات المستمرة عما هو متاح ولابد من تقسيم المبلغ بين الموظفين أوالعمال «ويزدوم Wis-dom و باتزج Patzig ،١٩٨٧» .

مبدأ بريماك Premack .

هناك أسلوب آخر للتعزيز والتدعيم ينبع من « مبدأ بريماك ١٩٦٣ » Premack Principle والذى يرى أن التعزيز نسبى وأن المشرف يمكن أن يحفز العامل أو الموظف الذى يبدو فى ظاهره بأنه ليس تعزيزا وأفضل طريقة لشرح هذا المبدأ هى بناءهرمى تعزيزى المعروف باسم : Construct a Reinforcement Hier-archy

كما هو واضح فى الآتى :





وكما هو موضح بالشكل أعلاه ، فإن أقصى ما يرغب فيه العامل هو الحصول على المال وعلى إجازة من العمل ، وأقل ما يرغب فيه هو صف الحروف وتنظيف الطابعة ، ويمكن لهذا العامل أن يقوم بصف الحروف وتنظيف الطابعة وسوف يسعد بوظيفته ويؤديها على أحسن وجه إذا منحناه قدرا من المال عن كل مهمة يؤديها بإتقان ، غير أن هذا النظام الخاص بالمكافأة قد يكون مكلفا وعلى ذلك فإنه طبقا لمبدأ « بريماك » يمكن أن نطلب من العامل القيام بتنظيف الطابعة إذا منحناه الفرصة للقيام بأحد المناشط الذى يفضله على تنظيف الطابعة ومن الهرمية الخاصة بتعزيزه ، فإننا نجد أن التخلص من الخرق المختلطة بالزيت تعتبر من أكبر الأعمال المحببة لديه ، لأنه يمكنه الحصول على قليل من الراحة بالخروج إلى خارج العمل والوصول إلى منطقة التخلص من النفايات وبهذا فإن كل ما نقدمه كمكافأة هى أن نتركه يتخلص من النفايات وقد يبدو إن مبدأ «بريماك» عديم الجدوى ، ولكن علينا أن ندرك أن الطريقة التى يكافئ بها المرء نفسه - فى حالة الإستذكار مثلا - أن يمنح نفسه فترة من الراحة أو السير فى حجرة المكتب بعض

الوقت أو يتناول شيئا من المشروبات ، إن هذا السلوك محبب ومرغوب للنفس لأنه يدعم موقف الإستذكار ويعززه ، وبرغم أن الإشراط الفاعل يعتبر وسيلة ناجحة فى تحسين الدافعية والأداء فإن « ديسى Deci » ١٩٧٢ قد حذر من الإعتقاد بأنه بالنسبة لبعض الناس وبعض الأعمال قد يصبح الأفراد مدفوعين « محفزين » للعمل لأنهم يستمتعون بهذا العمل وليس لأنهم يكافئون عليه ، هذا وتوضح بحوث « ديسى Deci » أن منح أجر للفرد عن كم العمل الذى يقوم به سوف تقلل من درجة إستمتاعه بأداء ذلك العمل ، وعلى ذلك فإذا منعنا الحوافز المالية عن العامل فسوف يقل تحفيزه للعمل عما كان مع إستخدام المكافآت .

« وضع ووضوح الهدف » : ولزيادة فاعلية الدافعية يجب إستخدام عملية وضع الهدف بمعنى أن يكون لكل عامل هدف محدد كما وكيفا فى مجال إنتاجه وعمله ، إن وضع أهداف فرعية محددة يمكن أن يعمل على تحسين الأداء « كلاوسكى Klawsky » عام ١٩٩٠.

ومنذ وقت قريب كان هناك إعتقاد سائد بأن الهدف ووضوحه ووضعه يؤدى إلى زيادة الإنتاجية ولاسيما إذا شارك العامل فى وضع هذا الهدف ، إن أول دراسة عن « وضع الهدف » ووضوحه قد أثارت إهتمام علماء النفس الصناعى والتنظيمى ومنهم على سبيل المثال : « لاثام Latham » و « بليدز Blades » عام ١٩٧٥ ، وقد أجرى هذان الباحثان دراسة على سائقى الجرارات بأحد المصانع المنتجة للأخشاب حيث كان السائقون لايملئون جراراتهم بالكمية المطلوبة من الأخشاب بمعنى كان هناك خلل ونقص فى التعبئة مما يؤدى بالخسارة الكبيرة فى ميزانية المصنع ، ولعلاج نقص الإحمال تم تعيين أهداف وزن محددة للسائقين ، كما أحيط السائقون علما بأنه لاعقاب بسبب عدم تحقيق الهدف ولن تكون هناك مكافأة عند تحقيق الهدف أيضا ، وفى هذه الحالة إرتفع متوسط الأحمال لدى كل السائقين ، وبرغم أن هذه الدراسة كانت من الدراسات الرائدة ، إلا أنه لوحظ أن وضع الهدف يعتبر فاعلا ومؤثرا فى مختلف المواقف .

التغذيةالرجعية Feedback : أوضحت بحوث : لوك و لاثام Locke & Latham عام ١٩٩٠ أنه يجب تقديم التغذية الرجعية للعاملين بشأن كل تقدم

يحرزونه فى سبيل تحقيق أهدافهم في حالة تحقيق زيادة كبيرة فى فاعلية تدعيم الأهداف والوصول إليها ، ومن صور التغذية الرجعية : إخبار العامل عن حالته الوظيفية أولا بأول ، أو تجسيد نشاطه المهنى من خلال رسم بياني أو عرض لون معين من الإضاءة كمؤشر بأن العامل يسير فى الطريق الصحيح نحو الهدف المنشود والإنتاج المستهدف .

نظرية التعلم الإجتماعى « Social Learing Theory » .

ترى هذه النظرية السلوكية أن العاملين يلاحظون مستويات الحماس والرضا في العمل لدى باقى العاملين ثم يحاكون هذه المستويات ويقلدونها ، ومن ثم فإذا كان قدامى العاملين فى شركة ما يعملون بجد وإجتهاد ويمتدحون أعمالهم ويحبون رئيسهم ، فإن العاملين الجدد يسلكون نفس المسلك وتتوفر لديهم صفة الإنتاج المبدع والرضا عن العمل والعكس صحيح فى هذا المجال المهنى .

نظرية الفروق الفردية « Individual Differences Th . » .

هناك نظرية حديثة عن الرضا المهنى والدافعية للعمل إن نمطا معينا من أنماط البشر يصبح سعيدا بعمله ومتحمسا له بصرف النظر عن نوع العمل الذى يعمله ، ومن الناس من تعلو أصواتهم بالشكوى من أعمالهم وآخرون متحفزون ومتحمسون فى كل عمل يقومون به أو مهنة يضطلعون بأدائها ، وفى عام ١٩٧٧ توصل الباحثان « ويرى Wherry و ساوث South » إلى نظرية تناقش الجوانب الشخصية لدافعية العمل ، فأجريا إختبار قوامه ٧٠ بندا لقياس المستوى العام لدوافع العمل لدى الفرد وأيدت نتائج البحث فكرة أن مستوى الدافع للعمل تعتمد بدرجة كبيرة على أنماط البشر وأنواع العمل ، كما أيدت دراسات أخرى نفس النتائج حول الرضا المهنى بالإضافة إلى أن العمل يمثل بؤرة الإهتمام فى حياة بعض الأفراد وأنهم سعداء فى أعمالهم من هؤلاء الذين لايتركز إهتمامهم على العمل. ولقد وجد « أوربن Orpen » عام ١٩٧٨ علاقة مشتركة صغيرة ولكنها فى نفس

الوقت إيجابية بين الرضا المهنى والرضا عن الحياة ، كما وجدت علاقة مشتركة بين مستويات الرضا المهنى بين المراهق والراشد ، وتم تفسير هذه الدراسات على أنها تأييد للنظرية التى تفترض أن الرضا المهنى قد يتأثر ولو جزئيا بالسمات الشخصية.

، وفى عام ١٩٨٩ توصل كل من « آرفى Arvey و بوتشارد Bouchard وسيجال Segal و أبراهام Abraham » إلى أن الرضا المهنى لايتحقق من خلال العمل فقط ولكن يمكن أن تحدده أيضا عوامل وراثية كما توصل «آرفى Arvey» وزملاؤه إلى هذه النتائج بمقارنة مستويات الرضا المهنى لدى أربعة وثلاثون زوجا من التوائم المتطابقة الذين تم فصل كل واحد منهم عن أخيه فى سن مبكرة .

وإذا كانت البيئة وحدها هى التى تتحكم فى الرضا المهنى فلن تكون هناك علاقة مشتركة بين مستوى الرضا المهنى لدى هؤلاء التوائم المتطابقين الذين تمت تربيتهم في بيئات مختلفة والذين يشغلون وظائف مختلفة فى الوقت الحالى ، وإذا كان لكل التوائم المتطابقين نفس مستوى الرضا المهنى بالرغم من تربية كل واحد منهم منفصلا عن أخيه وشغل كل منهم وظيفة مختلفة عن الآخر فسيكون من المرجح وجود إستعداد وراثى للرضا المهنى .

قياس الرضا المهنى .

يمكن قياس الرضا المهنى بأحد الإختبارات المعروفة باسم «إختبارات القلم والورقة» ، ومن الإختبارات الرائدة فى هذا المجال « إختبار كونين Kunin » عام ١٩٥٥الذى يعرف باسم «إختبار أومقياس الوجوه».أن أكثر المقاييس إستخداما في هذا المجال هو «الدليل الوصفى المهنى Jop Descriptive Index (JDI) » الذى قام بتطويره « سميث Smith و كندال Kendall و هولين Hulin » عام ١٩٦٩ويتكون من سلسلة من الصفات والجمل المتعلقة بالوظيفة والتى يقوم الموظف أو العامل بتقديرها ، ويعطى المقياس درجات لخمسة أبعاد من الرضا الوظيفي وهى على الترتيب : الإشراف والأجر وفرص الترقي وزملاء العمل وطبيعة العمل ، وهناك مقياس مشابه وهو إستبيان منيسوتا للرضا المهنى «Minnesota Satisfaction Questi (MSQ) » الذى قام بتطويره كل

من : « وايز Weiss و داويس Dawis و إنجـــلاند England و لو فكست Lofquist » ١٩٦٧.

ولما كان « الدليل الوصفى المهنى » يحتوى على خمسة مقاييس فإن « إستبيان منيسوتا للرضا » يحتوى على ٢٠ مقياسا مما يؤكد أنه ليس من السهل قياس الرضا الوظيفى وهذا صحيح عندما يفكر المرء فى إستجابات الموظف فى الدليل الوصفى المهنى ، فإن ذلك لايرتبط إرتباطا كبيرا بإستجاباته في « إستبيان منيسوتا للرضا » حيث أن كلا من « الدليل الوصفى المهنى » و« إستبيان منيسوتا للرضا » يقيسان جوانب معينة من الرضا الوظيفى ، ومن ثم فإن كلا من «أيرنسون Ironson و « سميث Smith » و«برانيك Brannick » و «چيبسون Gibson» و « بول Paul » عام ١٩٨٩ قد قاموا بتطوير مقياس الوظيفة فى الشكل العام ، إن مقياس الوظيفة فى الشكل العام مفيد عندما تريد إحدى المؤسسات مقياس المستوى الشامل للرضا الوظيفى وليس جوانب معينة من الرضا المهنى .

إستبيان منيسوتا للرضا المهنى (M . S . Q).

إسأل نفسك : مامقدار رضاى عن هذا الجانب من الوظيفة ؟

- راض جدا : وتعنى أننى راض جدا عن هذا الجانب من الوظيفة .
- راض : وتعنى أننى راض فقط عن هذا الجانب من الوظيفة .
- لاأعرف : وتعنى أننى لاأستطيع أن أقرر أننى راض أو غير راض .
- غير راض : وتعنى أننى غير راض عن هذا الجانب من الوظيفة .
- غير راض مطلقا : وتعنى أننى غير راض بالمرة عن هذا الجانب من الوظيفة .

هذا ما أشعر به نحو وظيفتى الحالية .	راض جدا.	راض.	لا أعرف.	غير راض.	غيرراض مطلقا.
يمكن أن أكـون مشغولا طوال الوقت .					
فرصـة العمــل بمفـردى فى الوظيـفة .					
فرصة القيام بأشياء مختلفة من حين لآخر .					
فرصـة أن أكون مرمـوقا فى المجتـمع .					
طـريقة معاملة رئيسى للعاملين معه .					
كفـاءة المشـرف فـى إتخـاذ القـرارات .					
المقدرة على القيام بأشياء تخالف الضمير .					
مقدار ماتوفر الوظيفة من ثبات التعيين .					
فرصـة القيـام بأشيـاء لأناس آخرين .					
فرصـة إبلاغ النـاس بما يقومـون به .					
فرصـة القيـام بشئ فيه إستخدام لقدراتى .					
طريقة تنفيـذ سياسات الشـركة .					
الأجر ومقدار العمل الذى أقوم به .					
فرصـة التقـدم فى هـذه الوظيـفة .					
حرية إستـخدام تقديـرى وحكمـى الخـاص .					
فرصة محاولة إستخدام الطرق الخاصة بى					
لقيامى بالعمل .					
ظـروف العمل .					
مدى إنسجام زملاء العمل مع بعضهم والآخرين					
المديح الـذى أتلقاه عند القيام بعمل جديد .					
ما توفره الوظيفة من إحساس بالإنسجام .					

الفصل الثامن

سيكولوچية الإنفعالات .

* جوانب الإنفعـــال .
* نظريات الإنفعـــال .
* الإنفعالات النفسجسمية .
* الإنفالات وسيكولوچية الجمـــاعـــات .
* نظرية التحليل النفسي في الجماعات .
* الأنماط العشرة لنظرية « ردل » في الإنفعالات .

سيكولوچية الإنفعالات .

خلق الله الإنسان لعبادته والضرب والعمل في آفاق المعمورة ويتعلم ويكره ويفرح ويحزن ويخاف ويطمئن ويصارع الهلع والإشمئزاز ويحاول التغلب علي الوساوس والإستحواذ وتنتابه - أحيانا - حالات من الهم والغم والكمد الأليم ، كما تغشاه خبرات من الحقد والحسد والإكتئاب المقيم ، وتلازمه في حياته النفسية غيرة مرضية دون بصيرة ويتنهد في أنين وإغتراب نفس كسيرة وتحاصره مشاعر الذنب فيبكي ملوما محسورا ، وتستحوذ عليه أحاسيس « النرجسية » فيخال نفسه أسدا هصورا .

وما هذه الحالات والصور الوجدانية إلا معالم حياتنا النفسية التى تميزها عن الحالات النفسية فى دنيا الحيوان والنبات ومن الصعب - إن لم يكن من المستحيل - مشاهدة أم لا تتألم لمرض فلذة كبدها وولدها الوحيد.أو بكاء عروس على حبيبها الزوج المخطوف تحت تهديد السلاح والوعيد .

هذا ويدون الألم والحب والضيق والضجر والقلق والتوتر والحزن والكراهية والأرق والسهاد والفراق والإغتراب بدون هذا كله تعتبر حياتنا النفسية خواء وعدم ووهم وندم

وصفوة القول وأصدقه أن حياتنا النفسية - كما ذكرنا آنفا - لاتسمى حياة بدون إنفعالات ومن هنا كان موضوع الإنفعالات فى علم النفس من الموضوعات الأساسية التى تربط دائما بالدوافع النفسية والصحة النفسية والمزاج والتناغم والإنسجام والعمليات المعرفية العقلية من تذكر وتفكير وتصور وتخيل وذكاء فضلا عن العلاقة الوطيدة بين الإنفعالات وصحة البدن من ناحية والإنفعالات والأمراض السيكوسوماتية «النفسجسمية » من ناحية أخرى .

ونتسائل الآن عن ماهية الإنفعال ؟ نقصد بالإنفعال : Emotion « شعور همجى مضطرب » وخلل عام يصيب الفرد كله نفسا وجسدا ويؤثر إلى حد كبير فى تصرفاته وأفعاله وخبراته الحسية والشعورية وأعضاء جسمه الحشوية الداخلية « الفسيولوچية » وتحدث الإنفعالات نتيجة لأسباب نفسية إجتماعية وبيئية » إن الشخص أثناء إنفعاله الشديد تصاب كل أنواع وصور نشاطه بالشلل التام فلا يرى

ماذا قال ؟ ولايدرك حقائق الأمور ولايعى عواقب هياجه وغضبه .

خبرة إنفعالية واقعية : ذات شتاء والجو ملبد بالسحب والغيوم ، والأرض تكسوها الزروع والأشجار اليانعات فتسبب شبورة كثيفة تجعل الرؤية متعذرة متعسرة ، وفى هذه الآونة كان طالب صغيرًا يسير بين قضبان السكك الحديدية وإذ بظهور قطار فجأة ينهب الأرض نهباً ولحظة أن سمع الطالب صوت القطار يقترب منه أصيب بالهلع والإضطراب ، فوقف شعر رأسه وزادت ضربات قلبه وجف ريقه وزاغ بصره وارتعد جسده وتصبب عرقه وحبس صوته وفجأة تحركت قدماه بسرعة كبيرة ليقع فى أحد الحقول بعيدا عن مسار القطار - كادت تحدث حادثة وتقع الواقعة ولكن الله سلم .

وعند حدوث الإنفعال تضطرب أعضاء الإنسان الفرد خارجيا وداخليا مثل : إنتصاب شعر الرأس وإتساع حدقة العين وإتساع شعيبات الرئة وتتوقف العصارة المعدية بالمعدة تتكاسل عملية الهضم وتفرز الغدة الكظرية هرمون الأدرينالين وتتسع الشرايين السطحية وتضيق الشرايين الحشوية وتزداد ضربات القلب وتتوتر العضلات ويفرز الكبد السكر فى الدم ويزداد تصبب العرق وإفرازه وتتوقف الأمعاء الدقيقة عن العمل أو تعمل ببطء وتتوتر عضلات الجسم إستعدادا للهرب والحفاظ على النفس .

والإنفعال أولا وقبل كل شئ عملية نفسية جسمية فسيولوجية معقدة متنوعة الجنبات وتسير فى حلقات منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى :

١ - الفهم والإلمام بموقف الإنفعال .

٢ - حدوث تغيرات فى وظائف الأعضاء الداخلية .

٣ - حدوث إضطرابات جسدية خارجية .

٤ - الخبرات الشعورية السابقة .

٥ - رد الفعل تجاه موقف الإنفعال .

ونتحدث عن كل عنصر من العناصر السابقة بالتفصيل فنقول :

١ - الفهم والإلمام بموقف الإنفعال :

بداية عند إنفعال الشخص عليه أن يتفهم الموقف الذى حدث فيه الإنفعال ،

ففى مثال الطالب الصغير والقطار كان إلمام الطالب ومعرفته تماما بخطر القطار كان هذا بمثابة إستثارة إنفعال الهلع والخوف الشديد لدى الطالب ، ويعتمد إدراك وفهم الطالب لخطر القطار على مجموعة عوامل خارجية وعوامل داخلية فمن العوامل الخارجية حضور القطار فى وقت لم يتوقعه الطالب بالإضافة إلى مواجهة هذا الخطر وحده بعيدا عن أسرته.أما عن العوامل الداخلية لدى الطالب فتكمن فى خبرة الطالب بحوادث القطارات وسائر المواصلات الأخرى وما ينجم عن ذلك من قتلى وجرحى ومفقودين ، إن هذه العوامل فى جملتها قد لعبت دورها المؤثر فى تفهم وإدراك الطالب لموقف الإنفعال .

هذا وقد تختلف العوامل الداخلية من شخص إلى آخر طبقا للفروق الفردية في علم النفس ومن ثم فإن إدراك الأفراد لموقف ما يتباين من فرد لآخر ، فمشاهدة القرد طليقا فى الشوارع قد يسبب هلعا وخوفا لبعض الأشخاص ، بعكس وجود القرد فى قفصه بحديقة الحيوان ، وقد يغضب وينفعل أحدهم عند سماع نكته فكاهية وقد يضحك آخرغيره على مضمون النكتة وهنا نقول بأن طريقة التنشئة الإجتماعية والتربية المنزلية والخبرات السابقة والأحوال والظروف الأسرية والنفسية والإجتماعية والإقتصادية كل هذه العوامل مجتمعة تؤثر فى حياتنا الإنفعالية .

٢ - حدوث تغيرات فى وظائف الأعضاء الداخلية :

هناك تغيرات حشوية وفسيولوجية تحدث في كل كيان الإنسان عند إنفعاله ومن أهم هذه التغيرات ما يلى :

أ - تغيرات تحدث فى الدورة الدموية حيث تزداد سرعة ضربات القلب وسرعة النبض وزيادة كمية الدم التى تصل إلى أعضاء ومناطق الجسم وبالتالى إرتفاع ضغط الدم وإحمرار الوجه بسبب إندفاع الدم من الأحشاء إلى الأجزاء الخارجية .

ب - تغيرات حشوية داخلية وهنا تنخفض إفرازات العصارة المعدية إلى حد كبير كما تتوقف عملية الهضم وتحركات الأمعاء الدقيقة والغليظة مما يسبب حالات عسر الهضم لدى المنفعلين من الأفراد .

جـ - تغيرات تحدث فى الغدد : وهنا يزداد إفراز الغدد العرقية فى

الجسم ويقل إفراز الغدد اللعابية مما يسبب جفاف الحلق بالإضافة إلى زيادة إفراز هرمون الغدة الأدرنالية فى الدم لتدعيم النشاط الجسدى الذى يقوم به الفرد المنفعل .

د - تغيرات فى وظيفة الكبد : وهنا يزداد نشاط الكبد حيث يفرز كمية كبيرة من السكر لتعمل على زيادة طاقة الإنسان لمواجهة حالات الإنفعال الطارئة .

٣ - حدوث إضطرابات جسدية خارجية :

وتحدث تغيرات وإضطرابات خارج الجسم عندما ينفعل الشخص ومنها ما يلى :

أ - تغيرات فى الوجه : عادة ما تصبح تغيرات الوجه - أثناء الإنفعال - خادعة كاذبة بعيدة عن الحقيقة والواقع ، وذلك طبقا للفروق الفردية بين الناس فقد يكون الشخص فى حالة إعياء وتعب شديد ويظهر بأنه لديه طاقة هائلة من العمل أو كما يقولون - بلغة الشعر العربى الجميل - « كالطير المذبوح يرقص طربا من الألم » وقد يضحك الشخص كثيرا فى حالة إنفعال : الفرحة الغامرة ، أو السرور المفاجئ ولكنه - كما يذكر المتنبى حكيم الشعراء - « ضحك كالبكاء » . ولماذا نذهب بعيدا ونحن نسمع كثيرا كلمات أغنية « سلطان الأغانى الحزينة » فريد الأطرش حين يردد « عيني بتضحك وقلبى بيبكى .. » ومن ثم يجب ألا نعتمد على تغيرات ملامح الوجه « كأمارة أو شاهد » على نوعية الإنفعال .

ب - شكل الجسم العام : يسبب الإنفعال لنا تغيرات فى شكل الجسم بوجه عام . خذ على سبيل المثال إنفعال الحب فترى المحب منبسط الأسارير خفيف الحركة مرفوع الرأس يتخيل نفسه كأنه يسير فوق بساط وردى ، وأحيانا كأنه يطير فى الهواء.وإذا كان إنفعال الحب قويا رصينا ترى المحب خفيض الصوت زائغ البصر نحيل الجسد بطيئ الإستجابة ، قليل الكلام ضعيف الحركة وهكذا .

جـ - نبرات الصوت ونغماته : يتغير الصوت كثيرا لدى المنفعل شديد الغضب فترى الواحد منهم يتحدث أثناء الإنفعال بوجه عام ، بنبرات صوتية حانية أو نغمات كلامية قاسية ، كما يتخلل صوت المنفعل رنة أسى ويردد تعبيرات «لعل وعسى » إن مثل هذه النبرات الصوتيه والنغمات الحالمة ، نسمعها بوضوح لدى

بعض الممثلين الموهوبين من أمثال عملاق المسرح العربى يوسف وهبى بصوته المتهدج المميز وأستاذ الإلقاء الفريد حسن البارودى والفنان القدير المعروف أمين الهنيدى ، وهكذا يلعب الإنفعال دورا كبيرا فى تلوين نبرات صوتنا ونغمات حديثنا .

د - الخبرات الشعورية السابقة :

تدل الخبرات الشعورية السابقة على الإحساس الفعلى بالإنفعال ، ومن الصعب علينا أن نتعرف على الإنفعال الظاهر بسبب التغيرات الفسولوجية الداخلية أوالخارجية ويمكن القول بأن المشاعر التى تنتاب الفرد المنفعل ، ما هى إلا المكونات الأصلية التى تحدد لنا الإنفعالات المختلفة ومدلولها .

هـ - رد الفعل تجاه موقف الإنفعال :

ونقصد بذلك كيفية مواجهة الإنسان المنفعل والخروج من أزمة الغضب النارى والعودة إلى سيرته الأولى ، فالطالب الذى إستشعر الخوف والهلع حينما سمع صفير القطار قادما نحوه بسرعة ، قد شل تفكيره وتجمدت حركاته فى البداية ولكنه شرع فجأة يجرى بعيدا لينجو بنفسه من الخطر الداهم ومن ثم عاد الأمن والإتزان ، ويعتبر رد الفعل هنا بمثابة عملية توافقية لهذا الموقف الطارئ ، وتختلف عملية التوافق تجاه موقف الإنفعال بمعنى إنها قد تطول أو تقصر ، تقصر كما عرضنا فى المثال السابق . وتطول هذه العملية فى حالات كثيرة فقد تستمر شهورا أو سنوات ، فالطالب الذى يتكرر رسوبه فى إمتحان الثانوية العامة يتملكه الغضب ويصاب بالإحباط والقنوط وبعد أن يفكر بهدوء ويعرف مواطن الخطأ ، وأسباب فشله ، تراه ينظم مذاكرته ، ويثق بالله وبنفسه فيكتب له النجاح المنشود وهنا يهدأ بالا ، ويرتاح نفسيا ، ويقتحم المشكلة ويتغلب عليها .

نظــريات الإنفعــــال .

بداية ، لكل إنفعال جوانب ثلاثة هي علي الترتيب :

١ - جانب داخلي لا يشعر به ولايدركه إلا صاحبه المنفعل وهذا النوع من

الإحساس أو الشعور بالإنفعال يمكن دراسته وبحثه بتأمل الفرد لذاته .

٢ - جانب خارجي يحتوي علي تغيرات الملامح المختلفة ، وكل تعبيرات الوجه وما يصاحب ذلك من إشارات صادرة عن المنفعل كالشكوي من الألم أو الحزن أو الإبتهاج والسرور أو الصياح .

٣ - جانب فسيولوجي ويتمثل فى ضربات القلب السريعة وإرتفاع ضغط الدم وضيق التنفس وعسر الهضم وإضطرابات الجهاز الهضمى .

والواقع أن هذه الجوانب الثلاثة لا تحدث علي إنفراد لتسبب الإنفعال ، إلا إنها تحدث بطريقة متكاملة شاملة لتشمل الإنسان بكيانه ووحدته النفسية والجسمية والإجتماعية ، هذا وقد ظهرت بعض النظريات الخاصة بحدوث الإنفعال وتهدف إلي تحديد الإرتباط بين جوانب الإنفعال الثلاثة التي تحدثنا عنها آنفا ، ومن هذه النظريات ما يلي :

نظرية چيمس - لينج .

في عام ١٨٨٤ خرج علينا « عالم النفس الأمريكي چيمس (James) بنظرية في الإنفعالات مؤداها أن الإنفعال لا يحدث بسب مشاهدتنا أو إدراكنا لمصدر الخطر سواء كان هذا المصدر حيوانا مفترسا أو زلزالا وإنما يحدث بسبب إضطراب الأعضاء الحشوية الداخلية وكذلك الأعضاء الخارجية.إن شعورنا بالإنفعال هو نتاج إحساسنا بتغيرات جسمية وفسيولوچية حدثت لكياننا النفسي كله.فإذا رأينا مصدر الخطر نتأي بعيدا عنه ونخاف بعد ذلك وشعورنا بالخوف أو الهلع يأتي بعد أن نحس برجفة وصعوبة في الكلام هذا ويتبنى هذا الرأى أيضا عالم الفسيولوچيا الدانمركى لينج Lange مدعما رأى زميله چيمس .

وخلاصة قول أصحاب هذه النظرية أن الشعور بالإنفعال لايسمى إنفعالا إلا إذا كان نتيجة تغيرات فسيولوچية داخلية وخارجية مثل سرعة ضربات القلب وإحمرار الوجه وبرودة الجسم كله وإرتباك المفاصل وإضطراب العضلات .

هذا وقد نقد نفر كثيرون هذه النظرية نقدا مريرا من مطلق أن كل الإضطرابات الجسدية فى الإنسان تحدث دون أن تتسم - عادة - بصفته الإنفعالية وبعيدا عن الجوانب الوجدانية .

نظرية الطوارئ Emergency Theory .

أسس هذه النظرية عالم النفس الأمريكى كانون Canon عام ١٩١١ الذى يعمل أستاذا لعلم النفس الفسيولوجي ، وتعرف نظرية الطوارئ أحيانا باسم النظرية المهادية Thalomic Theory نسبة إلى « المهيد » أو « الهيبوتلاموس » وهو المنطقة العصبية الموجودة وسط الدماغ .

ويرى كانون مؤسس هذه النظرية أن معايشة الموقف الذى أدى الى الإنفعال ، يعمل على تنبيه منطقة عصبية توجد فى وسط الدماغ تعرف باسم « الهيبو ثالاموس Hypothalamus » ترسل نبضات عصبية تأخذ طريقها نحو «قشرة المخ» و«الأعضاء الداخلية» فى وقت واحد تقريبا مما يؤدى ذلك إلى الشعور بالإنفعال بينما إلتقاء مثل هذه النبضات العصبية مع الأعضاء الحشوية الداخلية والعضلات هو الذى يسبب التغيرات الفسيولوجية الداخلية والخارجية وتؤكد هذه النظرية على أن الشعور الإنفعالي والتغير الفسيولوجى « حدثان متزامنان »أى يحدثان فى وقت واحد على وجه التقريب .

هذا وقد بحث كانون التغيرات الفسيولوجية المصاحبة لحدوث الإنفعال وتوصل إلى أن هناك هرمونا تفرزه الغدة الأدرنالية يعرف بهرمون الأدرنالين له فوائد كثيرة ويلعب دورا حيويا فى مساعدة الفرد أثناء الإنفعال الشديد مما يساعده على التصرف فى مثل هذا الموقف العصيب ، إن زيادة معدل إفراز هرمون الأدرنالين ينتج عنه : زيادة نبض الجسم البشرى ، وسريان الدم فى كل أنحاء الجسم وإرتفاع ضغط الدم وضيق الأوعية الدموية وإتساع مسارات الهواء إلى الرئتين لتيسير عملية التنفس ، وزيادة كرات الدم الحمراء وتأخيرظهور التعب مما يجعل الفرد قادرا على مجابهة مواقف عصبية كان لايمكنه مجابهتها في الظروف العادية .

الإنفعالات والأمراض النفسجسمية .

لما كانت الإنفعالات من المؤثرات النفسية والجسمية على كيان الإنسان الفرد ، حيث ترتبط إلى حد كبير بالخلل والإضطراب الفسيولوجى الذى يصيب الفرد نقول لما كان ذلك كذلك فإن للإنفعالات الشديدة نصيبا كبيرا فيما يصاب به الفرد من

أمراض نفسجسمية « سيكوسوماتية » أى أمراض جسمية ذات أصول نفسية مثل : قرحة المعدة وقرحة الإثناعشر وضغط الدم العالى وأمراض الربو والحساسية والصداع النصفى وإضطرابات الشريان التاجى فى القلب والإمساك المزمن والإسهال المزمن وبعض الأمراض الجلدية والإضطرابات الجنسية لدى الرجل والمرأة وهكذا .

إن الإنفعال يتطلب دائما قدرا من التنفيس أو التصريف بهدف إنسياب الطاقات الحشوية الداخلية والتغيرات الفسيولوچية الخارجية لتؤدى وظائفها المنوط بها فى يسر وإنسجام ، أما إذا تعطلت هذه الطاقات الحشوية والتغيرات الفسيولوچية عن عملها بسبب العوائق والسدود والحواجز ، كأن يكف الإنسان عن أذى أو ضرر أصابه من شخص آخر ، أو يتجمد فى مكانه ولايجرى فى حالة مواجهته بخطر مبين فإذا حدث ذلك ، فنحن أمام طاقات معطلة أصابها وابل من الخلل والإضطرابات والكمد المقيم ، كما أن مثل هذه الأسباب المثيرة للإنفعال قد تستمر ردحا طويلا من الزمن فى حالة إعاقة وكف بسبب الكبت أو القمع فتصبح « مزمنة » مما يحدو بها إلى ظهور الأمراض السيكوساماتية التى أشرنا إليها من قبل . والواقع الأكيد أننا إذا أغلقنا الباب فى وجه إنفعالاتنا ولم نسمح لها بالتعبير الحركى والسلوك الواقى لأنفسنا وحياتنا ، ما لم نفعل ذلك فإن جسدنا يقوم بمهمة التعبير المطلوب من هذه الإنفعالات ، ولكن بعد دفع الثمن الباهظ فى صورة خلل وإضطرابات وأمراض عضوية كثيرة ، إن هذه الأمراض بمثابة المترجم عن حياتنا الإنفعالية اللاشعورية .

هذا وتكثر الأمراض السيكوسوماتية فى البلدان المتقدمة والمناطق الصناعية التى تتسم بالأزمات الإجتماعية والصراعات النفسية والغيرة المهنية والظروف الإقتصادية السيئة التى تجعل الفرد صريع الفقدان والضياع والإغتراب والقلق فضلا عن إثارة الفرد بكل ما هو غريب وشاذ فينزع إلى العداوة والحقد والغل والحسد والبغضاء وعدم الإنتماء والأنانية .

وخلاصة القول أن : الإصابة بالأمراض السيكوسوماتية تكثر لدى الرجال وتقل كثيرا لدى النساء إنها كثيرة فى محيط رجال الأعمال ورجال المهمات الصعبة والإداريين وذوى المسئوليات الجسام من الرجال وأصحاب الطموحات البعيدة وبعض المفكرين والعلماء .

الإنفعالات وسيكولوجية الجماعة .

تدرس الجماعات لا فى علم النفس الإجتماعى فقط بل فى علم الإجتماع أيضا وعلم الإجتماع يدرس الجماعات بمعنى يختلف عن دارس الجماعات فى علم النفس الإجتماعى فبينمايدرس علم الإجتماع الجماعة في مستوى التنظيم ومن حيث أنهاعنصر من عناصر المجتمع ومن حيث مركزها فى البناءالإجتماعى نرى علم النفس الإجتماعى يدرس الجماعة من ناحية ديناميلتها بغض النظر عن دراستها في نطاق المجتمع ككل مثل علم الإجتماع وهناك تصنيف جورفيتش ونظريته عن دراسة الجماعات من الناحية السسيولوچية فهو يصنف أنماط المجتمع وفقا لخمسة عشر ميدأ من مبادئ التصنيف من حيث :

١ - المضمون : مثل جماعات ذات وظيفة واحدة أو وظائف متعددة أو جماعات تتعدد وظائفها « النادى - الأسرة - الدولة » .

٢ - الحجم : مثل السعة أو المدى ومثل عدد الأفراد والدخول فيها صعب وقاصر على عدد معين مثل زوج وزوجة وأطفال .

٣ - العمر : مثل الجماعات المؤقتة والجماعات الثابتة .

٤ - النمو : وهذا المبدأ مثل إيقاع الجماعة أو نموها فهناك جماعات تنمو ببطء وجماعة متوسطة النمو وجماعة سريعة النمو .

٥ - درجة التشتت : وهى كالجماعات ذات الأبعاد المختلفة والجماعة ذات العلاقة المصطنعة والجماعات الدائمة.

٦ - التكوين : أى على أساس التكون فهناك جماعات واقعية مثل الجماعة الفرضية أو القهرية كلأسرة وجماعة إرادية أى صادرة عن إختيار .

٧ - الوظائف : فهناك جماعة القرابة وجماعة الأخوة وجماعة السكن .

تعريـــف الجماعـــة .

أولا : جون ستيوارت ميل : قال بأن الجماعة هى مجموع الأفراد المكونين لها وهذا التصور للجماعة يرجع إلى الأفراد الموجودين فى هذه الجماعة وهذا ما

يعرف باسم «التصور العددى » للجماعة على أساس الظواهر الفردية ويقول كذلك «بأن الناس فى تجمعهم لايتحولون إلى جوهر جديد أو خصائص مختلفة مثل إتحاد الهيدروچين والأكسچين الذى ينتج عنه الماء فالنقطة الهامة هى أن الموجودات الإنسانية فى تجمعها تستمد خصائصها من القوانين الطبيعية لدى الفرد» ولذلك فالطبيعة الإنسانية واحدة سواء كانت بمفردها أو مع الآخرين وملخص نظرية «ميل» هو :

١ - فكرة التصورالعددى .

٢ - الإختلاف في تعقيد الظواهر يرجع إلى قوانين العناصر المستقلة .

٣ - التعقيد فى الظواهر يرجع إلى تنوعها مثال « حركة السوق » والنتيجة هى أن علم النفس الفردى يكفى لدراسة الظواهر داخل الجماعة .

٤ - الظواهر الإجتماعية ترتد إلى الأفكار والأحاسيس الذى تحدث داخل العقول وفقا لقانون « الترابط والتداعى » .

ثانيا : جبرابيل تارد : له مؤلفان هما قوانين المحاكاه Les Lois de L' Imitation والقوانين الإجتماعية Les Lois Sociales ونظريته فى الجماعة منصبة لا على دراسة العناصر الفردية ولكن على دراسة العلاقة القائمة بين هذه العناصر والجماعة عند تارد هي مجموعة من الكائنات يحاكي بعضها بعضا أو يشبه بعضهم البعض ، والسمات المشتركة بينهم هى نسخ قديمة من نفس النموذج .

ويعزز تارد نظريته بقوله أن العلم الذى يبدو حقيقة أو واقع إجتماعى أو ظاهرة إجتماعية هونتيجة لإكتشافات فردية لاقى معارضة إجتماعية فى الأول وإنتشر من فرد إلى فرد من المبتكر إلى المحاكى وهذا الإنتشار عن طريق المحاكاه جعله فى النهاية يبدو كما لو كان موجودا ، وفكرة المحاكاه تفترض وجود علاقة إنفعالية بين شخصين « نموذج والصورة » ولولا هذه العلاقة الإنفعالية لاتكون محاكاة والمحاكاة لاتحدث إلا بين شخصين أحدهما مكانته الإجتماعية مرتفعة والآخر أقل مكانة إجتماعية .

نتائج هذه النظرية :

١ - ماهى وحدات التحليل ؟

٢ - ثبات وحدات التحليل .

٣ - حجم الجماعة وأثره فى بنائها .

نقدالنتيجةالأولى : يتمثل فى مثال « موقف الغيرة في الحب » وهو موقف ثلاثي يتكون من المرأة والشخص الغيور والشخص الثالث الذى تحبه المرأة ونشير إلى دراسة لفرويد بعنوان « A Special Type of Choice of Object made by Men » ومن هذه الدراسة نتبين أن هذا الموقف الثلاثى لايمكن أن يرتد إلى أبسط من ذلك أو نرجعه إلى موقف ثنائى كما يقول تارد أو إلى فرد واحد كما يقول ميل .

نقدالنتيجةالثانية : ولنقد هذه النتيجة نراها أنها تعارض كل مانعرفه من المشاهدات التى إكتشفتها نظرية الجشطلت التى تقول بأنه لاتوجد عناصر لها خصائص ثابتة بل تفقد خصائصها وفقا للمركبات التى تدخل فيها والعنصر حين يدخل في مركب يفقد خصائصه كعنصر ويكتسب خصائص جديدة موجودة فى شكل آخر .

نقدالنتيجةالثالثة : ليس صحيحا أن حجم الجماعة ليس له أهمية فيما يتعلق بأنواع التفاعل الذى يحدث داخل الجماعة.وليس صحيحا أن الجماعات وإن إختلفت فإنها متجانسة.بمعنى أنه إذا تأملنا صورة أنواع التفاعل نلاحظ أن الجماعة المؤلفة من فردين تبدى درجة مرتفعة من مظاهر التوتر .

نظرية طبيعة الجماعات .

تتلخص هذه النظرية بأن الجماعة لها وجود متميز عن الأفراد الموجودين فيها وبالتالى يمكن دراسة هذا الوجود دراسة مستقلة عن الأفراد الموجودين بداخلها ، والآن نتعرض للصور التاريخية عن هذه النظرية وقد بدأها « سبنسر » فنقول :

أولا : نظريةسبنسر : هى تطبيق لمبادئ نظرية التطور فى علم الحياة على المجتمعات الإنسانية فيرى أنه من الممكن أن نرى المجتمع كالكائن العضوى وفكرة البناء الإجتماعى مستمدة من علم الحياة وسبنسر فى تصوره للبناء الإجتماعى يرى أن المجتمع والكائن العضوي متشابهان فى أربع وجهات هى الوحدات والبناء والأجزاء

والحياة ويختلفان في أربعة أيضا هى : الشكل ، الحجم ، المكان ، الشعور ، وبالجملة فعند سبنسر تطور الإنسانية مماثل لتطور الكائنات العضوية .

ثانيا : إميل دوركايم : يلاحظ دوركايم أن الظواهر في المستوى الإنسانى يمكن إظهارها على ثلاث مستويات :

١ - المستوى العضوى : أى الخلايا التى يتألف منها جسم الإنسان أو أى شئ جديد.

٢ - الظواهر النفسية : نفسها تتضمن وجود الخلايا العصبية ولكنها شئ جديد بالنسبة للمستوى الأول .

٣ - مستوى المجتمع : عند تجمع الأفراد حيث يتكون المجتمع والشعور الجمعى .

ثالثا : جوستاف لوبون : ونظريته تقوم على « النفس الجمعية » والجمهرة .

رابعا : وليم ماكدونال : ونظريته تقوم على « عقل الجماعة Group Mind » .

نقد نظرية التطور .

مما تقدم يتضح أن كل النظريات المبنية على فكرة التطور يمكن أن تقول أنها « ترى أن التطور داخل الفرد يعكس التطور داخل الجنس البشرى أى الإنسان فى تطوره يعكس تطور الجنس البشرى » .

وبذلك نصل إلى المعادلة الآتية :

الطفل = البدائى = العصابى « المريض نفسيا » ويظهر ذلك على أساس أن المريض نفسيا يكون قد فقد أساليب التكيف فى المجتمع الذى يعيش فيه فيعود إلى الحالة البدائية وهذا التصور خاطئ بمعنى أن هناك نوعا من التطور لدى البدائيين وأن هناك حضارة وثقافة وأطفالا أصحاء وأطفالا مرضى كما فى المجتمع المتحضر .

ويتضح من ذلك أن نظرية التطور لاتصمد أمام إختبار الواقع وإعتبار أن الإنسانية تسير في خط واحد في تطورها « من البسيط إلي المعقد » ليست صحيحة بل هي معقدة أيضا في المجتمعات البدائية ، إذن هذا التصور سواء فى شكله العام « الجماعة مجموعة أفراد مكونين لها » أو شكله الذى يعتمد على نظرية التطور ، لا يمكننا إعتبار الجماعة كموجود « الجماعة لها خصائص مستقلة عن خصائص الأفراد » .

نظرية التحليل النفسى فى الجماعات .

فى كتاب فرويد « علم النفس الجماعى وتحليل الأنا Group Psychology and The analysis of EGO » يظهر لنا أن الثنائية بين الفرد والجماعة ثنائية زائفة ويقول فرويد بأنه لايمكن دراسة الفرد مستقلا عن الجماعة إذ أن فى الواقع علم النفس الإجتماعى سابق على علم النفس الفردى فالشخص الآخر يلعب دائما دورا فى حياة الفرد بإعتباره نموذجا أو موضوع أو نصير أو خصم وبذلك نرى أن بداية التصور الأولى لفرويد هو أنه أمامنا « كل دينامي » ومن الخطأ فصل الفرد عن الجماعة وفكرة فرويد فى تصوره للجماعات تعتمد على نقده لنظرية جوستاف لوبون أي نقده للنظرية السيكولوچية التى ترى فى الجماعات مظهرا من مظاهر مايسمى بالنفس الجمعية وبذلك كانت نظرية لوبون تقوم على :

١ - الجماهير تخضع لقانون الوحدة النفسية .

٢ - سيطرة الدوافع الغريزية اللاشعورية .

٣ - خضوع الجماهير للإيحاء وزيادة قابليتهم له .

٤ - تدخل الأفكار عن طريق العدوى الإنفعالية .

أما نظرية فرويد فى الجماعات فتعتمد في توضيحها للظواهر داخل الجماعات على ما يسمى بمفهوم الليبيدو Libido الذى يشتمل على كل ما يتضمنه موضوع الحب أي أن هذه النظرية تقوم على أسس ثلاثة هى :

١ - يرفض فرويد الثنائية بين الفرد والجماعة .

٢ - يرفض فكرة الإيحاء .

٣ - يعتمد على مفهوم الليبيدو .

ومن ثم فإهتمام فرويد منصب على الروابط الوجدانية والقوى الإنفعالية التى تربط الأفراد بعضهم ببعض.على أن هناك خلافا بين فرويد وليڤين فى تعريف الجماعة فليڤين يتناول الجماعة الموجودة كما هى ولكن لايظهر لنا الإنفعالات داخلها ولكن فرويد يتناول تكوين الجماعة بإعتبار أنه يقوم على الروابط الإنفعالية الموجبة.

ويضرب فرويد مثالا للجماعة وهى جماعات الكنيسة والجيش فالجماعات بهذا الشكل جماعات مصطنعة لأنها غير ناتجة عن إرادة الأفراد وهى جماعات ذات تماسك يرجع إلى الضغط الخارجي.كما يلاحظ فرويد أن أفراد هاتين الجماعتين موجودون مع بعضهم بفضل علاقاتهم بشخص خارج الجماعة فى الكنيسة هذا الشخص هو المسيح وفى الجيش القائد.ولابد أن تعرف أن الأساس فى تماسك الجماعة مثل جماعة الجيش هو نوع العلاقة بين القائد والأفراد وليست الأفكار إذ أن عنصر التماسك فى الجماعة هو في الأصل الرابطة الوجدانية والليبيدية بين الأفراد. والدليل على ذلك « عصاب الحرب War Neurosis » الإنهيار العصبى أثناء المعارك وهو تعرض الفرد لصدمة لايستطيع معها تصريف القلق أو الشحنة الإنفعالية التى تولدها هذه الصدمة وليس سبب ذلك تعرض الفرد لأخطار خارجية ولكن السبب هو أن رئيس الجند فى علاقته مع الجندى عامله بقسوة أى أن أخطار الحرب ثانوية بالنسبة لعلاقة الفرد بالقائد والإنهيار نوع من التمرد على المعاملة التى يتعرض لها الجندى فى علاقته بالقائد وبالمثل كذلك « ظاهرة الهلع » وهى خاصة بعلاقة الأفراد بعضهم ببعض إذ أنه فى حالة الذعر تضعف علاقة الأفراد ويؤدى ذلك للتفكك .

ونظرية فرويد الأولى كانت تقوم على المقابلة بين غرائز الأنا وهي لحفظ الذات والغرائز الجنسية الليبيدية وهي لحفظ النوع أما النظرية الثانية فهى تعديل للأولى وهى كالآتى :

غريزة الأنا والغرائز الجنسية وهى لحفظ الحياة.غريزة الموت وهى الميل التدميرى الأولى .

تكوين الجماعات بالنسبة لنظرية فرويد يقوم على :

١ - الروابط الإنفعالية الموجبة « الحب » .

٢- وجود قائد .

٣ - وجود فكرة تحل محل القائد .

٤ - الحقد .

٥ - التوحد ... والتوحد له خمسة أدوار هامة هى :

أ - يؤدى إلى الموقف الأوديبى « توحد بالأب ، حب الأم - يلتقى التياران فى الموقف الأوديبى = « دوافع عدوانية ضد الأب » .

ب - يؤدى إلى موقف الشعور بالذنب « دورا - المدرس المريض Dora وأمها المريضة بالسعال المؤلم وتحقيق إشباع الشعور بالذنب » .

جـ - أساس العدوى الإنفعالية « البنات فى المدرسة وهم يبكون مع زميلاتهم التى جاءها خطاب غرامى » .

د - التوحد بالموضوع المفقود وإنقسام الأنا « الميلانكوليا » مثال فقدان شخص لزميل عزيز لديه ومثال الطفل والقطة وسير الطفل على أربع .

هـ - فى حالة الحب حيث يحل الموضوع محل الأنا الأعلى «إدماج الموضوع فى الأنا»

تتكون الجماعات وطبيعة تكوينها عند فرويد كالآتى :

١ - علاقة الأفراد ليبيديه « عاطفة حب » .

٢ - يوجد توحد لإشتراكهم فى صفة واحدة مستمدة من علاقاتهم بالقائد .

٣ - إبدال الأنا الأعلى للأفراد بشخص خارجى واحد .

وبذلك تكون هى الشروط الواجب توافرها عند تكوين « الجماعة » عند فرويد .

ويجب أن نلاحظ أنه فى حالة الطالبة بالمدرسة الداخلية التى بكت عند تسلمها خطاب حبيبها وحدثت لها أزمة هستيرية هذه الحالة ليست محاكاة بل توحد Identification بمعنى أن هناك وجه شبه فى الأنا بين هذه الطالبة وباقى الطالبات إذ أن كل منهن قد إستبدلت الأنا الأعلى بموضوع خارجى « الحبيب » . وهنا حدث نوع من الإدماج بين الشخصيتين .

الإنفعال الجماعى والقيادة .

نظرية « ردل » « Redel » .

دراسة ردل تتناول فى الواقع نظرية فرويد فى الجماعات وتحاول توسيعها وإبراز الجدة من ناحية وتكملة بعض النقائص الموجودة فيها من ناحية أخرى.ويلاحظ ردل أنه عند فرويد يوجد خلط بين المثل الأعلى للأنا والأنا الأعلى قبل عام ١٩٢٣ونظرية فرويد القديمة كانت تقول بتكوينها من غرائز الأنا وهى لحفظ الذات والغرائز الجنسية وهي لحفظ النوع أما النظرية الجديدة لفرويد فهي مكونة من غريزة الحياة « غرائز جنسية + غرائز الأنا » وغريزة الموت وهى عبارة عن ميل تدميرى أولى ، وكل هذه النقط متعلقة بالمبادئ العامة لنظرية فرويد .

،نظرية ردل تركز على قيمة الدوافع العدوانية فى تكوين الجماعات .

مفاهيم أساسية لنظرية ردل .

١ - فكرة الإنفعال : فكرة الإنفعال عند ردل تشمل الإنفعالات والدوافع الغريزية ، والمقصود بالإنفعالات الجماعية هى تلك الأحداث الغريزية والإنفعالية التى تجرى لدى الأشخاص أثناء خضوعهم لعملية تكوين الجماعات ، والنقطة الهامة هنا هى التمييز بين العمليات المكونة للجماعات والعمليات التى تحدث لدى الأفراد داخل الجماعة .

فمثلا من الإنفعالات أو الدوافع مايسمح بتكون الجماعات كإعجاب عدد كبير من الأشخاص بشخص معين يجعلهم يكونون جماعة حول هذا الشخص وتعتبر هذه من الإنفعالات المسئولة والمقدمة للجماعات .

ويجب أن نعلم تماما أنه ليست كل الأنفعالات التى تحدث داخل الجماعة تكون مسئولة عن تكوين الجماعة.ويجب التمييز بين الإنفعالات الجماعية الدائمة والإنفعالات الثانوية .

نقد نظرية فرويد .

١ - لا يفرق بين المثل الأعلى للأنا والأنا الأعلى .

٢ - لايتناول كل أنواع الجماعات المقودة .

الشخص المركزى : هو الشخص الذى تحدث حوله العمليات الإنفعالية المكونة لجماعة أو هو نقطة التبلور بالنسبة لتكوين الجماعة.والشخص المركزى عند ردل هو الشخص الذى يستثير لدى أعضاء الجماعة المستقبلة العمليات الإنفعالية المكونة للجماعة بفضل إرتباط الأفراد بهذا الشخص وشعورهم بمشاعر معينة تعمل على تكوين الجماعة .

مسلمات أساسية في نظرية ردل .

١ - **الفعل المبادئ** « Initiatory act » : هو الفعل الذى يأتيه أحد أفراد الجماعة ويكون من نتيجته أن يرفع لدى أفراد الجماعة الشعور بالذنب .

٢ - **القيادة عند ردل** : عملية الجماعة ذات وجهين فالجماعة ككل دينامى ذات حدين يكمل أحدهما الآخر وهما الجماعة . والشخص المركزى ووجودهم ضرورى فى نظرية ردل .

الأنماط العشرة لنظرية ردل فى الإنفعالات .

نتعرض الآن بشئ من التفصيل لنظرية ردل Redel في الإنفعالات مع التركيز على مدلول النمط سيكولوجيا ، والدور الذى يقوم به الشخص المركزي Central Person والمحور الذي تدور حوله فكرة تكوين الجماعة ، وأخيرا تفسير الموقف من الناحية الإنفعالية ، ومن هذه الأنماط العشرة نتناولها فى النقاط الآتية :

أولا : نمط الوالد : وهويشكل جماعة من أطفال فصل دراسى بإحدى المدارس ومتوسط أعمارهم « عشر سنوات » ومدرس الفصل شخص نبيل حازم فى سلوكه رقيق حنون يمثل أرقى أنواع المثل العليا والنظام وحب العمل ، ويتقبل الأطفال هذه القيم بكل الحب والإحترام ، كما يخشون - أحيانا - فقد حبهم لمدرسهم ، ومن ثم يضطرون لكبت أحاسيسهم ومشاعرهم غير الملائمة لمثل وقيم المدرس ، ويقوم المدرس هنا بدور الشخص المركزى وهو بمثابة « الوالد » لماذا ؟ لأن الشخص المركزى بإعتباره موضوعا للتوحد على أساس الحب ، يؤدى عادة إلي « الإندماج » داخل الأنا الأعلى ، ولتفسير هذا الموقف - من المنظور الإنفعالى - نرى أن المدرس هنا

يعتبر فى مركز الوالد وقد تكونت الجماعة بفضل أن الشخص المركزى يقوم مكان الأنا الأعلى حيث أن العلاقة هنا قائمة على الحب الذى يؤدى إلى التوحد In-dentification وإكتساب القيم الأخلاقية والإجتماعية ، وبذلك أدمج الأطفال الأنا الأعلى لديهم بالمدرس مما حدا بهم لتكوين الجماعة .

ثانيا : نمط القائد : وهذا النمط يظهر فى جماعة من الشباب تتراوح أعمارهم من ١٥ - ١٧ سنة فى فصل دراسى ، ومدرس الفصل شخص صغير السن وإنسان جذاب وقريب إلى نفوس الشباب بما لديه من علاقة طيبة بينه وبين هؤلاء الشباب مما جعلهم يدرسون دون ضغط خارجى ، هذا ويعطف المدرس على دوافع الشباب الغريزية مقدرا ظروفهم الشبابية وهذا يمثل شيئين متناقضين هما : مسئوليات ومقتضيات الدراسة ، والسماح بإظهار الدوافع الغريزية للشباب فى حدود معينة ، إن دور الشخص المركزى يقوم به المدرس وهو بمثابة القائد وبإعتباره موضوعا للتوحد على أساس الحب الذى يؤدى إلى : الإندماج فى القدوة الحسنة للأنا ، ويتجلى تفسير الموقف فى أن المدرس القائد يقوم بدور المثل الأعلى للأنا ، وهذا يمثل للشاب إمكانية التوفيق بين مقتضيات الواقع ومقتضيات الحياة الغريزية. ومن ثم فإن الشباب قد كونوا جماعة لأنهم قد إتخذوا من المدرس القدوة الحسنة أو المثل الأعلى للأنا عندهم ، وهنا ظهرت الإنفعالات الجماعية .

ثالثا : نمط الطاغية : ويشمل جماعة من الأطفال فى سن العاشرة بفصل دراسى ومدرس الفصل شخص متوسط السن تتسم شخصيته بالتسلط والقهر والنظام الصارم أثناء علاقته مع هؤلاء الأولاد كما أنه يميل إلى الإنتقام لإظهار دوافعه العدوانية ، وبرغم ذلك فهناك توحد قوى بين المدرس الطاغية وبين الأطفال ، إن دور الشخص المركزى فى هذا النمط هو المدرس .

هذا ويكمن أساسا تكوين الجماعة في الشخص المركزي علي إعتبار أنه يمثل « موضوع التوحد » القائم علي الخوف الذي يؤدي بدوره إلي « التوحد بالمعتدي » علي حد تعبير : أنا فرويد : (Anna Freud) ويبدو تفسير هذا الموقف في أن الأطفال قد « أدمجوا » الأنا الأعلي عندهم بالأنا الأعلي للمدرس عن طريق التوحد

وبدافع الخوف من العدوان وعلي هذا الأساس ظهرت الإنفعالات التي سمحت بتكوين الجماعة حولها من منطلق شخصية المدرس والحاجات الموجودة لديه وسن الأطفال .

رابعا : نمط المعشوق : ومجاله ينحصر في جماعة من البنات في فصل دراسي متوسط أعمارهم ١٦ سنة ويتمتع مدرس الفصل بأنه صغير السن جذاب وليس لديه أيه أهتمامات بعلاقته بالبنات ، كما يتميز هذا المدرس بالثبات الإنفعالي والنضج العقلي وقد تكونت الجماعة لأن مشاعر الحب موجهة إلي موضوع واحد حيث أن البنات في حاله عشق وإعجاب بالمدرس ، ولكن المدرس يعاني من صعوبة حفظ النظام .

ويبدو دور الشخص المركزي في شخصية المدرس « المعشوق » علي إعتبار أنه بمثابة « موضوع دوافع الحب » الذي أدي إلي تكوين الجماعة ، ولتفسير هذا الموقف نري أن المدرس في هذه الحاله يظل الشخص المركزي خارج الجماعة ويستثير الإنفعالات الجماعية لدي البنات إن المبدأ الذي يتكون علي أساسه بناء الجماعة هو أن البنات قد قمن بإختيار شخص واحد بالذات علي إعتبار أنه يمثل « موضوع حبهم » ومن ثم تكونت الإنفعالات الجماعية .

خامسا : نمط المنبوذ : وهذا النمط عكس النمط السابق ويدور حول مجموعة شباب مراهقين بفصل دراسي والإدارة المدرسية تتميز بالحسم والقوة والنظام علي أن العلاقة بين المدرس والشباب تتسم بالخشونة والكراهية والجفاف والعدوانية لذا فالجميع خائف من عقاب المدرس وذلك برغم أن الترابط قوي جدا بين المراهقين. وهناك أحد الشباب قد «توحد » بالمدرس وأصبح يمثل « موضوع الدوافع العدوانية » ويعتبر دور الشخص المركزي هنا « المدرس العدواني » لماذا ؟ لأن أساس تكوين الجماعة وبنائها إنفعاليا يتمثل في موضوع لدافع العدوان أنه المدرس المنبوذ .

حيث أن المدرس في هذه الحالة ليس موضوعا « للتوحد » ولكنه موضوع للدوافع العدوانية ، ومن أجل ذلك كون المراهقون حوله جماعة برغم حرية التعبير عن مشاعر الكراهية والبغضاء للمدرس من ناحية وحرية التعبير عن مشاعر الحب

بين المراهقين من ناحية أخري ، ومن هنا نري علاقات أساسها التوحد أو التعلق بالموضوعات .

سادسا : نمط المنظم : ويتضمن فصل دراسي به مجموعة من الأولاد متوسط أعمارهم ١٣ سنة ويوجد من بينهم خمسة أولاد يدخنون السجائر سرا ويعانون من توتر وشعور بالذنب بالإضافة إلي أحد الأولاد الذي يدخن السجائر علنا بسهولة ويسر ، هذا وقد كون هؤلاء الأولاد جماعة منظمة ذات كيان ثابت ، إن الولد الذي يدخن علنا قد أدي لهذه الجماعة دورا هاما وهو إشباع حاجة ضرورية لايستطيع باقي الأولاد في الجماعة إشباعها ومن هنا تم تكوين الجماعة .إن دور الشخص المركزي في هذا النمط يتمثل في الولد المنظم لأنه إساس وموضوع تكوين الجماعة بإعتباره « سندا للأنا » الذي يؤدي في النهاية إلي توفير وسائل إشباع الدوافع .

ولتفسير هذا الموقف نقول لاتوجد في هذه الحالة علاقة إنفعالية كالحب أو الكراهية أو الخوف أو التوحد ، ولكن الشخص المركزي يقدم خدمة هامة للأنا لدي أفراد الجماعة إلا وهي توفير وسائل إشباع رغبات غير مرغوب فيها ، وهنا تنمو وتزداد الإنفعالات الجماعية ، ولما كان الأولاد في حالة صراع نفسي داخلي فإن المنظم يعمل علي تحديد هدف الجماعة بأكملها .

سابعا : نمط المضلل : ويدور حول فصل دراسي به تلاميذ متوسط أعمارهم الزمني ١٣ سنة ، وقد لاحظ الأخصائي الإجتماعي أن ستة تلاميذ من الفصل كله يزاولون عملية «الإستمناء « Masturbation » وكان أحدهم هو الذي يبدأ بهذا السلوك الشائن بمنزله بدون إحساس أو شعور بالذنب وفي نفس الوقت كان باقي التلاميذ يحاولون التغلب علي مشاعر القلق المرتبطة بالجنس وتمكنوا في النهاية من مزاولة نشاط جنسي معين علي سبيل التجربة .

إن أول تلميذ قام بعملية الإستمناء من دون أفراد هذه الجماعة يعرف هنا باسم «المضلل » حيث قام بتضليل باقي التلاميذ وزين لهم شر أعمالهم علي أنها الخير المبين وإنقلبوا له طائعين خائفين منه ، وهنا تكونت الجماعة لأن التلميذ المضلل كان أولهم الذي قام بفعل مبادئ ، أن دور الشخص المركزي يتلخص في أنه بمثابة « السند للأنا » عن طريق الفعل المبادئ الذي قام به التلميذ المضلل وكان ذلك بهدف إشباع وإرضاء الدوافع .

وخلاصة القول أن تفسير الموقف يكمن في شدة الرغبات الجنسية لدي أفراد الجماعة حيث كان الأنا لديهم في حالة صراع بين الأنا الأعلي ومتطلبات الدوافع الغريزية، وهنا يقف الأنا حائرا ، ماذا يفعل ؟ وكيف يحدث فك الإشتباك ؟ وهنا يظهر الفعل المبادئ كمؤثر فعال في مثل هذه المواقف ويجتاح مشاعر الذنب ويزيل القلق المقيم ويفك الصراع الأليم .

ثامنا : نمط البطل : وفي هذا النمط تطالعنا جماعة من التلاميذ في فصل دراسي متوسط أعمارهم ١٠ سنوات ، وهذا النمط يشبه تماما نمط الطاغية ، مع زيادة الدوافع الغريزية لدي جماعة نمط البطل إلا أن الطاغية هنا يرتكب أخطاء كبيرة مما جعل التلاميذ « يتوحدون به » « التوحد بالمعتدي » وذات مرة قام أحد الأولاد يدافع عن زميله من ظلم الطاغية ولم يتوقع أحد من الأولاد القيام بمثل هذا العمل في حضور المدرس الطاغية حيث غضب المدرس من هذا الأسلوب وهنا أصبح الولد - المدافع عن زميله - بمثابة البطل بالنسبة لباقي الأولاد الآخرين مما دفعهم إلي حبه والتوحد به هذا ويعتبر الشخص المركزي هنا « سندا للأنا » عن طريق الفعل المبادئ في إتجاه مقاومة الدافع الخاص بتوكيد القيم الأخلاقية ، ولتفسير هذا الموقف نقول بأن الأولاد كانوا يعانون من ميول مكبوتة تتخذ صورة التمرد علي المدرس الطاغية ، والبطل هنا يقوم بدور الفعل المبادئ لتظهر شجاعته.علي أن المبدأ الذي تقوم عليه الجماعة هو أن الشخص المركزي يؤدي خدمة لدي الأنا بفضل الفعل المبادئ الذي يحل الصراع لدي الجماعة وما الفعل المبادئ هنا إلا توكيد وترسيخ القيم الإجتماعية والأخلاقية .

تاسعا : نمط المحرض : في هذا النمط نلاحظ جماعة فصل دراسي متوسط العمر لديهم ١١ سنة ويتضمن سلوكهم موضوعات ذات عدوي للأخرين مثال ذلك كان مدرس «البنات» يشرح تكوين الزهرة ووردت كلمة - أثناء الشرح - لها دلالة جنسية ولاحظ المدرس أن الأولاد قد نظروا فجأة إلي أحد الزملاء وإنفجروا ضاحكين وحدث نفس الشئ في اليوم التالي ، ولم يضحك الأولاد لأن زميلهم لم يكن حاضرا في هذا اليوم ومر الموقف بسلام حيث أن الأولاد - التلاميذ لم يربطوا بين الكلمة

التي جاءت بالشرح ودلالتها الجنسية ويبدو دور الشخص المركزي في هذه الحالة في التلميذ « المحرض » لأن أساس وموضوع تكوين الجماعة يدور حول هذا المحرض بإعتباره المؤثر الوحيد بطريق العدوي في إتجاه إشباع الدوافع هذا وينحصر تفسير الموقف في أنه قد نتج شعورا بالذنب والقلق والتوتر لدي الأولاد لأن الأنا لديهم كان في حالة تورط من الدوافع الغريزية ، ومطالب الأنا الأعلي القوية .

إن الشخص المركزي يؤدي خدمة لدي الأنا بفضل العدوي الإنفعالية كما يمثل الولد المحرض النقطة التي ينتهي عندها تحريم المثل الأعلي للجماعة الرسمية .

عاشرا : نمط القدوة : وفيه نعيش مع جماعة فصل دراسي متوسط العمر لديهم ١١ سنة إنها جماعة مكونة من أصدقاء لهم شخص مركزي يتمتع بشعبية مطلقة بينهم وله تأثير كبير علي الأخرين حيث يسلك الأولاد سلوكا في وجوده إنهم يسألونه كثيرا عن أشياء وموضوعات تهمهم لأن زميلهم هذا يثير فيهم حب الإستطلاع والفضول ومشاعر الخوف ومشاعر الذنب .

إن هذا التلميذ القدوة يعتبر بمثابة مركز الجماعة كما أنه لا يفكر في أي تفكير غير مرغوب فيه إنه الشخص المركزي بإعتباره مؤثر عن طريق العدوي في إتجاه مقاومة الدافع .

ومن ناحية تفسير هذا الموقف نري أن الموقف الداخلي لأفراد الجماعة يتضمن عدة دوافع تسعي جاهدة نحو الإفصاح عن نفسها في الوقت الذي يعارض الأنا الأعلي هذا الإفصاح ، وهناك نوع من التوتر بين حب الإستطلاع وتحريم الأنا الأعلي ، إن التلميذ القدوة وهو مركز الجماعة لا يعاني من التوتر والصراع مما يوفر الشعور بالأمن والطمأنينة لأفراد الجماعة في وجود التلميذ القدوة وكل هذا بفضل عدوي عدم الصراع ونقلها إلي شخصية بها صراع .

الفصل ا لتاسع

الفروق الفردية والذكاء .

* أنـواع الفـروق الفرديـة .
* جوهـر الذكـاء وتعريفـه .
* قياس الذكاء .
* أهمية قياس الذكاء .
* العوامل المؤثرة فى السلوك الذكى .
* تأثير البيئة على الذكـاء .
* تـوزيـع القدرة العقليـة .
* طرق تفسير نتائج إختبار الذكاء .

الفروق الفردية والذكاء.

إذا كانت الحكومات الحديثة والإيدبولوچيات المختلفة تساوى في الحقوق والفرص بين كافة الناس فى المجتمعات الحديثة ، لا لشئ سوى أن ذلك حق مقدس من حقوق الأفراد ، فإنه لا يمكن ولا يستساغ أن تساوى بينهم فى القدرات العقلية والسمات المزاجية والأبعاد الشخصية ، بما يحدو بهم إلى القدرة على المنافسة المشروعة والعادلة بين بعضهم البعض كما أنه يمكننا أن نوفر لكل منهم فرصة التعلم والعمل في الوقت الذى لا تستطيع أن تساوى بينهم فى نوع التعلم أو العمل إو الإنتاج أو الأداء أو الأجر .

إننا إذا أغفلنا ما بين الأفراد - على أختلاف أعمارهم وأجناسهم وأشكالهم من فروق جسمية وعقلية ومزاجية وفسيولوچية لأدى بنا ذلك إلى خطرين : خطر فردي وخطر إجتماعى ، ويكمن الخطر الفردى فى سوء توافق وعدم تكيف الشخص نفسه مع من يعيش ويحيا معهم بالإضافة إلى إنعدام الدافع إلى العمل والتحفز على تخطى العقبات والصعوبات ، وكذلك عدم المواتمة وسوء التعامل مع الأشياء والمهن والأعمال ، هذا بينما نجد الخطر الإجتماعى ماثلا فى سوء عدالة في توزيع أو إنتقاء الأفراد النابهين فى المجتمع لمهنة من المهن أو عمل من الإعمال ، وعدم مراعاة العدل فى عقابهم أو إثاباتهم أو حل مشاكلهم ، وبالجملة طبقا لهذه الحالة لايمكننا أن نضع الإنسان المناسب فى المكان المناسب سواء كان فى الجيش أو المصنع أو المؤسسة أو المدرسة أو المعهد أو الجامعة .

ومن ثم تكون النتيجة الحتمية لذلك العبث : إنخفاض مستوى الإنتاج وكثرة الرسوب وزيادته فى الدراسة وإصابة الفرد العامل بالإضطرابات النفسية والعصبية من ملل وسأم وتعب لأقل مجهود وإنحراف صحى نظرا لما يعانيه من الأمراض وذلك لأننا كلفناه بالقيام بعمل لا يناسب ميوله ولا يتمشى أو ينسجم مع مواهبه ، هذا وبعد حدوث الخطر الفردى والخطر الإجتماعى تتوالى أيضا جملة الأزمات والكوارث الأخلاقية والإجتماعية مثل : سوء الحالة الإقتصادية ، وفساد العلاقات الإنسانية ، وضعف الوشائج الإجتماعية و،شعور الفرد العامل بالفقدان والضياع .

وتهتم المدارس الحديثة بدراسة الفروق الفردية ومحاولة إكتشافها فى كل

مرحلة من مراحل التعليم ، ولهذا كان لدراسة الفروق الفردية دور هام وأثر لا ينكر لكل من المدرس والأخصائى النفسى والمشرف الإجتماعى والباحث التربوي بعد إن ثبت علميا أن هذه الفروق تعمل عملها فى توضيح وتحديد مدى فائدتها ونفعها للتلاميذ والدارسين أثناء عملية التعلم ، إن دراسة الفروق الفردية بين التلاميذ سواء كانت تحصيليه أو مزاجية أو عقلية لتساعد المهتمين بالعملية التربوية على تكييف المناهج وطرق التدريس بما يتلائم وإستعداداتهم وحاجاتهم في كل مرحلة من مراحل التعليم بعيدا عن التضحية بحاجات الجماعة ومصالحها.

خذ على سبيل المثال لا الحصر : إهتمام الأخصائي النفسى بدراسة الفروق الفردية بين التلاميذ يساعده على تحديد مالدى كل منهم من قدرات وإستعدادات وعلى إبراز ميوله الدراسية والمهنية بوضوح مما يحقق الإتجاه المهنى الملائم والرضا الذاتى لدى الطالب في ممارسة العمل فى المستقبل والنجاح فى الدراسة .

الفروق الفردية والقياس .

أدرك الإنسان ببصيرته منذ فجر التاريخ أن هناك فروقا قائمة بين الأفراد ، وحاول عبر تاريخه الطويل فهم وملاحظة هذه الفروق وتفسيرها ، فهو يرد هذه الفروق - أثناء مراحل حياته البدائية - إلى أسباب غيبية ميتافيزيقية تارة كما يعزوها أحيانا إلى قوة الطبيعة ومشيئة الآلهة تارة أخرى ولعلنا نرى فى كتابات قدامى المفكرين والفلاسفة مثل أفلاطون وأرسطو مفهوما جوهريا للفروق الفردية وضرورة مراعاتها فى التربية والمجتمع ، حدث ذلك غداة أن قسم أفلاطون فى « مدينته الفاضلة » الدولة إلى ثلاثة أقسام :

الإنتاج .　　　والدفاع .　　　والإدارة .

وهذه الوظائف الثلاثة تقابل القوى الثلاثة فى النفس البشرية وهى القوة الغضبية والقوة النزوعية والقوة الناطقة وهنا ندرك أن هناك فروقا بين من يقومون بالإنتاج ومن يتولون الدفاع ، ومن يتكلفون بإدارة المجتمع وهكذا .

ولقد كان للمفكرين العرب شأن كبير فى هذا المجال حين قسموا الناس على

إختـلاف مللهم ونحلهم وأنسـابهم بالنسـبـة لأية صـفـة من الصـفـات ألى ثلاثة مستويات: الأعلى والأوسط والأدنى ، ومع بداية القرن العشرين إلا قليلا « أواخر القرن التاسع عشر » أصبح للقياس النفسى أصول ومناهج فى الدراسة والتفسير .

الفـــروق الفـــردية .

يمكننا أن نطلق على هذا الجانب العقلى « علم النفس الفارق Differen-tial Psychology » وهو العلم الذى يقـــوم بدراســـة الفـــروق الفـــردية والسيكولوچية بين الأفراد أو الجماعات والغرض منه بوجه عام هو تفسير السلوك .

والهدف من علم النفس الفارق هو دراسة سلوك الفرد طبقا للظروف والأحوال البيئـيـة والبـيـولوچيـة المتـغـيـرة دراسة تحليليـة مقـارنة بالإضـافـة إلى ربط الفروق الملاحظة بالعوامل اللازمة بقصد تحديد أثر كل متغير في تطور سلوك الفرد .

موضوع علم النفس الفارق .

دراسة الفروق الفردية الخاصة بسلوك الأفراد من حيث طبيعتهم ومداها ، مثال ذلك أن إكتساب مهارة أو تعلم شئ ما لدى الإنسان أو إكتساب فعل منعكس شرطى أو تعلم إحدى المتاهات فى مجال الحيوان ، كل ذلك يحتاج إلى محاولات وإستبصار وتآزر حركى ومهارة يدوية ونوع خاص من الذكاء يختلف من حيوان إلى آخر ومن فـرد إلى آخر ، ومن العـوامـل المؤثرة فى تحديد الفروق الخاصة بسلوك الأفراد ما يلى :

١ - العوامل الفيزيائية مثـــل البيئـــة الإجتماعيـــة .

٢ -العوامل البيولوچية مثل العمر والسلالة والجنس .

٣ - العوامل الثقافية مثل الإتجاهات والمعايير والقيم .

٤ - العوامل الإجتماعية مثل كثافة السكان والمستوى الإقتصادى والطبقى .

هذا وثمة تصنيف ملامح الفروق الفردية نجده عند « كرونباخ » حين يميز بين نوعين من الأداء والذى يقصد به « كل ما يمكننا ملاحظته وقياسه من نشاط

الإنسان الفرد » بينما يقسم الأداء إلى أقصى وأداء مميز ، والمقصود بالأول نوع النشاط الذى يصدر عن الشخص عندما يبدى لنا أفضل ما عنده من أداء ممكن ، بينما الأداء المميز هو ذلك النشاط الفعلى الذى يقوم به الفرد وطريقة أدائه له. ويرتبط الأداء الأقصى بالتنظيم العقلى لدى الفرد فى الوقت الذى يرتبط الأداء المميز بدوافع الفرد وسماته الإنفعالية .

أنواع الفروق الفردية .

إذا أردنا أن نعرف مدى الإختلاف بين الطول والوزن لشخص ما فإن الفرق هنا هو فرق فى نوع الصفة حيث لايمكننا أن نقارن بين الطول والوزن لعدم وجود وحدة قياس مشتركة بين صفة الطول وصفة الوزن فالطول يقاس بالأمتار مثلا بينما الوزن بالكيلوجرامات ، وكذلك الحال ليس بالإمكان عقد مقارنة بين درجة التحصيل الدراسى عند فرد ما ، الثبات الإنفعالى لدى هذا الفرد لعدم وجود وحدة قياس مشتركة .

إن الفروق بين فردين فى صفة من الصفات هى فروق فى الدرجة وليست فى النوع مثل الفرق بين الطول والقصر ، فهو في الدرجة ، وذلك لوجود درجات متفاوتة من الطول والقصر وهنا نستطيع المقارنة بينهما بإستخدام مقياس واحد ، إن مثل ذلك كمثل قياس سمة عقلية مثل الذكاء ، حيث أن الفرق بين العبقرى وضعيف العقل هو فرق فى الدرجة وليس فرقا فى النوع وذلك لوجود درجات مختلفة بينهما ولأنهما يقاسان بمقياس واحد .

تعريف الفروق الفردية .

عند دراسة صفة من الصفات لدى بعض الأفراد والفرق بينهم فى هذه الصفة يجب علينا أن نحدد مثل هذه الصفة تحديدا دقيقا من إعداد مقياس مناسب لقياس الصفة المطلوبة ، وهنا نحدد مستوى كل فرد عند مقارنته بمتوسط درجات الجماعة أو المجموعة التابع لها الفرد ومن ثم يمكننا تعريف الفروق الفردية بأنها الإنحرافات

الفردية عن متوسط الجماعة لذا كان « الإنحراف المعيارى » كوسيلة من وسائل المقاييس الإحصائية ، أدق مقياس لمقارنة تشتت الفروق الفردية فى الجماعات المختلفة في المجموعات المتباينة .

وجملة القول أن تشتتا كبيرا للفروق الفردية يصادفنا فى السمات الشخصية الإنفعالية ، بينما يقل هذا التشتت للفروق فى السمات العقلية حتى يصل إلى أقل مدى ممكن فى الفروق فى الصفات الجسمية .

الـذكـاء .

دأب كثير من الناس على تعريف الذكاء بأنه سرعة الفهم والإستيعاب والقيام بأى عمل بمهارة محسوسة ملموسة فيقولون مثلا « هذا سائق ماهر » لأنه سريع القيادة ويتفادى الأخطاء بسرعة ، ويتحاشى الحوادث فى حينها ، إنه سائق ماهر لأن المهارة سمة من سمات الذكاء .

هذا وقد يذهب مدرس الرياضات إلى أن طالبا ما يعتبر ذكيا لأنه يتمتع بعقلية رياضية تحليلية سريعة الفهم والتصور فى حل المسائل الرياضية والإلمام بنظريات التفاضل والتكامل وقوانين الهندسة الفراغية ومبادئ حساب المثلثات واللوغاريتمات ، بينما يرى زميله مدرس اللغة الإنجليزية أن نفس الطالب يعتبر غبيا لأنه لا يجيد التعبير اللغوى وليست لديه قدرة لغوية بارعة فى قواعد اللغة الإنجليزية .

ومعنى ذلك أن كلا المدرسين يرى أن فيصل القول وجوهر الموضوع فى الذكاء هو درجة التحصيل ، وهذا رأى خاطئ وأساس ضعيف لمعرفة درجة ذكاء الطلاب ، ويرجع ذلك فى - المحل الأول - إلى « الفروق الفردية Individual Differ-ences » التى تكمن فى القدرة على التحمل وسرعة الإستيعاب والفهم والسن ودرجة النضج العقلى والنمو الجسمى والنفسى ، وشكل البنية العام وسرعة البديهة والمبادأة والقدرات الخاصة والذكاء العام وهكذا .

هذا وقد يطلق رجل الشارع والعامة من الناس على الفرد صفة الذكاء لا لشئ إلا لإنه « أصلع الرأس » أو عريض الجبهة » أو لامع العينين » أو «ذرب

اللسان » أو « أصفر الشعر » وهذه كلها صفات لا أساس لها فى تقدير الذكاء فكم من الأغبياء والمعتوهين ذوى رؤوس كبيرة بشكل ملحوظ وكم من الناس يتمتعون بجبهة عريضة ولا يحسنون التصرف فى أبسط المواقف ، كما أنك قد ترى الكثير من الناس والأفراد ذوى عيون براقة بريق المعدن اللامع ويدخلون فى عداد المأفونين ، وكثير من الأفراد أيضا ذوى شعر أصفر ونعتبرهم من ضعاف العقول فى هذا المجال كما يقول الباحثون ،المشتغلون بموضوع الذكاء لايمكن أن نصل إلى تعريف الذكاء من ناحية المظهر الخارجي أبدا دون أن نسبر غور مخبره وندرك عمق حقيقته ولذا فالذكاء - طبقا لما يرى الكثرة الكاثرة من الباحثين - أشبه شئ بالكهرباء - إن صح هذا التعبير لايمكنك أن تراه أوتشعر به أو تدرك حقيقة وجوده إلا حينما تسرى ذرات الكهرباء فى الأسلاك فيتولد النور ليأخذ شكل ضوء المصباح الكهربائى ، أو عندما تدور هذه الذرات فى شكل قوة عاتية تستفيد منها وبها لتصبح « قوى محركة » للمصانع والتوربينات والمضخات وشتى أنواع الماكينات والآلات المستخدمة في حياتنا الواقعية وعالمنا المتخم في شتي أنواع وسائل العلوم والتقنية.

خلاصة القول أن الذكاء كالكهرباء التى تبدو أمام الناظرين من خلال الضوء الساطع الجميل والقوى المحركة حيث لا غنى عنها فى تشغيل الآلات والماكينات .

جوهر الذكاء وتعريفه .

أولا : يطالعنا « سبنسر » بتحديد للذكاء وتعريفه فيقول :

الذكاء هو القدرة العقلية Mental Ability لدى الكائن الحى لكى يكيف to adapt سلوكه وفقا للوسط الذى يعيش فيه ومعنى ذلك أن الذكاء بهذا التعريف عند «سبنسر» لا يخرج عن طريق أو أسلوب التفكير والإدراك ونوع الذاكرة وشكل الخيال وقوة الإرادة أوضعفها .

ثانيا : تعريف « سترن Stern » للذكاء لم يخرج عن كونه :

قدرة عقلية - كما يورد سبنسر - على التكيف Adaptation فى المواقف الجديدة أى القدرة على التصرف الذكى الحسن .

ثالثا : يرى كلاباريد Claparide إن الذكاء :

قدرة عقلية لدى الفرد تبدو فى صورة حسن التصرف والإدراك فى المواقف الصعبة الجديدة .

رابعا : يعتقد علماء التربية ورجالها والمشتغلون بها أن الذكاء هو :

القوة الدافعة على التحصيل والتعلم بإقتدار With Great Ability أو بمعنى القدرة على التعلم .

خامسا : يرى إيبنجهاوس Ebinghaus أن الذكاء هو :

القدرة على التركيب Power Of Combination ولاغرو فى ذلك فى أن يقول إيبنجهاوس بهذا التعريف الذى يعتمد على إدراك الشئ أو الموضوع إدراكا كليا ونظر إليه نظرة تتسم بالشمولية والعمومية نظرة وظيفية بحتة Pure Functional view ترتبط فيها الأشياء السابقة باللاحقة ، وهذا هو ما حدا بعالمنا إيبنجهاوس فى أن يصمم بعض الإختبارات التكميلية التى تتلخص فى إعطاء الفرد شكلا ناقصا أو صورة غير مكتملة أو جملة بتراء ويطلب من هذا الإنسان الفرد إتمامها أو إكمالها حيث أن القدرة على إضافة أشياء أو كلمات أو إكمال لوحات أو سد ثغرات Gabs لموضوع ما ، إنما يعتمد ذلك أولا وقبل كل شئ على فهم وإدراك الصورة أو اللوحة فهما كليا وإدراكا تاما .

سادسا : يري تيرمان Terman أن الذكاء هو:

القدرة على التفكير المجرد Abstract Reason والتجريد فى نظره يقوم على إدراك العلاقات ككل وضمها بعضها إلى بعض ، كما أنه يرى أن المقصود بالتفكير هو إستخدام المعانى المتركزة فى شكل الرموز والأفكار والإشارات واللمحات والإيماءات ومن ثم فإستكمال وإتمام الموضوعات الناقصة سواء كانت فى شكل صور أو لوحات فنية لايمكن أن نعتبرها تفكيرا مجردا Abstraction عند تيرمان فهو يرى فى هذا المجال أن الأصل فى إختبارات الذكاء Intellegence Tests هو إعتمادها وقيامها على إستخدام الألفاظ والأرقام والرموز .

سابعا : يشير بعد ذلك بينيه Binet إلى الذكاء بأنه :

القدرة على التكيف والإنتباه المدعم بالإرادة القوية وأيضا الذكاء هو القدرة على الإدراك والإبتكار والتوجيه والنقد الذاتى .

ثامنا : يرى سبيرمان Spearman أن الذكاء هو :

القدرة على إدراك العلاقات وأطراف هذه العلاقات .

ونحن نرى أن التعريف السابق تعريف قد جمع بين المحددات والمسميات السابقة للذكاء حيث أن الذكاء عندما يعرف أو يحدد بتعريف واحد على حدة فإن الصواب يجانبه بينما لو إشتركت كل المحددات السابقة كلها فإن مجموعها يقترب من التعريف الشامل الكامل للذكاء .

ويقصد سبيرمان بإدراك العلاقات بين الأشياء وبعضها البعض ، ذلك النوع من التفكير المنظم والخيال القوى والذاكرة الحادة والأداء الماهر .

ولنأخذ مثالا على ذلك النوع من إدراك العلاقات بين الأشياء فنقول السحاب يسبب المطر والإمساك يجلب الصداع ، فنحن نربط هنا بين العلة والمعلول وكلاهما طرفان فى قضية واحدة كذلك قولنا الأسد حيوان والشجر نبات فكلا من كلمتى حيوان ونبات أطراف علاقات وبالمثل فى عالم الرياضيات والحساب هب أن لدينا هذه المتوالية العددية الآتية :

٤-١٦ ، ٦- ٣٦ ، ٨- ٦٤ ، ١٠-.... ١٠٠ وأردنا تكملة المتوالية الأخيرة لأدركنا ببساطة بأن هذه المتوالية عبارة عن طرفين الطرف الأول مضروبا فى نفسه لينتج الطرف الثانى هذا فى المتوالية الأولى والمتوالية الثانية كذلك ، إلا أن الطرف الأول فى كل متوالية يسير بتسلسل متساو ٤ - ٦ - ٨ - ١٠ وهكذا ويضرب هذا الطرف الأول في نفسه ينتج الطرف الثانى وبذلك يكون الطرف الثانى فى المتوالية الأخيرة هو ١٠٠ .

هذا مثال واقعى لفهم العلاقات وأطرافها ، ولفهم أكثر فقد نلمح في حياتنا الواقعية اليومية بعض الأفراد الأذكياء عند إدراكهم لأحد الرسوم الكاريكاتورية فى إحدى المجلات أو الصحف اليومية فالواقع أنه مجرد وقوع بصر الفرد على أحد الرسوم الساخرة فإنه ينفجر ضاحكا على الفور لأنه أدرك بسرعة بديهته وحدة بصيرته فحوى ومضمون الرسم بينما نرى زميله لا يدرك معنى هذا الرسم أو حقيقته

أو فحواه وهذا يؤكد تماما أن الذكاء قوة خفية وعامل مشترك بين جميع الناس ولكن بنسب متفاوته متباينة .

تاسعا : يرى سيرل بيرت الذكاء بأنه :

كفاية ذهنية عامة فطرية وهذا قريب الشبه بما ينادى به « سبيرمان » إلى حد كبير .

عاشرا : يرى فريق من الناس أن الذاكرة القوية فى ناحية ما أو قدرة من القدرات كتذكرأسماء الشوارع أو عنواين المنازل أو أرقام التليفونات يرون أن هذا ذكاء ويرى البعض الآخر أن الخيال الخصيب والشعور الرقيق والمقدرة اللغوية والحركات الذكية الدقيقة كل هذا ذكاء والواقع أن كل هذه الآراء ووجهات النظر خاطئة من أساسها لأنهم ينظرون إلى ناحية واحدة أو قدرة واحدة فى الفرد ليأخذوا منها حكمهم وقرارهم ليضفوا صفات وسمات الجزء الواحد على الكل الشامل وهذا وهم كبير وخطأ ظاهر وقرار عقيم فكيف يمكننا إعتبار الفرد الذي يحفظ ديوانا من الشعر مثلا فردا ذكيا بينما هو لايملك القدرة على إدراك العلاقات وليست لديه مقدرة التصرف فى المواقف الحرجة .

قياس الذكاء .

هناك أكثر من عامل مؤثر فى النظرية التعليمية ، وليس أدل على ذلك من محاولة علماء البيولوجيا وخبراء النفوس فى القرن العشرين ، إكتشاف العلاقة بين العمليات العقلية العليا ، والسلوك المؤثر فى عملية التعليم ، فقد كان الناس يعتقدون أن التشابه والتماثل بين فردين شيئا عاديا ، بينما عدم التماثل بين فردين وضعف القدرة على الإستجابة ليعتبر من قبيل الضعف العقلى .

وفى أيامنا هذه أصبح من المعروف فى مجال البحوث البيولوجية والسيكولوجية أن التطور العقلى قابل للبحث والدراسة بمعدلات وافية لتوضيح التباين فى القدرة العقلية .

طبيعةالذكاء : منذ أمد بعيد ظهرت علاقة وطيدة بين الذكاء والحياة اليومية بدليل أن التباين والخلاف بين الأفراد ذوى المهن المختلفة فى القدرة على

مجابهة المواقف الصعبة معروف وملحوظ عند الآباء والمدرسين والأطفال والمراهقين ، وسواء أكان الفرد ماهرا فى هذا أم ذلك فأن لديه معلومات دقيقة فى مجال معين من المعرفة أو أن يكون الفرد قادرا على حل مشكلة عملية مما يعكس ذلك على سلوك الأفراد اليومى وأدائهم السابق والواقع أن الإتصال اليومي بالناس والحياة فى المواقف المختلفة يقوم على تقييم ثابت ، وأعاد تقييم قدرة هذا أو ذاك لمواجهة متطلبات موقف معين بكفاءة وفاعلية .

هذا وقد إكتشف « ڤنت » فى ألمانيا وجالتون » في إنجلترا و « كاتل » فى أمريكا أن الأفراد يختلفون فى دقة ونوع إستجاباتهم عندما تم إختبارهم فى أعمال بسيطة ، وكان ذاك فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وفى عام ١٨٨٠ نجح «إيبنجهاوس» فى إبتكار إختبارات عن طريق تطبيقها بدرجة كبيرة من الدقة حتى توصل إلى أي مدى يختلف الأشخاص فى القدرة على الإستظهار ، كما إبتكرت إختبارات أخرى لقياس الإختلافات بين الأفراد فى أنشطة مثل إكمال الجمل ونسخ الكلمات وربطها بعضها البعض .

ونتيجة لدراساته فى الإنتباه والذاكرة إستنتج « الفرد بينيه » العالم الفرنسي أن الذكاء « أكثر مجموع الوظائف المعزولة الأداء ، وأن السلوك الذكى يجب أن يوضع فى إطار المناشط التى تجمع العبارات المتنوعة ، وقد إعتقد أن درجة الذكاء تظهر من تلقاء نفسها فى إستجابات الأشخاص وفى كل الأعمال للمواقف البيئية » .

بدأت بعد ذلك تبلور فكرة الذكاء لدى بعض العلماء والباحثين من أمثال :

١ - ثورندايك : يرى أن الذكاء هو قوة الإستجابات الجيدة وأنه « الذكاء » يتضمن مجالات ثلاث هى :

الإرتفاع - الإتساع - والسرعة فى إنجازالأعمال الصعبة .

٢ - كولفن : الذكاء هو قدرة مكتسبة .

٣ - وودرو : الذكاء هو القدرة على التعلم والإستفادة من الخبرة .

٤ - ستودراد Stoddrad يرى أن الذكاء هو القدرة على ممارسة المناشط والأعمال التى من صفاتها :

أ - الصعوبة .

ب - التـعقيد .

جـ - التجريد .

د - السـرعة .

هـ - تكييف الفرد للهدف .

و - القيمـة الإجتماعيـة .

ز - ظهور الإبتكار .

العوامل المؤثرة فى السلوك الذكى .

وراثة المقدرة الذهنية : أثبتت علمـاء البيـولوجيـا وعلمـاء النفس أن هناك أفرادا أذكيـاء ، وأنه من الممكن إكتشاف التخلف العقلى أكثر من التفوق العقلى ولاسيما في فترة الطفولة ، وكان ذلك بعد دراسات مستفيضة للإستدلال على التشابه بين الآباء والأبناء والتوائم والأقارب ، كما أشاروا بأن هناك صفات للتخلف العقلى منها :

١ - التردد .

٢ - ميل الطفل للعب مع الأطفال الصغار .

٣ - تنقص الطفل المتخلف عقليا القدرة على التركيز فى إختبارات بسيطة لمدة بسيطة

٤ - الطفل المتخلف عقليا يتسم بالغباء وبطء الإستجابة .

٥ - لديه أخـوة وأخـوات متخلفين عقـليـا .

بينـما نرى من مميـزات الطفـل الذكى والناضـج عقليـا تلك الصفات :

١ - لديـه قـوة إنتبـاه عاليـة .

٢ - لديه حصيلة وافرة من المفردات والكلمات يستخدمها بدقة وذكاء .

٣ - يمتاز بقوة الملاحظة وسرعة الإستجابة .

٤ - كثير الأسئلة والإستفسارات .

٥ - غريب فى طريقة تفكيره .

وبعيدا عن القدرات الموروثة للطفل ، فإن المؤثرات البيئية التى تحيطه وتعمل

كقوة دافعة لنشاطه الذهنى تحتاج إلى أن تكون في حالاتها في أحسن الحالات ، هذا وليس هناك جدال بخصوص أهمية كل من علم تحسين النسل أو إصلاح الجنس البشرى كوسائل لتحسين الحالة الذهنية للأفراد ، إن درجة ذكاء الفرد فى أى مرحلة من مراحل نموه هى محصلة تفاعلات الذكاء الموروثة وكل عوامل الخبرة التى تدفع الفرد ويستجيب لها .

تأثير البيئة على الذكاء .

يطابق النمو الذهنى تأثير التربية فى كل مرحلة من مراحل النمو برغم أن الأطفال الأغبياء لايمكن أن يتفوقوا عقليا بينما يظلون على حالهم ، وهناك ظواهر تدل على تأثير البيئة الصالحة تساعد الطفل على فعل الكثير مهما كان الجهد المبذول والعكس صحيح إذا كانت البيئة فقيرة وهزيلة ، هذا وقد يولد الطفل ولديه درجة عالية من الجهد للتصرف بذكاء ولكن إذا لم يجد الدافع من خلال التعلم ليمارس هذه المقدرة فقد يبدو غبيا ومتخلفا عقليا .

لقد قامت دراسات عديدة لدراسة آثار مدرسة الحضانة ورعاية روضة الأطفال على القدرة الذهنية ، كما أظهرت دراسة « جودانف » للأطفال الثمانية والعشرين المنتظمين فى مدرسة الحضانة ومقارنتهم بمجموعة لم تحضر فيها تقدما طفيفا فى تحقيق الذكاء بالنسبة للمجموعة الحاضرة فى المدرسة ، ولقد أظهرت أيضا دراسات «باريه» و«كوك» و «وليم» أن القدرة الذهنية تتأثر نتيجة لتدريب ماقبل المدرسة .

ولقد إتجهت البحوث أيضا لإكتشاف تأثير مجالات البحث فى المدرسة على ذكاء تلاميذ المدرسة الإبتدائية ، وكان منها دراسة على ثلاثة أطفال ذكاؤهم تحت المستوى العادى ، وقد حضروا من فصول المدارس النظامية العامة ومزودين بمناهج وخبرات مدرسية رسمية فى مدرسة خاصة وبعد أكثر من عامين من الإنهاك والعمل المتواصل بهذه الأنشطة التعليمية أظهر هؤلاء الأطفال تحسنا طفيفا فى الذكاء .

نمـو الذكـاء .

ثبات النمو : عادة ماتكون القدرة الذهنية – فى المتوسط – لأى فرد منتظمة فى معدلها وبذا تصبح درجة الذكاء فى كل مرحلة من مراحل العمر مستقرة نسبيا

طالما ظل الحال كما هو فى النمو الطبيعى ، فالمعروف أن المعدل يكون سريعا خلال الفترات وعندئذ يتطور تدريجيا حتي يكتمل النضج الذهنى فيختلف العمر الزمنى الذى يبلغ فيه النضج العقلى للفرد درجة الكمال ، فهو بالنسبة « لبينيه » من ١٤ - ٢٢ سنة ، كما وضع « تيرمان » نتيجة لعمله إختبارات « بينيه » ١٦ سنة كحد للنمو العقلى ، وقرر « ثورندايك » أن القدرة على التعلم قد تستمر فى الزيادة حتى عام الخامسة والأربعين .

إختلاف النمو العقلى بين الجماعات .

إختلاف الجنس :

يميل الأولاد والبنات إلى إظهار القليل إذا ما قيس ذكاؤهم بإختبارات القدرة العقلية وذلك بعكس ما هو شائع ، وهناك تباين كبير بين الأولاد والرجال أكثر مما هو حادث بين السيدات والبنات .

إختلاف السلالة :

أثبتت إحدى الدراسات أن الجنس « العنصر » النوردى أعلى فى ذكائه من المجموعات القومية الأخرى ، وذلك حينما كانت المقارنة قائمة بين ذكاء « النوردين » الإنجليز - الأمريكان - الإستكلنديون - الألمان ، وذكاء بعض المجموعة القومية الأخرى مثل : الإيطاليين - وسكان المدارين - واليونانيون - والروس « السوفييت » ولم تأخذ الدراسة فى الإعتبار الإختلافات فى الخلفية الثقافية وعدم الإنسجام مع التقاليد والأعراف ، هذا ونقرر هنا أن مثل هذه الدراسة لم تعد مقبولة الآن برغم أسطورة الرقى والتقدم النورماندية التي مازالت مقبولة من بعض الناس .

توزيع القدرة العقلية .

قسم « الفرد بينيه » درجات القدرة العقلية على ضوء الأعمال العقلية ، هذا وقد جاء بعد ذلك « تيرمان » ليكمل أبحاث « بينيه » فتوصل إلى مايعرف باسم العمر العقلى والعمر الزمنى للفرد ، وقال على سبيل المثال : إذا كان هناك

طفل عمره الزمنى ١٠ سنوات وطلبنا منه القيام بعمل مناسب له فوجدنا أن عمره العقلي عشر سنوات أيضا ففى هذه الحالة يكون العمر العقلى والعمر الزمنى متطابقين وتصبح قدرة الطفل العقلية مناسبة لعمره الزمنى « الحقيقى » .

وإذا إفترضنا مثلا أن ذلك الطفل ذى العشر سنوات قد قام بإجتياز إختبار لصبى فى الثانية عشرة ، هنا يمكن القول أنه قد تفوق فى ذكائه على مجموعته ، إن العالم « تيرمان » يقارن العمر الزمنى والعمر العقلى فى صورة معادلة لكى يعبر عدديا عن درجة العلاقة بين الإثنين تعبيرا بالشهور ولكى يتجنب الكسور العشرية ، فإن معادلة النسبة المئوية تقسم إلى ١٠٠ ، ومن هنا فإن النتيجة العددية تعرف باسم « نسبة الذكاء» أى أننا نحصل على نسبة الذكاء بقسمة العمر العقلى للفرد على العمر الزمني له مضروبا فى ١٠٠ ؛ وقد قام تيرمان بتطبيق تلك المعادلة كما يلى :

$$\text{نسبة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلى (بالشهور)}}{\text{العمر الزمنى (بالشهور)}} \times ١٠٠$$

هذا ويمكن تصنيف نسبة الذكاء بالجدول فى الصفحة التالية .

أهمية قياس الذكاء .

يهتم الطالب الذى يدرس علم النفس التربوي بالتطبيقات العلمية ، ويرجع ذلك إلى رغبته فى إستخدام الطرق التى تمكنه من قياس القدرة العقلية بالإختبارات المناسبة .

هذا وقد تركزت نتائج كل الإختبارات على القدرة العقلية التي تتأثر بعوامل عدة ترتبط بحالة المفحوص مثل كل ما يميل إليه كالموضوعات المحبوبة لديه وهكذا وهنا نقول بأنه قد يأخذ المدرس أو طالب التربية بنتائج إختبار الذكاء ، لأن نتائج قياس قدرة فرد ما على التعلم مماثلة لها ، وخلاصة القول عندما تكون الكفاءة مطلوبة سواء فى المدرسة أو خارجها يصبح النجاح في التكيف الإجتماعى والإتزان

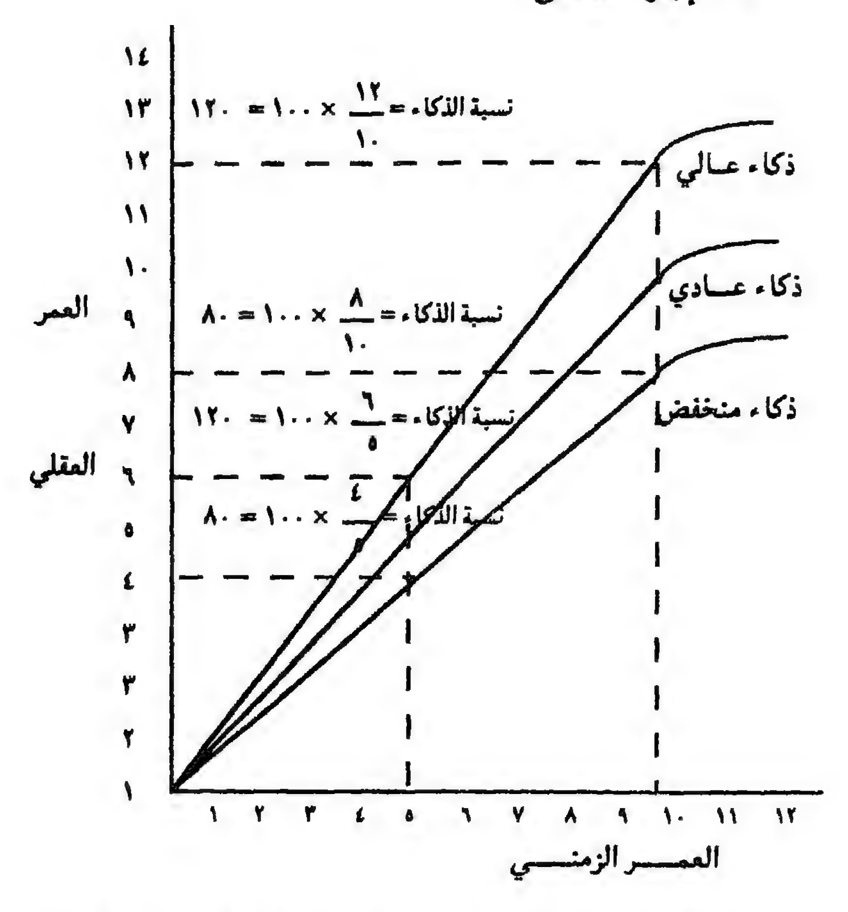
العاطفى وحوافز القدرة على العمل وغيرها من العوامل الشخصية أساسا لقياس القدرة العقلية ، وفي هذا المجال نأخذ فكرة عامة عن إختبارات الذكاء وقياسه :

هناك مايعرف باسم إختبارات اللغة المفهومة والمبهمة وهى التى تكشف إلى أى مدى يسيطر الشخص عل موضوع للقراءة إذا كان فى مستوى ثقافى مناسب ، ويطلب من الشخص أن تكون إجابته بالرمز أو بإشارة توضع أمام السؤال وترتكز كثير من إختبارات الذكاء المستعملة على مواد متشابهة كتلك التى تستعمل فى بنود إختبار ألفا للجيش ومن هذه المواد :

١ - إتباع الطرق أو التوجيهات .

٢ - المسائل الرياضية .

٣ - الإجراء العمـلى .



شكل يوضح منحنيات النمو الإفتراضي والتي تدل علي نسبة ذكاء ثابتة .

الرتبة	نسبة الذكاء	نوع التصنيف	النسبة المئوية لجميع الأشخاص
١	من ١٤٠ فأعلي	الشخص النابغة (العبقري)	٠,٢٥ ٪ من جملة المجتمع .
٢	١٣٩ – ١٣٠	الشخص المتفوق جدا .	٠,٧٥ ٪ من جملة المجتمع .
٣	١٢٩ – ١٢٠	الشخص المتفوق .	٦,٠٠ ٪ من جملة المجتمع .
٤	١١٩ – ١١٠	الشخص فوق المتوسط .	١٣,٠ ٪ من جملة المجتمع .
٥	١٠٩ – ١٩٠	الإنسان العادي الذكاء .	٦٠,٠ ٪ من جملة المجتمع .
٦	٨٩ – ٨٠	الشخص تحت المتوسط .	١٣,٠ ٪ من جملة المجتمع .
٧	٧٩ – ٧٠	الشخص الغبي.	٦,٠٠ ٪ من جملة المجتمع .
٨	٦٩ – ٥٠	الشخص المأفون.	٠,٧٥ ٪ من جملة المجتمع .
٩	٤٩ فأقل	الشخص الأبله والمعتوه .	٠,٢٥ ٪ من جملة المجتمع .

٤ – إستخدام المرادفات .

٥ – عدم ترتيب الجمل .

٦ – تسلسل الأعداد .

٧ – قياس الإجراءات .

٨ – المعلومات .

وتعد موضوعات الإختبارات تبعا للمادة المطلوب قياسها علي أن تحدد المصطلحات طبقا لدرجة صعوبتها ، هذا ويشار إلى إختبارات اللغة دائما على أنها إختبارات الذكاء المجرد ، وعلي المجتمع أن يواجه القارئ بمجموعة من هذه الإختبارات إذا كان فى وضع الإختبار « مفحوص » .

ويمكن القول أن إختبارات الأداء تكمن فائدتها فى قياس قدرة الأفراد على التنبؤ ، إن مثل هذه الإختبارات يجب أن تشمل بعض الصور الناقصة والتى يطلب عادة إستكمالها أو أن يكون بها بعض القصور أو الغموض ويطلب من المفحوص إكتشاف القصور أو النقص أو إزالة الغموض وهكذا .

طرق تفسير نتائج إختبار الذكاء.

لقد كان لمفهوم العمر العقلى كما عرفه « بينيه » الأثر الكبير فى تفسير تنائج الإختبار ، مثال ذلك إذا كان أحد إختبارات الذكاء يشتمل على ٩٠ بندا فيمكن أن نتأكد من الإجابات الصحيحة عند إجراء هذا الإختبار على مجموعة من مختلف الأعمار من الأفراد فالشخص الذى يبلغ من العمر ١٤ سنة وشهرين وأخر يبلغ من العمر ١٥ سنة وأربعة شهور ، فإذا أجاب معظم المفحصوين البالغين من ١٤ سنة وشهرين علي ٤٢ بنداً من بنود الإختبار البالغ عددها ٩٠ بكفاءة وإقتدار، فحينئذ يكون لأى فرد قد أحرز ٤٢ بندا بصرف النظر عن عمره الزمني الحق فى أن يقال له أن عمره العقلي ١٤ سنة وشهرين .

ولكي يكون من اليسير علينا تقدير معدل تطور القدرة العقلية عند أي شخص ، يجب أن يكون معلوما لدينا عمره العقلى وعمره الزمنى حتي يكون حاصل قسمة عمره العقلى على عمره الزمنى مضروبا فى مائة هو نسبة الذكاء ، إن نسبة الذكاء تساعدنا على معرفة درجة التطور فى القدرة العقلية وقدرة الفرد على التعلم فى المستقبل ، كما أن حاصل الذكاء كمقياس للتنبؤ يصبح أكثر فائدة وفاعلية فى المراحل المتوسطة والعليا من المدرسة الإبتدائية والثانوية ثم فى السنوات النهائية من المدرسة ، فإذا إقترب الفرد من مرحلة النضج يصبح حاصل إختبار الذكاء أقل أهمية حيث أنه من المشكوك فيه أن تتخذ من العمر الزمنى أساسا للنضج .

وعند حساب نسبة الذكاء فهل ياترى يصبح المقام « العمر الزمنى » ١٤ أو ١٦ أو ١٨ أو ٢٠ أو ٢٢ ؟ وفى أى عمر يمكن أن يتحقق نضج الفرد عقليا ؟ وبرغم أن بعض علماء النفس قد أشاروا بأن سن ١٦ هو سن النضج ، إلا أنه لم نر مايدل علي ذلك أو تثبت صحته .

وهناك إختلاف بين رجال التربية فيما يتعلق بقدرة الفرد العقلية والتى ينبغى أن تكون بمثابة تقييم للتحصيل الدراسى فى تعلم المواد الملائمة لمستواه العقلى ، مثال ذلك فى إحدى المدارس إذا حصل بعض التلاميذ على درجات عالية نتيجة قدرتهم على التعلم ، فإن ذلك هو بمثابة تقدم كما يظهره أحد إختبارات المتخصصين فى قياس الذكاء ، وما يحققونه من نجاح فهو يختلف بالطبع عن التلاميذ الآخرين

محدودى الذكاء .

إن هؤلاء التلاميذ الأذكياء سوف يحققون الكثير من التقدم فى البداية من حيث سيطرتهم على المنهج الدراسى ولكن مستواهم سوف ينخفض بعد ذلك فى السنوات النهائية عما كانوا عليه فى فصولهم الأولى ويرجع ذلك لفكرة مدرسيهم عنهم إنهم قد يحققون نجاحا فى المواقف السهلة في الوقت الذى يخفقون فى المواقف الصعبة ، وفى نهاية هذا الفصل يمكن القول بأن الوسيلة الوحيدة لفهم الفروق الفردية ودراستها هى الإختبارات النفسية .

الفصل العاشر

ديناميات الجماعات .

* ماهيتها وآفاقها وعلاقتها بعلم النفس الإجتماعي .
* الإتجاهات والسلوك والإقناع .
* تكوين الإتجاهات والتمسك بها .
* الإقناع والإتجاهات المتغيرة .
* العلاقة بين الإتجاهات والسلوك .
* الإدراك الإجتماعى وفهم الآخرين .
* عملية تكوين الإنطباع .
* عمليات العزو وفهم أسباب السلوك .
* نظرية إدراك الذات وفهمنا لسلوكنا الخاص .

ديناميات الجماعات .

ماهيتها وآفاقها وعلاقتها بعلم النفس الإجتماعى .

يعتبر علم النفس الإجتماعى من أهم فروع علم النفس بوجه عام حيث أنه يجمع بين الفرد من ناحية وبين المجتمع أو الجماعات من ناحية أخري بهدف الإتصال والتواصل والتفاعل والإنفعال والتأثير والمؤثرات الإجتماعية والمسايرة والمغايرة والتعصب والعنف والعدوان ومساعدة الآخرين والتسامح والحب والكراهية بين أفراد المجتمع .

ولتعريف علم النفس الإجتماعى نقول : أنه أحد فروع علم النفس الذى يركز على دراسة كيفية تأثير وتأثر أفكار الناس ومشاعرهم وأفعالهم ومدى تفاعلها مع الآخرين .

علم النفس الإجتماعى بين الحنان والعدوان .

من وظائف علم النفس الإجتماعى دراسة وبحث عمليات نفسية إجتماعية مثل الإهتمام والحب والتجاذب والإنجذاب بين الشخصيات المختلفة وتطوير وتنمية العلاقات الإجتماعية نحو الأفضل ، ووضع الحد الفاصل : Cutting Edge بين ما نحب وبين ما ندرك فكيف نرى - مثلا - حقيقة الجمال فى الطفل ؟ هل نراه في عينيه أم فى إبتسامته المشرقة ؟ ومن المعلوم أن كل الحقائق نسبية ما عدا حقيقة الجمال فهي وحدها الحقيقة المطلقة ومن ثم يجب أن نضع حدا فاصلا بين الحب والإدراك .

وعلى الوجه الآخرإذا تتبعنا خط سير العلاقات الإجتماعية السيئة وإضمحلال الحب والحنان وتدنى مستوى العلاقة الإجتماعية نحو الأسوأ ، فإننا أمام صورة نفسية مشوهة تجسد لنا شخصية سيكوباتية أساسها ومهادها العنف والعدوان والتدمير وعبقرية القيادة المجنونة وتبنى الأفكار السخيفة والمعتقدات الدينية المنحرفة ، إن مثل هذه الشخصيات نراها فى كل زمان ومكان تتلون كالحرباء فى كل أرض نعيش عليها وتجمع بين التقوى الظاهرة والفجور المستتر وبين

التزكية والتدسية ، « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » ولتجسيد الفهم نسوق مثالا من المجتمع الأمريكي المعاصر :

« داڤيد كورش » شخصية غريبة الأطوار حفظ الكتاب المقدس كان زعيما يتمتع بجاذبية جسدية كبيرة له سحر مغناطيسى ، لديه قدرة كبيرة وموهبة خارقة على إقناع الناس بما يعتقده وما يراه من خطأ أو صواب فيصبح الواحد من ضحاياه مسلوب الإرادة مزعزع العقيدة سقيم الوجدان بليد الحس والشعور ، ضاع من قدمه الطريق وفقد السند والصديق . ولقد كان لدى « داڤيد كورش David Koresh » جانبا مظلما فى شخصيته المتناقضة حيث كان يعاشر أتباعه ومريديه معاشرة الأزواج برغم زعامته وقيادته الدينية لهم التى كانت تسمى باسم « أتباع داڤيد Branch Davidians » لقد خضع له كل أتباعه وحواريوه عندما أمرهم بأن يقدموا له كل ممتلكاتهم وأموالهم وأولادهم لأنه هو المسيح الحقيقى ولا مسيح غيره وتنبأ لهم ذات يوم بأن العالم ستقوم قيامته فجأة وينتهى ويزول ، وما على الأتباع والمريدين إلا التسليم والخضوع للمسيح داڤيد ! ! وتنفيذ أوامر الرب لأن العالم هذه الأيام سوف تأكله النار ولا تبقى ولا تذر وسيهلك فيها كل البشر ! ! .

وفى صباح أحد الأيام كان قد إنتهى كل شئ حين رأى رجال البوليس والمباحث الفيدرالية أعمدة الدخان تتصاعد من نوافذ بيوت المستوطنة التى يسكنها أتباع «داڤيد» وهاجم البوليس المنطقة بأسرها لإنقاذ جماعة داڤيد الدينية الذين إعتصموا - طبقا لأوامره - لمدة ٥١ يوما إلا أن النار قد أتت على كل فرد من أفراد الجماعة داخل منازلهم وهكذا ولله فى خلقه شئون ! ! إن هذه الطاعة العمياء من جانب أتباع القائد والزعيم ، تعتبر بمثابة حادثة عارضة طارئة لا أساس لها من السلوك العقلانى سلوكنا كبشر عادى ، إن سلوك هذه الجماعة يوضح لنا مدى القوة التى كان يتمتع بها الزعيم داڤيد إنها قوة معنوية نفسية يتمتع بها الزعيم لفرض رأيه على الآخرين بطريقة سحرية .

إن عملية فرض الرأى على الآخرين لها جانب آخر نستحسنه ونرضاه إذا كان فيه خير لنا ، فنحن نستجيب على الفور لتوجيهات الأستاذ أو المعلم أو الرئيس فى مدارسنا وجامعاتنا وعملنا ، إننا أيضا نستجيب لبعض أنواع الدعاية والإعلان عند

شراء سيارة أو تليفزيون برغم أننا ندفع أكثر من السعر العادى ولكنها الدعاية والإعلانات التى نقع تحت تأثيرها .

هذا وعلى العاملين والمشتغلين بعلم النفس الإجتماعى أن يضعوا فى إعتبارهم طبيعة ومسببات السلوك الفردى فى المواقف الإجتماعية المختلفة .

إن أهداف ومجالات علم النفس الإجتماعى تكمن فى إقناع الأفراد والجماعات للقيام بتغيير إتجاهاتهم الفكرية ، وتبنى أفكارا جديدة وقيما جديدة بالأضافة إلى فهم نمط الفكر العام الذى يتبناه الآخرون ، بمعنى كيف يمكننا أن نتأثر بسلوك وأفعال وتفكير الآخرين ؟ ماالسبب فى أن بعض الناس يبدى عدوانه وقسوته نحو الآخرين ؟ مما جعل العالم الآن يعيش فى خوف ورعب وهلع من الدمار الشامل ، وما السبب أيضا فى أن بعض الناس يقوم بالمخاطرة بحياته لمساعدة الآخرين ، وفى هذا المجال يقدم لنا علم النفس الإجتماعى فكرة رائعة وتفكيرا أفضل فى الأساليب المستخدمة في إقناع الناس وكذلك الحلول التى تساعدنا على تكوين فكرة عن أساليب الإقناع وكيفية تكوين إنطباع أفضل عن الآخرين وطريقة تقويمهم ووسائل إستخلاص أنواع المحاباة والتحيز والتحامل والنظر فى تفسير وترجمة المسببات التى ينشأ عنها أنواع وأنماط معينة من سلوكياتالبشر مما يؤثر علي الطريقة المستخدمة فى معالجة أسباب السلوك .

إن ما يفعله الآخرون وما يقال حولنا يؤثر على النشاط اليومى لدينا.ومن العناصر الهامة التي يهتم بها علم النفس الإجتماعى تلك العناصر الكامنة وراء ظهور السلوك الإجتماعى السلبى والسلوك الإجتماعي الإيجابي مثل تقديم يد المساعدة للآخرين أو السلوك العدوانى ، إن مثل هذه الدراسة فى هذا المجال تساعدنا فى الإجابة عن بعض الأسئلة التى تدور حولنا من هنا وهناك مثل :

- ماهى الإتجاهات الفكرية والمواقف ؟ وكيف يتم تشكيل هذه الإتجاهات أو تغييرها والحفاظ عليها والتمسك بها ؟
- كيف يمكننا تكوين إنطباعا عن ملامح وأشكال وأنماط شخصية الآخرين ؟ وما هى الأسباب الكامنة وراء سلوك الآخرين ؟ .
- ما هى التأثيرات الناجمة من الإنحياز للآخرين عند دراسة سلوكهم؟
- ما هى المصادر الرئيسية لفرض السلطة والتأثير الإجتماعى على الآخرين ؟

- ما هى العوامل التى تجذبنا نحو أشخاص معينين ؟ وما هو التسلسل المتبع فى العلاقات الإجتماعية ؟ .
- ما هى أهم العوامل التى تشكل أساسيات السلوك العدوانى ؟ .

عن الإتجاهات والسلوك والإقناع .

لاشك أن الإعلانات التليفزيونية تلعب دورا حيويا فى الحث على شراء بعض المنتجات وإقناع الناس بأن مثل هذه المنتجات أو السلع هى الأفضل والأرخص والأجود ، وهنا يظهر دور المشتغلين بعلم النفس الإجتماعى حيث يدرسون الإتجاهات الفكرية والميول والنزعات والإهتمامات البشرية ومدى القابلية للإستعداد لقبول إستجابة ما .

ولاتقتصر الإتجاهات الفكرية فقط على المنتجات الإستهلاكية ولكنها ترتبط أيضا بأفراد معينين وموضوعات تجريدية تعتمد أساسا على طبيعة التفاعل والإتصال والتواصل بين الأفراد من جهة وعلى التنافر والتجاذب من جهة أخرى ، كما أن الإتجاهات الفكرية تختلف أيضا في الأهمية من ناحية تعاملنا مع الأصدقاء وزملاء العمل وأفراد الأسرة الواحدة بالنسبة لعملية التفاعل الإجتماعى .

والواقع أن الإتجاهات النفسية الإجتماعية ما هى إلا ميل أو نزعة يكتسبها الفرد بالتعلم أثناء إستجابة لمثير ما والتعامل مع شخص أو أداة معينة على نحو من الرضا والإرضاء أو الرفض والإنكار .

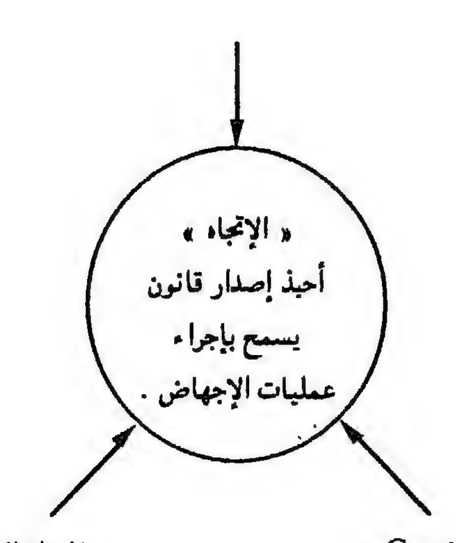
هذا ويضع علماء النفس الإجتماعى فى إعتبارهم أن الإتجاهات النفسية الإجتماعية تشكل نموذجا من مكونات ثلاثة هى : « العاطفة Affect » و « السلوك Behavior » و « الإدراك Cognition » ويعرف هذا النموذج باسم «نموذج : ABC Model» « راجيكى ١٩٨٩ » وإليك توضيحا بالشكل الآتى :



« العاطفة » « A »

أحب إتخاذ القرارات الخاصة بي

ويؤلمني أن يمنعني الآخرون من الحصول علي حقوقي .



الإدراك « C »

سوف تعاني النسوة الفقراء من عدم
تمكنهم من إجراء عمليات الإجهاض
إنه حق المرأة في التعامل
مع جسدها بنفسها .

السلوك « B »

إنني أدعم الوسائل القانونية
التي تبيح عملية الإجهاض
وأفكر في إجراء هذه العملية
إذا كان ذلك ضروريا .

من الشكل أعلاه نرى أن « الإتجاه » هو : أحبذ إصدار قانون يسمح بإجراء عمليات الإجهاض للنساء ، بينما تكمن « العاطفة فى القول : إننى أحب إتخاذ القرارات الخاصة فى هذا الشأن ، أما السلوك وهو المكون الثانى « Compo-nent » فنراه فى القول القائل : « إننى أدعم الوسائل القانونية التى تبيح عملية الإجهاض وأفكر فى إجراء هذه العملية إذا كان ذلك ضروريا » ويأتى بعد ذلك المكون الثالث والأخير وهو الإدراك ويتمثل فى:سوف تعانى النسوة الفقراء من عدم تمكنهم من إجراء عمليات الإجهاض وأنه من حق المرأة التعامل مع جسدها بنفسها .

هذا وتتكون جميع الإتجاهات من هذه العناصر الثلاثة : الإدراك -السلوك -

العاطفة ، مثال ذلك ما هو إتجاهنا نحو مطربة مشهورة مثل سيدة الغناء العربى « أم كلثوم » إن إتجاهنا هو الحب والإعجاب بهذه المطربة العظيمة وهذه « عاطفة » إيجابية ، أما عن «سلوكنا » نحو هذه المطربة فيتمثل فى شراء شرائط تسجيل لكل أغانيها الجميلة ، بينما يكمن عنصر «الإدراك » فى إعتقادنا الجازم بأن هذه المطربة مطربة ممتازة ولن يجود الزمان بمثلها ، وترتبط عناصر الإتجاه الثلاثة « عاطفة - سلوك - إدراك » بعضها ببعض ولكنها تختلف فيما بينها من ناحية سيطرة أوسيادة أحد هذه العناصر على العنصرين الآخرين وفقا لطبيعة العلاقة .

تكوين الإتجاهات والتمسك بها .

نأتى إلى عالمنا هذا ونحن صفحة « بيضاء Tabula Raza » خالية تماما من الإتجاهات النفسية الإجتماعية ، وعندما نرى طفلا ما يبتسم لأمه أو أبيه ، فمعنى ذلك أنه بدأ « يكتسب » إتجاها جديدا بشأن العلاقة الحميمة بين الوالدين وبين الطفل ، وتنمو الإتجاهات وتتطور بسرعة أثناء إكتسابها لها ونحن فى سنوات المهد الأولى وتلازمنا طوال الحياة لتدرك وظيفتها ونعيش آدائها بالإكتساب ومن خلالها نتصارع ونتصالح كأعداء أو أحباب .

التشريط الكلاسيكى والإتجاهات:

من العمليات الأساسية المكونة للإتجاهات تلك العمليات التى يمكننا تفسيرها إعتمادا على مبادئ التعلم « ماكجورى Mcgurie » ١٩٨٥ إن عمليات التشريط ذاتها هى التى جعلت الكلب يسيل لعابه عند سماع الجرس المرتبط والمقترن بتناول الطعام ، إن نفس هذه العمليات هي التى تفسر لنا كيفية إكتساب الإتجاهات والمواقف ، ومن المعلوم فى دراسة « علم النفس الإجتماعى » أن الجماعات يربطون بين تفاعل المشاعر والعواطف من ناحية ، وبين الموضوعات والأشياء من ناحية أخرى مثال ذلك من الماضى القريب : لقد وجدنا أن معظم الضباط والجنود الذين مكثوا فترة طويلة على شاطئ الخليج العربى أثناء فترة الحرب مع العراق الشقيق قد أفادوا بعدم رغبتهم فى الجلوس أو رؤية أى شاطئ آخر

مرة أخرى نتيجة خبرة مؤلمة للحرب ضد العراق فتكون لديهم « إتجاه سلبى » من جراء الدمار الشامل والفقدان والأسروالموت بسبب هذه الحرب ، إن هؤلاء الضباط والجنود قد إكتسبوا إتجاهات ومواقف سلبية نحو حبات الرمل الصفراء والشاطئ الرملى الدامى وبصورة مماثلة فإن عمليات الترابط الإيجابية يمكن تطويرها من خلال «التشريط الكلاسيكى Classical Conditioning » هذا وبالمثل فقد يتكون لدينا إتجاه إيجابى نحو أحد العطور أو الروائح الذكية إذا كان أحد أحبابنا يستخدم هذه العطور أو الروائح الذكية قد هاجت الذكرى وأعادت لنا «الماضى الجميل» والأيام والليالى الخوالى .

ويستخدم رجال الدعاية والمتخصصين في الإعلان والإعلام فى مجال التليفزيون مبادئ التشريط الكلاسيكى المرتبطة بالإتجاهات والمواقف بهدف الربط بين الترويج لمنتجاتهم وبين التركيز على المشاعر والأحاسيس الإيجابية « السوب Alsop ، ١٩٨٨ » . مثال ذلك أن الكثير من الإعلانات التليفزيونية يقدمها شبابا وفتيات على قدر كبير من الجاذبية والجمال وقوة الشخصية ، وليس هناك أدنى شك فى أن الأفكار الكامنة وراء هذه الإعلانات هى إثارة إستجابة شرطية كلاسيكية نحو بعض المنتجات الصناعية مثل معجون الأسنان أو الملابس الجاهزة أو الأكلات والأطعمة الشهية والربط بين هذه المنتجات والمشاعر الإيجابية .

أساليب التشريط الإجرائى لإكتساب الإتجاه .

هناك عملية أخرى من عمليات التعلم الرئيسية والمعروفة باسم « التشريط الإجرائى » الذى يشكل أسس عملية إكتساب الإتجاه حيث إن الإتجاه المدعم شفويا أو لفظيا يتسم - عادة - بالإستمرارية ، بينما الذى يثير السخرية لصاحبه من الآخرين فإنه يكف عنه ونهجره إن عملية « التعلم الإبدالى Vicarious Learn-ing » ما هى إلا نوع من التعلم يقوم الشخص من خلاله بمراقبة سلوك الآخرين وإتجاهاتهم بهدف تطوير وتنمية الإتجاه إلى الأحسن بالنسبة للقائم بالملاحظة «المراقبة» ولاسيما إذا كان هذا الأخير ليست له دراية أو خبرة بالتعامل مع الموضوع المرتبط بهذا الإتجاه ، ويتعلم الأطفال بطريقة « التعلم الإبدالى » أو التعلم بالنيابة

حيث « يلتقط الطفل Pick up » تحيزات آبائهم

مثال ذلك : إذا قال الوالد لطفله « إن الشخص الأعمى لا يمكنه أداء بعض الوظائف » فإن مثل هذا الطفل سوف يعتقد جازما فى رأى والده حتى إذا لم يكن قد قابل شخصا أعمى من قبل ، إن إعتقاد الطفل بأن الأعمى شخص غير مؤهل للقيام بجميع الأعمال مثل المبصرين ما هو إلا إتجاه قد تعلمه الطفل بأسلوب أو طريقة « التعلم بالإنابة » أو التعلم الإبدالى .

إننا جميعا فى حياتنا النفسية والإجتماعية نتعلم ونكتسب الإتجاهات والمواقف بطريقة « الأنابة Vicarious » من خلال مشاهدة الأفلام السينمائية والتليفزيون وغير ذلك من وسائل الإذاعة مثال ذلك : أن الأفلام السينمائية التى تعظم من شأن « العنف Violence » تؤدى فى النهاية إلى تأييد وتدعيم الإتجاهات والمواقف الإيجابية الخاصة بالعنف والعدوان ، كما أن الأفلام والمسرحيات التى تعلى من شأن خضوع المرأة للرجل ،تشكل إتجاهات لتدعيم هذا الموقف وأن المرأة ما هى إلا أداة لتحقيق أغراض الرجال .

الإقناع والإتجاهات المتغيرة:

إن من يقوم بإقناع الناس برأى من الآراء أو بترويج أو تسويق سلعة من السلع يجب أن يتم إختياره بعناية شديدة وأن تتوفر فيه عدة صفات كالطلاقة اللفظية والكياسة وحسن المنظر ورباطة الجأش والمبادأة والجاذبية الشخصية ، فضلا عن كونه من الشخصيات المشهورة المحبوبة فى المجتمع مثل : النجم السينمائى أو المذيع التليفزيونى اللامع أو الأديب المعروف أو الصحفى المشهور « ألويت ، وميتشيل ١٩٨٥ »، إن أعمال الدعاية والإعلانات التليفزيونية تعتمد أساسا على نتائج الدراسات المرتبطة بطرق الإقناع التى تدرس فى علم النفس الإجتماعى ، هذا ومن أهم مصادر الدعاية أن يكون الداعية شخصا جذابا وعلى قدر مرتفع من المهارة وأن يكون موثوق فى كلامه « جونسون Johnson ، ١٩٩١ » و « تيسار Tes-ser » و « شافير Shaffer ، ١٩٩٠ » ومن المعلوم أن مقدم الرسالة أو المذيع أو الممثل أو الخطيب يتوقف عليه إقناع المشاهدين بماله من تأثير كبير على جمهوره من الناحية الدعائية أو الإعلانية .

خصائص الرسالة :

لاشك أن مضمون الرسالة يمثل أهمية كبيرة كمقدم الرسالة حيث يؤثر ذلك كله على الإتجاهات والمواقف والسلوكيات فالجمهور لا يقبل إلا مشاهدة البرامج ذات الرسالة الجيدة التى تحوز رضاه ومن الأفضل - دعائيا - أن يقدم الرسالة من خلال شخصين على شكل مناقشة بينهما ، فيبدأ مقدم البرنامج فى عرض وجهة نظره ويقدم الطرف الآخر الرأى المقابل ، وفى هذه الحالة تصبح الرسالة ذات أثر كبير ومفيد لأن المشاهدين إستفادوا من الرأى المؤيد والرأى المعارض فى الرسالة أو البرنامج المقدم ، وهناك من الرسائل ما يثير الذعر والهلع مثل الرسائل التى تحذر بشدة من عدوى مرض الإيدز الذي ينتقل عن طريق الممارسات المحرمة ، فإذا كان مضمون الرسالة يقول : « إذا لم تأخذ حذرك فإنك قد تصاب بهذا المرض الإيدز ، إن مثل هذه الرسالة تؤدى إلى خوف كبير وهلع مثير فى نفوس الناس ، وبالتالى تثير فى الأفراد والجماعات كل أنظمة الدفاع النفسى مما ينتج عنه تجاهل الرسالة حيث أنه من الأفضل تقديم رسالة التحذير المصحوبة ببعض التوصيات والإجراءات اللازمة لتجنب الإصابة بهذا الخطر المخيف .

خصائص مستقبل الرسالة :

وعند تقديم الرسالة عبر الوسائل المرئية والمسموعة ، فإن المتلقى «المستقبل» قد يتلقاها أو يستقبلها أو يتجاهلها لأن ذلك يعتمد على «ذكاء الشخص» مباشرة.

إن العلاقة بين مدى إقناع الأفراد أو المشاهدين بالرسالة من ناحية ودرجة ذكاء الناس من ناحية أخرى علاقة معقدة ، لأن إرتفاع نسبة الذكاء لدى المشاهدين قد يحدوا بهم نحو الإقناع بمضمون الرسالة بسهولة ويسر ، وفي الوقت ذاته قد يؤدى إلى عرقلة عملية الإقناع ، ولاشك إن درجة الذكاء المرتفعة تساعد الناس على فهم الرسالة بصورة أفضل وأسرع فضلا عن إسترجاعها بشكل منتظم ، لقد وجد بعض الباحثين أن إرتفاع مستوى الذكاء يرتبط بوجود قدر كبير من المعرفة لدى أفراد الشعب لأن المواطن إذا كان يتمتع بقدر هائل من الدراية والمعارف والمعلومات والأحداث فأنه يحوز ثقة كبيرة فى مصداقية وجهة نظره وبالتالى يرفض الآراء المضادة والهدامة فى هذا الشأن ، ومن هنا يمكن القول بأن مستقبل الرسالة أو المتلقى المرتفع الذكاء من الصعب إقناعه بمقارنته بمتلقى آخر أقل ذكاء ، وما زال

الجدل والنقاش مستمرا فى هذه المسألة ولم ينته بعد «رودس Rhodes » و « وود Wood ، ١٩٩٢ » .

هذا ومن ناحية الفروق الفردية بين الذكور والإناث وجد بعض الباحثين أن النساء أسهل بكثير فى عملية الإقناع بمقارنتهم بالرجال «أليس إيجلى Alice Eagly ، ١٩٨٩» .

إلا أن هذه الفروق بين الرجل والمرأة ليست كبيرة بشأن مسألة الإقناع وهناك طريقين إثنين فى عملية الإقناع : الطريق المركزى وهنا يتم الإقناع بالمعالجة المركزية والطريق الطرفى الخارجى ويتم فيه الإقناع طبقا للمعلومات التى تتضمنها الرسالة ولاتحتاج إلي تفكير كثير من جانب المتلقى « المستقبل » .

ولا يمكننا إستخدام الطريقة المركزية فى الإقناع إذا كان المستقبل لا يجيد الإنصات أو الإستماع أو إنه يصاب بالملل أو مشتت الفكر ومن ثم يصبح الطريق المركزى للأقناع أقل أهمية وفائدة ولا حياة لمن تنادى أو كما يقولون « ورب مستمع والقلب فى صمم » ! !

إن وسائل الدعاية التى تستخدم المشاهير من الممثلات والفنانات بهدف الترويج لبعض السلع أو المنتجات تعتمد أساسا على الطريق الطرفى الخارجى فى الإقناع برغم أن مضمون الرسالة يصبح أقل تأثيرا لأن المشاهد أو المستقبل لرسالة الشخصية المشهورة « الفنانة » ينصب تفكيره أصلا على شخصية الفنانة ولن يلقى بالا أو إهتماما بمضمون الرسالة ، أما إذا كان مقدم البرنامج أو الرسالة غير معروف أو مجهول فيمكن إستخدام الطريق المركزى للإقناع حيث يصبح مضمون الرسالة جيد الصياغة .

العلاقة بين الإتجاهات والسلوك .

يؤثر الإتجاه إلى حد كبير على طريقة السلوك وليس هذا بعجيب ، إنك إذا كنت ممن يحبون تناول أكلات السمك بكل أنواعه فإن ذلك يمثل عنصر المشاعر والعواطف فى بناء الإتجاه ، وإذا كنت تفضل تناول السمك فى مطعم معين فإن هذا المكان المحدد يمثل عنصر « السلوك » ، وإذا إعتقدت جازما بأن تناول الأسماك بكثرة كغذاء وكمصدر جيد للبروتين يكسبك الصحة والعافية لأنه سهل الهضم فإن

ذلك يمثل عنصر « الإدراك » ومن ثم فإن هناك إرتباطا قويا بين الإتجاهات والسلوك تختلف وتتباين بإختلاف نوعيات الناس حيث يحاولون أن يتوافقوا أو ينسجموا بربط إتجاهاتهم بسلوكياتهم ومعظم الأفراد والجماعات يميلون نحو الثبات علي المبدأ فى حياتهم والتناغم والإنسجام مع أنفسهم ومع الآخرين ، وفى بعض الأحيان نجد أن السلوك هو الذى يؤثر على الإتجاه بمعنى أن طريقة السلوك هي التى تشكل الإتجاهات النفسية والإجتماعية .

وفى عالم دراسة الإتجاهات هناك الكثير من المتناقضات السلوكية التى تؤدى بنا نحو حالات من الضغوط النفسية ، مثال ذلك أن الشخص الذى يقوم بعمل جبرا أو قسرا وغير مقتنع به من الناحية السلوكية فإن ذلك يجلب له نوعا من التوتر النفسي المعروف باسم « التنافر الإدراكي Cognitive Dissonance » الذى يحدث بسبب صعوبة الموقف الإختيارى حيث يوجد الشخص فى وقت واحد بين مجموعتين من الإتجاهات المتناقضة ، مثال ذلك أن الشخص الذى يدخن السجاير وقد يعلم تماما بأن التدخين يسبب مرض سرطان الرئة إنه يدخن بشراهة ويعرف أضرار التدخين ، وهنا يظهر « التناقض الإدراكى » وليس هناك أدنى شك فى أن تصارع الأفكار والمعتقدات والإتجاهات يؤدى فى النهاية إلى « التنافر الإدراكى » ، إن الأهمية الخطيرة لهذه النظرية أنها تتوقع بأن الفرد سيصبح «مدفوعا Motivated» نحو كسر حدة وتخفيض حالة « التنافر الإدراكى » بإحدى الطرق الآتية :

الطريقةالأولى : تعديل أحد المدركين أو كلاهما .

الطريقةالثانية : تغيير الأهمية المدركة لأحد المدركين .

الطريقةالثالثة : إضافة مفاهيم إدراكية جديدة .

الطريقةالرابعة : الإنكار التام بأن المدركين مرتبطين ببعضهما .

ومن ثم فإن المدخن قد يقرر بنفسه بأنه لا يدخن هذا العدد الكبير من السجائر التى تؤدى بدورها إلى الإصابة بالسرطان الرئوى وهذا فى حد ذاته يعتبر عملية تعديل للشئ المدرك من ناحية كما لاتوجد أدلة واضحة حسب رأى المدخن للربط بين التدخين والسرطان من ناحية أخرى.وهذا في حد ذاته تغيير للشئ المدرك ، وقد يحاول المدخن إقناع نفسه بأنه إذا مارس المزيد من الرياضة فإن ذلك وقاية له

من الأضرار الناجمة عن التدخين ، وهذا هو ما نعنيه بإضافة مفاهيم إدراكية جديدة.

هذا ومهما يكن من إستخدام أى تكنيك فإن المحصلة النهائية تكمن فى خفض التنافر ويجب أن نلاحظ أن « التنافر الإدراكى » ينبع من تناقض مفهومين ، مثال ذلك : أحب أن أتناول بعض الوجبات فى خارج منزلى فى مكان هادئ نظيف هذا هو المفهوم الأول ، بينما المفهوم الثانى يناقض الأول تماما مثل لا أستطيع -ماديا - أن أتناول بعض الوجبات فى هذا المكان بسبب إرتفاع أسعاره كثيرا .

ويقاوم الشخص هذا التناقض بإقناع نفسه بأنه لا يريد أن يتناول أى طعام فى مثل هذا المكان ويقول لصاحبه أنا في واقع الأمر لاأريد تناول أي طعام في مثل هذا المطعم ، ويذكرنا هذا الموقف بقصة « الثعلب والعنب » حيث شاهد الثعلب ذات يوم حديقة أعناب وإشتاق إلى هذا العنب اللذيذ الناضج وحاول الوصول إلى العنب من خلال أسوار الحديقة ولكنه لم يستطع ، وفى النهاية نظر مليا إلى العنب نظرة فاحصة وقال لنفسه لا حاجة لى بالعنب إنه عنب ردئ ولم ينضج بعد . إننا جميعا فى حياتنا النفسية والإجتماعية نمثل هذا الثعلب حين أخفق فى الوصول إلى هدفه ، ونسوق إليك قصة أخرى : ذهب فتى يخطب فتاة ذات جمال أخاذ ويتخيل أنه يطير بحصانه الأشهب ويشد الخاصرة والمهماز ولكنه لم يوفق فى بلوغ هدفه وحصوله على الحبيبة المنشودة وكاد الهوى يعصف به ولكنه تحامل على نفسه وتسامى فوق الأحزان وأصبح يناجى نفسه ويردد : خيرها فى غيرها البنات كثيرات إن هذه الفتاة كانت بيضاء البشرة ولكنه بياض كالح ! ! وهكذا يكون التبرير وقديما قال الفلاسفة والمفكرون بأن الإنسان حيوان ناطق ونحن نقول في هذا المجال - بلغة علم النفس الإجتماعي - إن الإنسان حيوان مبرر !

ويلجأ الشخص عادة إلى إنكار الحقيقة أو التقليل من شأنها لكى تصبح حقيقة نسبية ويطفو على السطح « التنافر الإدراكى » الذى يبدأ فى الإنخفاض رويدا رويدا عن طريق تغيير الفرد لإتجاهاته ومواقفه لكى تصبح هذه الإتجاهات والمواقف أكثر إيجابية عند القيام بمهام بغيضة أو أداء أعمال ذات خبرة مؤلمة أو التأمل فى رجع الصدى لذكريات من الماضى السحيق ، وهنا تتحول المهام البغيضة إلى مهام مرغوبة والأعمال المنفرة الكريهة إلي أعمال مسلية محبوبة والذكريات الحزينة النبيلة تتحول إلى ذكريات مشرقة ثم تشرق الشمس ثانية وتغرد الطيور .

إن عملية التنافر وعدم الإنسجام تفسر لنا الكثير من معنى الأحداث التى نواجهها فى حياتنا اليومية المعاشة التى تتداخل فيها الإتجاهات والميول والمواقف والسلوكيات ، وهناك ما يعرف باسم « ظاهرة عرض الذات الإنتقائي Selective Exposure Phenomenon » وفيها يلجأ الشخص إلى كسر حدة التنافر وعدم الإنسجام عن طريق تعريض نفسه لبعض المعلومات التى تدعم موقفه وتشد من أزره ويقوم هذا الشخص بإنتقاء المعلومات التى تدعم صحة وسلامة قراره الذى إتخذه فى أمر من الأمور ويتجنب المعلومات التى تناقض صحة قراره « سيرز Sears ، ١٩٦٨ و سوينى Sweeny ، جروبار Gruber ، ١٩٨٤» .

والواقع أن نظرية التنافر وعدم الإنسجام قد مرت بمراحل عديدة من التطوير منذبداية ظهورها في أواخر عام ١٩٥٠ ، وتمخضت عن الكثير من إجراء البحوث والدراسات التى تؤكد صحتها تنظيرا وتطبيقا « آرونسون Aronson، ١٩٩٠» وقد تعرضت هذه النظرية للكثير من المدح والقدح والإستحسان والإستهجان كما قدم نفر من علماء النفس الإجتماعى إقتراحا ببعض التفسيرات النظرية البديلة لهذه النظرية ومن هذه البدائل ما قدمه « داريل بيم Darryl Bem ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٢» فى نظرية المعروفة باسم نظرية « الإدراك الحسى الذاتى Self Perception Theory » وفحوى هذه النظرية يرى أن الناس يشكلون إتجاهاتهم وميولهم ومواقفهم عن طريق ملاحظة سلوكهم بأنفسهم مع إستخدام نفس المبادئ التى يستخدمونها عند ملاحظة سلوك الآخرين وذلك بهدف إستخلاص وإستنتاج نتائج وإتجاهات ومواقف الآخرين . ومن نافلة القول أن نظرية «التنافر الإدراكى الذاتى » تقترح بديلا واضحا يكمن فى أن الشخص يقوم بعملية بحث فاعلة لمحاولة فهم السلوك الذى إتخذه نحو نفسه ونحو الآخرين ولقد أثبتت البحوث أن وجود تعارض بين مفاهيم الإدراك يؤدى إلى ظهور حالات التنافر وعدم الإنسجام كما أن هناك عوامل أخرى إضافية تزيد من حدة التنافر وعدم الإنسجام ومن أهمها الشعور بالمسئولية والإحساس بمسئولية الفرد عن النتائج السيئة الوخيمة وتهديد مفهوم الذات كل ذلك يؤدى إلى زيادة التنافر وعدم الإنسجام « ستيل Steele ، ١٩٨٨ ، كوبر Cooper ، ١٩٨٩» وبرغم وجود بعض ظلال الشك والريب فى صحة التفسيرات البديلة لنظرية التنافر وعدم الإنسجام ، إلا أنه يمكن القول أيضا

بأن مثل هذه النظريات والتفسيرات لا تقدم لنا وصفا دقيقا لكيفية تفاعل الناس مع عدم التناغم بين الإتجاهات والمواقف والسلوك حيث أن معظم الناس يضفى قدرا من المعقولية علي إتجاهاتهم ومواقفهم وسلوكهم وإيجاد نوع من التناغم والإنسجام بين السلوك والإتجاه والموقف .

الإدراك الإجتماعى وفهم الآخرين .

بعيدا عن ضعف الإنتماء بين بعض أفراد المجتمع المصرى فى الوقت الراهن وبصرف النظر عن مستوى التوافق ودرجة الإنسجام بين أفراد شعبنا المصرى الأصيل ذو الجذور العميقة الضاربة فى أطناب الحضارة والتوحيد بعيدا عن هذا كله أدركنا أن هناك تآلفا وألفة وإنتماء قوميا شاملا ومحبة صادقة بين أفراد الشعب والرئيس الراحل « السادات » أثناء حربنا الرمضانية المقدسة عام ١٩٧٣ بيننا وبين إسرائيل.في هذه الآونة نذكر أن معظم أفراد الشعب أثناء حرب أكتوبر العظيم قد أحاطوا بقائدهم « السادات » فرحين مكبرين بقرب ساعة الخلاص والنصر المبين وذلك كله برغم تشويه « الرئيس السادات » وتحريفه لبعض الحقائق عن العدو وعن تحديد موعد الحرب في بعض المؤتمرات الصحفية قبل الحرب . وكان من المفترض تجاه ذلك أن يكون رد الفعل التنافر وعدم الإنسجام وظهور « الإدراك الوجدانى السلبى » من جانب أفراد المجتمع ولكن حدث العكس فقد حظى « السادات » برضاء الجماهير وحبها له وأطلقت عليه لقب « بطل العبور » ومن قبل ذلك « الرئيس المؤمن » . إن هذه المواقف والأمثلة توضح لنا بجلاء وقوة « أثر الإنطباع » بين الرئيس والشعب وحماس الجماهير نتيجة « القوة الكاسحة للإنطباع الأول Power of the first Impression » كما يدل ذلك ويؤكد على أهمية تحديد كيف يقوم الناس بتطوير عملية الفهم والإدراك للآخرين .

أن من أهم الآفاق والمجالات السائدة فى دراسة علم النفس الإجتماعى فى أيامنا هذه تكمن فى التركيز على « عملية تعلم الإنسان الفرد لكل ما يتعلق أو يرتبط بعملية فهم وإدراك سلوك الآخرين وتفسير الأسباب الكامنة أو المستترة وراء سلوكهم « فيسك Fiske ، تايلور Taylor ، ١٩٩١» .

فهم الآخرين وتكوين فكرة عنهم .

في عصر الأعلام والإعلان والثورة المعلوماتية والبث التيفزيوني للقنوات الفضائية والتفاعل والتواصل مع العديد من الأفراد في اليوم الواحد نتعرض لقدر هائل من المعلومات عن شخصيات الآخرين ، وهنا نتساءل : كيف نستثمر أو نوظف مثل هذه المعلومات في إتخاذ قرارات هامة عن سلوك الناس والمجتمع والحياة بوجه عام ؟ كيف نحكم على الخصائص والسمات المميزة للآخرين ؟ ومن هنا نذر علماء النفس الإجتماعي أنفسهم لدراسة مفهوم الإدراك الإجتماعي ونادوا بأنه « مجموعة العمليات التي تكمن وراء فهمنا لعالمنا الإجتماعي ، وقد أكد علماء النفس على أن هناك الكثير والعديد من المخططات والرسومات البيانية والأنساق الإدراكية والمعرفية عن الناس والتجارب الإجتماعية .

وتستخدم مثل هذه المخططات البيانية في تنظيم المعلومات لتخزينها في الذاكرة بهدف إعمال العقل وقدح زناد الفكر في كيفية عمل العناصر المختلفة في العالم الإجتماعي المكتظ بالأحداث والناس فضلا عن تكوين إطار عام يتم من خلاله تصنيف وتفسير المعلومات والبيانات المتعلقة بالمثيرات الإجتماعية والدوافع النفسية لدى الناس ، هذا وتلعب المخططات البيانية في تنظيم المعلومات عن الناس دورا هاما وخطيرا فهي لدى «المعلم Teacher » تتضمن الخصائص الآتية :

١ - مستوى المعرفة ودرجة الإدراك والإلمام بمحتويات المادة العلمية المطلوب تدريسها .

٢ - الرغبة الأكيدة في نقل المعلومات للآخرين والدافع القوى في تثقيف الناس .

٣ - الإدراك بمدى إحتياج الطالب لفهم ما يقال له وما يقدم إليه من معلومات .

وفي عالم الأمومة نرى أن مكونات الرسم التخطيطي في هذا المجال يشتمل على :

١ - الدفء العائلي والرعاية الكاملة والعناية المستمرة والتنشئة الإجتماعية السليمة والتربية الصالحة للطفل .

٢ - العطف والمرونة والوفاء بمتطلبات كل فرد من أفراد الأسرة .

وخلاصة القول أن الرسومات التخطيطية تقوم بتنظيم المعلومات والسلوكيات المتعلقة بالآخرين لإسترجاعها وتصنيفها عند الضرورة ، كما تساعدنا على التنبؤ بشخصية الآخرين ووضع الأشخاص المحيطين بنا داخل الإطار المناسب من الرسومات التخطيطية « سميث Smith، ١٩٨٤ » .

عملية تكوين الإنطباع .

تعريفها : هى عبارة عن عملية يلجأ الفرد إلى إستخدامها بهدف تنظيم المعلومات المتاحة لديه بخصوص أحد الأفراد الاخرين وتكوين « إنطباع Im-pression » كلى شامل عنه ، وفى إحدى التجارب العلمية فى هذا المجال كان لدينا مجموعتين من الطلاب الجامعيين وأخبرناهم بأن أستاذا من خارج الكلية سوف يلقى عليهم محاضرة بعد قليل ، وقلنا للمجموعة الأولي من الطلاب أن من سمات شخصية المحاضر أنه شخصية جادة صارمة بارد فى علاقاته الإجتماعية ، بينما أخبرنا المجموعة الثانية منهم بأن شخصية الأستاذ القادم لإلقاء المحاضرة تتسم بالمثابرة والجدية ودفء العلاقات الإجتماعية ، وكان وصف الأستاذ المحاضر متشابها لدى المجموعتين وينحصر الإختلاف فى كلمتين هما : بارد و دافئ فى علاقاته الإجتماعية وأدى هذا الإختلاف إلى تغير كبير فى طريقة نظرة الطلاب من المجموعتين إلى الأستاذ المحاضر برغم تشابه المحاضرة فى موضوعها على كل مجموعة وهنا نجد أن إحدى المجموعتين من الطلاب كان إنطباعهم المكون عن الأستاذ بأنه شخص يتمتع بالدفء والرقة ودماثة الخلق وهذه صورة أكثر إيجابية بمقارنتها بإنطباع طلاب المجموعة الأخرى التى وضعت الأستاذ المحاضر فى إعتبارها بأنه « شخصية باردة» .

ونخرج من هذه التجربة الخاصة « بتكوين الإنطباع » عن الآخرين بأن الأفراد والجماعات يوجهون إهتماماتهم ويركزون إنتباههم ويظهرون مشاعرهم نحو السمات الهامة غير العادية أى السمات الرئيسية للشخصية . إن مجرد وجود إحدى السمات الأساسية أو المركزية فى الشخصية يؤدى إلى تغيير المعانى أو

المدلولات الخاصة بالسمات الأخرى ، ففى المثال السابق كانت هناك سمة واحدة مركزية هي « البرودة » أو « الدفء» فى الشخصية التى أدت إلى تغيير جميع المعانى المرتبطة بالسمات الأخرى .

ونظرا لوجود بعض الثغرات فى درجة معرفتنا بالآخرين ، فإننا نميل نحو وضع هؤلاء الأشخاص فى درجة توافق مع أنماط الشخصية التى تمثل بدورها نماذج معينة من البشرمن هذه المنظومات الشخصية نستطيع أن نرسم مخطوطات بيانية مكونة من سمات وصفات تتأرجح بين الود والصداقة والمحبة والعدوانية والصراحة والإنفتاحية والإنبساط.ومن ثم يتحدد نوع وسمات الشخصية وفقاالإحدى هذه الرسومات التخطيطيةولسوء الحظ فإن أنماط الشخصية والرسومات التخطيطية المتعلقة بالسمات قد تصبح عرضة لبعض العوامل التى تؤثر بدورها على دقة التقييم ، وليس هناك أدنى شك فى أن الحالة المزاجية تؤثر على كيفية رؤيتنا للآخرين فالشخص السعيد البشوش الوجه يميل - عادة - نحو تكوين « إنطباع » حسن وجميل نحو الآخرين من ناحية ونحو تكوين أحكام إيجابية عن هؤلاء الآخرين من ناحية أخري بعكس من يعانون من حالات مزاجية سيئة « فورجاس Forgas ، باور Bower 1987 ، إربار Erber ١٩٩١، » .

عمليات العزو وفهم أسباب السلوك .

دلت التجارب والخبرات العلمية والإجتماعية على أن الشخص الذى يعمل عملا منظما وجيدا ودقيقا بطريقة جديدة وبمهارة فائقة فى فترة قصيرة وبأقل مجهود فى الجامعة أو المعهد أو الشركة أو المصنع أو المزرعة دلت البحوث والدراسات النفسية الإجتماعية على أن هذا « أداء Performance » جيدا ممتازا وعلى باقى العاملين أن يلتزموا بهذا الآداء ويحتزوا به ، وهنا تتقلب القلوب وتزوغ الأبصار نحو صاحب الأداء الممتاز فيصوب الآخرون سهام أبصارهم النارية نحوه وتمتلأ القلوب والنفوس حقدا عليه لماذا كل هذا ؟ لأن الشخص الذكى عملا وأداء والممتاز خلقا وعلما ، والأمين قولا وفعلا يعتبر بالنسبة لأفراد الجماعة شيئا مذكورا وحصنا حصينا معمورا وكوكبا دريا منيرا حيث أتى بما لم يأت به الآخرون

وسلك مسلك الرجال الأشداء فى عمله فتبدو الحيرة والإرتباك عند فهم أسباب دوافع السلوك التى دفعت أحد العاملين المميزين للقيام بهذا العمل المجيد ، وهذا أن دل فإنما يدل على أن رقما قياسيا أو معيارا آدائيا قد ظهر فى العمل وعلى الآخرين أن يسيروا فى ركاب نظام الأداء والعمل الجديد أملا - من الإدارة - فى زيادة وجودة الإنتاج ومن ثم تهب عاصفة النفور والكراهية ، ويشتد الصراع على المناصب وتبدو مظاهر حمى المنافسة - غير الشريفة - بين الأفراد كنوع من الكفاح عندما تنمو « كوادر حزب أعداء النجاح » ! !

هذا ويمكن القول بأن عملية الإدراك الإجتماعى تساعد الاخرين على تكوين إنطباع كلى عن سمات شخصية الأفراد المميزين مما حدا بنظرية العزو AttributionTheory أن تبحث تفسير كيفية إتخاذ القرار على أساس إنتقاء عينة من سلوك الفرد وهذا بدوره يساعدنا كثيرا على تحديد الأسباب التى تدفع ببعض الناس أن يسلك سلوكا ما ، وما مدلول ومعنى هذا اسلوك « واينر -Wein er، ١٩٨٥ ، جونز jones ، ١٩٩٠ » .

وعندما نبدأ فى محاولة فهم مسببات السلوك لشخص ما فإنه يتعين علينا أن نحدد أولا عما إذا كانت الأسباب فطرية أو موقفية ونعنى بالأسباب الموقفية Situational Causes تلك التى تسبب السلوك القائم علي العناصر والعوامل البيئية والمحيط الخارجى .

وعلى سبيل المثال : لو أن شخصا سكب إحدى زجاجات اللبن على أرضية حجرة نظيفة فإنه يبدأ فورا في تنظيف المكان ولا يعزى الدافع إلى تنظيف المكان إلى حب الشخص للنظافة فى حد ذاتها ، ولكن ذلك يعزى إلى متطلبات الموقف لهذه العملية لأن ذلك الشخص هو الذى تسبب فى كسر زجاجة اللبن فكان عليه أن يعالج الموقف بإزالة آثار اللبن المسكوب ، ولو أن شخصا آخر يهتم بنظافة المطبخ ، فإنه أساسا من أولئك الذين يعشقون النظافة والنظام والترتيب والتنسيق فى منزله ، ويعزى الدافع نحو تنظيف منزله بوجه عام والمطبخ بوجه خاص إلى حالته المزاجية التى تعزى بدورها إلى ميوله الفطرية نحو المحافظة على النظافة والنظام ويرتبط ذلك بسماته الشخصية و « العزو الفطرى dispositional cause » .

وعود على بدء لمثالنا السابق « الشخص المميز أداءا ومهارة » وسط الزملاء

العاملين يعزى السبب إلى تفانيه فى العمل من دون زملائه إلى ميول ونزعات معينة وحالة مزاجية خاصة بعيدا عن أى أسباب موقفية ولكن من الناحية المنطقية قد نتصور أن هناك بعض العناصر المؤثرة فى الموقف أدت بالشخص المتميز فى عمله إلى دوافع سلوكية تمثلت فى العمل المكثف والآداء الماهر ، وفى هذه الحالة لا يعزى « العمل المكثف الماهر » إلى الحالة المزاجية أو العزو الفطرى وإنما يعزى أساسا إلى بعض العناصر المتمثلة في الموقف .

التحيز في العزو والخطأ سمة بشرية .

لاشك أن الوقوع فى الخطأ من السمات البشرية ومادمنا نتناول المعلومات بطريقة منطقية عقلانية تعتمد على نظرية العزو التى ترى أن مجريات الأمور والأحداث العالمية تسير بإنسيابية وسهولة ، ولسوء الحظ أنه برغم قيام نظرية العزو بعمليات التنبؤ الدقيقة إلا أن الناس على إختلاف أجناسهم وإتجهاتهم لا يتناولون معلوماتهم عن الآخرين بأسلوب منطقى وفقا لما تنادى به هذه النظرية « نظرية العزو» .

إن نظرية العزو تقوم أساسا على وفرة المعلومات المتناغمة والثبات والوضوح والتماسك والرأى الجمعى وهنا تلعب نظرية العزو دورها الحيوى فى التنبؤ الدقيق والسليم بسلوك الآخرين «هيوستون Hewstone ، جاسبرز Jaspers، ١٩٨٧»

هذا وقد أثبتت البحوث بأن هناك محاباة وتحيز فى طريقة التعامل مع الأشياء والأشخاص المعزوة « المسببة للسلوك » ومن حالات التحيز للأشياء والأشخاص نسوق الأمثلة الآتية :

التحيز الأساسى للعزو .

إن من أكثر عمليات التحيز يتمثل فى قيام معظم الناس بعزو سلوك الآخرين إلى عوامل وأسباب مزاجية ترتبط بالنزعات والميول الشخصية ، وقد يعزو بعض الناس السبب فى سلوكهم إلى « العوامل الموقفية » وعلى سبيل المثال : عند

تحليل بعض المقالات الصحفية المتعلقة بشئون القراء فى الصحف والمجلات مثل : «إسألونى » أو « طبيب القلب » أو «كل عقدة ولها حلال » نجد أن الكتاب يعمدون إلى عزو المشكلة أو إرجاعها بشأن مشاكلهم الخاصة إلى عوامل موقفية بينما ترجع مشاكل القراء إلى أسباب أساسها ومهادها عوامل فطرية وميول ونزعات شخصية .

هذا وعند دراسة سلوكنا الشخصى فإننا نهتم ونركز على جانب التغيرات البيئية والعوامل الموقفية أى إننا نفسر الأشياء بعزوها إلى العوامل والعناصر المرتبطة بالموقف إن هذا التحيز يحدو بنا نحو إيجاد مبررات فى حالة مجابهتها لإخفاق أو عجز يحاصرنا أثناء موقف عصيب نعيشه ومحاولة التخفيف من حجم المشكلة وكسر حدتها بأن نتعلل ببعض الظروف المخففة والعوامل الملطفة .

أثر الهالة.

وهى عبارة عن تأثر الشخص فى تقييمه للآخرين بشعوره الشخصى وليس على أساس الإعتبارات الموضوعية . وأثر «الهالة The halo Effect» ماهى إلا ظاهرة تجعلنا نضفى بعض الصفات الطيبة إلي الصفات الأخرى لدى شخص ماثل أمامنا ، وقد تكون فكرتنا عن هذا الشخص فكرة مبدئية ويتسم بالذكاء و الإخلاص والوضوح وتأتى بعد ذلك لنضيف بعض الصفات الأخرى التى لا وجود لها لدى الشخص المذكور «كوير Cooper ، ١٩٨١ » ويتكرر نفس الموقف وتنقلب الأوضاع رأسا على عقب إذا ما أضفنا بعض السمات والصفات السيئة وإستعرضنا بعض المثالب والعيوب وألصقناها بالشخص .

ويعزى أثر الهالة عندما نعتقد في بعض نظريات الشخصية التى تعكس أفكارنا ومفاهيمنا وإتجاهاتنا المرتبطة بسمات الشخصية التى تتبلور فى شخصية الأفراد ، أن طريقة فهمنا للعالم ومايحدث من حولنا قد تكون خاطئة لعدم موائمة تطبيق هذه النظرية على بعض الأفراد حيث أن كثيرا من الناس لاتتوفر فى شخصياتهم جميع السمات أو الصفات الأساسية الإيجابية كما لاتتوفر لديهم أيضا كل الصفات السيئة ولكن الأمر في النهاية يتضمن « معيارا وسطيا » وأن الناس على إختلاف أجناسهم وإتجاهاتهم وقيمهم يجمعون صفات وسمات من هنا وهناك

ولديهم من السمات الغث والسمين والمستحسن والمستهجن والجميل والقبيح .

التحيزالمتشابهإفتراضيا :

إذا إعتقدت بأن شخصية الآخرين تتشابه إلي حد كبير مع شخصيتك ، فإن التأثير الناجم عن ذلك سيجعل توجهاتك تأخذ مسارا نحو إتجاه معين بسبب التشابه القائم بينك وبين أصدقائك ومعارفك من ناحية الآراء والأفكار والإتجاهات والأشياء المستحسنة والأشياء المستهجنة حيث أن معظم الناس يعتقد بأن الأصدقاء والزملاء يتشابهون معهم بدرجة كبيرة .

إن الشعور الذى يدفع المرء نحو الإعتقاد فى تشابه شخصية الآخرين مع شخصيته ماهو إلا ميل وإعتقاد عام نطلق عليه التحيز القائم على « التشابه المفترض Assumed - Similarity Bias » إى التحيز المتشابه إفتراضيا أو المحاباة المعتمدة على التشابه المفترض ، إنك تفكر فى الآخرين المقربين لك من وجهة النظر القائمة على أساس تشابه هؤلاء الناس مع الآخرين مع شخصيتك حتى عندما تلتقى بهم لأول مرة « روس Ross ، جرين Greene ، هاوس House ، ١٩٧٧ ، هوخ Hoch ، ١٩٨٧ ، ماركس Marks ، ميلر Miller ، ١٩٨٧ » وإذا كان هؤلاء الآخرون مختلفين عنا فإن التميز أو المحاباة المعتمدة على التشابه المفترض ستؤدى إلى إتخاذ عمليات تقييم غير دقيقة حيث أن الصورة التى ترسمها للشخص الآخر لاتتوافر عنه أى معلومات إنها فى واقع الأمر صورة خاصة بنا ووقف علينا وحدنا وتعكس الطريقة التى نرى بها أنفسنا .

نظرية إدراك الذات وفهمنا لسلوكنا الخاص .

إن نظرية التحيز للأشياء الأساسية المعزوة « المنسوبة » لنا تفسر بعض النقاط المرتبطة بعملية العزو والناس لا ينسبون فقط بعض الأشياء أو الصفات للآخرين ، وإنما يقومون أيضا بملاحظة ومراقبة سلوكهم الخاص وينسبون الأشياء للاخرين على أساس إقدامهم على فعله ، هذا وترى نظرية إدراك الذات إنه عندما تصبح « الإشارات الموقفية Situational Cues » ضعيفة نتيجة عدم توفر الخبرات السابقة أو المعلومات المتاحة ، فإن الشخص سوف ينظر إلى سلوكه الخاص

ويعتمد عليه إعتمادا كليا فيما ينسبه أو يعزوه للآخرين مثال ذلك : إذا طلب منك بعض الزملاء بالكلية القيام بالدعاية والأعلان عن إحدى المسرحيات بنادى الدراما فى الجامعة فقد تشعر بالسعادة فى بادئ الأمر لثقة الزملاء بقيامك بهذا العمل الذى أنت أهل له ، وبعد فترة من الوقت قد تشعر بأنه ليس لديك متسعا من الوقت نظرا لإنشغالك بالبحث العلمى والدراسة المكثفة ، وهنا تخبر الزملاء بأنك سوف ترد عليهم بشأن هذا الموضوع فى خلال بضعة أيام وقد تمر الأيام دون أن تجد لديك الوقت الذى يسمح لك بالإتصال بهم وبالتالى لا يمكنك إتخاذ قرار حاسم فى هذا الشأن ، ما السبب في عدم إتخاذ القرار الحاسم ؟ إنك فى النهاية تصل إلى إستنتاج مؤداه أنك غير متحمس لهذا الموضوع ولست راغبا فى هذه الوظيفة وتتخذ قرارا لا رجعة فيه ، إنه قرار قائم على : نظرية « إدراك الذات Self - Perception Theory » ، إن التردد فى عملية إتخاذ القرار فى هذا الموضوع معناه « إنعدام الدافع النفسى » الذى أدى بدوره إلى عدم الرغبة فى الإشتراك فى حملة الدعاية المطلوبة لمسرحية الكلية ، إنك بهذه الطريقة تبدو كما لو كنت تقوم بملاحظة نفسك من الخارج على فرض أنك تعتمد على سلوكك الخاص .

وترى نظرية إدراك الذات أن الناس يعتمدون أساسا على أساليب وأنماط معينة يستخدمونها فى تفسير الأحداث التى تطرأ علي حياتهم ، مثال ذلك أن العوامل المرتبطة بالطبقة الإجتماعية فى المجتمع الإنسانى مع إختلاف الأجناس أو السلالات سواء من الأفارقة أو البيض ، كل هذه العوامل تلعب دورها الخطير فى نوعية الأشياء التى تنسب للآخرين فالأفارقة المقيمين بأمريكا لاينسبون الأشياء التي تحدث لهم للعوامل أو العناصر الداخلية على عكس البيض ، فالأطفال الأفارقة فى أمريكا يشعرون بأن نجاحهم فى العمل أو الدراسة يعتمد على قدر الصعوبة الكامنة فى المهام التى يؤدونها كما أن بشرتهم السوداء هى سبب إعتمادهم بدرجة كبيرة على الحظ بدلا من المجهود المبذول فى العمل ويعزى ذلك إلى التمييز العنصرى لدى الكبار والصغار ، وعلى العكس من ذلك فإن الأطفال البيض يرجعون سبب نجاحهم فى الحياة أو الدراسة إلى القدرات العقلية ومقدار المجهود المبذول أى أنهم ينسبون النجاح إلى العوامل والعناصر الداخلية « كاتز Katz ، ١٩٦٧ ، فرند friend ، نيل Neale ، ١٩٧٢ » .

إن الشخص الذى ينسب أو يعزو النجاح إلى العناصر والعوامل الخارجية ما هو إلا شخص يقلل من شعوره بالمسئولية الشخصية عن النجاح والإخفاق ، وتكمن أهمية الأسباب الخارجية فى مشكلة التكيف ، بينما الشخص الذي يعزو النجاح إلي العوامل الداخلية فإنه يؤمن بأهمية تغيير السلوك المتمثل فى بذل المزيد من الجهد بهدف الوصول إلى النجاح « جراهام Graham ، ١٩٩٠ » .

هذا وينسب الأفراد فى القوميات المختلفة ، أنماط السلوك بطرق متباينة فطلاب الصين واليابان ينسبون ما تحقق لهم من نجاح وما أحرزوه من مكاسب إلى الجهود المبذولة حيث أن هذه الجهود يمكن التحكم فيها والسيطرة عليها ، وإنهم يعتمدون على بذل الجهود الشاقة أكثر من إعتمادهم على القدرات العقلية حيث أن هذه القدرات من العوامل التى لايمكن السيطرة عليها أو التحكم فيها .

أما عن الطلاب الأمريكيين فهم يركزون على أهميـة القدرات ويقللون من شأن وأهمية الجهود المبذولة « هولواى Holloway ، ١٩٨٨ ، هيس Hess ، شيه ماى Chih - Mei، ماك ديفيت Mc Devitt ، ١٩٨٧ » ، إن مثل هذه التباينات والإختلافات « الفروق الفردية » فى الأنماط المعزوة « المنسوبة » قد تكون ناجمة عن إرتفاع مستوى الإنجاز لدى الطلاب الأسيويين حيث يتميزون عادة بمستوى أداء رفيع عن زملائهم الطلاب الأمريكيين وذلك عند عقد مقارنة علي المستوي الدولى لإنجاز الطالب الجامعى ، ولما كان الطلاب الصينيون واليابانيون يرجعون السبب فى التفوق الأكاديمى إلى الجهود المبذولة فى الدراسة فقد كان لهم قصب السبق فى العمل الأكاديمى المنظم والدقيق ومن ثم فقد تفوقوا علي الطلاب الأمريكيين الذى يعتقدون في أهمية القدرات العقلية الكامنة فى تحديد مستوى الأداء .

الفصل الحادى عشر

المؤثرات الإجتماعية والسلوك.

الفصل الحادى عشر

المؤثرات الإجتماعية والسلوك .

* المسايرة وإتباع سلوك الآخرين .
* خصائص الجماعة .
* إجماع آراء الجماعة .
* الفروق الجنسية فى المسايرة بين الوهم والحقيقة .
* الطاعة المباشرة .
* الثبات على المبدأ .
* الجاذبية البينشخصية .
* أسباب إضمحلال العلاقات الإجتماعية .
* العدوانية والسلوك الإجتماعى المرغوب .
* مظاهر العدوان فى وسائل الإعلام .

المؤثرات الإجتماعية والسلوك.

تعلمنا من « لغتنا العربية الجميلة » ومن تراثها وأمثلتها الخالدة مقولة أدبية مؤداها « جارهم ما دمت في دارهم » وهي تقابل ما يتردد فى اللغة الإنجليزية من قولهم : « When in Rome do as Romans do » أى عندما تتواجد فى روما تصرف كأهل روما ، وعملية التأثير الإجتماعى تهدف أساسا إلى مواجهة الشخص بقدر من الضغوط الإجتماعية تجعله يتصرف أو يسلك فى موقف معين طبقا لسلوك الآخرين ، وتدفعنا الضغوط دفعا نحو الإتفاق أو التنافر لإحداث بعض التغيرات فى السلوك وهذا بدوره يحدو بنا نحو الدخول فى مجال التأثير الإجتماعى ودراسة عناصره ومكوناته .

إن التأثير الإجتماعى هو أحد مجالات « علم النفس الإجتماعى » ويشمل ثلاثة أنواع رئيسية من عناصره وهى : المسايرة ، والقبول ، والطاعة .

المسايرة وإتباع سلوك الأخرين .

نقصد « بالمسايرة Conformity » عملية تغيير فى السلوك أو الإتجاهات الإجتماعية الناتجة عن الرغبة الصادقة للشخص فى إتباع المعتقدات أو المعايير الخاصة بالآخرين ، إن أول دراسة كلاسيكية إيضاحية للإمتثال « للمسايرة » قد بدت بسلسلة من التجارب التى أجريت خلال الخمسينات من هذا القرن وقد أجراها « سولمون آش Solomon Asch » على مجموعة من ستة أشخاص يشتركون فى «إختبار المهارات الإدراكية» .

والواقع إن هدف التجربة لم يكن لدراسة أو بحث المهارات الإدراكية وإنما كان هدف التجربة الأصيل هو «دراسة مدى مسايرة الشخص الآخر» وهو السابع مع الأفراد الستة الآخرين بمعنى أن هذا الشخص السابع رغم إعتقاده بأنه كان يقدم الحلول الصحيحة فى التجربة ، إلا أنه كان يقع فى نفس أخطاء مجموعة الأفراد الستة مسايرة منه للجماعة وخضوعا لضغوطها الإجتماعية ، ومنذ دراسة «آش» الرائدة فى هذا المجال مجال «المسايرة» فقد ظهر بعد ذلك مئات الدراسات التى

بحثت العوامل المؤثرة فى عملية المسايرة فضلا عن المعلومات المتاحة الآن عن هذه الظاهرة « موسكو ڤتشى Moscovici ، ١٩٨٥ » هذا ومن المتغيرات الهامة التى تمخضت عنها عملية « المسايرة » تلك المتغيرات الآتية :

أولا : خصائص الجماعة :

كلما كانت الجماعة ذات جاذبية أكبر لأعضائها كلما كانت ذات قدرة أكبر فى مسايرة الأعضاء لها ، وكلما إزدادت قدرة الجماعة على فرض عملية « المسايرة » على أعضائها ، كلما إنخفضت مكانة الفرد الإجتماعية ، وكلما إنخفضت رتبة الفرد داخل الجماعة كلما إزداد وتعاظم أوجه التشابه بين الفرد والجماعة وهذا بدوره يؤدى إلى زيادة تأثير الجماعة على سلوك الفرد .

ثانيا : طبيعة إستجابة الفرد :

يرتفع مستوى « المسايرة » لدى الناس عندما يتعين عليهم إتخاذ رد فعل أو إستجابة على مرأى ومسمع من الجماهير ، بينما ينخفض مستوى « المسايرة » عندما تتاح للأفراد فرصة تقديم الإجابة فى سرية تامة ، ولذلك فإنه فى أثناء إجراء الإنتخابات يتقدم الناخبون بأصواتهم فى سرية تامة أثناء إجراء عملية التصويت أمام صناديق الإنتخاب .

ثالثا : نوعية المهمة المطلوب تنفيذها :

يتعرض الأفراد للكثير من الضغوط الإجتماعية ، إذا كانت بعض المهام أو الأعمال المراد القيام بها غامضة ومعقدة ، فعندما نستطلع آراء أفراد جماعة من الجماعات عن نوعية الثياب أو الملابس « المسايرة » للموضة فسوف نحصل على إجابات مسايرة ومتطابقة مع آراء الجماعة وإذا قلت أو إنخفضت كفاءة المرء عن أداء بعض المهام الخاصة بالجماعة ، فإن ذلك يؤدى بدوره إلي التقليل من إمكانية حدوث « المسايرة » .

رابعا : إجماع آراء الجماعة « Unanimity of group » :

تؤدى ضغوط عملية « المسايرة » في الجماعة إلى إتفاق الآراء بالإجماع

لآراء تدعيم رأى أو موقف ، وإذا كان ذلك كذلك فما هو موقف أفراد الجماعة المعارضة لآراء الآخرين ويساندهم أحد الحلفاء فى الجماعة والمعروف باسم السند الإجتماعى Social Supporter الذى يتفق معهم قلبا وقالبا ؟ إن مجرد وجود هذا السند الإجتماعى الذى يدعم وجهة النظر غير المقبولة من الأفراد فإن ذلك كفيل بتخفيض ضغوط عملية « المسايرة » «ليفاين Levine ، ١٩٨٩ » .

والمعروف أن السند الإجتماعى » هو الشخص المشارك لبعض الأفراد فى جماعة ما ، ويؤيد وجهة النظر غير المقبولة شعبيا بالإضافة إلى إتجاه أفراد الجماعة الأخرى ، ولذلك فهو يشجع على أسلوب « المغايرة Nonconformity » ، وإختلاف الآراء وعدم «المسايرة» .

الفروق الجنسية فى المسايرة بين الوهم والحقيقة .

ونتساءل فى هذا المجال : هل النساء أكثر مسايرة وطواعية عن الرجال ؟ للإجابة على هذا السؤال نلاحظ أن المرأة صارت تتأرجح مرة إلى الوراء وأخرى إلي الأمام وذلك إبان العقدين الأخيرين ، منذ سنوات عديدة كان الرأى السائد بأن النساء أكثر مسايرة من الرجال ، وظل هذا الرأى معروفا ومتفقا عليه من الجميع حتى أواخر السبعينات من هذا القرن « آلان Allen ، ١٩٦٥ » وبعد ذلك ظهرت حقيقة علمية أكيدة تشير بأن التباين القائم بين درجة تأثر ومسايرة الرجال ودرجة تأثر ومسايرة النساء ماهو إلا تباين وإختلاف ظاهرى أكثر منه حقيقي ، فعلى سبيل المثال ظهر أن المهام والموضوعات المستخدمة فى تجارب عملية المسايرة كانت غالبا مألوفة ومعروفة للرجال أكثر من النساء .

إن عدم الألفة قد أدت بالنساء إلى أن يصبحن أكثر مسايرة وذلك بسبب مشاعرهن التى تفتقر إلى الخبرة والممارسة والمهارة وليس بسبب أى ضغوط أو ميول داخلية أو عوامل فطرية « إيجلى Eagly ، كارلى Carly ، ١٩٨١ » هذا ومازال الجدل محتدما حول عملية المسايرة لدى الرجال والنساء حيث تشابكت وجهات النظر وعاد بنا العلماء إلى الإستنتاج القديم القائل بأن النساء أكثر مسايرة وطواعية عن الرجال وأن الميل نحو عملية المسايرة من جانبهن يصبح مستقلا نسبيا عن المهام أو

الموضوعات التى يتم تنفيذها « إيجلى Eagly ، ١٩٨٩ » ومن الأسباب التى تدفع بالنساء إلى المسايرة ، القيام بعمل ماهو متوقع منهن من الناحية الإجتماعية وإيحاء المجتمع إليهن بأن يصبحن أكثر إنسجاما مع الآخرين بالمقارنة بالرجال ، كما أن النساء - أيضا - أكثر تعرضا للمؤثرات الإجتماعية أكثر من الرجال ومازالت النتائج فى هذا الموضوع متأرجحة ومعلقة .

القبول والخضوع للضغوط الإجتماعية المباشرة .

عندما نناقش عملية المسايرة فإن ذلك لايعني أننا نخضع للأمر المباشر أو لقدر من الضغوط الإجتماعية وإنما ذلك يهدف أولا وقبل كل شئ إلى دفع الشخص إلى إتخاذ مسلك معين بطريقة معينة فى موقف معين ، ويطلق علماء النفس الإجتماعى على نمط السلوك الذى يبدو كاستجابة للضغوط الإجتماعية اسم « القبول والخضوع للضغوط الإجتماعية » .

طريقة التعامل قرب الأعتاب تمهيدا للدخول من الباب .

ومضمون هذه الطريقة يكمن فى تطور المطلب الصغير حتى يتحول إلى مطلب كبير مثال ذلك : يمر أحد البائعين ببابك ويعطيك عينة من بضاعته فتتقبلها شاكرا لأنك لن تخسر شيئا وبعد فترة قصيرة من الوقت يمر عليك مرة أخري بهدف مطلب أكبر وشراء كمية أكثر من بضاعته وهنا تجد نفسك فى موقف الحائر المتردد لأن من وافق على قبول المطلب الصغير عليه أن يقبل مضطرا المطلب الكبير .

إن ظاهرة « من الأعتاب إلي الأبواب » كانت حصيلة دراسة أجراها جماعة من الباحثين راحوا يطرقون الأبواب بهدف توقيع السكان على إستمارة وشكوى إلي المسئولين بالحكومة للمطالبة بسن قوانين جديدة لتحقيق الإنضباط فى الشارع وتوفير سبل الأمن والأمان أثناء قيادة السيارات « فريدمان Freedman ، فريزر Fraser ، ١٩٦٦» وبعد تحقيق هذا المطلب البسيط من جانب الحكومة للمواطنين طالب معظم السكان السماح لهم من المسئولين بوضع لافتة كبيرة وبعض اللوحات الإشارية لسائقى السيارات تحثهم على تهدئة السرعة والسير ببطء أمام المدارس

الحدائق حرصا على الأطفال وهنا نجد أن نسبة الإستجابة أو القبول للمطالب لكبيرة لدى بعض الناس تصبح منخفضة إذا لم يتعرض بعض الأفراد من هؤلاء لناس للمطالب الصغيرة « بيمان Beaman ، ١٩٨٣ » .

إن إشتراك الفرد فى المطالب الصغيرة تجعله أكثر إلتزما بعد ذلك وقبولا لأى طالب أخري فيما بعد ، ويرجع السبب في حدوث هذه الظاهرة وفاعلية هذا لأسلوب إلى الإدراك الحسى الذاتى والملاحظة الذاتية « ديلارد Dillard ،١٩٩١» .

طريقة فتح الأبواب للحصول على السراب .

وتعتمد هذه الطريقة على تقديم مطلب كبير ثم التقدم بعد ذلك بطلب صغير ، فقد يأتى أحدهم طالبا منك أن تقرضه مائة جنيها مصريا ، فترفض طلبه لأن المبلغ غير متوفر معك الآن مثلا ثم يبدأ هذا الشخص فى المساومة والإلحاح فى طلبه حتى يصل المبلغ المطلوب إلى عشرة جنيهات فقط-إن الغالبية العظمى من الناس - فى مثل هذه الحالات - قد تبدى قدرا كبيرا من القبول والخضوع فى حالة إقراض الآخرين مبلغا بسيطا بعكس طلب المبلغ الكبير والواقع أن هذه الطريقة تقوم على إستراتيجية تختلف تماما مع الطريقة السابقة التى تعرف باسم « طريقة التعامل قرب الأعتاب » .

وخلاصة القول ان الناس على إختلاف إتجاهاتهم وثقافتهم يستجيبون بطريقة مرنة وبسيرة للمطالب الصغيرة وهذا من ناحية كما يرغبون فى المحافظة على مظاهر شخصيتهم أمام الآخرين وهذا من ناحية أخرى ويرجع أثر هذه الإجراءات وأهميتها فى أن كلا من الطرفين يقدمان تنازلات ليصل الأمر فى النهاية إلى حل وسط بعد الإقلال من حجم المطلب .

الطاعة : مطاوعة الأوامر المباشرة .

يقوم بعض الناس بإستخدام أساليب المطاوعة والمرونة بهدف التوصل إلى إتفاق مع الطرف الآخر حيث أن أساليب الإمتثال للأوامر تؤدى بالطرف الآخر إلى

الإستجابة للمطلب بطريقة ودية وسريعة وفى بعض المواقف الآخرى يتعين على الشخص أن يمتثل للأوامر الصادرة من السلطة مثلا أو من الإدارة فى العمل أو أصحاب النفوذ وعادة ما تكون هذه الحالات من الإمتثال والإذعان أقل شيوعا من عملية الإستجابة بطريقة المطاوعة العادية .

هذا وقد أجريت بعض التجارب العلمية فى مجال عملية المطاوعة والإذعان ومنها على سبيل المثال تجربة « جهاز الصدمات الكهربائية » وإصدار بعض الأوامر لعدد من الأشخاص بتشغيله عليهم ، وبعد تنفيذ الأوامر كان هناك شخص يجلس فى الجهة المقابلة للجهاز وقام بتمثيل دور المتضرر الذى أصابه ألم شديد من شحنة كهربائية عالية ، والحقيقة أنه لم يصب بأى سوء على الإطلاق هذا وقد إستجاب بعض الأفراد للأوامر لأنهم توقعوا أن إلقاء اللوم كله سيوجه إلى صاحب التجربة الذى قام بتشغيل الجهاز ، والواقع أنه قد أثيرت بعض التساؤلات الأخلاقية المرتبطة بطريقة إجراء هذه التجربة الخاصة بتمثيل عملية الطاعة والإمتثال للأوامر ومقارنة حقائق إجراء التجربة والسلوك الواقعى للأفراد ، إن أوجه هذه المقارنة قد تثير بعض المخاوف حيث أن إطاعة الأوامر الصادرة من السلطات تعتبر واجبة النفاذ وضرورة حتمية للطاعة العمياء ، مثال ذلك أن ضباط هتلر أثناء الحرب العالمية الثانية قد قاموا بتبرير موقفهم وسلوكهم وأفعالهم بالقول بأنهم كانوا ينفذون الأوامر .

وهكذا رأينا كيف يصبح الناس عرضة لتأثيرات الآخرين سواء كانت المؤثرات غير مباشرة نسبيا مثل الضغوط الذاتية المؤدية إلى الطاعة والإذعان والخضوع.وقد تكون التأثيرات مباشرة من خلال أوامر واضحة وكيف يمكن للشخص أن يحافظ على الإستقلالية في مواجهة هذه النوعيات من الضغوط ؟ إن نظريات علم النفس الإجتماعى وبحوثه التى أجريت فى هذا المجال توحى إلينا بإمكانية إستخدام بعض الأساليب التى تساعد الفرد علي المحافظة على درجة تمسكه بوجهة نظره الخاصة به.

مثال ذلك « التطعيم » فالفرد قد يحصل على التطعيم تجنبا من الإصابة ببعض الأمراض حيث أن اللقاح يحتوي علي جرعة بسيطة من الجراثيم التى تجعل الجسم يقوم بإفراز الإجسام المضادة التى تتصدى بدورها لأى غزو تقوم به الجراثيم مستقبلا إذا ما تعرض الفرد لأى مرض وبائى وعلى نفس المنوال ، يمكن الحفاظ

على إستقلالية الأفراد فى آرائهم وإتجاهاتهم وحمايتهم من محاولات الإقناع المشبوهة والمغرضة التى تحدث لهم فيما بعد بتعريض هؤلاء الأفراد لعينة من المناقشات المضادة التى تصادفهم فى المستقبل بالأضافة إلى تزويد هؤلاء الأفراد بالمعلومات الضرورية لدحض هذه المناقشات الخاوية تجنبا ووقاية لهم من المخاطر والمحاذير .

وإذا كانت موضوعات الإقناع لأى فرد هامة بسبب التأثير الإجتماعى ووفرة المعلومات عن رسالة ما ، فإن مجرد إخباره بأن هذه الرسالة فى طريقها إليه فلاشك أن ذلك يؤدى به نحو الإقلال من إمكانية حدوث تغير فى الإتجاهات الفكرية لدى الفرد ، ويعزى ذلك إلى أن الناس عندما يتلقون معلومات مضادة لإتجاهاتهم الفكرية ، فإنهم يميلون عندئذ إلى تعديل وتطوير سلوكهم وتكوين مناقشات جديدة خاصة بهم بهدف تدعيم إتجاهاتهم الفكرية الأصلية .

الثبات على المبدأ .

إن عملية الثبات على المبدأ التى تتسم بالتناغم والتماسك مع الفرد وغيره من الأفراد تلعب دورا مؤثرا فى الإقلال من قدرة الخصم على الإقناع بوجهة النظر المضادة وإحداث تغير فى الإتجاه الفكرى للفرد القائم بعملية الإقناع ، وفى مثل هذه الظروف نجد أن غالبية من الناس يصبح لها تأثيرا ونفوذا على بعض الأقلية منهم بيد أن ثبات الأقلية على وجهة نظرها قد يؤدى فى واقع الأمر إلى إحداث تغير فى الإتجاهات الفكرية الخاصة بأعضاء الغالبية العظمى « كلارك Clark ، ماآز Maass ، ١٩٩٠ » وكلما قامت الأقلية بتكرار وجهة نظرها دون كلل أو ملل فإن الغالبية تعيد التفكير في موقفها ، وقد يؤدى ذلك إلى غلبة وهيمنة الأقلية وتمكنها من إقناع الغالبية بأن الأقلية على حق ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة والله غالب على أمره .

هذا وفى عام ١٩٨٠ قام عالم النفس الإجتماعى « إدوين هولاندر Edwin Hollander » بوضع نفسه فى مثل المواقف التى يجد فيها ذاته في مواجهة مجموعات تحاول فيها الأقلية المحافظة على الإستقلالية الخاصة بها في مواجهة

الموقف الذى إتخذته الأغلبية ، ويرى « إدوين هولاند » أن الأفراد فى بداية الأمر يتعين عليهم أن يخضعوا ويمتثلوا للأمر ويكيفوا أنفسهم إستعدادا للعمل طبقا لوجهات نظر الآخرين وبعد أن يحرزوا مكانة مرموقة فى الجماعة بكفاءة وإقتدار يشرعون فى إتخاذ سلوكيات مستقلة وإعتناق أفكار وآراء ووجهات نظر وإتجاهات فكرية مستقلة وطبقا لنظرية « إدوين هولاند » فإنه من الأفضل أن يقوم الأفراد بالإمتثال والخضوع لآراء الآخرين فى بداية الأمر بدلا من التمسك برأى خاص يختلف عن آراء الآخرين ويقوموا بعد ذلك بوضع إستراتيجية خاصة ذات منظومة يندرج تحت لواءها : الولاء والإخلاص والتصديق والإيمان ، ودفع الآراء الخاصة بالأقلية وعرضها علي الأغلبية .

الحب والتشابه : الجاذبية البينشخصية وتنمية العلاقات الإنسانية .

كتبت الشاعرة الأمريكية فى القرن التاسع عشر « إليزابيث باريت براوننج Elizabeth Barrett Browning » كتبت تقول فى إحدى قصائدها : «كيف أحبك ؟ دعنى أحصى لك الوسائل والأسباب ? How do I love thee let me count the ways » كما أن نفس هذه المشاعر الجميلة والأحاسيس المرهفة قد صاغها شعرا بعض الشعراء والشاعرات المصريات والعرب من أمثال : أمير القوافى شوقى ورامى ، وعلى محمود طه شاعر الجندول والشاعرة الإسلامية علية الجعار وملك عبد العزيز والشاعرة العراقية المعاصرة نازك الملائكة ، إن أشعار أولاء وهؤلاء يعبر تماما عن المشاعر والأحاسيس المعبرة عن موضوعات أساسية بالنسبة لنا كبشر فى حياتنا اليومية ، ولقد إهتم علماء النفس بوجه عام وعلم النفس الإجتماعي بوجه خاص بمسألة المشاعر والأحاسيس وقدموا لنا أبحاثا فى مجال الحب والكراهية ويندرج هذا الموضوع تحت أنساق « الجاذبية البينشخصية Interpersonal Attraction » التى تساعد على تكوين مشاعر إيجابية نحو الآخرين ، من ذلك مثلا : كيف يحدث « التجاذب » بين الغرباء برغم إختلاف اللغة والسلالة والموطن والإتجاهات ؟ يرى المشتغلون بعلم النفس الإجتماعى أن العلاقات الحميمة بين الناس بعامة وبين الغرباء بخاصة تعزى إلى : التقارب فى

الزمان والمكان ، فالأفراد الذين يعيشون فى مكان واحد مثل طلاب المدينة الجامعية يحدث بينهم « تجاذب » فى شكل صداقة أو مودة أو زمالة أو حب ، كما أن قرب مكان السكن من الآخرين يجعلنا نتفاعل معهم ونتصل بهم ونتواصل نحوهم .

هذا ومن العوامل الأخرى التى ترجع إليها « عملية التجاذب » عامل عرض الذات والتعرض للآخرين حيث إن عرض الشخص نفسه مرارا وتكرارا كفيل فى حد ذاته بحدوث حالات « التجاذب بين الأفراد » وقد يكون التعرض أو الكشف عن الذات فى شكل صورة فوتوغرافية أو شريط تسجيل أى فى شكل صوت أوصورة وعن الصوت نقول : يلعب الصوت دورا كبيرا فى عملية التجاذب بين الناس ولاسيما إذا كان على هيئة «مكالمة تليفونية » أو النغم الحالم فى أغنية عاطفية أو نبرات صوت محاضر في محاضرة علمية.ولاغرو فى ذلك فقد عبر عن ذلك أصدق تعبير « أبو العلاء المعرى » حين أنشد قائلا :

ياقومى أذنى لأهل الحى عاشقة ∴ والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وبالجملة فإن كل هذه العناصر التعبيرية تزيد من إثارة المشاعر الإيجابية بعكس المشاعر السلبية البغيضة التى تؤدى إلى التنافر والكراهية .

والعامل الثالث الذى يؤدى إلى عملية التجاذب بين الناس هو عامل «التشابه Similarity » وقديما قالوا « إن الطيور على أشكالها تقع » وليس هذا فقط فمن المعروف أيضا أن الأشياء المضادة لبعضها تنجذب لبعضها كالسالب والموجب فى عالم الكهرباء والفراشة تنجذب نحو الضوء الساطع فيحرقها ، وهذا فى علم الحشرات ، كما تزداد وتحدث ظاهرة المد والجزر كحالة جذب بين القمر والبحر فى الليالى القمرية وهذا بلغة « عالم البحار » فى الجغرافيا والطبيعة وغير ذلك من مظاهر الطبيعة في هذا الكون الرحب الفسيح فإذا كان ذلك كذلك فما بالك بالإنسان خليفة الله علي الأرض أليس هو أولى وأحق « بالجاذبية الثنائية » بينه وبين الآخر أو الآخرين وأحق بالحب والمودة والأنين ؟ إن معظمنا كبشر خلقه الله وسواه وجعله في أحسن تقويم قد تجذبه « الكلمة الطيبة » أو « البسمة الساحرة » أو « النظرة الحانية » أو « نبرة الصوت المميزة » .

وجملة القول أننا نميل إلى من يتشابه معنا فى الإتجاهات الفكرية والقيم والآراء والمعتقدات وسمات الشخصية ، إن كل هذه العوامل تؤدى بالفرد نحو محبة

الشخص الآخر ، وكلما زاد التقارب ماديا ونفسيا بين فردين أو شخصين كلما تعمق الحب والإعزاز بينهما وأصبح الكل فى واحد « كارلى Carli ، جانلى Ganley ، بيـريز أوتاى Pierce - Otay ، ١٩٩١ » إننا نميل إلى حب من يبـادلنا الحب فتبادل الحب بين الحبيب والمحب ما هو إلا عملية إنصهار بين روحين ، وحالة « وجد » بين إثنين وتجسيد التشابه فى قلبين لتتحقق إرادة حب الحياة والناس بالتواصل والتفاعل والتجاذب والتعارف طبقا لما جاء فى محكم التنزيل « ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وإنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

أما عن العامل الرابع والأخير المؤدى إلى عملية التجاذب فهو ما يعرف باسم «الحاجة إلي التكملة Need complementarity » وإستثناء للقاعدة التى تقول بأن التشابه يرتبط دائما بعملية التجاذب إلا أننا نجد بعض الأزواج المختلفين عن بعضهم البعض فى الإتجاهات الفكرية وسمات الشخصية والإهتمامات الإجتماعية ولكن الحب بينهما قائم لأن كلاهما يعتبر نفسه« مكمل» للشخص الآخر.

ويرى علماء النفس الإجتماعى أن إنجذاب شخصية لشخصية أخرى مختلفة عنها تماما ، إنما يعزى ذلك إلى الوفاء بالمتطلبات أو الإحتياجات التى يلبيها الشريك الآخر ومن ثم فإن الشخصية المسيطرة قد تنجذب إلى الشخصية المطيعة الخاضعة ، وعلى النقيض من ذلك فقد تبحث الشخصية الواهنة الضعيفة عن شخصيه مسيطرة قوية بهدف الحاجة إلى التكملة ويكمل أحدهما الآخر .

وهناك فرض ينادى بأن الناس على إختلاف إتجاهاتهم وميولهم ينجذبون نحو الشخص الذى يفى بمطالبهم ويلبى إحتياجاتهم ، ويعرف هذا الفرض باسم « فرض الحاجة إلى التكملة Need - complementarity Hypothesis » وقد ظهر هذا الفرض لأول مرة عام ١٩٥٠ من خلال الدراسات الكلاسيكية التى أجريت فى أواخر الخمسينات من هذا القرن وإكتسب هذا الفرض مصداقية وقتذاك فى بعض النواحى والمجالات الأخرى ، مثال ذلك إن تلاميذ المدارس الإبتدائية المتفوقين أكاديميا يكونون صداقات حميمة مع التلاميذ ذوى المواهب الفنية كالرسم والتصوير والموسيقى لأن الفن يكمل العلم والأخلاق تكمل الدين والإعجاب يكمل الحب وهكذا ، بيد أن الإرتباط القائم بين عملية التجاذب وعملية إشباع الحاجات المكملة لبعضها يعتبر أقل بكثير من الإرتباط القائم بين عملية التجاذب والتشابه ، وهذا

يعنى أن الجاذبية البينشخصية تعتمد إلى حد كبير على أوجه التشابه بين الشخصيات ولاتعتمد كثيرا على مسألة الوفاء بالإحتياجات أو المتطلبات أو فكرة الشخصية المكملة للأخرى .

الجاذبية الجسمية :

إن المعادلة القائلة بأن الشئ الجميل هو الشئ الحسن هى معادلة حقيقية بالنسبة لمعظم الناس ونتيجة لذلك فإن الأشخاص الذين يتمتعون بشكل جذاب هم أكثر شهرة من الذين لايتمتعون بهذه الجاذبية فى الهيئة والشكل إذا تساوت جميع العوامل الأخرى .

والواقع أن الإرتباط بين جاذبية الشكل من ناحية والشهرة من ناحية أخرى يتناقض مع القيم الخاصة بمعظم الناس ويبدو ذلك واضحا جليا أثناء مرحلة الطفولة وفترة مدارس الحضانة والتعليم الإبتدائي حيث تعتمد شهرة الطفل على مايميزه من جمال بدنى وجاذبية فى الشكل ، ويستمر هذا الإرتباط حتى مرحلة البلوغ ، وليس هنلك أدنى شك فى أن الجاذبية الجسمية من ناحية والملامح الجمالية للشخص من ناحية أخرى تسهم بنصيب وافر فى تكوين الصداقات والعلاقات الطيبة فى الجامعات ، برغم أن أثر هذا العامل يقل تدريجيا بعد ذلك حينما يتعرف كل طرف على الطرف الآخر « هاتفيلد Hatfield ، سبريشر Sprecher ، ١٩٨٦» .

ومن الأشياء الملحوظة المرتبطة بالجاذبية الجسمية هو إتفاق الناس جميعا على مكونات الجمال إنهم يتفقون بصورة واضحة على مايفضلونه من ناحية طلعة الوجه البهية وأبعاد الهيئة الجمالية « كننجهام Cunningham , باربى Bara-bee , بايك pike ، ١٩٩٠ » .

وعموما فإن الجاذبية الجسمية تلعب دورا حيويا فى حياتنا المهنية مثال ذلك نقرأ كثيرا فى إعلانات الصحف والمجلات عن شروط بعض الوظائف والمهن ومنها سكرتيرة حسنة المظهر ، ضابط أمن بإحدى الشركات الكبرى ويشترط : أن يكون قوى البنية وفارع الطول حسن المظهر وهكذا ، وتبدأ عناصر التفضيل في مرحلة مبكرة من العمر فى حياتنا النفسية وبرغم أن الجاذبية الجسمية تمنح صاحبها مميزات كبيرة إلا أن لها - أحيانا - بعض المساوئ وقد يراها البعض بأنها « منحة »

ويراها الآخرون « محنة » بمعنى أن الجمال قد يكون جناية ووبالا على صاحبه وعقبة كئود فى علاقاته الإجتماعية وحياته المهنية.مثال ذلك أن الأفلام السينمائية المحلية والعالمية زاخرة بالعديد من قصص وروايات الفتيات الجميلات جمالا أخاذ وذات جاذبية أنثوية طاغية وجنى عليهن جمالهن جناية فادحة ، وليس الأمر قاصرا فقط على النساء والفتيات ولكنه يمتد أيضا إلى الشباب والرجال ، مثال ذلك : جمال سيدنا يوسف بن يعقوب وما سببه له من صراع وعقبات ودخول السجن بسبب زوجة العزيز وحبها له وهيامها به لجماله الملحوظ والمعروف.وليست قصة « نصر بن حجاج » فى عهد الفاروق عمر بن الخطاب ببعيدة أو مجهولة حيث كان أحد الشباب الذى يتمتع بجمال الوجه وتناسق الجسم ، وغزارة شعره كرمز للرجولة ، مما أدى بنساء المدينة أن تفتتن به حبا وشغفا فما كان من عمر إلا أن نفاه خارج المدينة وقاية للنساء من شر هذه الفتنة وحفاظا عليهن.وقد صاغ هذه الحادثة شعرا حافظ إبراهيم شاعر النيل فقال :

جنى الجمال على «نصر» فغربه ∴ عن المدينة تبكيه ويبكيها
وكم رمت قسمات الحسن صاحبها ∴ وأتعبت قصبات السبق حاويها
وزهرة الروض لولا حسن رونقها ∴ لما استطالت عليها كف جانيها

إن المنظر الحسن عند الرجال قد يعطى إنطباعا إيجابيا ، فى مواقع العمل بعكس المرأة الجميلة فى مواقع العمل الإدارية فإن جمالها لايجلب إنطباعا إيجابيا. ويعزى ذلك إلى أن الناس يعتقدون بأن المرأة الجميلة قد أحرزت مكاسب مادية ، وحصلت على مكانها فى العمل عن طريق جاذبيتها الجسمية الأنثوية وجمالها الملحوظ . « هيلمان Heilman ، ستوبيك Stopeck ، ١٩٨٥ ، سيكل هارت Schellhardt ، ١٩٩١ » وخلاصة القول أن الجمال والجاذبية يلعبان دورا حيويا فى المواقف الإجتماعية كما يعتبران عنصرا قويا فعالا فى تحديد أنماط الأشخاص

الذين نشعر بالتجاذب نحوهم وبالتالى فإن الجمال يؤثر بلا أدنى شك على نوع الحياة الإجتماعية التى يعيشها الناس وعلى تكوين علاقة الصداقة بوجه خاص ،هذا ومن الدراسات التى أجريت فى هذا المجال تلك الدراسة الخاصة بالصفات

الواجب توافرها فى الصديق فقدتم توجيه بعض الأسئلة وتطبيق إستبيان على حوال «٤٠٠٠٠ شخص « أربعون ألف شخص » لمعرفة شروط وأنواع الصداقة والأصدقاء ،
وكانت أهم الصفات التى ذكرها المستجيبون لهذا الإستبيان تلك الصفات العشر الآتية مع بيان نسبتها المئوية :

- الثقة وتوفر المصداقية . ٩٠ ٪
- الإخلاص فى التعامل مع الأشخاص . ٨٨ ٪
- العطف والشعور بالناس . ٨٥ ٪
- المجاملة ومساعدة الناس فى المواقف الصعبة . ٨٠ ٪
- الوضوح والصراحة مع نفسه ومع الناس . ٧٨ ٪
- المرح وخفة الظل والإحساس بروح الفكاهة . ٧٦ ٪
- الرغبة فى قضاء وقت ممتع . ٦٥ ٪
- الإستقلالية . ٦٤ ٪
- الجودة فى الحوار المفيد . ٦٢ ٪
- الذكاء . ٥٨ ٪

وبرغم كثرة وتنوع المعلومات عن الوسائل التى تجعل الناس يحبون بعضهم بعضا إلا أن مانعرفه عن الحب يعتبر محدودا لدرجة كبيرة ويعتقد علماء النفس الإجتماعى أن ظاهرة الحب من الظواهر التى يصعب ملاحظتها ودراستها بالطرق العلمية الدقيقة ، ومن ثم حاول هؤلاء العلماء إجراء المزيد والكثير من الدراسات والبحوث فى هذا المجال ، وبدأوا يقارنون بين السمات المميزة للميل والهوى وبين الحب الناضج ، وكانت النتيجة أن الحب لا يعنى القدر الأكبر من درجة الميل ، وإنما يعكس دلالة نفسية وحالة وجدانية من ناحية النوعية والخصائص ، مثال ذلك أن الحب فى مراحله المبكرة يتضمن إستثارة مكثفة وإهتمام كبير متبادل بين الطرفين وخيال خصيب وتقلب سريع في العواطف وكما يقولون «ما سمى القلب قلبا إلا لأنه يتقلب » والتقارب والإعجاب والرغبات والرعاية والعناية والإهتمام .

ويظهر الحب واضحا جليا بين طرفين عند مجابهة الخوف من بعض الأخطار ، وقد يجد أحد الطرفين نفسه فى بعض المواقف التى تجلب له « الإثارة الفسيولوجية » وهنا يدرك الطرفان بأن ذلك يعزى إلى مشاعر الحب وأحاسيسه ، والواقع أن بحوث ودراسات علماء النفس ، قد أكدت أن هناك الكثير والمثير من أنماط وأشكال الحب « فهر Fehr ، راسل Russell ، ١٩٩١ » .

هذا وقد إهتدى الباحثون إلى أن هناك نوعين من أنواع الحب هما :

الحب العاطفى الرومانسى ، والحب العائلى الكبير ، ويمثل النوع الأول العاطفة المحمومة وحالة من إستغراق وإنهماك الذات والذوبان فى الطرف الآخر. وإثارة فسيولوچية عميقة ومكثفة فضلا عن الإهتمام النفسى مع الوفاء بمتطلبات الطرف الآخر

وعلى العكس من ذلك فإن معنى الحب العائلى الكبير ما هو إلا مجموعة عواطف وأحاسيس ومشاعر قوية نحس بها نحو الأشخاص الذين نرتبط بهم إرتباطا قويا أبديا مثل حب الوالدين والأخوة والأخوات والأصدقاء المقربين .

وفى عام ١٩٨٦ قام عالم النفس الإجتماعى « روبرت ستيرنبرج Robert Sternberg » بالتفرقة بين أنواع الحب التى تقوم على تصنيف دقيق مؤداه أن الحب الصادق يتكون من ثلاثة مكونات أو عناصر أساسية هي :

١ - العنصر الأول :

وهو عنصر الألفة والمودة ويحتوى على دوافع مختلفة مثل الجنس والتقارب الجسمى والرومانسية الحالمة .

٢ - العنصر الثانى :

هو عنصر الهوى والهيام ويتكون من الحوافز الدافعية المرتبطة بالجنس والتقارب الجسدى والإلتصاق الروحى والوجد المحموم وإنعدام الوزن والخيال الشفيف .

٣ - العنصر الثالث :

وهو عنصرالإلتزام وإتخاذ القرار ، ويشتمل علي الإدراك والمعرفة المبدئية من

جانب أحد الأطراف نحو الطرف الآخر ، وبالتالى يبدأ الإحساس بالحاجة إلى الإلتزام والإرتباط الشرعى بالطرف الآخر علي المدى الطويل بهدف المحافظة على دوام هذا الحب .

الخصائص الواجب توافرها فى الشريك .

قام علماء النفس الإجتماعى فى الآونة الأخيرة بإجراء دراسة بحثية على عشرة آلاف شخص فى أنحاء العالم بهدف تحديد الصفات المرغوبة فى شريك الحياة وأوجه التفضيل المختلفة ، وطبقت الدراسة على مجموعة من الأزواج والزوجات فى كل من : الولايات المتحدة الأمريكية ، والصين ، وجنوب أفريقيا ، وتمخضت الدراسة عن أن الإختلافات وأوجه التفضيل تعتمد كثيرا على الثقافة والجنس «النوع» .

ففى الولايات المتحدة الأمريكية كان الإهتمام يتركز كلية على « الجاذبية المتبادلة فى الحب » أما فى الصين فنجد أن الرجال يهتمون بوضع معايير هامة مرتبطة بالصحة الجيدة ، بينما يهتم النساء بالإستقرار العاطفى والنضج العام .

وفى جنوب أفريقيا يهتم الذكور بالإستقرار العاطفى ، أما النساء هناك فتهتم بالشخصية المستقلة المعتمدة على نفسها ، وهناك الكثير من الخصائص الأخرى التى ورد ذكرها فى عينة البحث ومنها : التجاذب المتبادل والشخصية المرحة والميل نحو السرور والثقافة والذكاء و الصحة الجيدة و حب العشرة والإهتمام بالمنزل والأولاد والطموح والقدرة على إدارة المنزل والمكانة الإجتماعية المرموقة والعفة والطهارة ، وخلفيات سياسية مشتركة وخلفيات دينية متشابهة .

أسباب إضمحلال العلاقة الإجتماعية .

فى عام ١٩٨٣ قدم عالم النفس الإجتماعى « جورج ليفنجر George Levinger » نظرية تتعلق بالأسباب الكامنة وراء إنخفاض مستوى العلاقة الإجتماعية وإضمحلالها فوجد أن أهمها يرجع إلى : عدم الإتزان الإنفعالى من أحد الأطراف أو فقدان السيطرة على الموقف ، وكذلك السلوك المستهجن الذي يعوزه

الذوق والكياسة فضلا عن كثرةالنسيان من جانب أحد الأطراف حيث أن هذه الأسباب تعنى عدم المبالاه وضحالة الثقافة وإستخدام الألفاظ السوقية البدائية وعدم الإهتمام بالشريك الآخر.ومن ثم تضطرب العلاقة بين الشريكين وتصاب بالوهن والتشتت والضياع والإغتراب و يأتى بعد ذلك كل طرف فى مهب العاصفة الزوجية ليبرر أفعاله وأعماله وأنه على حق ، ومن ثم يتدخل بعض الأشخاص الآخرين بين الشريكين لإصلاح ذات البين ولكن الفجوة تتسع والخلافات تتعمق ويحدث فى هذه المرحلة أن يقرر أحد الشريكين بأن الحياة الزوجية لايمكن أن تستمر، ويقول آخر بأن الحياة مستحيلة مع الشريك الثانى ، ويرد الأول قائلا : بأنه لا يستطيع أن يتسامح مع الطرف الآخر على ما حدث منه وفى هذا الموقف إما أن

تعود العلاقة سيرتها الأولى ولكن بشئ من الفتور ، وإما أن تنتهي نهاية أخيرة بالإنفصال وينفض السامر ويسدل الستار إيذانا بنهاية الرواية الدرامية ، ولله فى خلقه شئون ! والواقع أن المجتمعات الغربية والأمريكية تتحول فيها العلاقات الزوجية بعد الإنفصال الشرعى ، وبعد علاقات الحب تتحول إلى علاقة صداقة مع تبرير الأسباب والعلل الخاصة بأحداث مرحلة النهاية الدرامية وتضميد الجراح وبداية علاقة الصداقة المصحوبة بالإستقلال النفسى والمادى ، والحنين إلى الأيام والليالى الخوالى والبكاء على اللبن المسكوب ! !

العدوانية والسلوك الإجتماعى المرغوب
معاملة الناس بين الضرر والمساعدة .

فرق كبير بين إيقاع الأذى والضرر بالناس ، وبين مساعدتهم ومد يد العون لهم فى شدتهم ومحنتهم ، إن حب الناس والحفاظ عليهم والدفاع عنهم وقت المحن أولى وأهم فى الشدائد عن مساعدتهم وقت الرخاء .

وهناك قاعدة فقهية تقول « درء المخاطر مقدم على جلب المنافع » وإذا كانت الطبيعة الإنسانية قائمة على العدوان والعنف والأنانية فما على الإنسان المؤمن ذو الخلق القويم والمحتد النبيل ، إلا أن يدفع الأذى والمضار عن الناس وقت الحاجة وأن يساعدهم فى شئونهم كلما وجد إلى ذلك سبيلا ، وهناك من الدوافع النفسية

والإنسانية ما تجعل الإنسان يهب لمساعدة الآخرين ومن الدوافع ما يدفع إنسانا آخر إلى ضرر الناس ويهلك الحرث والنسل ويعيث فى الأرض فسادا ، وهنا نتساءل : أيهما أنفع للناس ؟ وأيهما أولى بالإحترام والوقار والإجلال ؟لاشك فى أن الإنسان الحريص على آداء مصالح الغير الذى يعيش مشاكلهم ويحس بنبض أوجاعهم ويشاركهم فى المسرة والمضرة هو خير لهم . وخير الناس أنفعهم للناس بعكس الإنسان الشرير الذى يتميز « بالسادية» وهى الولع والإحساس باللذة والسعادة فى تعذيب الناس وإرهابهم .

إن تقديم يد المساعدة للناس فى النكبات ما هو إلا الجانب المشرق للطبيعة الإنسانية ، كما أن إيقاع الضرر بالناس وقتلهم وسفك دمائهم ، هو الجانب الكئيب القاتم للطبيعة الإنسانية ، وقد حدث هذا كمثال حقيقى حى فى سقوط إحدى العمارات فى الآونة الأخيرة ، فمن الناس من هب لنجدة المنكوبين ومساعدة الجرحى والبحث عن أطفال الأسر المفقودة وتقديم الأغذية والأدوية والإسعافات الأولية والبطاطين والملابس وهذا هو الوجه المشرق الجميل لطبيعة الإنسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم ، وفى هذا الموقف كان هناك إنسان آخر يسرق أمتعة المفقودين وهذا هو الوجه الأسود القاتم القبيح لطبيعة الإنسان الآخر الذى قال فيه الحق فى قرآنه العظيم : « ثم رددناه أسفل سافلين » .

هذا وقد نذر علماء النفس الإجتماعي أنفسهم من أجل دراسة وبحث حالات التشاؤم والسلبية والأنانية والإتكالية والعدوانية فى المجتمعات الإنسانية بعامة ، والجماعات السلالية والأقليات العرقية بخاصة.ووجدوا أن كل هذه الأمراض الإجتماعية التى إجتاحت الإنسانية جمعاء كوباء منتشر ولهيب مستعر كان سببها إفرازات مجتمعية سامة أفرزتها النظم السياسية والإقتصادية المعاصرة التى تتغير كل بضعة أعوام تقريبا وأقصاها كل عشر سنوات وكانت النتيجة : الحروب المحلية والصراعات الأيدولوجية والنزاعات الحدودية بين بعض الدول وجيرانها ، المجاعات الإقليمية وموجات الهجرة الداخلية والخارجية وزيادة أعداد اللاجئين والأسرى والمفقودين وزيادة تصحر الأراضى الزراعية بسبب إضطراب الأحوال الجوية نتيجة إتساع فجوة فى طبقة الأوزون وتلوث البيئة الطبيعية والأنهار والبحار نتيجة إلقاء ودفن النفايات النووية دون أدنى إعتبار لحساب حدود المياه الإقليمية للدول المضارة

والتلوث السمعى نتيجة الزحام والضجيج وأصوات مكبرات الصوت وهدير الآلات والمعدات فى الورش والمصانع وآلات تنبيه السيارات والإستخدام غير الأمثل لأجهزة الإعلام المسموعة ، وما حدث مؤخرا لأجهزة شبكات « الأنترنت » من خدش الحياء والفوضى الأخلاقية .

إن هذا قليل من كثير فلماذا لا تصاب المجتمعات الإنسانية بمثل هذه الأمراض الإجتماعية ؟ وأخرى عضوية معاصرة مثل :

الإيدز والفشل الكلوى واللوكيميا « سرطان الدم » وأمراض الكبد الوبائى وسرطان الجلد وأمراض الجهاز الهضمى وثالثة نفسجسمية « سيكوسوماتية » مثل : قرحة الإثنى عشر والمعدة والصداع النصفى والإسهال والإمساك المزمن والأمراض الجلدية والذبحة الصدرية والأزمات القلبية والفئة الرابعة من الأمراض العصرية تكمن فى الإكتئاب والقلق والهوس والهستريا التحولية والهلاوس السمعية والبصرية وأخيرا إنفصام الشخصية ، وهناك نوع خامس من هذه الأمراض والإضطرابات هو « الإدمان » بكل صوره على مستوى العالم الحديث إدمان المسكرات والمخدرات على إختلاف أشكالها وهنا وقعت الواقعة وحدثت الطامة الكبرى فى معظم المجتمعات الإنسانية الصناعية والمتقدمة والنامية .

ويرى كاتب هذه السطور - حقا وصدقا - أن فارس هذه اللعبة المدمرة للإنسان والإنسانية هو «مهرج السيرك العالمي» «والمخرج السينمائي الدولى » من هو ؟ إنه « النظام العالمى الجديد » أو إن شئت فقل «الصراع الإديولوچى الشديد » .

ونعنى بمصطلح العدوان إلحاق الأذى بالغير لفظيا أو بدنيا عن إصرار وعمد. فإذا قلنا بأن المغتصب شخص عدوانى فلا نعنى مثلا الطبيب الذى يعالج مرضاه جراحيا مع إستخدام المخدر المطلوب ووجود الألم لدى المريض بعد إجراء العملية الجراحية ،

ويفسر علماء النفس والإجتماع العدوان من منظور المقاصد الكامنة وراء السلوك البشري فإذا كانت المقاصد الكامنة وراء السلوك منطوية على إلحاق الأذى المتعمد بالآخرين ، فإن ذلك يعتبر عدوانا ومن ثم فالمغتصب عدوانى ، والطبيب يمنع الألم ويطبب ويداوى ! !

مسالك الغريزة : العدوان كعملية تنفيس .

إن نظريات الغرائز ترى بأن العدوانية كامنة فى الإنسان ، حيث أن العدوان صفة متأصلة وفطرية فيه ويرى بعض علماء الحيوان الذين تخصصوا فى دراسة طباع الحيوان إن الإنسان مثل بعض فصائل الحيوانات لديه غريزة القتال والتدمير الذى تدفعه إلى إشعال معارك وحروب بين بنى البشر ، وكانت هذه الغريزة تساعد الإنسان البدائي فى الأزمنة السحيقة على المحافظة على مصادرالغذاء والتخلص من الأفراد الضعفاء .

والواقع أن نظرية « كونراد لورنرز Konrad lorenz ، ١٩٧٤ » ترى أن الطاقة العدوانية تزداد يوما بعد يوم داخل الإنسان حتى يتم « التنفيس » عنها بإفساح المجال أمام العدوانية للتعبير عن نفسها من خلال هذا « التنفيس ca-tharsis » هذا وكلما زادت فترة كبت مشاعر العدوانية كلما زاد حجمها عند عملية التنفيس عن نفسها وترى هذه النظرية أيضا بأنه يتعين على المجتمع إطلاق العنان للغريزة العدوانية لتصريف شحنات العدوان بالمشاركة فى الألعاب الرياضية والرحلات الخلوية التى يتخللها الجرى .

وبرغم أن نظرية « لورنز Lorenz » تنطوى على قدر من المنطق والعقلانية ، إلا أنه ليس هناك دليل علمى قاطع لإثبات صحتها نظرا لصعوبة التوصل إلى أدلة قوية تثبت وجود مستودع للمشاعر العدوانية المكبوتة داخل الإنسان .

كما أن هذه النظرية ترى فى النهاية أن الإحباط أو الفشل يؤدى عادة إلى العدوان . وما الإحباط سوى السد المنيع الذى يحول دون تحقيق مأربنا أو أهدافنا أثناء آداء سلوك معين وهناك تعديل لهذه النظرية يرى بأن الإحباط يؤدى إلى ظهور الغضب ، والغضب بدوره يؤدى إلى حالة من الإستعداد للتعامل بعدوانية مع الأشخاص والأشياء كما أنه من المعلوم أن حالات الإحباط تؤدى إلى ظهور قدر محدود من العدوانية الذى يعتمد بدوره على كمية المشاعر السلبية الناجمة عن حالة الإحباط أو الفشل « بيركاوتز Berkowitz ، ١٩٨٩ ، ١٩٩٠ » .

وهناك بعض دوافع الإثارة التي تعتبر بمثابة مفاتيح أو إشارات للعدوانية تبدو في شكل ظاهر للعيان مثل تواجد الأسلحة أو السكاكين ، وأحيانا لا توجد

مثل هذه الإسلحة ظاهرة ، حيث تبين من خلال إجراء بعض التجارب على الأفراد الذين فى حالات الغضب الشديد بأنهم يسلكون على نحو من العدوانية بدرجة أكبر عند تواجد سلاح أو بندقية على مقربة منهم بعكس الأفراد الذى يسلكون سلوكا أقل عدوانية وغضبا فى مواقف ومواقع ليس بها أسلحة على الإطلاق .

وفى تجربة أخرى تم عرض فيلم سينمائي على بعض الأفراد الذين يعانون من حالة إحباط ويحتوى الفيلم على مشاهد عديدة من العنف والعدوانية وتم إحضار أحد الأشخاص المشتركين فى التجربة وكان إسمه يتشابه كثيرا من اسم بطل فيلم العنف والعدوانية وتبين بعد ذلك أن الأفراد المصابين بحالات الإحباط وخيبة الأمل والذين كانوا قد شاهدوا فيلم العنف والعدوانية وقد تعاملوا بقدر أكبر من العدوانية نحو ذلك الشخص الذى يتشابه إسمه مع اسم بطل فيلم العنف والعدوان ثم أحضر المجرب بعد ذلك شخصا يختلف اسمه تماما مع بطل الفيلم ، وتعامل معه الأفراد المصابين بالإحباط الشديد بقدر أقل بكثير من العدوانية وذلك لأن إسمه لايتشابه مع اسم بطل الفيلم السينمائى .

ومن هنا يتبين لنا أن حالة الإحباط تؤدى إلى ظهور العدوانية ولاسيما فى وجود بعض الإشارات التى تشعر الأفراد بإمكانية إتخاذهم المسلك العدوانى فى هذا الموقف «كارلسون Carlson ، ميلر Miller ، ١٩٩٠ » .

والآن مارأيك هل الأعمال والأفعال الآتية تمثل بعض أنماط العدوان أم لا ؟

١ - إلتهم العنكبوت ذبابة .

٢ - ذئبان يقتتلان بهدف الفوز بقيادة القطيع .

٣ - جندى أطلق النار على العدو على خط الجبهة .

٤ - حارس السجن ينفذ عقوبة الإعدام في أحد المجرمين بعد إدانته .

٥ - عصابة من الأحداث المنحرفين تهاجم عصابة أخرى .

٦ - رجلان يقتتلان للحصول على رغيف خبز .

٧ - فتاة تضرب بقدمها صندوق القمامة .

٨ - رجل يمثل جريمة قتل ينوى القيام بها .

٩ - إمرأة شابة تراودها فكرة الإنتقام من خصمها ومن الصعب تحقيق هدفها.

١٠ - عضو مجلس الشيوخ لا يعترض على إلقاء القنابل على الآمنين ،

ويدرك بأن ذلك محرم .

١١ - أحد المزارعين يذبح دجاجة إستعدادا لطعام الغذاء .

١٢ - نباح الكلب عند رؤيته ساعى البريد ولكنه لايؤذيه .

١٣ - إعطاء الطبيب حقنة ضد الأنفلونزا لطفل صغير يصرخ .

١٤ - صياد يقتل حيوانا ثم يحتفظ به كغنيمة .

١٥ - ملاكم يضرب خصمه ضربة قاضية والدم يسيل من إنف الخصم .

١٦ - أحد اللصوص يصاب فى ظهره بطلق نارى أثناء هروبه .

١٧ - قطة تقتل فأرا ثم تجره علي الأرض ثم تتخلص منه .

١٨ - أحد الإشخاص يقدم على الإنتحار .

طرق التعلم بالملاحظة وكيفية تعلم إيذاء الآخرين .

يمكننا أن نتعلم العدوانية بالملاحظة ويطلق على تعلم العدوان أو العدوانية بطريقة الملاحظة « عملية التعلم الإجتماعي » وكما أن عملية التعلم عملية مكتسبة فإن العدوانية - أيضا - مكتسبة وإن كان هذا يتعارض تماما مع النظرية القائلة بأن العدوانية من الحالات المتأصلة فى النفس البشرية والتى تعرف باسم « نظرية العدوان بالغريزة » .

إن النظرية القائلة بأن العدوان مكتسب ترجع ذلك الإكتساب إلى العوامل والظروف الإجتماعية والمؤثرات البيئية ومن ثم فإن العدوانية ليست من الأمور الحتمية فى النفس البشرية وإنما هى إستجابة أو رد فعل يتم تعلمه أو إكتسابه ، ومن ثم فإن الأسلوب العدوانى أسلوب إستجابى يخضع لفكرة الثواب والعقاب «باندورا Bandura ، زيلمان Zillman ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٨ » وعلى سبيل المثال قيام الطفلة بضرب أخيها الأصغر سنا بسبب تدمير لعبتها الجديدة .

ترى نظرية العدوان بالغريزة بأن العدوان كان مختزنا فى أعماق الفتاة وقيامها بضرب أخيها الصغير ما هو إلا عملية تنفيس عن العدوانية المختزنة داخلها ، أما نظرية العدوان كنتيجة للإحباط فترى هذه النظرية أن إقدام الطفلة بضرب أخيها الصغير إلى شعورها بالإحباط وعدم قدرتها على إستخدام اللعبة الجديدة المكسورة

بينما ترى نظرية « تعلم العدوان بالملاحظة » فى مثال الطفلة واللعبة أن الطفلة لديها بعض الدوافع القديمة جعلتها تقبل على السلوك العدوانى نحو أخيها الصغير وقد تعلمت بطريقة الملاحظة أن قيامها بضرب أخيها يجعلها تحظى بإهتمام الآخرين ولا سيما الوالدين وهذا من واقع خبرتها السابقة ، أى أن ضربها لأخيها سوف يعود عليها برعاية والديها من جهة أو إعتذار أخيها لها من جهة أخرى ، إنها نظرية تقوم على فكرة المكسب والخسارة التى توجد فى النموذج الأعلى المحتذى به « القدوة » .

وطبقا لنظرية تعلم العدوان بالملاحظة فإن الناس فى أى مجتمع إنسانى تلاحظ سلوك بعض النماذج وتقوم بدراسة عواقب السلوك العدوانى ، فإذا ما تبين أن عواقب هذا السلوك العدوانى إيجابية فإن بقية أفراد المجتمع يقومون بتقليد هذا المسلك العدوانى عندما يجدون أنفسهم فى وضع مشابه أى يتعلمون العدوانية بالتعلم والملاحظة وبالتالى فإن العدوانية تكتسب بالملاحظة وهذه الفكرة تؤدى بنا إلى الدخول فى مجال عملية « الإنطباعات الأولى » عن تأثير العدوانية على أفراد من خلال مشاهدتهم البرامج التليفزيونية المختلفة وباقى وسائل الإعلام الأخرى .

مظاهر العدوان فى وسائل الإعلام .

هل مشاهدة التليفزيون بكثرة من الأمور الضارة المؤذية ؟ للإجابة على هذا السؤال نقول :

يلعب التليفزيون دورا حيويا وخطيرا فى إنتشار العنف والعدوان بالنسبة لعالم ودنيا الأطفال الذين يشاهدون البرامج والحلقات التليفزيونية العادية والعنيفة مثل أفلام الكرتون والرسوم المتحركة التى تتسم بالعنف والعدوانية كما هو الحال فى حلقات « فرافيرو ، وبطوط ، والرجل الأخضر ، والمرأة الحديدية ، ومستر إكس ، والرجل الوطواط Batman » وغيرها إن هذه البرامج وغيرها تقدم للأطفال جرعات مكثفة من الأفعال والسلوك العدوانى «جيرنبار وآخرون Gerbner etal ١٩٧٨ ، فريدمان Freedman ، ١٩٨٤ ، لايبرت Liebert ، إسبرافكين Sprafkin ، ١٩٨٨ » .

هذا وفي عالمنا المضطرب بالكثير والعديد من الأمواج المتلاطمة من المشاكل والأمراض والسلوك العدواني ، والقتال ، والحروب المدمرة أثبتت البحوث العلمية في مجال علم النفس الإجتماعي أن هناك ترابطا إيجابيا بين مشاهدة برامج التليفزيون العنيفة وبين السلوك المتسم بالعنف والعدوان « إيرون Eron ، هيوسمان Huesmann ، ١٩٨٦ » .

كما أضافت هذه البحوث بأن التليفزيون لا يعتبر المتهم الأول أو المسبب الأصلي لظهور العدوانية لدى الكبار البالغين ، بل إن هناك بعض العوامل الأخرى مثل المستوى الإجتماعى والإقتصادى والبطالة والفقر .

وقد أجمع العلماء على أن مشاهدة البرامج التليفزيونية المتسمة بالعنف قد تؤدى إلى زيادة درجة الإستعداد لدى الأشخاص وزيادة درجة تقبلهم للتعامل بالسلوك العدوانى إن هذه البرامج التليفزيونية إما أن ترفع من درجة إستعدادهم لتقبل العنف وإما تدفعهم إلى التعامل بالسلوك العدوانى بطريقة مباشرة وصريحة كما أنها ترفع من حالة للامبالاة بمشاعر وأحاسيس ضحايا أعمال العنف « لينز Linz ، دونارستاين Donerstein ، وبنرود penrod ، ١٩٨٨ ، بوشمان Bushman ، جين Geen ، ١٩٩٠ » .

وهناك أسباب أخرى كثيرة تؤدى إلى إثارة العدوانية لدى مشاهدى التليفزيون تتمثل فى بعض البرامج والمواقف التى يتخذها الناس قدوة أو مثلا يحتذى به ، وهنا يتعلم الأفراد بطريقة الإكتساب كما أن مشاهدة التليفزيون تقلل من درجة تأثير الموانع التي تكبح جماح العنف حيث أن مشاهدة برامج التليفزيون العنيفة تصور العنف كإستجابة أو رد فعل قانونى فى بعض المواقف المعينة ، وعلاوة على ذلك فإن مشاهدة أعمال العنف قد تغير من مفهومنا لما هو عنيف وما هو غير عنيف وبالتالى فإن السلوك الذى كنا نعتبره غير عدوانى قد يأخذ معانى العدوانية بعد المشاهدة إى أن الأفعال التى كنا نعتبرها غير عدوانية تصبح أفعالا عدوانية كنتيجة تأثرنا بمشاهدة التليفزيون .

إن المشاهدة المستمرة لأعمال العنف قد تؤدى إلى تبلد المشاعر فبعد أن كنا نشعر بالنفور من أعمال العنف فإن هذه الأعمال العنيفة بعد المشاهدة المستمرة قد لاتحدث لدينا مشاعر أو أحاسيس عاطفية كإستجابة ومن ثم فإننا نفتقد الإحساس

بالألم والمعاناة الناتج عن العدوان وبالتالى فإننا نرى أنه من الأسهل علينا إتخاذ المسلك العدوانى .

العلاقة بين الفن الإباحى العدوانى والعنف نحو النساء .

بداية نتساءل : هل تؤدى مشاهدة الأفلام الإباحية إلى زيادة معدلات العنف والميول الإجرامية والنزعات والعدوانية نحو المرأة؟ تشير الدلائل إلى أن هناك علاقة كبيرة بين الفن الأباحى أوالأدب «المكشوف Pornography» وبين ظهور بوادر العدوانية كما أثبتت التجارب العلمية الأخرى أن التعرض المستمر ولفترات طويلة لأفلام سينمائية عنيفة على المدى الطويل تحط من شأن المرأة وأنها ليست إلا وسيلة للمتعة ، تبين أن التعرض المستمر لمثل هذه الأفلام يؤدى بالشخص إلى تبلد الحس وقسوة القلب وخشونة الطبع .

خلاصة القول أن إدمان مشاهدة التليفزيون وبالذات برامجه وأفلامه الجنسية وحلقات مسلسلاته الإباحية والروايات العاطفية التى تجسد الجنس بشكل صريح واضح والصور الداعرة.كل ذلك يؤدى إلى زيادة مشاعر وأحاسيس العنف الموجه نحو المرأة وهنا نتسائل : هل نمنع مثل هذه الأعمال الفنية من العرض السينمائي أو العرض التليفزيونى ؟ وإذا تم ذلك فإنه يعتبر تعديا على الحريات الشخصية وهنا يأتى دور «الرقابة على المصنفات الفنية» فتضع بعض المحاذير والضوابط والمعايير للأعمال السينمائية والفن الإباحى والأدب المكشوف فمثلا هناك أعمال فنية وأفلام سينمائية إباحية محظور مشاهدتها بالنسبة للأحداث أقل من ١٧ سنة وهناك أفلام لايشاهدها الأطفال إلا بصحبة الوالدين.كما أن هناك أفلام للأطفال فقط وأفلام للكبار فقط وهكذا.وهذا هو موقف «إدارة الرقابة الفنية » ووظيفتها .

مساعدة الآخرين : الجانب المشرق للطبيعة الإنسانية .

نتحدث الآن عن الوجه الآخر من حياتنا النفسية والإجتماعية عن الجانب المشرق لطبيعة الإنسان وهو الجانب القائم على مساعدة الناس كبيرهم وصغيرهم ،

أقصاهم وأدناهم ، أقواهم وأضعفهم ، إنه جانب تقديم المساعدات للناس جميعا وهنا يتساءل علماء النفس الإجتماعى : ما هى العوامل التى تدفع أحد الأشخاص لتقديم يد المساعدة والمعونة لبعض الناس المنكوبين والبائسين فى المواقف الطارئة ؟

من المعلوم أن وجود حشد من الناس أثناء حدوث كارثة أو حادث تصادم مثلا يجعل مسئولية الحادث موزعة على جميع الأفراد الموجودين وقت الحادث ، وهنا فى هذا الموقف يشعر المتواجدون بأن المسئولية مشتركة ، وبناء على ذلك أنه كلما كان عدد الأفراد المتواجدين كبيرا كلما قل نصيب كل منهم فى المسئولية والشعور بها وبالتالى تقل إمكانية تقديم المساعدة « لاتان Latane ، نيدا Nida ، ١٩٨١ » .

هذا وقد تبين أن عملية تقديم المساعدة تتضمن أربعة خطوات هى على الترتيب :

الخطوة الأولى : ملاحظة الشخص وموقع الحادث والوضع الطارئ الذى يتطلب تقديم يد المساعدة أو المعونة العاجلة .

الخطوة الثانية : تفسير الحادث الذى وقع على أساس أنه موقف يحتاج إلى تقديم المساعدة حيث قد تبين أن هذا الحادث الطارئ لايتطلب أو يستدعى تقديم المساعدة بشكل سريع أو بصورة ملحة وبالتالى قد يترجم الحادث على أساس أنه حادث غير طارئ ، ومن ثم فإن تواجد الآخرين يؤثر على سلوك تقديم المساعدة بمعنى أن عدم قيام الناس المتواجدين بتقديم المساعدة قد يعطى إنطباعا للشخص الواقف بأن الحادثة لا تتطلب أو تحتاج تقديم يد المساعدة ، أما إذا كان ذلك الشخص وحيدا فإنه يسرع بتقديم المساعدة حيث أنه لايستطيع أن يجزم بأن الموقف لا يحتاج للمساعدة .

الخطوة الثالثة : الشعور بالمسئولية فيما يتعلق بالأفعال والأعمال التى تم إتخاذها عند هذه النقطة قد نجد أن المسئولية يمكن أن تتوزع على جميع الأفراد المتواجدين ، وعلاوة على ذلك فإنه عند تواجد طبيب فى موقع الحادثة فإن ذلك الطبيب يسارع فى تقديم يد المساعدة وعلاج وتمريض المصابين وهنا تفتر همة

المتواجدين فى الحادث وتقل رغبتهم وقدرتهم فى تقديم المساعدة طالما أن الطبيب يتواجد فهو المتخصص والأقدر على تقديم المساعدة المناسبة .

الخطوة الرابعة : إتخاذ قرار بشأن نوع المساعدة الواجب تقديمها فبعد أن يبدأ الفرد فى تحمل المسئولية ومساعدة الشخص المصاب فما عليه إلا إتخاذ قرار بشأن الطريقة المناسبة لتقديم المساعدة فى هذا الموقف ، ومن طرق تقديم المساعدة : إستدعاء شرطة النجدة أو القيام بعمل إسعافات أولية أو نقل المصاب إلى أقرب مستشفى بسيارته الخاصة أو نقل المصاب إلى مكان أمين تمهيدا للنقل إلى المستشفى .

وبعد تحديد طبيعة المساعدة يجب إتخاذ خطوة أخيرة هامة تتمثل فى عملية تنفيذ المساعدة الزهيدة فى التكلفة ، وفى بعض الحالات يظهر بصورة واضحة إتجاه أصيل هو «الإيثار وحب الغير » حيث توجد أنماط من البشر يؤثرون الآخرين على أنفسهم ، إن هذا النمط من الناس يفضل تقديم المساعدة مع إنكار ذاته والتضحية بنفسه ويجود بحياته والجود بالنفس أقصى غاية الجود .

ومن الناس من لا يتوفر لديه مبدأ « الإيثار وحب الغير » ولكن فى بعض المواقف العصيبة كحادث طريق أو إحتراق أحد المنازل تراه يسارع فى إطفاء الحريق بنفسه أويطلب إدارة الدفاع المدنى والحريق أو ينتظر قدوم رجال الإطفاء ويحاول أن ينقذ ما يمكن إنقاذه طبقا لإمكانياته وليكن إنقاذ طفل صغير إن أمكن أو عدم إنقاذه « باتسون Batson ، ١٩٩٠، ١٩٩١ » .

وقد دلت الأبحاث فى هذا المجال ، على أن الشخص الذى يجود بنفسه أو يقدم المساعدة وقت الشدة أو فى المواقف الصعبة يتمتع ببعض السمات الشخصية مثل : الثقة بالنفس ، والمشاركة الوجدانية ، والإندماج العاطفى ، كل هذه السمات الشخصية تؤدى بالفرد المحب للناس إلى مساعدتهم نظرا لإحساسه بنفس مشاعرهم فى مثل هذه الظروف « باتسون وآخرون ١٩٩١ » .

والواقع أن الغالبية العظمى من علماء النفس الإجتماعى ، قد أجمعوا على عدم وجود مجموعة عوامل أو معايير مشتركة لدى الأفراد الذين يقبلون على تقديم المساعدات والعون للآخرين كما إنه ليست هناك فروقا معيارية بين الأفراد الذين

يقدمون مساعدات للآخرين والذين لا يقدمون .

وقد تمخضت بعض الدراسات عن أن الحالة المزاجية الجيدة تشجع علي تقديم المساعدة للآخرين « سالوفاى Salovey ، ماير Mayer ، روزنهان Rosen-han ، ١٩٩١ » .

ومن الأمور غير المنطقية التى تحدث فى حياتنا الواقعية هى أنه قد تبين أن الحالة المزاجية السيئة قد تدفع الفرد إلى الإسراع بتقديم العون والمساعدة للآخرين «إيزنبرج Eisenberg ، ١٩٩١ » .

ويرجع ذلك إلى إن الفرد الذى يشعر بحالة مزاجية حادة أو سيئة يدفعه هذا المزاج الحاد إلى تقديم المساعدة ، وهذا يؤدى به إلى تغيير حالته الحالية أو الراهنة إلى الحالة الإيجابية من خلال المعنويات المرتفعة التى تنتج من تقديم المساعدة ، وهذا يعنى أن التخلص من الحالة المزاجية السيئة عند تقديم المساعدة يؤدى إلى رفع مستوى المعنويات لدى الفرد ويضفى عليه شعورا إيجابيا بالإهتمام بالآخرين .

سيكولوچية السلوك المنحرف

الإضطرابات السلوكية المضادة للمجتمع .

ليست حياتنا إلا وعاء يحوى أنماطا سلوكية وأساليب توافقية لكل الأفراد ولكل فرد سلوكه الخاص بمعنى أن أفراد المجتمع الإنسانى غير متساوين كأسنان المشط فى أنماطهم السلوكية ، فمنهم من يمتثل ويسير وفقا لمعايير المجتمع وأخلاقياته وعاداته وتقاليده ويتوافق معها وهؤلاء هم الأسوياء .

ومنهم من يعيث فى الأرض فسادا ويهلك الحرث والنسل ويقتل هنا ويسرق هناك بسبب إضطراب سلوكه وهؤلاء هم المنحرفون الضالون عن سواء السبيل ذوى النفوس المريضة « **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** » .

والواقع أن سبب الإضطرابات السلوكية المضادة للمجتمع هو فشل لعملية التنشئة الإجتماعية والتى هى عبارة عن « أنسنة الإنسان » وتحويل الفرد من كائن بيولوچى إلى كائن إجتماعى ويشمل موضوع الإضطرابات السلوكية ثلاث مظاهر هى : « السيكوباتية - الإجرام - إنحراف الأحداث » .

ونتناول كل منها بشئ من التفصيل فنقول :

١ - السيكوباتية .

يتسم هذا الإضطراب الخاص بالشخصية السيكوباتية بمجموعة أعراض تلتقى جميعها فى حالة « قصور كبير فى التوافق الإجتماعى للفرد » يلازمه طوال حياته تقريبا ونعنى بالسيكوباتية « حالة مرضية تبدو فى سلوك إندفاعى مستمر يستهجنه المجتمع أو يعاقب عليه » ، وللسيكوباتية أعراض بسيطة وأخرى خطيرة

أ - أعراض السيكوباتية البسيطة :

(١) يسلك الفرد سلوكا غريبا شاذا .

(٢) يعتنق الفرد مذاهب إجتماعية وإقتصادية سخيفة .

(٣) يفشل فى عقد صلات إجتماعية .

(٤) يخفق كثيرا فى علاقاته مع الأصدقاء .

(٥) فشل متكرر فى الزواج والمهنة .

ب - الأعراض الخطيرة :

(١) الإختلاس والتزوير والنصب والإحتيال .

(٢) إدمان الخمور والمخدرات .

(٣) الأعتداءات الجنسية والقتل .

(٤) إحتراف البغاء .

السمات الشخصية للفرد السيكوباتى .

من أبرز سمات السيكوباتي ما يلى :

- عدم النضج الإنفعالى .
- الحاجة إلى الإستقرار الإنفعالى .
- الضحالة الإنفعالية .

الإندفاع والتهور والعجز عن ضبط النفس .

- عدم تحمل الحرمان أو الإحباط .
- التقلب الظاهر فى معاملة الناس .
- العجز عن المثابرة وإتمام الأعمال أو المشروعات .
- التنقل الكثير من عمل إلى عمل ومن زوجة إلى أخرى .
- عدم الإفادة من التجارب السابقة .
- يتميز الشخص السيكوباتى بذكاء رفيع « عالى » .
- الشخص السيكوباتى لايرتدع بالعقاب .
- الشخص السيكوباتى لاينتابه أى شعور بالخجل أو بتأنيب الضمير .

٢ - الإجرام .

ينظر علماء النفس إلى الجريمة على أنها « سلوك شاذ » وفى علم النفس

تدرس الجريمة من حيث الدوافع الشعورية واللاشعورية التى تحفز على الإنحراف وإرتكاب المجرمين لجرائمهم ، وفى هذا المجال يمكن القول بأن المجرمين أربعة :
« مجرم عارض - مجرم سوى - مجرم سيكوباتى - مجرم عائد » .

المجرم العارض :

هو من يتورط فى سلوك إجرامى نتيجة ظروف وضغوط خارجية طارئة مثل الجرائم العارضة التى يرتكبها بعض الناس أثناء البطالة أو الكساد الإقتصادى بسبب الفقر أو الحرمان الشديد .

المجرم السوى :

هوكل مجرم تشبع بالمعايير الخلقية للبيئة الإجرامية التى نشأ فيها فهو مجرم طبيعى والمجرم السوى يقوم بسلوكه الإجرامى عن تعمد وقصد وإختيار ويضع خطة لجرائمه ويعمل على إخفاء ملامح جريمته .

المجرم السيكوباتى :

يتميز المجرم السيكوباتى بأنه :
- مجرم يتورط فى الجريمة أكثر من مرة مهما كان عقابه .
- لايتخصص فى نوع معين من الجرائم بل يرتكب كل ما يصادفه من الجرائم .
- لايهمه شئ ولايكترث بما يسببه للناس من ألام .

المجرم العائد :

هو ذلك المجرم الذى يتورط فى الجريمة أكثر من مرة ولايجدى معه العقاب .
ومن خصائص هذا النوع من المجرمين أن المجرم يعود إلى الجريمة بإستمرار والعودة هنا نتيجة عقدة الذنب التى تثقل كاهله ، وهذا المجرم العائد لا يتجنب العقاب بل يبحث عنه .

ومن المجرمين مايعرف باسم « المجرم ذى الشخصية المعتلة » وهو الذى يمارس نشاطه الإجرامى بسبب إصابته ببعض الإضطرابات العضوية أو النفسية أو

العقلية كأن يكون مصابا بضعف عقلى أو إنفصام فى الشخصية ، والمجرم ضعيف العقل هو مجرم بسيط الذكاء قليل الحيلة عاجز عن تدبير شئونه وما يرتكبه من جرائم تتناسب مع مستواه العقلى ، كما أن هناك « المجرم الذهانى » الذى تتميز جرائمه بطابع السخف والغرابة لأنه مريض عقليا ومن جرائمه مثلا الشروع فى القتل وإشعال النار فى المنازل وسرقة الأشياء التافهة .

هذا ويمكن القول فى هذا الصدد أن الجريمة قد تكون بمثابة النذير أو المؤثر نحو إندلاع المرض العقلى عند شخص لم تكن أعراض المرض بادية عليه .

٣ - إنحرافات الأحداث .

ينظر المشتغلون بالدراسات النفسية والإجتماعية إلي مشكلة الأحداث المنحرفين علي إنها من أكثر المشكلات الإجتماعية تواترا وصعوبة فى كل المجتمعات الإنسانية والتى تحتاج إلى دراسة مستفيضة .

*** تعريف الحدث المنحرف :**

هو ذلك الشخص الذى :

أ - تقع سنه ما بين سبع سنوات وإثنى عشر سنة .

ب - يمارس التسول ويجمع أعقاب السجائر .

جـ - يعمل بالدعارة أو الفسق أو القمار .

د - يعرف بسوء السلوك والخروج عن سلطة الأب أو الوصى .

هـ - ليس له محل أقامة وينام فى الشوارع والطرقات .

د - ليس له عائل مؤتمن أو أمين .

*** أسباب الإنحراف :**

- إضطرابات الشخصية والتوتر النفسى والصراع .
- هناك نسبة كبيرة من المجرمين الراشدين كانوا منحرفين صغارا .
- البيوت التى هدمتها الخلافات الزوجية أو طلاق الأم .

- معاملة الآباء لأبنائهم بقسوة أو إهمال .
- ترك المدرسة فى سن مبكرة وعدم الإستمرار في التعليم .
- البيئة التى ينتشر فيها الفقر والدعارة وتجارة المخدرات .

هذا وهناك علاقة بين الإنحراف والإضطرابات النفسية والعقلية ودليل ذلك أن فئة كبيرة من المنحرفين يرجع إنحرافها إلى إضطراب نفسى أو عقلى كما أن طائفة أخرى يعزى إنحرافها إلى عوامل إجتماعية والذى من أهمها أسلوب التنشئة الإجتماعية .

أنماط الأحداث المنحرفين .

١- حدث العصابة :

هو ذلك الحدث الذى طبع إجتماعيا على الإتجاه الإنحرافى الشاذ وهو دائما على إستعداد للقيام بأى عمل من أجل الجماعة التى ينتمى إليها حيث أن معايير الجماعة عنده أهم من أى معايير أخرى . ويتميز هذا النمط بالخصائص التالية :

- الصداقة مع أمثاله من المنحرفين .
- لـه صـلة بعصـابات المنحـرفين .
- يقوم بدور إيجـابى فى الجمـاعة المنحرفة .
- يقلد أفراد الجماعة فى أسلوبهم ومناشطهم .
- يتردد على دور اللهـو والفســاد .

٢ - المنحرف العرضى :

ينحرف هذا النمط ويقبض عليه لإرتكابه ما يخالف القانون نتيجة لسوء تقديره للموقف أولمشاكل إعترضت طريق نموه السوى ويحاكى من حوله فى أساليب إنحرافاتهم .

٣ - المنحرف العصابى :

وهذا النمط من المنحرفين يشكلون أبناء الطبقات الممتازة إجتماعيا ولايمكن

إن يعزى إنحرافهم إلى الأسباب الإجتماعية المعروفة مثل الفقر أو الجيرة الفاسدة .

وهنا نتساءل : **كيف السبيل لأسلوب التعامل مع المنحرفين ؟**

لقد كان الأسلوب المتبع حتى أواخر القرن ١٨ هو وضع الأحداث المنحرفين مع المذنبين الكبار فى سجن واحد ، وكانت تضم مثل هذه السجون مجموعات كبيرة من المجرمين والمصابين بالإضطرابات النفسية والعقلية حتى جاء القرن التاسع عشر فاهتمت المؤسسات الإصلاحية فى إنجلترا بهذا الموضوع وقامت بإنشاء أول ملجأ للمنحرفين فى عام ١٧٨٨ م .

وفى أمريكا تم إنشاء أول مؤسسة للأحداث فى عام ١٨٢٥ م بنيويورك وبالنسبة لمصر فقد أنشأت أول محكمةللأحداث عام ١٩٠٥ م وصدرت تشريعات خاصة بالأحداث فى عام ١٨٨٢ وتعرضت هذه التشريعات للتطور فى أعوام ١٩٠٤ ، ١٩٣٧ ، ١٩٥٠ م ، وعند التعامل مع المنحرفين علينا بإتباع الأساليب الآتية :

أولا : العلاج دون الإيداع فى المؤسسات : حيث أن الأحداث الصغار نبذل لهم الكثير من الخدمات مثل تشغيل اللائقين منهم فى مهن مناسبة وتقديم العناية الطبية لهم وحمايتهم من قرناء السوء والمجرمين .

ثانيا : إنشاء المؤسسات الصغيرة فى الأحياء الحضرية لتحل محل المؤسسات الكبيرة وأن يكون عدد النزلاء فى حدود ١٥٠ فقط .

ثالثا : إتباع سياسة الباب المفتوح بين المؤسسة وبين البيئة التى جاء منها الحدث .

رابعا : توفير فرص التدريب المهنى مما يؤدى إلى إكتساب الأحداث المهارات الفنية والمهنية سواء داخل المؤسسة أو خارجها .

خامسا : حسن إختيار الأخصائيين الذين يتعاملون مع الحدث إذ أن المؤهلات العلمية وحدها لاتكفى بل يجب الأخذ فى الإعتبار السمات الشخصية اللازم توافرها عند العاملين فى هذا المجال .

التخلف العقلى -

مفهوم التخلف العقلى :

فى مستهل القرن العشرين ظهرت عدة مفاهيم وتعريفات للتخلف العقلى

وكان المفهوم أو التعريف يختلف بإختلاف نوعية عمل الباحث سواء كان الباحث طبيبا نفسيا أو باحثا تربويا أو خبيرا تعليميا أو أخصائيا نفسيا أو من المشتغلين بالطب الطبيعي .

وكان هناك تعريف شائع هو تعريف دول Doll الذى وضعه فى عام ١٩٤١م وجروسمان Grossman » الذى أخذت به الجمعية الأمريكية للضعف العقلى عام ١٩٧٣ م .

وفى رأى دول أن من نطلق عمليه « متخلفا عقليا » لابد وأن توجد لديه ستة عناصر تحدد خصائص التخلف وهى :

١ - يعانى الفرد من نقص شديد فى القدرة الإجتماعية .

٢ - يعانى الفرد من نقص شديد فى العقل .

٣ - تظهر لدى الفرد أمارات نقص فى مستوى النمو .

٤ - يرتكز التخلف على أساس بيولوچى .

٥ - يستمر التخلف حتى سن البلوغ .

٦ - لايتم شفاء التخلف العقلى عادة .

أما عن تعريف الجمعية الأمريكية للضعف العقلى عام ١٩٧٣ م فهو يشير إلى أن التخلف العقلى تدهور ملموس فى أداء الفرد الذهنى مقترنا بقصور فى السلوك التكيفى الذى يبدو أثناء مرحلة النمو .

ويتضمن هذا التعريف شرطين أساسيين للتخلف العقلى هما :

١ - إنخفاض ظاهر فى مستوى الأداء الذهنى للفرد ويحكم هذا الإنخفاض نسبة الذكاء التى تقل بمقدار إنحرافين معيارين أو أكثر دون متوسط .

٢ - أن يكون ذكاء الفرد أقل من « ٧٠ » على مقياس » وكسلر - بيلفيو » وأقل من « ٦٨ » على مقياس « ستانفورد - بيينيه » .

أما السلوك التكيفى Adaptive Behavior فنقصد به تلك الدرجة التى يفى بها الفرد بمعايير الإستقلال الذاتى والمسئولية الإجتماعية المتوقعة من مجموعة عمرية وثقافية مماثلة لحالته ، هذا وتعرف فترة النمو بأنها الأصل الزمنى بين سن ميلاد الطفل وبلوغه الثامنة عشر .

تصنيف التخلف العقلى .

هناك تصنيفان لحالات التخلف العقلى نعرضها كالتالى :

الأول : تصنيف يقوم على أسباب التخلف :

ويتضمن هذا التصنيف أسباب كثيرة من أهمها :

١ - العوامل الثقافية فى المجتمع .

٢ - أحوال التخلف الإجتماعى والإقتصادى .

٣ - عوامل البناء الإجتماعى للمجتمع .

٤ - الظروف الصحية لأفراد المجتمع .

٥ - العوامل الوراثية .

٦ - نوعية الرعاية الصحية .

٧ - حروب التحرير والصراعات المحلية .

٨ - الهيئة الحضرية والتمدين .

٩ - التصنيع والتكنولوجيا المتقدمة .

١٠ - حوادث المرور والسيارات .

الثانى : تصنيف طبقا لدرجة التخلف :

ويعتبر هذا التصنيف أكثر شيوعا ويقوم على إعتبار التخلف العقلى سلسلة متصلة الحلقات لمستوى ذكاء الشخص ، على أن هذا التصنيف قد أخذت به الجمعية الأمريكية للضعف العقلى « جروسمان ١٩٧٣ » وفيه تقسم حالات التخلف العقلى إلى أربع درجات وفقا لما يقابلها من درجات ذكاء يوضحها الجدول الآتى :

درجة التخلف	نسبة الذكاء	
	علي مقياس استانفورد بينيه (ع) ١٦	علي مقياس وكسلر بلفيو (ع) ١٥
تخلف بسيط .	٦٧ - ٥٢	٦٩ - ٥٥
تخلف متوسط .	٥١ - ٣٦	٥٤ - ٤٠
تخلف شديد .	٣٥ - ٢٠	٣٩ - ٢٥
تخلف كامل .	١٩ فأقل .	٢٤ فأقل .

هذا وقد كان هناك تقسيم يضع « المتخلفين عقليا » في ثلاث فئات هي على الترتيب : فئة المأفونين والبلهاء والمعتوهين . ولما كانت هذه المسميات تنم عن التحقير والسخرية نحو هذه الفئات وذويهم فقد هجر الباحثون والدارسون مثل هذه التقسيمات حفاظا على مشاعر المتخلفين وتكريما لهم .

ويرى العاملون فى مجال التربية الخاصة ومنهم المدرسون والأطباء وأخصائيو التدريب أن تصنيفا إضافيا قد يؤخذ به ذلك التصنيف الذى يقسم فئات ضعاف العقول أو المتخلفين عقليا طبقا لناحية التعليم أو التدريب إلى ثلاث مجموعات هى :

١ - مجموعة ذات قابلية للتعليم .

٢ - مجموعة ذات قابلية للتدريب .

٣ - مجموعة تكون حالات الرعاية والإيداع بمؤسسات .

فالمجموعة الأولى هم هؤلاء الأفراد الذين يمكنهم تعليم المواد الأساسية بالمرحلة الإبتدائية والمتوسطة « الإعدادية » وهم يقابلون فئة التخلف البسيط والجزء الأعلى من فئة التخلف الوسيط.أما المجموعة الثانية القابلون للتدريب فهم فئة التخلف المتوسط والشديد ويمكن مساعدتهم بالتدريب علي إكتساب عادات سلوكية جديدة يمارسونها فى حياتهم اليومية وإستعدادا للإلتحاق بأعمال وحرف خاصة .

ويأتى بعد ذلك موقف المجموعة الثالثة وهى تلك الحالات كاملة التخلف والتى لا يمكن لأفرادها الإستفادة من التعليم أو التدريب .

مدى إنتشار ظاهرة التخلف العقلى -

منذ قديم الزمان ومشكلة التخلف والإعاقة قد وجدت بوجود الإنسان وكانت هذه الإعاقة إما جسدية أو عقلية لتؤدى فى النهاية إلى عجز جزئى أو كلى فى كل مجتمعات الأرض ويعزى سببها إلى ظروف خلقية « بكسر الخاء » وتسكين اللام » أو وراثية أو صحية أو إجتماعية .

وفى فجر التاريخ البشرى إتسمت النظرة إلى المتخلفين عقليا أو جسديا بطابع غير إنسانى وكان ينظر إلى المتخلف عقليا على أنه مخلوق بشرى ناقص يعيش فى المجتمع ليأخذ ويستهلك دون عطاء أو إنتاج ومن ثم - لا غرابة - أن نجد بعض المجتمعات قديما وحديثها تنادى بعزل المتخلفين والمعوقين حتى لا يشوهوا إيجابية الحياة ، وقد وصل الأمر فى بعض الحالات إلى محاولة قتل وحرق هذه الفئات وصولا إلى مجتمع فاضل أو مدينة فاضلة «يوتوبيا» وقد تزعم هذا الإتجاه اليوتوبى Utopian Approach مدينة إسبرطة القديمة فى العهد الإغريقى .

ولم يعد الأمر قاصرا على المجتمعات القديمة بل تعداه إلى المجتمعات المعاصرة التى تبنت بعض النعرات السلالية والنزعات القومية ولعل ألمانيا الهتلرية كانت النموذج البارز حين نادى « أودلف هتلر » زعيمها يوما ما بإبادة وحرق كل مشوه أو معتوه أو متخلف أو معاق ليصبح الشعب الألمانى شعبا نقيا مصفى وتصير ألمانيا فوق الجميع .

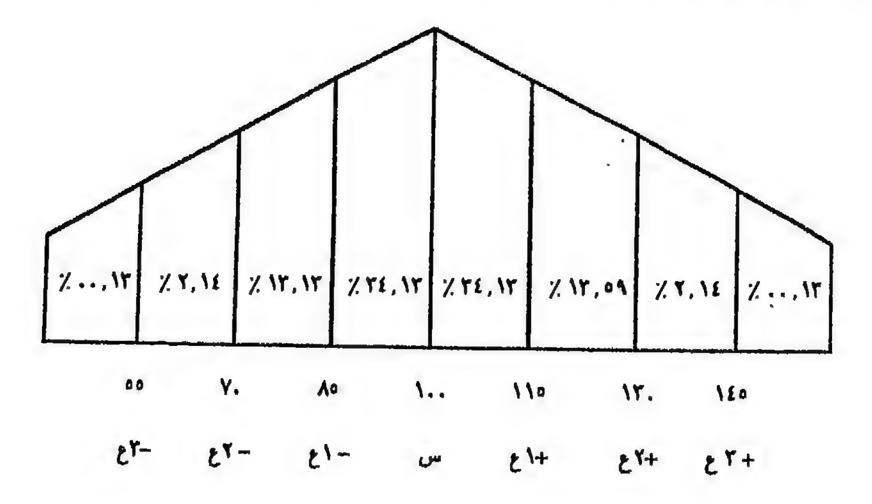
وفى دورة تاريخية تالية لاح فى الأفق المنظور الأخلاقى الذى ينظر للمتخلف عقليا نظرة ملؤها الشفقة والعطف الإنسانى ولم لا وقد حثنا ديننا الإسلامى الحنيف على حسن معاملة هذه الفئات وقد أكد على ذلك القرآن الكريم الذى عاتب رسول الله ﷺ عندما « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » والأعمى هنا هو عبد الله بن أم مكتوم الذى سأل رسول الله ﷺ أن يعلمه مما علمه الله ، وحين أعرض الرسول ﷺ عن سائله عبد الله بسبب إنشغاله مع صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام نزلت

بعد ذلك هذه الآيات في القرآن وكان « عبد الله بن أم مكتوم » إذا حضر مجلس النبي ﷺ قال له « مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه » .

وتأتي دورة تاريخية ثالثة ويصدر الكثير والمفيد من الإعلانات العالمية والنداءات الإنسانية الكثيرة ، ففي عام ١٩٤٨ م صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وفي عام ١٩٥٩ م صدر « إعلان حقوق الطفل » ثم صدر بعد ذلك إعلان حقوق الأشخاص المتخلفين عقليا عام ١٩٧١ م هذا إلى جانب تأكيد إستراتيجية العمل الإجتماعي في الوطن العربي عام ١٩٧٩ وكذلك القرارات العديدة التي صدرت عن وكالات مثل اليونسكو واليونيسيف .

قلنا أن التخلف العقلي ظاهرة قديمة قدم الإنسان ، وقد يكون من الصعب تقدير مدى إنتشارها في المجتمعات إلا أن كثيرا من الباحثين قد إهتدوا إلي أنه بإفتراض أن المجتمعات البشرية تتوزع بالنسبة لمستوى ذكاء أفرادها طبقا للتوزيع الطبيعي بمتوسط ذكاء = ١٠٠ ، وإنحراف معياري = ١٥على مقياس « وكسلر » أو ١٦ على مقياس «بينيه» فإنه يمكننا معرفة نسبة التخلف العقلي بحوالى ٢,٢٧ ٪ .

وقد نتصور ضخامة عدد المتخلفين عقليا إذا أدركنا أن هذه النسبة تعادل ٤,٥٤٠,٠٠٠ في الولايات المتحدة الأمريكية « عدد السكان ٢٠٠ مليون نسمة » وحوالي ١,٨٠٠,٠٠٠ في المجتمع المصري عدد السكان ٦٥ مليون نسمة ويوضح الشكل الآتي توزيع المجتمعات حسب نسبة الذكاء



وقد أثبتت البحوث العلمية على أن نسبة التخلف العقلى تصل إلى حوالي ٣ ٪ من جملة سكان أي مجتمع ومعظم هؤلاء (٩٥ ٪) يشكلون فئة التخلف البسيط (٧٠ - ٥٥) بينما ٥ ٪ فقط هم اللذين يقعون في فئات التخلف المتوسط والشديد والكامل .

أسباب التخلف العقلى .

يرجع التخلف العقلى إلى ثلاثة أسباب حسب العمر والزمن للفرد وهى :

١ - أسباب قبل الولادة . prenatal

٢ - أسباب أثناء الولادة . pernatal

٣ - أسباب بعد الولادة . postnatal

أولا : أسباب ما قبل الولادة .

وتشمل العوامل الوراثية Heredital والأسباب الخلقية والعوامل الوراثية هى تلك العوامل التى تنتقل من الآباء إلى الأبناء حيث تحمل الصفات على «جينات» تتوزع على كروموزومات وقد يولد الطفل المتخلف عقليا لأبوين ذكاؤهما عادى أو حتى فوق المتوسط ويرجع ذلك إلى قوانين الوراثة التى تنقل صفات من أجداد يبتعد تاريخهم عن الفرد الذى يرث الصفة ، كما أن كثيرا من الصفات الشاذة تنتقل عبر عوامل متنحية وهذه العوامل لاتظهر الصفة إلا إذا تجمعت مع بعضها من كل من الأبوين فى وقت لم تكن أحيانا ظاهرة لديها لكونها «متنحية». ولهذا تزداد فرصة تجمع هذه العوامل المتنحية إذا زادت درجة القرابة بين الأبوين «قرابة الدم » .

أما عن الأسباب الخلقية فهي التى تؤثر على الجين أثناء فترة الحمل ومن بينها الإصابات التى تحدث للأم وبعض الأمراض المزمنة مثل السكر وضغط الدم وكذلك بعض الأمراض المعدية مثل الحصبة الألمانية والأنفلونزا ، وكذلك وجود عامل « روسوس » وتعرض الأم للإشعاعات وكذلك تناولها بعض الأدوية أو حوادث

التسمم وبالمثل الولادة المبكرة « الطفل المبستر » أى الولادة قبل أن يكمل الجنين فترة ٢٨ إسبوعا رحميا أو أن يكون وزنه أقل من ٢,٥ كيلو جرام .

ثانيا : أسباب أثناء الولادة .

ورغم أن فترة الولادة قدلاتستمر لأكثر من ساعات محدودة ، لكنها قد تكون بالغة التأثير فى مستقبل الطفل ، فقد يتعرض الطفل لضغط أثناء ولادة متعسرة تؤثر فى مخه وهى سبب رئيسى للتخلف العقلى ، وكذلك نقص الأوكسجين عند الولادة من شأنه أن يتلف خلايا المخ التى يصعب تعويضها بعد ذلك .

ثالثا : أسباب بعد الولادة .

وهي العوامل التى تؤثر فى الفرد أثناء مرحلة النمو وحتى بلوغه سن ١٨ سنة ومن هذه العوامل : أمراض الإلتهاب السحائى والحمى المخية الشوكية وكذلك إضطرابات التمثيل الغذائى الذى يصعب معه تمثيل نوع معين من الأحماض الأمينية وبالتالى تجمع المواد السامة داخل المخ وتؤدى إلى التخلف العقلى وحالات «الجلاكتوسيميا » التى تصعب معها تمثيل سكر اللبن والتعرض للحوادث التى تصيب الرأس والمخ وتأثير بعض المواد السامة مثل الرصاص وكذلك فإن سرعة إستكمال تصلب عظام الجمجمة يؤدى إلى أن يصبح حجم الرأس صغيرا ويتحدد نمو المخ وتعرف هذه الحالة باسم «ميكروسيفاليس » .

هذا وقد يحدث إنسداد فى نظام تصريف سوائل المخ فيزداد حجم الرأس بدرجة تؤثر على نمو المخ وتعرف هذه الحالة باسم « هيدروسيفاليس » .

بعض أنماط التخلف العقلى الشائعة .

توجد بعض النماذج التى يستحيل التعرف عليها من المظهر ومن هذه الحالات تلك الأنماط التالية :

١ - حالات المنغولية Mangolism Head وتعرف علميا باسم « زملة داون Down ' s Syndrome وفى هذه الحالة يولد الطفل وبه شكل يشبه إلى حد كبير الجنس المغولى حيث العينان المتباعدتان الثنيات ، أفطس الأنف رأسه مستدق - شعر ناعم - لسانه قصير متشقق - يداه قصيرتان - أصابعه قصيرة - وجهه مفلطح ، كل هذا سببه شذوذ يحدث فى أحد الكروموزومات .

وتوضح بعض الدراسات أن معظم هؤلاء الأطفال يولدون لأمهات فى أعمار تزيد عن الأربعين سنة أو تقل عن ٢٠ سنة .

٢ - حالات الرأس الصغير Microcephalou ويتميز الطفل برأس مستدق نتيجة سرعة نمو العظام فى منطقة « اليافوخ » قبل تمام إكتمال نمو المخ وتكون الجبهة منحدرة بشكل واضح .

٣ - حالات إستسقاء الدماغ Hydrocephalou وفيها يتميز الطفل برأس ضخم جدا قد يزيد علي وزن الجسم فى كثير من الأحيان .

كيفية الوقاية من التخلف العقلى .

إذا تتبعنا العرض السابق والخاص بأسباب التخلف العقلى فإنه يمكن القول بأن هناك طرقا للوقاية منه والتى من أهمها الإستشارات الوراثية قبل الزواج والفحص الوراثى أثناء الحمل والإهتمام بتغذية الأم الحامل وعدم تعرضها للأمراض المعدية مثل الحصبة الألمانية أو الحوادث والإشعاعات ورعايتها أثناء الحمل والإهتمام بالولادة فى المستشفيات التخصصية ووقاية الطفل من الحوادث وسرعة عرضه على الطبيب فى حالة المرض .

وقد تحدث مشكلة التخلف العقلى نتيجة لأسباب وراثية أو أسباب أثناء الحمل مما يجعل تلافى حدوث التخلف العقلى أو حتى إكتشافه بعد ولادة الطفل أمرا عسيرا .

وقد تقدمت وسائل مواجهة بعض الحالات مثل حالات التمثيل الغذائي حيث يمكن عن طريق تنظيم الغذاء لهذه الحالات تلافى ما يحدث من ضرر فى المخ ، ومن السهل فى الوقت الحاضر تشخيص هذه الحالات فى الأيام الأولى من ولادة الطفل .

كذلك فإن حالات الإستسقاء إذا أكتشفت فى وقت مبكر فإنه يصبح من السهل مواجهتها جراحيا بتحويل مجرى سوائل المخ عن طريق أنبوبة إلى الأوردة فى الرقبة أو إلى وريد خلف الأذن .

خصائص المتخلفين عقليا .

يجب أن نعرف - بادئ ذى بدء - أن المتخلفين عقليا ليسوا صورة متكررة بصورة نعرفها أو نتوقعها ، وإنما هم أفراد شأنهم شأن غيرهم لايتطابقون أو يتكررون إلا نادرا فلكل فرد منهم فرديته الخاصة . وما نتناوله هنا من خصائص قد تتكرر فى بعضهم مجتمعة أو منفردة حتى نستطيع أن نخطط البرامج اللازمة له أما فى نتفيذ هذه البرامج فإن أهم ما نقدمه هو العمل مع كل فرد من واقع ما يتصف به من هذه الخصائص وما يحيط به من ظروف متنوعة .

أولا : الخصائص البدنية .

ليس هناك شك فى أن جانبا من أسباب التخلف العقلى يتصل بإصابات المخ وفى معظم الحالات تكون هذه الإصابات شديدة « تخلف كلى » حيث يضم المخ مراكز للإحساس والإدراك والحركة والكلام والتفكير والتذكر وغيرها .

ويترتب على إصابة المخ أن تتأثر كل هذه العمليات أو مجموعة منها مثل :

١ - عيوب فى الحركة وفى المشى والجرى .

٢ - عدم القدرة على صعود السلم أو هبوطه .

٣ - صعوبة أستخدام الأصابع .

٤ - عدم القدرة فى تآزر اليدين أو القدمين .

٥ - صعوبة فى إستخدام اليد والقبض على الأشياء .

٦ - تشوهات القوام الناتجة عن إضطراب المشى .

٧ - ضعف الإبصار لدى الطفل .

٨ - قصور فى السمع .

٩ - عدم التحكم فى وظائف الإخراج .

١٠ - صعوبة البلع وإغلاق الفم .

هذا ومن المظاهر البدنية الثابتة حالات المنغولية المتميزة بصغر الرأس وقصر القامة وتباعد العينين وتشقق اللسان وصغر اليدين وكذلك حالات «الميكروسفاليس» صغر الدماغ وحالات « الهيدروسيفاليس » وإستسقاء الدماغ .

ثانيا : الخصائص النفسية .

من الصعب الحديث عن خصائص نفسية ثابتة فى عالم المتخلفين عقليا ، فالتخلف العقلى كله يعتبر حالة أو شذوذا نفسيا ، ذلك أن نمو الطفل وحركته وسلوكه الإجتماعى وعمليات التفكير الإجتماعى والتذكر والتخيل وكذلك اللغة كلها تتأثر من جراء التخلف ، وعموما يمكن عرض أهم الخصائص النفسية فى النقاط التالية :

١ - تأخر فى النمو بوجه عام .

٢ - تأثر عمليات الإدراك .

٣ - تأخر فى النمو اللغوى قد يصل إلى حد البكم .

٤ - نقص فى القدرة على التفكير والتذكر والتخيل .

٥ - بطء التعلم .

٦ - نقص واضح فى السلوك التكيفى .

٧ - حدوث إضطرابات إنفعالية كالنشاط الزائد والخمول والعدوانية .

٨ - إنحراف المتخلف عقليا نتيجة سهولة قيادته .

٩ - حدوث إضطرابات عصبية مثل حالات الصرع .

١٠ - نقص فى الأداء الذهنى والسلوك التكيفى .

١١ - يعانى المتخلف عقليا من إتجاهات إجتماعية سلبية نتيجة شعوره برغبة الوالدين في التخلص منه .

١٢ - الحاجة إلى برامج تربوية وتأهيلية للمتخلف عقليا على أساس نفسى وتربوى وكذلك التوجيه والإرشاد .

ثالثا : الخصائص التعليمية.

إن أهم ما يعوق المتخلف عقليا عن الحياة هو نقص الأداء الذهنى عن متوسط الأداء سواء ما يتصل بعمليات التفكير أو التذكر أو التخيل أو القدرة على ربط الأشياء ببعضها وإيجاد العلاقات بين الأسباب والنتائج فإن الفرد المتخلف عقليا لا يمكنه أن يتعلم بالطريقة التى يتعلم بها غيره من الأطفال حيث يحتاج إلى فترة أطول وإلى تفتيت المقرر التعليمى وزيادة التعليم وتكراره بأجزائه الصغيرة حتى يتم تحصيلها ثم ربطها بالأجزاء التالية وهكذا .

إن أهم مضمون لعملية التعليم بالنسبة للمتخلف عقليا هو إهتمامنا بأن تكون فردية .

رابعا : الخصائص الإجتماعية.

يعانى المتخلف عقليا من التخلف فى السلوك الإجتماعى والقدرات الإجتماعية مالم يدرب على ذلك فهو غير قادر على القيام بشئونه الخاصة والإهتمام بمأكله وملبسه والمحافظة على نفسه من الأخطار وإتخاذ القرارات السليمة والإنتماء إلى جماعات كما يحتاج المتخلف عقليا إلى تدريب خاص ومتواصل لكى يكتسب المهارات المتصلة بأنشطة الحياة اليومية حتى يستطيع أن يصل إلى مستوى من السلوك التكيفى يمكنه من العيش فى المجتمع كفرد نافع ومنتج .

وعموما فإن حالات التخلف البسيطة يمكن إعدادهم لدخول الحياة العادية وتكوين الأسرة .

خامسا : الخصائص المهنية.

يرتكز سلوك الفرد المهنى على قدرته وطاقته على أداء هذا العمل وبما لديه من معلومات وما إكتسبه من مهارات عن المهنة ، ونلاحظ أن المتخلف عقليا قد يفقد القدرة البدنية على ممارسة بعض الأعمال كما قد تنقصه القدرة على المحافظة على نفسه فى بيئته المهنية « بيئة العمل » إذا كان فيها جوانب خطرة ، بل وقد يصعب عليه التنقل وحده من المنزل إلى مكان العمل إذا كان مصنعا أو متجرا أو

مصلحة حكومية ، هذا ويمكن لفئات التخلف العقلى بين الشديد والبسيط أن يدربوا على عمل مفيد غير أنه يجب أن يراعى أن يكون التوظيف فى بيئة مناسبة .

خطة علاجية للمتخلفين عقليا .

يجب أن تتضمن هذه الخطة أربع جوانب رئيسية هى :

١ - **برامج تعليمية** : « تربية خاصة » وهى لحالات التخلف البسيط والوسيط وبهذه البرامج يتعلم المتخلف عقليا مواد أكاديمية تتناسب مع قدراته العقلية المحدودة .

٢ - **برامج تأهيلية Rehabilitative Plans** ونقصد بالتأهيل هنا عملية تنمية قدرات الفرد المعوق إلى أبعد قدر ممكن بغية إدماج هذا الفرد فى المجتمع ليصبح إنسانا منتجا نافعا .

٣ - **إعداد البرنامج الفردى** : يقوم فريق التأهيل المكون من الإخصائى النفسى والأخصائى الإجتماعي المهنى وأخصائى التأهيل والطبيب بدراسة كل حالة على حدة وذلك لإعداد برنامج فردى يناسب المتخلف بحيث يتناول كل جوانب العلاج .

٤ - **برامج الخدمات التأهيلية** : ويتضمن هذا البرنامج عمليات الإعداد البدنى والتدريب المهني والإرشاد والتوظيف والمتابعة .

من هنا يمكن القول أن الرعاية الإجتماعية والعناية الصحية والإرشادات النفسية والتوجيهات التعليمية للفرد المعاق حق من حقوق الأفراد فى أى مجتمع من المجتمعات الإنسانية ويصبح هذا الحق حق مؤكد وضرورى إذا كان المجتمع مجتمعا إسلاميا حيث التكافل والتقارب والتراحم والتواصى بالحق ، حيث أن المجتمع المتكافل المتراحم أقرب المجتمعات إلى الله ، ومن ثم علينا معاملة طائفة المعوقين معاملة حسنة علينا أن نقدم لهم كل العون والإهتمام لأنهم أفراد مثلنا ولكنهم ذوو طاقات محدودة وهذه هى إرادة الله حين نقرأ قوله سبحانه وتعالى « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ماكسبت وعليها مااكتسبت » وقوله أيضا « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وآعف عنا واغفر لنا وارحمنا » .

سيكولوجية الكفيف .

« كف البصر » تعنى « الإعاقة البصرية » من المنظور الفسيولوجي والتى فيها يفقد الشخص القدرة على الرؤية جزئيا أو كليا بسب خارجي يتعلق بقدرة العين نفسها أو السبب داخلى يتعلق بالعصب البصرى الموصل والمراكز العصبية بالمخ ، ويطلق كثيرا على الكفيف لفظة « الأعمى » وهو الشخص الذى فقد بصره وتعنى هذه الكلمة « لغويا » الضلالة والتحيز فى منازعة أو طريق .

وقد يحدث « العمى » بسبب الضيق المستمر لمجال الرؤية البصرية وكذلك حالة تضاؤل العصب البصرى والجلوكوما والإنفصال الشبكى والعمى النصفى .

١ - أثر التنشئة التربوية فى حياة الكفيف :

بمعنى معاملة الأسرة لطفلها الكفيف كطفل عادى وليس كطفل كفيف حيث أن الطفل هنا كونه كفيفا إلا أنه ينمو نموا طبيعيا .

٢ - إتجاه تصرفات الوالدين :

لما كان الطفل الكفيف يولد ومعه كل مقومات الإنسان الكامل فهو يحس ويتأثر بالحياة وبالناس وبالأشياء حوله وينعكس أثر ذلك على حالته النفسية والصحية وعلى ذلك فمن واجب الأسرة أن تضع فى إعتبارها معاملة وليدها منذ الصغر معاملة خاصة .

٣ - إستمرار المعاملة الخاصة للطفل :

ويتطلب ذلك الملاحظة المباشرة لبيئة الكفيف الأسرية ويتطلب ذلك مهارة كبيرة .

٤ - مسئولية الأسرة نحو الكفيف :

وذلك لتحديد نوع ومظهر الضرر الذى أصابه وتغير صحته وضعف تكوين عضلاته والتطور المنحرف لخياله .

٥ - موقف الأسرة من تكوين شخصية الكفيف :

عندما لا يكون النمو المنحرف فى شخصية الكفيف نتيجة مباشرة لهذه الحالة فإنه يكون مرتبطا بتأثير البيئة لصفات مثل التعالى وحب الذات ، فهذه الصفات تحمل مضمون تأثير البيئة وتمثل التأثيرات الإجتماعية وفقا للمواقف السلوكية للكفيف .

٦ - الموقف السلبى للأسرة نحو الكفيف :

هناك مواقف من جانب الأسرة ينعكس آثارها على شخصية الكفيف وتعوق بصفة عامة نموه فى مجالاته المتعددة وهذه المواقف قد تكون مواقف سلبية ولمواجهة هذه السلبيات يجب تحقيق أهداف التربية الإجتماعية وهى :

- يجب أن تكون الملاحظة الحسية هى القاعدة الأساسية للتربية للكفيف .
- يجب على الأسرة أن تساعد طفلها الكفيف على الإلمام بما يحيط به فى بيئته بمساعدة حواسه الباقية وعن طريق الإدراك بهذه الحواس .
- يجب أن تسعى الأسرة ليتمتع طفلها الكفيف بحياة سعيدة عن طريق التحرك واللعب فى جماعة ، وذلك منعا للكآبة والإنعزال .
- تزويد الطفل الكفيف بالخبرات المتنوعة التى تساعده على الإعتماد على نفسه والإستقلال بذاته وتسهيل تكيفه النفسى والإجتماعى .
- مراعاة الأسرة العدالة فى معاملة طفلها الكفيف وإخوته دون تمييز .
- يجب أن تزيل الأسرة الموانع من طريق طفلها الكفيف وأن تزيل الأشياء التى تعترضه أثناء سيره فى حجرات المنزل وذلك حتى يمكنه إن يتحكم فى جسمه وتوازنه وأن يتحرك بحرية وبدون قلق أو تردد .
- يجب على الأسرة أن تتيح لطفلها الكفيف اللعب مع زملائه المكفوفين والمبصرين حتى يكتسب القدرة مع زملائه المكفوفين للتغلب على الذات والإضطرابات النفسية التى تواجهه فى مستقبل حياته .
- تدريب الكفيف على إكتساب الخبرة فى مجال اللمس باليد وتقدير المسافات لتناول الأشياء أو مقابلة الأشخاص .
- إثارة إنتباه الكفيف إلى التمييز بين التأثيرات الصوتية المختلفة التى

تصل سواء عند اللعب أو النزهة أو فى الشارع حتى يتيقظ لديه الشعور بالأمان والتكيف .

- العناية بتعليم الكفيف اللغة مبكرا باعتبارها عامل إثارة له وحاملة للثقافة ووسيلة للتفكير والعواطف وتكوينها للروابط الإجتماعية الوثيقة .

- تنمية القيم الخلقية لدى الكفيف وتأصيلها في سلوكه ليدرك ماهو جميل وما هو قبيح وما هو الحق وما هو الباطل وما هو خير وما هو شر .

- تعليم الكفيف القدرة على الإستقصاء وخاصة التمييز بين القيم الحقيقية للحياة عن غيرها الخاطئة لإن ذلك يمده بالقوة الأدبية لتشكيل حياة نفسية مستقرة.

- على الأسرة أن تحمى الكفيف من العادات السيئة مثل حركة الإنحناء إلى الأمام أو إلى الخلف وذلك خشية الوقوع أو إلحاق الضرر بجسمه .

- على الأسرة أن تعمل على تأهيل الكفيف للحياة فى المجتمع تبعا للقواعد المتبعة والنظم المرعية وذلك لتيسير عملية التكيف الإجتماعى .

الفصل الثالث عشر

الإتجاهات والقيادة .

* وظائف الإتجاهات النفسية الإجتماعية .
* كيفية تكوين الإتجاهات .
* الإتجاهـــات الجامـــدة .
* قيـــاس الإتجاهـــات .
* نظـــريات القيـــادة .
* أنواع القيادة والمناخ الإجتماعى .
* أشـــكال القيـــادة .

الإتجاهات والقيادة

وظائف الإتجاهات النفسية والإجتماعية .

من وظائف الإتجاهات تلك الوظائف الآتية :

- الإتجاه يحدد طريق السلوك ويفسره .
- ينتظم الإتجاه العمليات الإنفعالية والإدراكية المعرفية حول بعض النواحى الموجودة فى المجال الذى يعيش فيه الفرد .
- يعكس الإتجاه سلوك الفرد من أقوال وأفعال .
- الإتجاهات تسهل للفرد القدرة على السلوك وإتخاذ القرارات فى المواقف النفسية المتعددة .
- الإتجاهات توضح صورة العلاقة بين الفرد والبيئة الإجتماعية .
- الإتجاهات المعلنة تعبر عن مسايرة الفرد لما يسود مجتمعه من معايير وقيم ومعتقدات .

كيف تتكون الإتجاهات النفسية الإجتماعية ؟

للإجابة على هذا تتكون الإتجاهات من المصادر والمنابع الآتية :

- واقع الظروف الإجتماعية والإقتصادية والسياسية .
- تتكون من التنشئة الإجتماعية .
- تتكون خلال عملية التفاعل الإجتماعى .
- تتكون فى المواقف الإجتماعية المختلفة .
- تتكون من تأثير الأسرة على الفرد .
- تتكون من المؤثرات الثقافية والحضارية بما تشمله من النظم الدينية والأخلاقية والإقتصادية والسياسية .
- تتكون من التجارب الشخصية فى المواقف الإجتماعية .

- تتكون الإتجاهات النفسية الإجتماعية من عملية التوحد والإستدماج مع بعض الشخصيات والنماذج الإجتماعية .

الإتجاهات الجامدة .

هناك إتجاهات جامدة نمطية صعبة التغير شبه ثابتة ونسمع هذه الإتجاهات الجامدة من الأفراد والإذاعات ونقرؤها في الصحف ونشاهدها في السينما والتليفزيون وهي على حد قول المعلق التليفزيوني الأمريكي الشهير « ليبمان » ١٩٦٠ « أشبه برسوم داخل نفوسنا يصعب تعديلها » .

ومن أمثلة الإتجاهات الجامدة لدى طلاب المدارس الثانوية في أمريكا مثلا :

- الألمان مجتهدون - أذكياء - عدوانيون .
- الإنجليز محافظون - عمليون .
- الزنوج كسالى - يعتقدون في الخرافات - يحبون الموسيقى .
- الإيطاليون حادو الطبع - مرحون متدينون .
- اليهود ماكرون - ماديون - طماعون .
- الصينيون يحبون التقاليد متحفظون هادئون .

قياس الإتجاهات النفسية الإجتماعية .

إن قياس الإتجاهات له فوائد عملية في ميادين عديدة نذكر منها ميادين الصحة النفسية والتربية والتعليم والخدمة الإجتماعية والصناعة والإنتاج والعلاقات العامة والإعلام والسياسة والإقتصاد والحياة العامة في السلم والحرب والهدف من قياس الإتجاه معرفة الموافقة والمعارضة بشأن الإتجاه ومعرفة شدته ومدى ثباته ويجب أن نلاحظ الفرق بين الإتجاه اللفظي والسلوك الفعلي فالإتجاه اللفظي هوالإتجاه المقاس والذي نعرفه من نتيجة مقياس الإتجاهات أما السلوك الفعلي هو الإتجاه العملي .

وهناك دراسة سابقة مثل دراسة « زايف » سنة ١٩٣٩ حين قام بقياس

الإتجاه اللفظى نحو عدد من الخرافات مثل اللعب بالمقص يجلب الشر أو النظر فى المرآة المكسورة يجلب الحظ السئ لمن يرى نفسه فيها ، وحين قاس الإتجاه العملى أو السلوك العملى نحو هذه الخرافات أحضر عددا من المرايا والمطارق والمقصات ليكسرها الأشخاص غير المؤمنين بصحة هذه الخرافة.فوجد أن إثنين فقط من بين ٣٢ مما عبروا لفظيا عن عدم إيمانهم بالخرافة هم اللذين كسروا المرآة فعلا.وهذا يدل على التفاوت الكبير بين الإتجاه اللفظى والسلوك الفعلى وهذا أيضا يذكرنا بسلوك الغش فى الإمتحانات وأن معظم من لا يؤمنون بالغش يقولون بإفواههم ماليس فى قلوبهم.

كيف نقيس الإتجاهات النفسية الإجتماعية ؟

لقياس الإتجاهات النفسية الإجتماعية طرقا كثيرة نذكر منها :

أولا : طريقة بوجاردس « مقياس البعد الإجتماعى » تهدف هذه الطريقة لقياس المسافات الإجتماعية بين الجماعات ويتضمن مقياس البعد الإجتماعى أو المسافة الإجتماعية عبارات تمثل بعض مواقف الحياة الحقيقية للتعبير عن مدى البعد الإجتماعى أو المسافة الإجتماعية لقياس تسامح الفرد أو تعصبه وتقبله أو نفوره ومن المعروف أن مقياس « بوجاردس » من أسهل المقاييس فى التطبيق إلا أنه لا يقيس الإتجاهات المتطرفة تطرفا كبيرا كما فى التعصب الشديد .

وقد طبق « بوجاردس » مقياسه هذا سنة ١٩٢٦ على عينة تقدر بألفين من الأمريكين لقياس إتجهاتهم نحو ٣٩ جماعة قومية وفى عام ١٩٣٦ أعاد القياس وقارن النتائج فى المرتين ليدرس التغير الذى طرأ على الإتجاهات .

ثانيا : طريقة « ثرستون » إقترح ثرستون طريقة لدراسة الإتجاهات نحو عدد من الموضوعات وأنشأ عدة مقاييس متساوية الأبعاد ويتكون المقياس من عدد من الوحدات أو العبارات لكل منها وزن خاص وقيمة معبرة عن وضعها بالنسبة للمقياس ككل .

أما فى طريقة إعداد المقياس وتقدير الوزن الخاص بكل عبارة فهي أن

الباحث يجمع عدد كبير من العبارات قد يزيد عن مائة يري أنها تقيس الإتجاه الذي يريد قياسه وتعطي مدي الموافقة أو الرفض أو التقبل أو النفور ثم يكتب كل عبارة عن ورقة منفصلة ويعرض العبارات علي مجموعة من المحكمين الخبراء في الميدان. ويطلب منهم أن يضع كل عبارة في خانة من ١١ خانة بحيث تكون أكثر العبارات الإيجابية في الخانة رقم ١ وأكثرها سلبية في الخانة رقم ١١ والمتوسطة في الخانة رقم ٦ وهكذا ، ثم يحسب متوسط الدرجة التي قدرت لكل عبارة من قبل كل المحكمين وتكون قيمة المتوسط هى الوزن الذى يعطى لهذه العبارة .

ويلاحظ هذا المقياس أنه يستغرق وقت وجهد فى إعداده وأن الأوزان قد تتأثر بالتحيزات الشخصية للمحكمين ولقد أستخدمت طريقة ترستون فى قياس الإتجاهات نحو الحرب ونحو الكنيسة ونحو تنظيم النسل ونحو الزنوج والصينيين .

ثالثا : طريقة « ليكرت » إنتشرت هذه الطريقة لقياس الإتجاهات نحو شتى الموضوعات وغالبا ما يتكون هذا المقياس من خمسة سلالم كل سلم يعبر عنه بعبارة بالقبول أو الرفض أو القبول المطلق أو الرفض المطلق أو الحياد مثل :

غير موافق مطلقا - غير موافق - محايد - موافق - موافق جدا .

ويطلب من المفحوص أن يضع علامة (+) فى المكان الذى يوافق إتجاهه بالنسبة لكل عبارة إبتداء من الموافقة التامة إلى عدم الموافقة ، والرقم الموضوع بين قوسين يبين تقدير درجة الإستجابة وعلى هذا فالدرجة المرتفعة تدل على الإتجاه الموجب والدرجة المنخفضة تدل على الإتجاه السلبى ، ويمكن جمع الدرجات التى يحصل عليها الفرد على كل عبارة المقياس لتوضيح الدرجة الكلية العامة التى تبين إتجاهه العام مثال ذلك إذا كان لدينا عشر عبارات فى المقياس فإن أعلى درجة يحصل عليها الفرد هى ٥٠ وتدل على الموافقة التامة على الموضوع وأقل درجة يحصل عليها الفرد هى ١٠ وتدل على المعارضة التامة .

هذا ويجب أن تختار عبارات مقياس ليكرت من عدد كبير من العبارات التى يمكن جمعها من إختبارات أخرى وتختار العبارات بحيث تكون محددة المعنى وبحيث توضح نوع الإتجاه سواء كان موجبا أو سالبا ويفضل عدد متساوى من العبارات الموجبة والسالبة وتحتسب معاملات الإرتباط بين درجة كل عبارة وبين

الدرجة الكلية للمقياس .

رابعا : طريقة « جتمان » فى عام ١٩٥٠ ظهر هذا المقياس وهو مقياس تجمعى متدرج يحقق فيه شرط هام هو أنه إذا وافق على عبارة معينة فيه فلابد أن يعنى هذا أنه قد وافق على العبارات التى هي أدنى منها - يصح فقط لقياس الأتجاهات التى يمكن فيها وضع عبارات يمكن تدريجها بحيث يتحقق الشرط الذى وضعه جتمان .

خامسا : إختبار تمايز معانى المفاهيم : وهو عبارة عن أداة موضوعية لقياس دلالة ومضمون المفاهيم وقد بدأ « تشارلز أوسجود » وزملائه فى عام ١٩٥٢، ١٩٥٤ ، ١٩٥٧ ، ١٩٦٢ هذه الطريقة أساسا في دراستهم عن الإدراك والمعاني والإتجاهات وأصبحت هذه الطريقة الآن أداة عامة تستخدم فى دراسة الشخصية والدراسات الإجتماعية والسياسية ، ويتضمن إختبار تمايز معانى المفاهيم علي مكونين أساسين هما :

١ - المفاهيم التى نبحث عن معناها ومضمونها ودلالتها بالنسبة لأفراد عينة البحث

٢ - المقاييس التى يتحدد على أساسها معنى ومضمون ودلالة كل من المفاهيم ويعتمد كل من هذين المكونين على غرض البحث وهدفه وعلى هذا يمكن أن ينشئ الباحث إختبارا للحصول على معلومات كمية عن بعض المفاهيم الإجتماعية عند جماعة أو جماعات معينة مثل الأولاد والوالدين والمربين والعمال والجنود .

سادسا : الإختبارات الإسقاطية : تستخدم هذه الإختبارات فى قياس الإتجاهات حيث يعرض على المفحوص بعض المثيرات الإجتماعية الغامضة فى شكل صور أو لعب أو جمل أو قصص ناقصة .

وتتميز الإختبارات الإسقاطية فى قياس الإتجاهات بأنها إلى جانب قياس الإتجاهات تكشف عن بعض جوانب الشخصية المرتبطة بهذه الإتجاهات ومن أهم هذه الإختبارات الإسقاطية لدراسة الإتجاهات مايلى :

١ - الإختبارات المصورة وفيها تعرض علي المفحوص بعض الصور التي

تحتوي قائدا وجماعة ويطلب منه كتابة ما تعبر عنه كل صورة .

٢ - الأساليب اللفظية وفيها تداعي الكلمات وتكملة الجمل وتكملة القصص والأسئلة الإسقاطية .

٣ - أساليب اللعب وفيها تستخدم العرائس واللعب فى دراسة إتجاهات الأطفال نحو بعض الموضوعات الإجتماعية فمثلا تمثل الدمى الوالدين والمدرسين والأطفال الآخرين ويعبر الطفل أثناء اللعب عن إتجاهاته نحو هذه الشخصيات فى مواقف إجتماعية معينة .

٤ - تمثيل الأدوار الإجتماعية وهى المعروفة باسم السيكودراما والسوسيودراما وقد إبتدع هذا الأسلوب « مورينو » حيث يمثل الفرد موقف إجتماعى بالإشتراك مع آخرين ، فقد يطلب من الطالب تمثيل دوره كطالب بالنسبة لأدوار أخرى كدور المدرس أو زميل من زملائه .

تغير الإتجاهات النفسية والإجتماعية .

إن عملية تغير الإتجاهات فى علم النفس أشبه ماتكون بعملية تغيير الدم فى الطب ولاشك أن الإتجاهات قابلة للتغير رغم تميزها بالثبات النسبى وهناك فرق بين عملية تغير الإتجاهات المقصودة وعملية تغير الإتجاهات التلقائية نتيجة لما يؤثر عليها فى الحياة العادية مثل تأثير الأغلبية وتأثير الإيحاء .

ومن العوامل التى تجعل تغير الإتجاه سهلا تلك العوامل الآتية :

١ - ضعف الإتجاه وعدم رسوخه .

٢ - وجود إتجاهات متوازية أو متساوية في وقتها .

٣ - عدم وضوح إتجاه الفرد أساسا نحو موضوع الإتجاه .

٤ - عدم وجود مؤثرات مضادة .

٥ - وجود إختبارات مباشرة تتصل بموضوع الإتجاه .

٦ - سطحية أو هامشية الإتجاه مثل الإتجاهات التى تتكون في الجماعات الثانوية والأندية والنقابات والأحزاب السياسية .

القيــــادة .

إذا تحدثنا عن القيادة فهى لن تخرج عن أنها دور إجتماعى رئيسى يقوم به فرد «القائد » أثناء تفاعله مع غيره من أفراد الجماعة « الاتباع » ويتسم هذا الدور بأن من يقوم به يكون له القوة والقدرة على التأثير فى الآخرين وتوجيه سلوكهم فى سبيل بلوغ هدف الجماعة .

وتوجد القيادة من أجل الجماعة حينما تسمح معاييرها وبناؤها للقدرات الخاصة لأحد أعضائها أن تستخدم لصالح الجماعة ولذا نرى أن القائد هو أى شخص يقود جماعة من الأفراد ويؤثر فى سلوكهم ويوجه عملهم .

عن القيادة والرئاسة .

هناك بعض الفروق بين القيادة والرئاسة نجملها فى النقاط التالية :

القيادة تنبع من داخل الجماعة وتظهر تلقائيا غالبا وتكون مسبوقة بعملية تنافس عليها من قبل عدد من أعضاء الجماعة والجماعة هى التى تحدد هدفها وليس القائد كما أن سلطة القائد يمليها عليه تلقائيا أفراد الجماعة الذى يختارون ويصبحون أتباعا له .

أما **الرئاسة** فتقوم نتيجة لنظام وليس نتيجة لإعتراف تلقائى من جانب الأفراد بمساهمة الشخص فى تحقيق أهداف الجماعة ويختار الرئيس الهدف من دون الجماعة نفسها وتتميز الجماعة بمشاعر مشتركة قليلة أو عدد مشترك ضئيل وهى تسعى لتحقيق هدف الجماعة ويوجد تباعد إجتماعى أكبر بين الرئيس وأعضاء الجماعة .

والرئيس الناجح هو الذى يقترب في سلوكه مع الجماعة من القائد أي أنه يجمع بين صفات الرئيس والقائد .

نظريات القيادة .

أولا : نظريات السمات : تهتم هذه النظرية بدراسة شخصية القائد وسماته

وخصائصه الجسمية والعقلية والإنفعالية والإجتماعية ، والواقع أن نتائج بعض البحوث والدراسات تشير إلى أنه ليست هناك سمة عامة أو دلائل موحدة تفسر القيادة على أساس سمات معينة فى كل المجالات .

ولقد ركز البعض على توافر بعض السمات الخاصة غير العادية فى القائد وكانت معظم هذه السمات تدور حول التدين والخيال والإلهام والإتيان بما يشبه المعجزات. ويلاحظ أن السمات والخصائص والقدرات التى تميز القائد تختلف من جماعة لأخرى حسب وظيفتها أو تغير هذه الوظيفة نتيجة للظروف الإجتماعية التى تمر بها الجماعة والقائد ليس شخصا يتصف بمجموعة محدودة وثابتة من سمات الشخصية. من المعروف أن الفرق بين القائد والأتباع فيما يتعلق بسمات القائد هو فرق فى الدرجة وليس النوع وأن الأهمية النسبية لهذه السمات تتوقف على طبيعة المواقف الإجتماعية التى توجد فيها الجماعة والأهداف التى تسعى لتحقيقها ولقد تمخضت نتائج البحوث والدراسات عن قوائم ومن سمات القائد الجيد ومن أهمها ما يلي :

- **السمات الجسمية** : وهنا نجد أن القادة يفضل أن يكونوا أطول من الأتباع وأقوى من أعضاء الجماعة وأكثر حيوية ونشاطا .

- **السمات العقلية المعرفية** : بمعنى أن القائد يجب أن يكون أكثر تفوقا من ناحية الذكاء العام وأن الفارق بينه وبين الأتباع واضحا فى الميول والقيم والإتجاهات كما لوحظ أن القائد يميل أن يكون أغنى ثقافة وأوسع أفقا وأبعد نظرا وأقدر على التنبؤ بالمفاجآت والإستعداد لها وأفضل من حيث الطلاقة اللفظية وأن يكون سريعا فى إتخاذ القرارات .

- **السمات الإنفعالية**: ومعناها أن القائد يجب أن يتصف بالثبات والنضج الإنفعالي والثقة بالنفس وقوة الإرادة .

- **السمات الإجتماعية** : يجب أن يتسم القائد بالتعاون مع الأتباع ويشجع روح التعاون بينهم كما أنه يجب أن يميل إلى الإنبساطية وروح الفكاهة والمرح بينهم

وأن يكون أقــدر على خلق روح معنوية عــالية ، وأن يتمسك بالقيم الروحيـة والإنسانية والتواضع .

ثانيا : النظرية الوظيفية : وفى هذه النظرية ينظر إلى القيـادة على أنهـا وظيفة تنظيمية أى كيف تتوزع الوظائف القيادية فى الجماعة ، وتتلخص أهم هذه الوظائف فى التخطيط للأهداف القريبة ووضع السياسة العامة للجماعة وكذلك السير على أيدولوچية معينة وأن يكون صاحب رأى فى الإدارة والتنفيذ وأن يتصف بالحكم والوساطة وأن يؤمن بفكرة الثواب والعقاب ويجب عليـه أن يكون نموذجا يحتذى ورمزا للجماعة ، صورة الأب .

ثالثا : النظرية الموقفية : وتنظر إلى الوظائف القيادية والسلوك التى يعبر عنها والتى يقوم بها الفرد فى موقف معين على أنها هى القيادة وتشير هذه النظرية إلى أن العضو فى الجماعة قد يصبح قائدها فى موقف يمكنه من القيام بالوظائف القيادية المناسبة لهذا الموقف ، وترى هذه النظرية بأن القائد لايمكن أن يظهر إلا إذا تهيأت الظروف فى المواقف الإجتماعية لإستخدام إمكانياته القيادية .

رابعا : النظرية التفاعلية : تقوم هذه النظرية على أساس التكامل والتفاعل بين كل المتغيرات الرئيسية فى القيادة وهى القائد وشخصيته ونشاطه فى الجماعة والأتباع وإتجاهاتهم ومشكلاتهم فى الجماعة نفسها من ناحية البناء والعلاقات بين أفرادها فى المواقف كما تحددها العوامل المادية وطبيعة العمل وظروفه ، وترتكز هذه النظرية علي تفاعل القائد مع الأتباع وإدراكه لنفسه وأتباعه وهكذا تقوم النظرية فى أساسها على أن القيادة عملية تفاعل إجتماعى .

خامسا : نظرية الرجل العظيم : يؤكد أصحاب هذه النظرية أن بعض الرجال العظام يظهرون في المجتمع ويبرزون فيه لما يتميزون به من قدرات ومواهب عظيمة وخصائص وعبقرية غير عادية تجعل منهم قادة أى كما فى المواقف الإجتماعية التي يواجهونها .

السلوك القيادى .

يهمنا هنا كمشتغلين بالبحث في علم النفس الإجتماعى أن ندرس السلوك القيادى الذى يتحدد فى النقاط الآتية :

- المبادأة والإبتكار والمثابرة والطموح .
- التفاعل الإجتماعى .
- السيطرة والزعامة .
- التمثيل الخارجى للجماعة .
- العلاقات العامة .
- التكامل الإجتماعى .
- التخطيط والنظام والتنظيم .
- الإعلام والإحاطة وتوصيل المعلومات .
- التقبل والإعتراف المتبادل بين القائد والجماعة .
- التوافق النفسى الإجتماعى .

أثر الجماعة فى سلوك القائد الناجح .

يتضح ذلك فى النقاط الآتية :

- تفاعل الجماعة مع القائد ومساعدته فى تنفيذ ما يخططه ويشير إليه مما يصل بالجماعة إلى هدفها المنشود .
- إستخدام اللباقة فى إستثارة إهتمام القائد مما يساعد على نجاحه وتحقيق مصلحة الجماعة .
- إدراك الجماعة أخطاء القائد ومواطن ضعفه حتى يمكن للجماعة توجيهه من أجل صالحها .
- على الجماعة تسوية المسائل البسيطة من تلقاء نفسها تخفيفا للعبء عن القائد .

أنواع القيادة والمناخ الإجتماعي .

أجريت دراسات كثيرة حول أنواع القيادة والمناخ الإجتماعي بصفة خاصة :

١ - القيادة الديمقراطيـة « الإقناعيـة » .

٢ - القيادة الديكتاتورية « الإرغامية » .

٣ - القيادة الفوضوية « الحرية المطلقة » .

وقدأجريت بعض الدراسات التي تثبت أثر سلوك الفرد والجماعة بمناخات إجتماعية ثلاثة ودراسة بعض الإستجابات التي تحدث عندالإنتقال من إحدى هذه المناخات إلى مناخ مغاير وهذه المناخات الإجتماعية الثلاث هي :

المناخ الديمقراطي - المناخ الديكتاتوري - المناخ الفوضوي .

وقد أجريت تجربة عن هذه المناخات الثلاث وكانت عينة هذه التجربة تتكون من تلاميذ في فرقة دراسية واحدة قسموا إلى أربع نواد بكل ناد خمسة أطفال. ولكل ناد إسم معين وقد حدث تجانس بين النوادي الأربعة من حيث الصفات الشخصية والجسمية والذكاء والميل إلى الطاعة ، وإستخدم في ذلك إختبارات الذكاء وتقديرات المدرسين ومقياس العلاقات الإجتماعية ، وتوحدت أوجه النشاط في الأندية وعمل في هذه التجربة أربع رواد تعاقدوا مع كل ناد من النوادي الأربعة وتبادلوا العمل في مناخ الجماعة في المواقف المختلفة مرة كل ستة أسابيع ، وفيما يلي وصف المناخات الإجتماعية كما طبقت في التجربة :

الديموقراطية:

- سياسة النادي وأوجه النشاط إتفق عليها نتيجة لمناقشة جماعية وقرار جماعي بأخذ الأصوات مع تشجيع القائد ومشاركته .
- الخطة الشاملة نوقشت بطريقة ديموقراطية .
- كان لكل طفل حرية إختيار رفاق العمل .
- كان الرائد يستخدم الثواب والعقاب بطريقة موضوعية .

الديكتاتورية :

- وضعت سياسة النادي بمعرفة الرائد وحده .

- كانت أهداف النشاط غير معروفة .
- لم يكن للفرد حرية إختيار رفاق العمل .
- إستخدام الرائد الثواب والعقاب بطريقة شخصية .

الحرية المطلقة :

- كان هناك حرية تامة مطلقة .
- كان إختيار رفاق العمل والأصدقاء بحرية تامة .
- كان الرائد حياديا تماما في جميع تصرفاته .

وكان من أهم نتائج هذه التجربة الثقة المتبادلة بين الأفراد بعضهم وبعض وبينهم وبين الرائد قد ظهرت فى المناخ الديموقراطى الذى أشاع جوا من الثقة المتبادلة بعكس المناخ الديكتاتورى الذى يجعل الأفراد أكثر إعتمادا على الرائد وأكثر تملقا له.كما كان فى المناخ الديمقراطى صفات الإستقرار والراحة النفسية والمسالمة بعكس المناخ الديكتاتورى الذى ظهرت فيه مظاهر القلق وعدم الإستقرار وحدة الطبع وإنخفاض الروح المعنوية ومن ناحية مناخ الحرية المطلقة كانت الثقة المتبادلة فيه على درجة متوسطة بين المناخ الديمقراطى والديكتاتورى ، وفيما يختص بتعاقب بعض المناخات الإجتماعية كانت كالآتى :

الإنتقال من الإستبدادية إلى الديمقراطية أو الحرية المطلقة يترتب عليه أول الأمر إنفجار عنيف ، هذا الإنفجار يدلنا على ماكان يشعر به الأفراد سابقا من كبت وتوتر شديدين إلا أن هذا السلوك لم يستمر طويلا بل تأقلم الأطفال مع المناخ الإجتماعى الجديد

الإنتقال من الإستبدادية إلى الديمقراطية أو الحرية المطلقة ثم العودة مرة أخرى إلى المناخ الإستبدادى قد قوبل بمعارضة شديدة بعد تجربة مناخ الديموقراطية والتأقلم بها .

أشكال القيادة .

تتعدد أشكال القيادة حسب أنواع الجماعات وأسلوب القيادة ذاته ونتناول فيما يلى أشكال القيادة .

أولا : القيادة الجماعية :

تتضمن توزيع المسئوليات القيادية بين أفراد الجماعة حسب قدرات كل منهم وليس هناك شئ فى طبيعة القيادة نفسها يتطلب تركيزها أو توزيعها .

والقيادة الجماعية ضد تركيز القيادة فى يد فرد واحد بل ينتظم الأعضاء فى تنظيم يتبع فى تعاون المجموع فى تحقيق الأهداف والعمل للوصول إليها ، وهكذا نجد أنها تنبع من المبادئ الديمقراطية ، ومن مميزات القيادة الجماعية ما يلى :

- تؤدى إلى تنمية شخصية الفرد سواء كان قائدا أو عضوا .
- تخفف العبء على القائد وتقلل إعتماد الأعضاء عليه .
- تكفل للفرد حق تقرير مصيره .
- تعبر بالطريق السليم لحل مشكلة توافق الفرد مع المجتمع .
- تتسم بالديمقراطية وتنقى النفوس من النزعات الفردية .
- تدفع القائد للتفاعل مع الجماعة والإنسجام معها .
- تزيد من فاعلية الجماعة والعمل لصالحها .

ثانيا : القيادة الإدارية :

على القائد الإدارى أن يدرس جماعته من حيث الأدوار التى يقوم بها أفرادها وتماسك الجماعة وبناؤها وأهدافها وعليه أن يكون تأثيره فى سلوك أعضاء الجماعة وتوجيهه لهم فى سبيل تحقيق أهداف الجماعة بأسلوب ديمقراطى بعيدا عن الأوتوقراطية والتسلطية والبيروقراطية ، ومن أهم أسس القيادة الإدارية :

- إعطاء المرؤسين قدرا كبيرا من الحرية فى وضع خطة العمل وتحديد الأهداف .
- العمل على الحفاظ على تماسك الجماعة وتضامنها وقوة بنائها .
- القيادة المتمركزة حول الجماعة تؤدى لنتائج أفضل من أسلوب القيادة المتمركزة حول الإنتاج .

ثالثا : القيادة العسكرية .

القيادة العسكرية هي فن التأثير على الرجال وتوجيههم نحو هدف معين بطريقة تضمن بها طاعاتهم وثقتهم وإحترامهم وولاءهم وتعاونهم . والقائد العسكرى الجيد هو الذى يتحلى بالسمات القيادية الديمقراطية والثقافية العامة والتدريب العملى والصحة النفسية .

ومن دلائل النجاح فى القيادة العسكرية إرتفاع الكفاءة القتالية للجماعة والإلتزام للأفراد بقواعد الضبط والربط وإرتفاع الروح المعنوية وسيادة روح الفريق .

ولاينكر أحد أهمية وجود القائد الجيد وخاصة أن الجماعات فى القوات المسلحة واجبها مقدس وخطير ويعتمد على حسن أداء واجبها من أجل كرامة الوطن نفسه ويتصور الكثيرون أن العبء الأكبر يقع على القيادة نفسها ومن هنا قال « نابليون بونابرت » لايوجد جندى ردئ بل يوجد ضابط ردئ » .

الفصل الرابع عشر

الصحة النفسية والسيكودراما والإدمان .

* أهداف الصحة النفسية .
* التوافق والقدرات العقلية .
* سيكولوچية الشخصية .
* أنماط الشخصية .
* المظاهر الجانبية للشخصية .
* ميكانيزمات السيكودراما ومسرح مورينو .
* دور المسرح العلاجى .
* وظائف السيكودراما والسيسودراما والسسيومترى .
* الرعاية الإجتماعية المطلوبة .
* المميزات المرغوبة فى الأخصائى الإجتماعى .
* أساسيات النجاح فى الإشراف والإدارة .
* حاجتنا إلى التوجيه المهنى .
* إدمان الخمور والمخدرات .
* وسائل علاج الإدمان .
* الآثار النفسية لإدمان الحشيش .
* إتجاه جديد فى علاج الإدمان .

الصحة النفسية والسيكودراما والإدمان .

تعريف الصحة النفسية .

هي القدرة على توافق الفرد مع المواقف المختلفة وكذلك قدرته على مواجهة مشاكله الشخصية بدون توتر واضح بحيث يظل قادرا علي أن يكون شخصا بناءا فى المجتمع .

يقدم هذا الفصل وظائف الصحة النفسية وقيمتها فى سلسلة التوافق الفردى وينحصر فى :

١ - تقرير مختصر لمشاكل صغار السن والتى تظهر أثناء محاولتهم الوصول إلى مرحلة النضج .

٢ - وصف عوامل النمو البشرى .

٣ - تقديم طرق الإرشاد فى التوافق المستخدمة فى المدارس .

مشاكل التوافق لدى الأشخاص .

لو درسنا جماعة من الناس فى جيل معين ومن جميع الأعمار لوجدنا أعراضا خطيرة للإضطرابات والضغط النفسى لديهم .

وفى أثناء فترة الأزمات القومية أو العالمية تزداد هذه المجموعة من الناس ويظهر التأثير الخطير على صغار السن خاصة .

وتقع المسئولية فى ضغط الإضطرابات بين الشباب على المهتمين بسلامة صغار السن من الأباء والأمهات والمدرسين ورواد المجتمع الآخرين ، كما أن الحروب لها تأثيرها الشديد على صغار السن .

فقد زاد الإنتاج بتوسع كبير مع بدء الحرب العالمية الثانية وزاد الطلب على العمال زيادة كبيرة وقد زاد من تشجيع بعض صغار السن على التصرفات والمواقف المستهجنة ، نجاحهم فى مجال العمل وهذه التصرفات ليست فقط تجاه مرءوسيهم بل تجاه عائلاتهم أيضا « إعتماد الشباب على نفسه وإستقلاله » فإستقدام الشباب فوق سن ١٨ سنة لقوات الجيش قد أثر على تعليمهم ونموهم الإجتماعى لأن نقل هؤلاء الشباب من بيئتهم التى تعودوا عليها إلي معسكرات الجيش وتغيير طبيعة

حياتهم كان عاملا مساعدا علي إضطراباتهم جميعا ما عدا القلة منهم حيث أن بقاءهم فى الحياة مقترن بتجارب الحرب والتدمير « الخوف من الموت » كذلك وجود الشباب والرجال بزى واحد أثناء فترة الحرب فى بعض المدن وسط الفتيات والسيدات أدى إلى إتجاهات وتصرفات جنسية غير طبيعية .

كما أثرت الحروب أيضا على مستوى الصداقات والعلاقات حيث أصبحت تتم بسرعة وقبل أن يجد الناس الغرض من معرفة بعضهم البعض وقدأسفر ذلك عن خيبة الأملفي العلاقات الزوجية والصداقات مما أدي إلي التدميرالنفسي والعقلي .

أما الفترة التى تلت الحرب والتى تركزت فيها عملية البناء والتغيير جعلت الأغلبية تمر بتجارب عديدة وأسفرت أيضا عن الكثير من المشاكل التى كانت لها خطورتها على التوافق ، وكان الإنتقال من الحرب إلى مرحلة السلام فى حاجة إلى أنشطة مختلفة لتتناسب وأوضاع العمل وإعادة بناء النظام الإقتصادى ، كما أدى ذلك إلى الإضطرابات النفسية وعدم التوافق وتغيير السلوك وعلى الأخص فى مرحلة المراهقة وظهر هذا التوتر أيضا على الأطفال المولودين فى هذه الفترة وظهر ذلك فى سلوكهم وتصرفاتهم ، وقد كان من الطبيعى أن يظهر ذلك فى الأطفال بسبب وجود آبائهم فى محيط المشاكل الإقتصادية الإجتماعية حيث فقد جو الأمان الذى كان يجب أن يتوافر لنمو هؤلاء الأطفال .

الحاجةللصحةالنفسيةووظائفها :

وللحفاظ على الإستقرار المعنوي للمواطنين يجب أن نبدأ بتقييم :

أولا : طاقة صغار السن وتقاس بطريقة غير مباشرة عن طريق الوراثة .

ثانيا : المؤثرات العلمية والبيئية التى توجه الطموح وكذلك الإتجاهات والمناشط فى مرحلة الطفولة والمراهقة مع وجود الصحة البدنية والنفسية للفرد ، فالشخص الذى يفقد الثقة بنفسه وبالآخرين هو الذى يسمح لنفسه أن يظل قلقا بدون سبب بشئون الحياة اليومية . والذى يتفاعل مع الآخرين بطريقة عدوانية لتحقيق ذاته ، يصبح عبئا على نفسه وعلى المجتمع .

ولقد أثبتت التجارب العلمية تأثير هذه الحالات على نمو الإضطرابات العقلية فوجد أن هناك أكثر من ٨ مليون أمريكى متأثرون بدرجة معينة بالأمراض

العقلية ، ويجب أن يواجه هؤلاء الأشخاص الذين ينذرون بمرض عقلى إلى محللين نفسيين أو أخصائيين فى الأمراض العقلية .

وتعتبر الوظيفة الأولى لأولياء أمور صغار السن هى المحافظة على الصحة العقلية لهؤلاء الأشخاص فى مجالات عملهم .

أهداف الصحة النفسية .

١ - المحافظة على سلامة النفس للفرد والجماعة .

٢ - فهم العلاقة بين تجارب الحياة ونمو الشخصية .

٣-الإكتشافات والبحث العلمى الذى يمكن من خلالهما تقديم المساعدة لمرضى النفوس ويعتبر كل من يعمل مع صغار السن مسئولا عن تركيز الجهود والوقاية من المرض النفسى والمحافظة على سلامتها . فالآباء والأمهات ورجال الدين والباحثون الإجتماعيون وأصحاب الأعمال والمسئولون بالمدرسة ، كل هؤلاء فى حاجة إلى معرفة الخطورة على الصحة النفسية فى الحالات المتوارثة فى البيئة على مر الزمن وبناء على ذلك يجب أن يوفقوا بين صغار السن وهذه الحالات أو يساعدوهم على التوافق مع العوامل التى يصعب تغييرها ، وبهذا تكون نسبة حدوث الأمراض العقلية أقل .

التوافق أثناء الطفولة والمراهقة .

التكوين الجسمانى :

قد يكون تكوين الفرد الجسمانى أهم العوامل الواضحة فى شخصيته حيث نجد كل من يتعاملون معه مستجيبا لتكوينه البنيانى ، لجاذبية مظهره ، ولقوته ونشاطه ، إن بعضا من هذه الصفات يمكن تكييفها بالممارسة ، ولذلك يجب على الآباء والمدرسين أن يعرفوا ويطبقوا مبادئ الحفاظ على الصحة حتى يستطيع الأطفال تكوين عادات شخصية محبوبة منذ حياتهم الأولى مثل عاداتى الغذاء الصحى والنوم وهما أساسيتان للصحة الجيدة ، فليس من السهل التعود على النظام فى الطعام وليس كل فرد يعرف أهميته بالنسبة لنمو الطفل .

إن فترة فطام الطفل لابد أن تكون تدريجية ومحدودة ويجب أن يقدم الطعام للطفل الصغير قبل تناول بقية أفراد الأسرة غذائهم .

وكثيرا ما يجلس الطفل إلى مائدة الطعام ويمنع الكبار من الإستمتاع بالأكل أو الإنتظار حتى ينتهوا من الطعام أو الكلام ويجب تدريبه على عادات الطعام الجيدة وعلى أداب المائدة .

إن عادات النوم هى مسئولية الأبوين ، فالنوم الكافى والمريح هو عادة صحية ، ومن هنا يجب أن تنظم ساعات النوم منذ الطفولة المبكرة ، ولابد أن يدرب على الذهاب إلى فراشه لينام دون إهتمام من الأم أو أفراد الأسرة الآخرين .

إن تكوين عادات منتظمة للنوم أثناء فترة الطفولة التى تستمر أثناء حياته لها فائدتها وتأثيرها الصحى الممتاز على الكبار البالغين كما أن لها أثرها على الأفراد الصغار .

وتنمو مقدرة الطفل على المشى تدريجيا مع نموه الجسمانى وعلى الوالدين ألا يصمما أن يبدأ الطفل المشى مبكرا جدا إذ لابد من الإنتظار حتى يتم النضج الكافى كما يمكن للطفل أن يتدرب على المشى برشاقة مع بسط قامته .

إن عادات الكلام التى تتكون أثناء فترة الطفولة تميل إلى البقاء لذلك فإنه يجب على الأبوين والكبار أن يهتموا بطريقتهم فى الكلام وإختيار الكلمات والألفاظ بوضوح وبطريقة مميزة كما يجب تشجيع الأطفال على ذلك ، فأثناء فترة الطفولة يحصل الفرد على المفاهيم الأولى لقيمة العادات الصحية السليمة بالنسبة لنفسه ولقيمة العناية المنتظمة لجسمه .

وعموما فإنه أثناء تكوين عادات النظافة مثل تجنب العدوى أو الملامسة والعناية بالأسنان أو تجنب المؤثرات الناتجة من البرد يجب أن تكون جزء من عادات الطفل التى يعطيها له الأبوان عن طريق إرشادات مناسبة فى هذه الأمور ، ويميل المراهقون لإنتهاز الفرص المؤدية إلى بناء جسمانى ضعيف ، وفى نفس الوقت يصبحون أكثر إنتباها لمظهرهم الجسمانى وقد يذهبون للتطرف حتى يحصلوا على الإنتباه ولفت الأنظار .

ليس هناك من وقت يحتاج فيه لفرد للإعتدال أكثر من هذه الفترة من ناحية نوعية الطعام الذى يأكله وأنواع المناشط التى يزاولها ونظام وعادات النوم والعناية

بظهره كل ذلك يكون القواعد للإهتمام المتزايد لتدريبات فترة المراهقة ، وهنا يبدأ الإستقلال النامى للشباب أثناء هذه الفترة ، لذلك يجب تدخل الأبوين والمدارس فى هذه الشئون بطريقة غير مباشرة ولكنها محدودة .

أهمية التوافق العاطفى :

تتأثر شخصية الطفل عامة بالبيئة المحيطة به والتي نما فيها وكذلك التأثير على التحكم في عواطفه ، فمن السهل معرفة بعض الحالات مثل الكبت والفشل فى تحقيق هدف معين وعدم القدرة على إشباع إحدى الرغبات الداخلية للشخص وكل ذلك يؤدى إلى إختلاف فى التوازن العاطفى للشخص وهناك عدة تأثيرات بيئية على الطفل تؤدى إلى حدوث ضغط عليه بالرغم من أنها غير موجهة لشخصه مباشرة ، إن مثل هذه المؤثرات قد يتوافق معها الطفل وقد لا يتوافق ، وقد يضطرب الطفل أثناء مشاجرات الأبوين أو نتيجة العطف الزائد ، وكذلك قلقه على الناحية المادية أو حالات مرض أحد أفراد الأسرة ونتيجة لذلك قد يصاب الطفل بالقلق النفسى .

إن أثر بيئة المنزل على الطفل ينتج عنها إتجاهات تساعده أو تعرقله من الناحية الدراسية بالمدرسة ، ويعتبر الآباء مسئولين عن التوافق العاطفى للطفل ، ويتقاسم الآباء والمسئولون بالمدرسة مسئولية سلوك وعادات حديثى السن والمراهقين.

هذا وقد تساعد البيئة المنزلية السليمة على تعليم ومزاولة الطفل لمبادئ ضبط النفس وعندما ينتقل الطفل إلى المجتمع الأكبر وهو المدرسة يجد نفسه وسط زملاء كثيرين كل يختلف عن الآخر ، فيجد نفسه حائرا فى مواقف لايستطيع فيها تطبيق مبادئه التى تعلمها بالمنزل .

لذلك يحتاج الطفل إلى توجيه إضافى لمقابلة تطور العادات الأخرى بالمجتمع المرغوب فيها توجيهه إلى أوجه النشاط المختلفة بالفصل لتساعده على تفهم موقفه هو وزملاءه فى حقهم للوصول إلى النجاح عن طريق التعلم ، ولابد للطفل أن يفهم مبكرا حقيقة هامة وهى حاجة المدرس إلى تعاون جميع التلاميذ فى الفصل وأن عدم تعاون أى تلميذ غير مسموح به فى الفصل للتأثير على عملية التعلم والتعليم .

وهنا لا نستطيع إفتراض أن الشخص الذى لم يوجه مبكرا يكون قادرا على ضبط سلوكه بتصرفات مرضية خلال فترة تعليمه المختلفتوبناء علي ذلك فإن وظيفة المدرس إبتداء من فترة الحضانة حتى أعلى المستويات لابد وأن توجه نحو توافق السلوك المرغوب فيه للتلاميذ وذلك بإستخدام المقاييس التربوية التى يراها المعلم مناسبةلتحقيق هذا الغرض.كمايجب تطبيق هذه الوسائل بطريقة مفهومة وموضوعية وعليه أن يعلم التلاميذ مفهوم التعاون السليم للعمل على إصلاح سلوكهم الشخصى ويعتبر أهم شئ فى ذلك أن تتبع هذه المقاييس الخلقية من الإحساس الداخلى للتلميذ ولايكون هذا التحكم فى الفصل فقط بل لابد أن يتعداه إلى مختلف المناشط للتحكم وضبط النفس عن مزاولة أى سلوك ضار فى أى مجال آخر.

وعادة ما يعتبر المراهق نفسه قد أتى بتصرفات مندفعة وتظهر هذه التصرفات إما معبرة عن قلقه أو مقبولة بالنسبة له ، وقد تؤدى إلى :

صراعات عاطفية - إضطرابات جنسية - حماس - غيرة - تعاطف - مرح .

ومن أهم وظائف التوافق فى سن المراهق تعليم الفرد تدريجيا التحكم فى ضبط العواطف الحادة والظاهرة ، وعلى المراهق ألا يلجأ إلى أخذ العواطف بطريقة حادة جدا حتى يصل إلى النضج العاطفي السليم حيث أن عدم النضج العاطفى لا يؤدى إلى تعاسة الفرد المراهق فقط وإنما يؤدى إلى تعاسة الآخرين المحيطين به فإذا تعود المراهق على ممارسة العادات الصحية السليمة التى تعود عليها فى الصغر مثل النوم - الغذاء - عمل الواجبات - الترفيه . فستكون قدرته على توجيه عواطفه التوجيه الصحيح أكبر وأفضل . وعلاوة على ذلك فتقديم هذه المؤثرات يكون تدريجيا حتى نعطي المراهق فرصة لتكييف نفسه لمؤثر تلو الآخر حتي لايصاب بأى مرض عقلى .

التوافقوالقدراتالعقلية :

يمكن للطفل أن يظهر علامات مبكرة للتألق ، وتشير إلى قدرة لا تزيد عن المتوسط ، وهنا يبالغ الأبوان أحيانا فى تقدير الطفل ويأملون أن يصلوا به إلى الكمال حيث يجعلون حياة الطفل بائسة بإتهامه بالكسل والتراخى أو التقصير فى تقدير ما يفعلونه من أجله ، كما يجعلونه دائما يشعر بأنه مسئول شخصيا عن

التقصير فى التحصيل المتوقع نتيجة لذلك يقل إهتمامه لزيادة التعليم .

هذا وقد يحدث الصراع العقلى عندما يحاول الفرد أن يفهم الأنماط المختلفة للسلوك وأن يرسم سلوكه الشخصى على الأنماط التى تتراءى له ليكون القيمة القصوى للتقليد ، فإذا تمكن الشاب من المساعدة على التعرف على الأسباب التقليدية والبيئية وإختلاف المستويات واستطاع بذلك أن يحصل على تقدير قيم لأكثر الطرق المقبولة للتفكير والأفعال وأن يخرج بمثاليات وأنماط سلوكية شخصية خاصة به والتى ستحل هذه الصراعات ، فإن ذلك يؤدى إلى التكيف النفسى لوسطه الذى يعيش فيه .

التوافق الجنسى:

يهدف التعليم إلى التوافق الأسرى وقد أصبح للعلاقات بين الجنسين مفهوم من جانب الوالدين والمؤسسات التعليمية الأخرى وهنا نتساءل : ما هى المعلومات التى يجب أن تعلم للطفل عن الجنس ؟ وفى أى وقت يجب أن تعطى ؟ وفى أى إطار ؟ .

هذا هو السؤال الذى يقابل كل من حاول الإهتمام بهذه المشكلة .

إن كثيرا من الآباء والأمهات يترددون فى المبادرة فى الحديث عن الجنس ليس لشئ ولكن لقلة تدريبهم وتبعا لذلك يميلون إلى الإمتناع عن الحديث ويتركون للطفل أن يتعلمها كيفما شاء وفى المجتمع الحالى يعلم الأطفال بعضهم بعضا الكثير عن بعض أجزاء الجسم ووظيفة كل عضو فى وقت مبكر عما يتوقعه الآباء .

لذلك أصبح من المهم أن يتعلم الطفل المعلومات السليمة عن فهم عملية الولادة وأجزاء الجسم ووظائفها والبلوغ بالنسبة لجنسه والجنس الآخر قبل أن ينبه لذلك بمعلومات خاطئة من الآخرين .

إن توجيه الأطفال للعادات الصحية السليمة المرغوبة مثل التبول والتبرز ونظافة أعضاء الجسم يعتبر طريقة غير مباشرة فى التعليم الجنسى كما أن حب الإستطلاع عند الأطفال يزيد عند الأشياء التى يحاول الكبار أن يخفوها عنه ، لذا يجب أن يتعود الطفل أن يرى أجساد الأطفال من الجنسين عاريا ، ويجب أن يُلاحظ

الإختلافات العضوية بين الذكر والأنثى ويتقبلها حتى يقل عند الطفل حب الإستطلاع للتفرقة بين الجنسين كما يجب على الأم والأب ألا يشعرا الطفل بحبهم لأحد الأطفال فى الأسرة عن الآخر حتى يشعر الطفل بالحب والطمأنينة ، ولا بد لممارسة الحب أن يرتبط بالتضحية بالرغبات الشخصية والأفعال الطيبة من شخص لآخر حتى يتعلم الطفل الحب بمفاهيمه الكبيرة ويعتبر كل ما يتعلق بجسم الطفل وبحياته من أهم الأشياء بالنسبة له .

ولذلك إذا لم ينهر من والديه فسوف يلقى عليهم جميع الأسئلة التى يريد لها أجوبة عن نفسه سوف يسأل من أين يأتى الأطفال ولماذا تختلف أخته عن أخيه ؟ وعليه يجب أن يلم بالأسماء الصحيحة لجميع أجزاء الجسم مثل : المستقيم - الأرداف - الشرج - القضيب - الخصيتين - المهبل ، ولابد للطفل أن يعلم أن الرضيع كان فى جسم أمه وأن للأب دورا فى خلق هذا الرضيع ، إن معلومات من هذا القبيل لابد أن تعطى للطفل بطريقة لبقة حتى يستطيع أن يفهمها وإذا لم يكن هناك إتجاه لإحترام النفس والوالدين وأفراد الجنس الآخر أثناء إعطاء معلومات جنسية فسوف تنشأ وتشجع عادات غير صحيحة .

لذا لابد لتعليم الطفل من الصغر ضبط النفس وإحترام الآخرين فى جميع علاقاته الإنسانية .

وعلاوة على ذلك هناك طريقة مثلى لصرف النظر عن أى علاقة جنسية غير مرغوب فيها وهى إيجاد الفرص لبذل الطاقة مثل : الألعاب والأعمال الصحية حتى لا ينصرف الشخص إلى عادات غير مرغوب فيها .

وحين يقترب الطفل من سن البلوغ فهو بحاجة للتهيئة إلى التغيرات الجديدة التى ستحدث له فقد تشعره التغيرات الجديدة بالرغبة فى ممارستها مع نفسه أو مع بعض الأولاد والبنات ، وتتأثر الحياة الجنسية للمراهق عند بداية حياته كبالغ بكيفية إعداده جنسيا ممن يكبروه هذه التغيرات التى تحدث للصغار سواء كان مهيئا لها أو غير مهيئ ، وعادة ما إقترن بصدمة كبيرة وبالرغم من أن الصبى عادة لا يشعر بنفس الإضطرابات النفسية التى تصاحب الفتاة عند سن البلوغ خاصة إذا كانت لم تهيأ نفسيا لإستقبال أول عادة شهرية فقد تصاب بالقلق النفسى عند رؤية الدم لأول مرة .

إن إعطاء المعلومات الصحيحة عن الظواهر الطبيعية فى سن البلوغ قد يمنع حدوث صراعات نفسيية للصبى البالغ .

كما أن إتجاه الفتاة نحو الوظيفة الطبيعية لبلوغها تعتمد كثيرا على إتجاه والدتها ، فقد تحدث العادة الشهرية مبكرا وبإنتظام وقد تكون مؤلمة وفى كل الحالات يجب أن تفهم الفتاة العلاقة بين هذه التغيرات مستقبلا مع الزواج وعلاقتها بالأمومة ومسئولياتها .

وأثناء السن المبكرة للمراهقة قد يجد الصبى أو الفتاة جاذبية غير متوقعة من الجنس الآخر كزميل بالمدرسة أو جار للطفولة الذى كان بالأمس لا يعنى أى شئ وقد أصبح فجأة له مميزات رائعة تجعل منه إنسانا مرغوبا .

إن وجود هذه الدوافع الجديدة فى حياة الشخص قد تعود بتغيير كامل للعادات والإتجاهات والأنشطة المختلفة ، كما أن الأعمال الروتينية قد تصبح غير محتملة ، أما المظهر الخارجى للشخص فله أهمية عظمى .

وبالنظر إلى سلوك الأفراد فى سن المراهقة نجد هناك متناقضات فقد يصبح الفرد عدوانيا أو فى معظم الحالات يميل إلى الخجل أو عدم الكلام بدون داع ولا يعلم المراهق فى هذه السن إن حبه للطرف الآخر ليس حبا حقيقيا .

وإذا كان الفرد مهيئا نفسيا قبل بلوغه سن المراهقة عن الجنس ، وأتيحت له الفرص للإرتباط بالجنس الآخر ولم يتعرض إلى تشويه إتجاهات الجنس ممن هن أكبر سنا فسيكون قادرا على تحقيق توافق جنسى معقول .

التوافق الإجتماعى :

بعد أن يصبح الطفل مدركا للأشخاص الآخرين الذين يكونون بيئته الإجتماعية فإنه يميل لأن يعتبرهم الوسائل التى يمكن عن طريقها أن يحصل على الرضا الشخصى ، إنه يحتاج لتدريب لكى يعدل إهتماماته الذاتية البحتة وأن يتعاون من أجل مصلحة الآخرين فى جميع الأنشطة .

يقلد الطفل مبكرا عادات أسرته فى الحديث والطعام ويعكس تدريجيا إتجاهاته التى تعلمها بمنزله نحو المجتمع الأكبر من الأصدقاء والمعارف والآخرين الذين يتعامل معهم من ناحية الإتجاهات فى الشك والثقة والإسراف و الإقتصاد

والمشاجرات والسلام والسلوك الإجتماعى أو غير الإجتماعي .

لذا نرى للبيئة إعتبارا هاما فى التكيف الإجتماعى للشباب فيبدأ الفرد فى التكيفات الإجتماعية الجديدة والمختلفة مع سن المراهقة فهو قد ينمى ميول عقائدية ودينية ، كما قد يعتقد مثلا أنه يستطيع أن يصلح العالم « الكون » وأن يصبح شهيدا للواجب والصالح العام .

إن معرفة المراهق بتقدم العالم ومشاكله قد تثيره إلى التضحية بنفسه وإلى التبعية الذاتية لينافس أعمال رواد التقدم الإجتماعى الذين درس عنهم أو قد يكون تقديرا عظيما لنفسه وأهميته .

وتبعا لذلك فقد يصل إلى مرحلة أكثر مما يعطى وربما يصل لدرجة ينظر فيها لنفسه كصاحب الحق الكامل لمصالحه المبالغة وبذلك لا يهمه إتجاهاته نحو الآخرين مع شعوره بالإستقلال .

ولكى تنخفض حدة الصراعات المراهقة فإن الشباب يحتاج إلى الفرص الكثيرة للتدخل فى دراسة الصراعات المثيرة أو الإندماج فى الأعمال أو بعض المناشط الترويحية .

سيكولوجية الشخصية .

إن مصطلح الشخصية - كأى مصطلح فى علم النفس - له إستعمالات كثيرة ويجب أن نولى هذا المصطلح عناياتنا حتى يمكننا تحديد المعنى العلمى الدقيق عند إستخدامه فى علم النفس ، وكثيرا ما نصادف أناسا يقولون أن «نادرا» ذو شخصية فذة و«ماجدة» لا شخصية لها ، كما أن القليل من الأشخاص سعداء الحظ للغاية لأنهم ذوو شخصية مؤثرة فى الآخرين . بينما البعض الآخر يعيش عيشة هامشية ولا شخصية لهم بالمرة ، ومن ثم يمكننا القول بأن الشخصية ليست مقدرة بعض الأفراد على إكتساب الإهتمام والمنفعة ، ولاشك أن كل التعبيرات السابقة تتضمن تقييما وتأثيرا لبعض الأفراد على البعض الآخر ولذا فهناك الشخصيات القوية والشخصيات الضعيفة والمنبسطة والمرحة والمكتئبة والمنشرحة وليست المسألة مسألة شخصية ضعيفة أو قوية ولكن لب الموضوع كله قد يكمن فى تأثير الفرد على الآخرين وأثره عليهم .

إن كل الأفراد يختلفون كثيرا فى شخصياتهم وليست هناك شخصيتان متشابهتان أبدا مثلها فى ذلك كمثل البصمات التى لاتشترك إثنتان منهما فى سمات واحدة .

وهنا نقول إن الفرد مجموعة من الصفات والخصال مجتمعة بعضها البعض لتكون نمطا متكاملا عندما ننظر إليه ككل وبذا تعرف الشخصية على أنها نمط متكامل من الصفات أو السمات .

سمات الشخصية :

ليست هناك سمة أو خاصية معزولة وحدها أو أنها تخص فردا واحدا وحده مما يجعل مفهوم الشخصية أكثر شمولا ولسوف يتضمن ذلك المميزات الطبيعية والخصال السلوكية والقدرات العقلية ونوع المزاج . إن إهتمامنا الأول - من وجهة نظر علم النفس - سيتركز على التباين فى السلوك ، وكذلك الإختلاف فى القدرات ، وهنا نتساءل : كيف يختلف الناس فى سلوكهم ؟ وليس هناك مصطلحا وافيا يشمل كل الصفات السلوكية التى لم ترد فى القدرات العقلية .

المزاج .

يستخدم هذا الإصطلاح ليشمل كل الصفات الإنفعالية أو العاطفية للأفراد ولكن لا يأخذ كل الصفات السلوكية التى لا تصنف تحت القدرات .

الخلق .

هذا المصطلح له أهمية أخلاقية ويمكننا القول أن الصفات السلوكية هى الصفات التى نضفى عليها تقييما أخلاقيا ، إن صفة كالعصبية أو التآلف أو المرونة من الصعب أن تكون صفة صحيحة صحة مطلقة . فالناس لايمكن إن نمدحهم أو نلومهم طبقا لمثل هذه الصفات السابقة فى ثقافتنا الحاضرة ولكن صفات مثل الخوف والجبن والقسوة والأمانة لها وجهة نظر أخلاقية تحت قوانين علم الأخلاق إن مثل هذه الصفات الشخصية تمثل الطرق التى يختلف فيها الناس .

مشكلات الشخصية.

إن المشكلات السيكولوجية للشخصية كثيرة ومتعددة وذلك من وجهة النظر البحتة وهنا يتطلب الأمر أن نعرف ما هى الصفات الهامة وكيف أنها تتجمع لتكون النمط الذى نسميه شخصية الفرد كما نحتاج أيضا أن نعرف كيف تنمو الشخصية وكيف يصبح الفرد ذا شخصية ؟ وإن حاولنا تغيير شخصية الفرد فإن إهتمامتنا سوف تنحصر فى طرق دراسة الأشخاص والوسائل التى يمكننا بها أن نحدث التغير المطلوب نحو الأكمل والأفضل .

أبعاد الشخصية.

إن كل سمات الشخصية تتضمن إختلافا بين الناس وكل إختلاف أو تباين يتضمن بدوره الإتجاه نحو « التواكل » أو البعد عن أو نحو « الإندفاع » أو «سرعة التأثر» أو نحو « التحذير » نحو الدقة أو عدم الدقة .

خذ على سبيل المثال أن الإختلاف الذى يتضمن الكسل أو البعد عنه هذه الصفة السلوكية لها نقيضها والنقيضان يمكن أن يمثلا عند طرفى خط مستقيم هذا الخط يحتوى على تقسيمات لمسافات محددة مع أوضاع متوسطة على طوله وهذه المسافات وظيفتها التعبير عن البعد .

خلاصة القول : أننا إذا تحدثنا عن الشخصيات الإندفاعية فإننا لا نعنى أبدا أنها متساوية فى الإندفاع وهكذا يمكن ترتيب الأشخاص علي طول الخط الذي يمتد من مجرد التحذير إلي مجرد الإندفاع أو سرعة التأثير أو التأثر نوعا ما .

وطالما يوجد بين الطرفين نقط مختلفة أو مسافات مختلفة حيث ترتب كثيرا من الأفراد فإننا لا نستطيع أن نطلق عليهم أنهم حذرون بوجه عام أو مندفعون بوجه عام أو أنهم سريعوا التأثر ومقياس مثل هذا يرتب عليه الأفراد فإننا نطلق عليه «أبعاد الشخصية» وهى فكرة مجردة لأن « بعد الشخصية » ما هو إلا نسق رمزى يساعدنا فى الحصول على فهم علمي للشخصية .

إن عدد الأبعاد التى يمكن أن يستخدمها الفرد مع الصفات العكسية أو المتناقضة عند نهاية المقياس ستكون كبيرة جدا والكثير منا متشابه وغير متشابه

مثال ذلك : الشجاعة -الجبن - الجرأة يمكن أن تكون صورة معتدلة أو واضحة عن الشخصية إذا عرفنا تماما أين تقع من الخط المستقيم أو نعرف ترتيبها بين هذه الأعداد الكبيرة من الأبعاد .

ومن المشكلات الهامة والرئيسية فى علم النفس هى تقليل عدد الأبعاد والمطلوبة لوصف الشخصية إلى عدد قليل جدا ليساعدنا على البحث والدراسة وهنا وفى هذا المجال نهتم بترتيب الأفراد على الأبعاد المختلفة .

ويهمنا أن نبدأ بإختيار الأبعاد التى تبدو من الملاحظات العامة ، ومن ثم يمكننا تصميم يحدد أى وضع يشغله كل فرد على طول الخط كما يمكن أن تقسم طرق القياس لمعظم الأجزاء الثلاثة أقسام رئيسية هى :

١ - مقياس المدى .

٢ - الإختبارات .

٣ - الأسئلة .

مقيــاس المــدى .

هناك ملاحظات جديرة بالإهتمام عن الأشخاص الناضجين نضجا طبيعيا كأن نأخذ بعض الأفكار عن أين يقفون من الأبعاد الشخصية المختلفة وهنا نصوغ ونشكل عادة عدة ملاحظات عقلية مثل :

١ - إن كلا من الناس لديه ضمير نوعا ما .

٢ - إنه جرئ مقدام .

٣ - إنه يميل أحيانا للإنحطاط .

٤ - غير متقلب الرأي ولكنه ثابت على مبادئه .

إن لحظة حكمنا على الناس قد لاتسجل تماما درجة حبنا لهم أو كرهنا لهم أو عدم إستلطافهم مثلا ، وإنما نحتفظ فى عقلنا بالنوعيات أو النوعية الخاصة وذلك لتكوين مدى ثابتا أو نعطى المدى فكرة واضحة من معنى الأبعاد .

إن المشكلة هنا والعقبة الكبرى هى تكوين أو معرفة الصفتين المتناقضتين بوضوح تام .

مقياس مدى الثبات .

إن الثبات أو الإصرار هو أن نستمر فى المحاولة للحصول على عمل أو وظيفة بالرغم من الصعوبات أو التعلق بالفرص بالرغم من المؤثرات الحاكمة والمعارضة والخوف وعدم الشجاعة ، وهذا هو ما ينطبق على كل الأعمال اليومية .

وإليك مثالا لمقياس ويمكنك إن تضع علامة على الصفة التى تناسبك وهى كالآتى :

ثابت نوعا. مواظب بالرغم من الصعوبات.	يميل لترك الأعمال الصعبة .	عادة ما ينتهى عمله قبل تركه .	نادرا ما ينتج فى المواقف الصعبة .	يعجز أمام العقبات إلى حد ما .

بعض الأخطاء الشائعة فى إستعمال مقياس المدى .

توجد بعض الأخطاء الشائعة فى إستعمال مقياس المدى وهى :

أثر الهالة : Hallo Effect وخطأ التحذير Error of Caution وخطأ التساهل .

معدلات الأحكام الجيدة للشخصية .

ليست كل الملاحظات لديها معدلات جيدة للصفات ويمكننا أن نضبط أى معدل بمقارنة معدلاته بالمعدلات المتوسطة المأخوذة من عدد من الأحكام الأخرى ، وتوضح مثل هذه الإختبارات شكلا معينا للعوامل التى تكون معدلات جيدة وفى هذه الحالة لابد من توفر عدة أمور أهمها :

١ - وجود خلفية فنية للخبرة الإنسانية فى وجهات النظر المختلفة .

٢ - توفير الذكاء العالى للقائم بالحكم على الشخصية .

٣ - تنوع وجهات النظر الكثيرة .
٤ - معدلات واضحة لابد من توفرها فى معدلات الشخص نفسه .

بنـــاء الشخصـــية .

لما كان السلوك البشرى سلوكا معقدا فإننا عند وصفنا لفرد ما بأنه « أمين » فليست الأمانة هنا صفة مطلقة أو أنها أمانة ١٠٠ ٪ ويرجع ذلك لأن الإنسان الفرد يبدى درجات من التعقيد فى أفعاله فقد يكون أمينا دائما أو أحيانا أو نادرا ما يكون أمينا ، إذا كانت صفة الأمانة لديه صفة دائمة فإننا نصفه بالأمانة لأنه أحرز نسبة مئوية كبيرة عن فرد آخر فى نفس الوقت .

التماسك والإتساق فى إختبار السلوك .

عند دراسة الأفراد بعناية وتنسيق فى مواقف الإختبار فقد يمكننا ملاحظة درجات التعقيد بشكل أفضل وأسهل ، ففى دراسة الأمانة فى عدد كبير من مدارس الأطفال حيث السماح وإباحة الغش فى الإختبارات فإن درجة طفيفة من التعقيد قد عملت على إيجاد إرتباط بين تسجيل الإختبارات المختلفة وبعضها الآخر وقد أوضح تسجيل هذه الإختبارات إنخفاضا بلغ متوسطه + ٣, ٠ ومن ذلك يتضح لنا أن الطفل إذا أظهر أنه أمين فى إحدى الحالات فإنه لا يمكن أن ندرك تماما عما إذا كان سيصبح أمينا فى حالة أخرى أم لا .

إن نوعية السلوك تعتمد على الحالة المباشرة إلى حد ما بالنسبة لبعض الصفات المحتملة أو الحالات العقلية من التقسيم وهذا يحدو بنا إلى القول بأنه ليست هناك صفة عامة « ككل » من العادات النوعية وإذا كان الطفل أمينا للغاية فإن ذلك مرجعه لممارسة الأمانة والتدريب عليها وتعامله بطريقة أمينة .

على أن هناك أخطاء كثيرة فى التعميم منها تجاهل حقيقة الصفات الأخرى غير الأمانة وكذلك هناك نقطة أخرى تبين ضعف هذا التعميم وهى أنه إذا كانت حالة عامة للأمانة يمكن تطويرها في كل تقسيم فإنها تنمو مثل أى مفهوم فقد

يتعلم الطفل أن يصبح أمينا فى الحالات النوعية الواحدة تلو الأخرى ، ولكنه يتعلم أكثر منها حين يعمم ما تعلمه فى الحالات المتشابهة وينتقل تدريبه إلى الحالات المناظرة ويربط بين نوع من أنواع الأمانة والآخر ، حين يتكون المفهوم العقلى للأمانة ويكون هذا الطفل قد تعلم الأمانة كمبدأ ، كما يتطلب أى مفهوم مجرد مثل الأمانة أو الفضيلة بلوغ حد معين قبل ظهوره .

إختلاف سمات التعميم .

تختلف سمات السلوك كثيرا فى مجالاتها Scope حيث أن كل إستجابة متعلمة وكذلك الإستجابة البسيطة المعدلة تصبح معممة لمدى معين وليس هناك شك فى أن الإستجابة المعدلة سمة من السمات ، فشخص معين « لديه كراهية معدلة » إمتدت إلى كل أنواع الجبن فهل يمكننا القول بأن لديه سمة كراهية الجبن ؟ إن ذلك يعزى لسببين :

أحدهما : وجود خاصية مميزة فى مجال الفعل تؤثر تأثيرا طفيفا فى السلوك

ثانيهما : إختلاف هذا الفرد عن الآخرين فى هذا الشأن بسبب كراهيته للجبن كطعام يحبه معظم الأفراد إن لم يكن كل الناس .

هذا وإذا كانت الإستجابات المعدلة بعناية وحذر فقد أصبح من الضرورى أن نتعرف على سمة جديدة حيث أن العديد والكثير من العادات المعممة تنفذ حقيقة إلى سلوك الناس بعمق ، وعلى العموم فإن تقسيم سمات الشخصية سوف تفوق خواص السلوك التى تختلف فى كل الطرق من الإستجابات النوعية المعدلة إلى ذات الأغراض والأهداف البعيدة لكى تشمل كل هذه الأفعال وعندما تصبح السمات الشخصية ذات تعميم كاف وشائع فإن التعرف عليها تماما فى الأفراد يمكن أن نسميها سمات أو صفات أساسية .

التحليل الإحصائي للشخصية.

هناك ما يقرب من ثمانية عشر ألف تعبير يمكن أن يستخدم في وصف الناس. إنها ملكه ذهنية لهؤلاء اللذين لديهم موهبة أدبية ويأخذون في وصف

الشخصيات بطريقة وافية كافية فالواقع عندما تقاس الشخصيات فإنها سوف توضع في أمكنة محددة في واحد أو أكثر من أبعاد الشخصية.وقد لعبت تقديرات الإستفتاءات دورا كبيرا في قيام مثل هذه الأبعاد ففي حالة القدرة العقلية وجدنا أن العدد المحدد من القدرات الأولية والني أمكن إكتشافها بالطريقة المعروفة باسم التحليل العاملي.تساعدنا كثيرا علي وصف الأوضاع الأخري للشخصية الإنسانية.

أنمــاط الشخصيـــة.

الإنطوائيون والإنبساطيون:

من أهم الأنماط المتفق عليها تلك التي أتي بها « يونج » والمعروفة باسم «إنبساطية - إنطوائية » فيقترح عالمنا يونج أن :

الإنطوائيين هم هؤلاء الأفراد الذين يتحول إنتباههم داخليا أو نحو أنفسهم ونحو معتقداتهم بينما يري أن :

الإنبساطيين هم هؤلاء الأفراد الذين يتحول كل إنتباههم خارجيا نحو البيئة ومن ثم فإن الشخص الإنطوائي قد يتجنب إقامة علاقات إجتماعية ويميل دائما إلي الإنطواء . بينما يقوم الشخص الإجتماعي بعمل علاقات إجتماعية ويبحث عن الإحتكاك الإجتماعي ويتمتع به كما أن الفرد الإجتماعي يمتاز بإستجاباته العاطفية المميزة بعكس الإنطوائي الذي يحاول جاهدا ألا تبدو مثل هذه الإستجابات .

وهناك فروق يمكن أن نقدمها بين الإثنين نعني بين النمطين وهي كالآتي :

وقبل أن نقارن بين الأشخاص الإنبساطيين والإنطوائيين يمكن القول بأن الإنبساط والإنطواء طبقا لرؤية كل من (يونج وإيزنك) ، بعد من أبعاد الشخصية ، وبينهما يمكن تقسيم أو تصنيف الناس إلي أنماط ، والإنبساطية تقابل المزاج الحاد الغاضب الدموي بينما الإنطوائية تماثل المزاج الإكتئابي البلغمي السوداوي . ويري « إيزنك » أن الإنبساطيين أكثر الناس إستهدافا وإصابة بالهستريا التحولية ، وأن أعراض القلق والإكتئاب تبدو بوضوح كبير لدي الإنطوائيين ،فضلا عن أن هؤلاء الإنطوائيون تميزهم الميول الحوازيه وعدم الإستقرار، هذا وهناك نماذج وأنماط للإنبساطية منها :

النمط الإنبساطي الوجداني ، وهو الذي يغلب عليه سلوك العواطف والإنفعالات ، وكذلك النمط الإنبساطي الحدسي ويغلب علي شخصيته الظن والتخمين ، كما أن هناك النمط الإنبساطي الحسي وتتسم شخصيته بالأحاسيس والمشاعر الرقيقة ، والنمط الأخير هو ما يعرف بالنمط الإنبساطي المفكر ، وتتميز شخصيته بالتفكير والتأمل والتردد في إتخاذ القرارات ، وأول من أستخدم مصطلح «الإنطوائية» هو عالم النفس « يونج » وكان يقصد بهذا المصطلح أن الشخص الإنطوائي ينزع دائما نحو توجيه إهتماماته نحو الداخل بدلا من توجيهها إلي الخارج أي إلا العالم الخارجي من الناس والأشياء ، إن الإنطوائيين - كما يري يونج - نمط من المزاج أو الشخصية ، يميز الأفراد الذين ينحصر إهتمامهم بأفكارهم أو بمشاعرهم أو أحاسيسهم أو حدسهم الشخصي أكثر من إهتمامهم بالعالم المحيط بهم ، وإليك مقارنة بين النمطين الإنبساطي والإنطوائي :

الفرق بين الإنبساطي والإنطوائي

الشخص الإنبساطي.	الشخص الإنطوائي.
نشيط فى بيئته - محب للعشرة .	خامل فى بيئته - محب للعزلة .
معتدل المزاج - مرن - عواطفه	حاد فى مزاجه - متشدد - عواطفه
بادية للعيان - واقعى فى عمله	ليست ظاهرة - خيالى فى عمله
يحب التغيير - سريع الإختيار .	يكره التغيير - بطئ فى إختياره .

إن فكرة التصنيف المنظم للأفراد تعتمد على القوانين العامة للفروق فى التقسيم وعندما إستخدمت الإختبارات والمقاييس لقياس الإنطوائية والإنبساطية نراها قد أخفقت في وضع الأفراد فى نمطين فقط من التقسيمات الإنسانية إذا أن ما يقرب من نصف الأفراد سوف يكون معدلهم ليس فى الإنطوائى أو الإنبساطى ، بل سيكون بين الإثنين ويمكن أن نطلق عليهم « الأشخاص المتساوون كالمتكافئين فى الإنبساط والإنطواء » أى الشخص الذى يجمع فى ذات نفسه خصائص المنبسط والمنطوى « Ambiverts » .

كما أن الإعتراض الثانى الذى يوجه إلى هذه النظرية نظرية الأنواع « الإنطوائى - الإنبساطى » يشير هذا السؤال هل تمثل هذه النظرية « بعدا أوليا » أو « نموذجا معقدا » من الصفات الكثيرة للشخصية ؟ والواقع أن الإجابة على هذه التساؤلات يمكن أن توضح التحليل العاملى الذى يبدأ بالإرتباط بين الإختبارات والمقاييس .

إن معامل الإرتباط بين نمطين أو طريقتين من السلوك معناه قياس لدرجة التعقيد لدى الشخص النموذجي ولهذا ففى التحليل العاملى نجد تعقيدا حقيقيا فى السلوك يمكن إثباته أو تحقيقه إحصائيا إلى حد ما .

ونتساءل الآن متى يكون لدينا ما نطلق عليه حقيقة « إنبساطية إنطوائية » والتى تشكل الكثير من الأبعاد الأولية مثل الذكاء وبعض القدرات الأولية ؟ للإجابة على ذلك نسوق مجموعة من السمات الشخصية التى تحدد تلك الأبعاد :

١ - **الخجل.**

إنه سمة رئيسية وبعد قوى يمثل فى معظم الإستفتاءات والتى تمثل بعض الخواص الهامة مثل :

- الميل لعدم الظهور فى المناسبات الإجتماعية .
- الميل إلى مصاحبة عدد محدود جدا من الأصدقاء .
- عدم مصاحبة معظم الناس .
- الميل إلى الصمت والسكون فى حضور جماعة من الناس .
- الميل لعدم التحدث فى المجتمعات أو المناسبات المختلفة .
- الميل إلى الهروب من الإضطلاع بالمراكز القيادية .
- الميل لعدم الكلام مع الغرباء .

ويمكن وصف الجانب الآخر لهذا البعد Dimention بعكس الصفات الشخصية المعطاه لنا كما يمكننا وصف هذا البعد كمدخل أو بعد إجتماعى .

٢ - **التفكيرالإجترارى .**

هناك بعض العادات العامة الخاصة بالتفكير الخيالى « الإنعكاس » ويمكن

إجمالها فى العناصر الآتية :

- ميل الشخص لبحث أفكاره وتحليل نفسه .
- ميل الشخص للخيال الخصيب والتأملات الجامحة .
- ميل الشخص لتحليل وتفسير حركات الآخرين .
- ميل الشخص لمناقشة المسائل الهامة فى الحياة مع أصدقائه .

٣ - الإكتئاب. Depression .

ومن أبعاد هذه السمة :

- ميل الشخص إلى الإنطواء .
- إنخفاض روح الشخص المعنوية .
- الإثارة السريعة .
- التشاؤم من سوء الحظ .
- الخيال الجامح فى أحيان كثيرة .
- الشعور بالتجهم فى أغلب الأحيان .
- الإعتقاد فى التفاؤل والتشاؤم .

٤ - الإضطراب الإنفعالى . Emotoional Intstability .

ويحمل هذا البعد الصفات التالية :

- تحول الفرد من السعادة إلى الحزن بدون سبب واضح .
- تذبذب الحالة المزاجية بين الحدة والإنخفاض .
- التعبير عن العاطفة بشدة وتطرف .
- الإستثارة بسهولة .
- التشاؤم من سوء الحظ .
- الإنغماس غالبا فى أحلام اليقظة .

٥ - التناغم. Rythmia .

ومن سمات هذا البعد :

- الإعتقاد بأن الفرد السعيد هو الفرد المحظوظ .
- الإعتقاد بأن الإبتهاج والفرح عادة فى الإنسان .
- ميل الفرد لعدم الإنتظار قبل الحكم على الأشياء .
- التأثر السريع والإندفاع المفاجئ .
- الإستثارة بسهولة .

٦ - النشاط العام .

ومن دلالات هذه الصفة ما يلى :

- سرعة الفرد فى حركاته وأفعاله .
- ميل الفرد نحو التحول إلى الأعمال الكثيرة فى وقت قصير .
- ميل الفرد للإندفاع من نشاط إلى آخر دون توقف .
- ميل الفرد للثرثرة .
- ميل الفرد لإنتهاز الفرصة عندما تسنح الظروف .

٧ - العصبية .

وتحمل هذه السمة الصفات الشخصية التالية :

- سهولة التشتت الفكرى أثناء أداء العمل الذهنى .
- صعوبة خلود الشخص للراحة أثناء النوم أو الجلوس .
- المعاناة من الأرق .
- الحصول على الحاجيات برغبة وطاقة زائدة عن الفرد العادى .
- ميل الفرد لبعض العادات العصبية مثل قضم الأظافر .

المظاهر الجانبية للشخصية .

يمكننا الحصول على صور جانبية للشخصية Profile بواسطة خط عام لكل الإختلاف فى الإتجاهات العادية مثل ذلك : قد نستنتج أن محمدا شاب شجاع وإجتماعى للغاية ولاينأى كثيرا عن التأمل والتفكير بالإضافة إلى الفرح والمرح

والسرور وأنه سعيد الحظ وكل هذه الحقائق تعطينا وتمدنا بوصف لمحمد على إعتبار أن هذه الصفات أو المميزات منفردة وأنها وقف عليه كما تساعدنا على ملاحظة هذا النسق فى جوانب الشخصية لدى محمد .

إن بعضاً من هذه الخصائص قد تفسر عدد الصفات المعزولة عن تلك الصفات الأخرى طبقا لزيادتها أو تقليلها فى حالة التحليل الإحصائى . والواقع أنه لا يوجد سبب واحد أو منفرد للخجل أو العصبية أو خاصية أخرى من خصائص الشخصية فقد يكون لدينا أحد الأشخاص الذين يعانون خوفا من الإجتماعات والناس نتيجة لبعض الإستعدادات الفطرية الموروثة والتى تتفاعل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كعامل محدد .

وقد يكتسب بعض الأطفال مثل هذه الخاصية فى عمر مبكر بدون ظهور حاجة لها أي بدون تدريب أو تعلم فى هذا الإتجاه فى الوقت الذى لا يكتسب البعض الآخر مثل هذه الخاصية ويتوقف - أولا وقبل كل شئ على توافق الطفل فى أسرته ومع مجموعة من الأصدقاء ، ورفاق الطفولة وتعلمه قيمة مصاحبة الناس صغيرهم وكبيرهم .

لنفرض أننا نعامل طفلين متشابهين معاملة واحدة على قدر الإمكان فسوف نرى أن أحدهما يسلك سلوكا إيجابيا والآخر يتسم سلوكه بالسلبية ، وذلك وفقا لما لدى كل منهما من خصائص قبل تطبيق المعاملة ، إن العقاب والثواب يؤدى بالطفل إلى إمتصاص أسلوب خاص بتحديد سلوكه كأن يصبح متمردا أو ثائرا على السلطة الأبوية أو الأسرية أو شرائح المجتمع بأسره ، وهذا يذكرنا بالقول « إن الحرارة التى تشوى البيض هى نفس الحرارة التى تصهر الزبد » .

الشخصية وبناء الجسم .

عندما تصف الشخصية بأنها تشمل تغيرات طبيعية واسعة تؤثر على خصائص السلوك . فإننا ولاشك نركز إنتباهنا على بناء الجسم ، ومن ثم سوف يتعين علينا فحص الفروق الطبيعية المؤدية لخصائص سلوكية معينة ومحاولة إكتشاف إرتباط سببى بين الجسم والخصائص السلوكية .

ميكانيزمات السسيومترى والسيكودراما .

يضم علم النفس الإجتماعي ضمن موضوعاته الجديدة موضوعا شيقا هو المقاييس السسيومترية وهى تعنى بقياس المسافات والعلاقات الإجتماعية بين الفرد والجماعة من ناحية وبين مجموعة أفراد بعضهم البعض من ناحية أخرى ، وقد قام « مورينو » بوضع هذه المقاييس بعد أن مر بتجربة مرضية فى شخصه وأخذ يعانى منها معاناه قاسية حتى حدا به ذلك إلى التفكير فى دراسة ووضع السسيومترى والسيسودراما والسيكودراما ، وهذا الموقف يذكرنا تماما بموقف فرويد عند وضعه لمبادئ التحليل النفسى فقد بدأ بنفسه أولا بأن مارس تحليل نفسه بنفسه فكان كأنه ملاحظ وملاحظ وشاهد ومشهود وطبيب ومتطبب .

والواقع أن السسيومترى والسيكودراما شقان من المناهج العلمية العلاجية الشخصية والتى يعتد بهما إلى حد كبير جدا كمناهج موضوعية فى ميدان العلوم الإنسانية وسوف نركز الإنتباه هنا على «ميكانيزمات السيكودراما» لأنها شديدة الصلة بطبيعة دراستنا فمن المعلوم أن السيكودراما طريقة إبتكرها وقام بدراستها «مورينو» واستخدمها فى طرق العلاج النفسى والأصل فيها أن الجماعة تعتبر أساسا متينا يستخدم كوسيلة لإيجاد بعض التغيرات السلوكية أو إحداث عمق فى تلك التغيرات الخاصة بسيكولوجية المريض للوصول به إلى سلوك معدل ومرغوب فيه ويختلف تماما العلاج النفسى بالسيكودراما عن العلاج بالتحليل النفسى الفردى حيث أن الأول يعتمد أصلا على العلاقة بين الفرد والجماعة بينما يعتمد الثانى على العلاقة بين الفرد والمحلل النفسى فقط ، بالإضافة ألى ذلك فإن السيكودراما تستخدم أيضا كطريقة للعلاج النفسى كما ذكرنا آنفا وتكتيكيا ناجحا متقدما فى الأبحاث العلمية الموضوعية التى تتناول بالبحث والدراسة الوصول والكشف عن علاقة الشخص بزملائه الآخرين فى محيط عمله أو بين أسرته أو ربط جماعته سواء كانت هذه الجماعة تختلف فى تصنيفها من ناحية « المضمون » مثل جماعة النادى أو الأسرة أو الحجم مثل عدد أفرادها أو العمر مثل الجماعات المؤقتة أو الدائمة.أو من ناحية « النمو » أو تأخره.أو من ناحية درجة التشتت بمعنى تباين أبعاد الجماعة وإختلافها أو من ناحية « التكوين » مثل الجماعات الواقعية

أو القهرية وأخيرا من ناحية « الوظائف » مثل جماعة الأخوة أو السكن .

كل هذه الجماعات السابقة والتى تختلف فى طبيعتها وتركيبها ووظائفها تقوم وسيلة السيكودراما فى المحل الأول بتحديد الأدوار التى يلعبها الفرد أو الأفراد معه مثل هذه الجماعات وحقيقة علاقة كل فرد مع الأفراد الآخرين .

وصحيح أن مورينو بدأ الإهتمام بالسيكودراما لحاجته الشديدة والملحة للعلاج والتغيير النفسى بطريقة المسرح ووظيفته النفسية من خلال الصورة المسرحية . ويعتقد مورينو أن المسرح خير وسيلة ناجحة للتعبير النفسى تلقائيا وذلك لأن المسرح يقدم لنا صورتين إثنتين .

أولهما : صورة تقليدية : وهى تعتمد على تعيين دور الممثل يقوم بحفظه على شرط أن يكون الدور مستقلا تماما عن هذا الممثل .

ثانيهما : صورة تلقائية : وهى تعتمد على فكرة الإرتجال والإجترار للأفكار وإطلاق العنان للأحداث والذكريات والأفكار الطليقة الحرة .

وهذه الوظيفة المسرحية هى الركن الهام للتعبير المسرحى .

هذا وقد نلمح هنا فى هذا المجال أن هناك تشابها كبيرا وملامح مشتركة بين «تلقائية» مورينو وتصوف المتصوفين حيث أن كليهما يعتمد أولا وأخيرا على مناجاة النفس أو مناجاة الخالق والتحرق شوقا لتحقيق المطالب والحاجات بالتمنى أو الدعاء ، وعلاوة على ذلك كان مورينو يعتقد تماما أن دنيانا مسرح تعرف بمسرح الحياة وأدوار هذا المسرح من إنتاج وإخراج وتوزيع الإنسانية ، والإنسانية هى التى تصقل وتهذب شخصية الفرد الإنسان ومن ثم يشير مورينو إلى دلالة صوفية بحتة إذيقول « يستمرالخالق فى خلق الإنسان على مسرح الحياة الدنيا وبذلك فالإنسان هو ممثل الله الأوحد على مسرح الكون » .

وشيئا فشيئا شرع « مورينو » فى إعتناق فكرة علمية هامة بعد تجريب ودراسة مستفيضة مضنية وكانت هذه الفكرة هي إقامة مسرح أساسه التلقائية لإستخدامها فى النواحى التشخيصية العلاجية على أنه يجب أن نعلم تماما أن هذه الفكرة الناجحة قد تحققت بعد أن أنجز مورينو دراساته الطبية،ويميز مسرح مورينو هذا بأن دور الممثل ليس للممثل نفسه أى أن هناك تناقضا بين الممثل وسلوكه وهذا

هو الذى يحدد الرأى أن مسرح مورينو مصدره هو حرية الممثل وكفاءته على خلق الدور وفصول المسرحية هنا وليست جامدة أبدا بل أنها ضاربة فى إطناب الواقع الحى المستمد أساسا من الظروف الحالية .

ماهيـة مســرح موريـنــو .

إن المسرح عنده إرتجالى ويقوم على الخلق والإبتكار وخشبة هذا المسرح ما هى إلا دائرة فى المنتصف يحيط بها الجمهور والأدوار مبتكرة والديكور إرتجالى وعملية الخلق والإبتكار هنا ما هى إلا تعبير عن إحساس الممثل ، وهناك ما يعرف باسم عملية التسخين Warming up والتى مؤداها أنه كلما إبتكر المؤلف شيئا يقوم الممثلون بتمشيله حتى تأتى حالة من التناسق والتناغم Harmony بين مبتكرات المؤلف والمسرحية التى يقوم بتمثيلها الممثلون ومن ثم يصبح الممثل هو نفسه المخرج والمؤلف والممثل فى ذات الوقت .

والواقع أن جوهر المسرح لدى مورينو فكرته القائلة بأن الواقع قد يكافئ الخيال ويمكن أن يمتزجا فى شئ واحد أو موضوع واحد ، هذا وقد لاحظ هو بنفسه ذات ليلة وبالصدفة العجيبة فتاة تسمى باربارا تتردد على مسرحه وتمشى على إستحياء وتتقدم نحوه لتسأله بصوت ملائكى خفيض عن بعض مسائل فى دراسة المسرح حيث كانت تدرس هذا الفن وإشتركت فى مسرح مورينو فيما بعد باسم « الجريدة المصورة » وهى تعنى بتمثيل حوادث واقعية حية وهنا قامت « باربارا » بتمثيل دور فتاة طاهرة بريئة ذات شفافية ونقاء عاطفى وكان هناك رجل يتردد هو الآخر على المسرح ويدعى « جورج » فوقع فى حب هذه الممثلة الصاعدة « باربارا » وتزوجها بعد ذلك .

وذات يوم قابل الزوج « جورج » مورينو وأخبره بأن باربارا تلك الإنسانة الوديعة الهادئة البريئة الجميلة تسلك معه سلوك المتوحشين وإن المثل الإنجليزى القائل «تحت السواهى دواهى» ينطبق عليها .

وهنا شرع مورينو فى إسناد دور خليع مبتذل لباربارا وكان هذا الدور لإحدى البغايا العاهرات فقامت به باربارا خير قيام وعلى الوجه الأكمل وبنجاح ساحق ،

وحدث بعد ذلك تحويل وتغيير ملموس فى سلوك باربارا مع زوجها فبدأت مشاحناتها العنيفة وشجارها المستمر يقل رويدا بعد أن دخل مورينو لإصلاح ذات البين بين الزوجين الحبيبين ، وأصبح الزوجان يقومان بالتمثيل سويا تمثيل مجريات الأحداث فى منزلهما وحياتهما الزوجية الواقعية وخرج مورينو بنتيجة هامة مؤداها أن ما يعرف بالواقع ما هو إلا مجموعة أدوار جامدة يؤديها الشخص أثناء علاقته بالآخرين ، ومن هنا فبدلا من أن تلعب باربارا دور الفتاة الفاجرة المبتذلة مع زوجها فى الحياة الواقعية فأولى بها أن تلعبه فى مسرح مورينو وبالتالى فهى تهيمن تماما على سلوكها الحقيقى خارج المسرح مع زوجها فى منزلها .

دور المسرح العلاجى .

كم هو مفيد المسرح إنه وسيلة فعالة لكى ينفس بها الجمهور عن نفسه والمتفرج عن كربته والمكبوت عن إنفعالاته كل هذا عن طريق مشاركة الفرد مشاركة قوية فى أحداث المسرحية فالشاب يجد مشكلته العاطفية تعرض على خشبة المسرح وقد إقتربت من الحل والرجل السكير يعيش فى جو المسرحية ليدرك تماما أن سلوكه سلوكا خاطئا والمرأة المحطمة ترى نفسها فى عرض مسرحى جذاب فتحاول أن تغير من سلوكها وجو منزلها الإجتماعى والنفسى والفتاة الجميلة تسلك المسلك المناسب لها بعد أن تعيش أحداث مسرحية ناجحة تمس حياتها مسا مباشرا ، وهكذا فكأن المسرح يخاطب كل أولئك وهؤلاء لهذا كله أخذ مورينو فى تطوير وتعديل وتحوير هذه الفكرة الأصيلة ووصل إلى إكتشاف السسيومترى الذى يهدف لتحقيق الطرق الموضوعية لقياس العلاقات بين الأفراد والجماعات فى السيكودراما وإعتمدت الفكرة أصلا على أن السيكودراما ما هى إلا عملية تجسيد الخيال بتحويله إلى واقع حى ولذلك فالسيكودراما هى الواقع والخيال فى نفس الوقت وبالإمكان أن ندمج الأصل فى الصورة أو العكس بهدف تعديل السلوك الواقعى ليتمشى مع متطلبات العلاج الهادف من المسرح .

أساليب وميكانيزمات السيكودراما .

هناك من الأساليب والميكانيزمات خمس طرق نستخدمها فى تبيان وتطبيق عملية السيكودراما :

١ - طريقة عرض الذات .

ونعني بها تقديم الشخص لنفسه فى ظروف ومواقف محددة سواء كان ذلك فى الحاضر أم الماضى أو فى حياته الخاصة وأوجه الصراع الكائنة فى حياته الشخصية والعائلية والزوجية وقد يكون هناك أكثر من شخص يقدم نفسه بنفسه ويمثل الدور المناسب له ، وأحيانا قد لايكون هناك من الأشخاص الكثير للقيام بالدور أو الأدوار وهنا يمكننا أن ندرك أن الشخص يطلب من الجمهور له فردا ما قريب الشبه للشخص المطلوب ليقوم بتمثيل وأداء الدور وبذا تصبح هذه الطريقة مناسبة ولائقة لتقديم وعرض الأدوار الإجتماعية .

٢ - طريقة مناجاة النفس .

وفحواها أن يقوم الشخص بدور معين بالنسبة لآخرلتكون له حرية التعبير الذاتى والإنطلاق الحر لأفكاره وعادة ما يكون حديثة ومخاطبته لنفسه حديثا يشوبه الهمس والصوت المنخفض عن كل ما يجيش فى نفسه من أحاسيس ومشاعر مكبوته لبث المشاكل الحادة لدى الفرد ولن تخرج هذه المشاعر إلا فى هذا الموقف ليعبر عن ذاته وهمومه .

ولنضرب مثالا حيا فقد ترى الشخص الغيور علي زوجته يتحدث حديث المناجاة ليترجم شعوره نحو غريمه أو نحو الشخص الذى يحب زوجته القائم بتمثيل الدور ومناجاة النفس هنا هى تعبير عن المقاومة والإنفعالات الحبيسة التى سببتها الغيرة غيرة الشخص على زوجته من غريمه ، والواقع أنه كلما إنسابت التلقائية إنسيابا شديدا كلما إنكسرت حدة الحاجة إلي مناجاة النفس . وجدير بالذكر أن كل من يقرأ روايات وليم شكسبير سوف يلمح بوضوح وجلاء فكرة مناجاة النفس وحديثها المنخفض الفياض خذ علي سبيل المثال - لا الحصر - رواية عطيل المغربي وزوجته « ديدمونه » حينما شك فى حبها له وإنها تحب رجلا آخر غيره أخذ يناجى نفسه بعبارته المشهورة المشهودة : «إننى أدرك تماما أن زوجتى ديدمونة زوجة جميلة جمالا أخاذا وأنها تحب المناسبات الإجتماعية السارة وتعرف كرم الضيافة حق المعرفة كما أنها تتحدث بحرية وطلاقة بعيدة عن التكلف والتعصب وتشاركنا اللعب والرقص بحرية وهذا حسن جدا ولكن أين الفضيلة ؟ من يدلنى عليها إذا

كانت هذه الصفات هى الفضائل المثلي لابد أن يكون لدي برهان قاطع قبل أن أفكر في خيانتها لي ، يا إلهي كيف أفكر الآن » ويستمر عطيل في مناجاته حتي يعجز تماما عن الإقتناع بأن زوجته بريئة براءة الذئب من دم ابن يعقوب وهنا يدخل عليها علي ديدمونة زوجته وهي مستغرقة في نومها ويخنقها حتي تموت وبعد أن يعرف براءتها الواضحة يبكي بكاءا مرا ولكن بعد أن فات الأوان ولاينفع الندم ويأخذ في البكاء المر الحار ويصور الكاتب لحظة البكاء بقوله إن دموع عطيل كانت تتساقط بسرعة فائقة كما لو كانت قطعا تتلألأ من الصمغ العربى إبان سقوطها من أشجارها إنها الغيرة المحمومة التى جعلت عطيل يعيش فى مناجاته هذه .

٣ - طريقةالدورالمقلوب .

وتنحصر هذه الطريقة فى تمثيل الشخص للدور المعاكس والمغاير لدوره قبل ذلك وهذا من شأنه إحداث تغيرات هامة في حياة الشخص المؤدي للدور ومثال ذلك أن يكون هناك صراع بين ولد ووالده ويطلب المريض تمثيل هذه الأدوار حيث أن الإبن يريد الزواج من فتاة ما والوالد يعارضه وبعدئذ يقوم أحد النظارة والمشاهدون بتمثيل دور الأب القاسي علي إبنه بسبب هذه الزيجة ويأخذ المريض « الإبن » دور الأب يمثله بنفسه فى المرة الثانية وهنا نلمح عملية إسقاطية لجزء من الشخصية لأن تغيير الدور والموقف المقلوب يسمح للمريض أن يضع نفسه في موقف آخر ويسمح بنوع من الإستبصار وإكتساب جزء من شخصية الشخص الآخر .

٤ - طريقةالمرآة.

يقوم أحد الأشخاص بتمثيل شخصية المريض علي المسرح ويبدو في تمثيله كيف يسلك ويتصرف في مواقف حية في الحياة الواقعية وكيف يري الآخرون المريض الذي نصوره بحيث يكون موجودا بين الجمهور المتفرج ولانذكر للمريض أننا نجهزه لشخصيتة في شكل مرآة علي المسرح فجأة أمام الصورة التي يعرفها عن نفسه للآخرين .

٥ - طريقةالقرين.

هي فكرة هامة في المريض العقلي وهي تشبه فكرة « الكا » لدي القراعنة

والموجودة عند كل ميت والقرين أحد الأشخاص الذي يتفق مع المريض علي أن يصير أحد جوانب شخصيته بحيث يكون لهذا المريض جانبان أي أن يمثل في صورتين أو أكثر : شخص كما هو أصلا وجانب آخر من شخصية شخص ثان وبذلك يمكن لهذا الشخص أن يقابل أحد قرائنه ونقارن الدور الذي يقوم به بالفعل والدور الذي يقوم به القرين وأثناء تمثيل هذه الأدوار لابد إن يكون هناك مدير المسرح ومهمته مساعدة المريض علي القيام بالأدوار المكملة أي يقوم بدور « الأنا أو الأنوات المساعدة » .

ومن أهم الصعوبات التي تقابل المدير « عملية التسخين - Warming up » أي مساعدة الأفراد علي الإنطلاق تلقائيا للإندماج فى الدور بالتدريج.

والأصل فى السيكودراما أنها مبنية على المناقشة الجماعية بمعني أن الأفراد في بعض المسائل أثناء إجتماعهم لحل مشكلة معينة كل فرد في الجماعة له وجهة نظر خاصة لحل هذه المشكلة .

وظائف السيكودراما والسسيودراما والسيومترى .

من وظائف ومهام السيكودراما تحقيق الأهداف التالية :

١ - دراسة الفرد وعلاقته بالجماعة .

٢ - تطويع الأدوار الجامدة التي يقوم بها الإنسان فى واقعه إلي أدوار ممزوجة بالخيال والتلقائية بقصد الوصول إلي تشخيص مشاكل الفرد ودراستها جيدا عن طريق التمثيل العلاجي .

٣ - مساعدة الفرد علي إبراز وإظهار ما لديه من قدرات علي الخلق والإبتكار والتلقائية .

٤ - الربط بين قدرات الفرد الإبتكارية والقيام بالأدوار التلقائية نتيجة زيادة عملية التسخين .

٥ - إثارة قدرات وإنفعالات الشخص التلقائية بهدف إحداث وتغيير الأدوار الجامدة إلي أدوار جديدة .

٦ - قيام الفرد بالأدور الجديدة المعدلة طبقا لقدرته علي الإبتكار والتجديد.

أما عن وظائف ومهام السسيودراما فتكمن في دراسة الجماعة وتحديد

علاقتها بعلاقات الجماعات الأخري ، ومن وظائف السسيومتري تلك الوظائف والمهام التالية :

١ - دراسة موضوع يتعلق بتحديد المقاييس والأبعاد الإجتماعية .

٢ - يعتبر كوسيلة لقياس العلاقات داخل المجموعة .

٣ - تحديد نوع تركيب الجماعة وبناءها الحقيقي .

٤ - إمكانية تعديل البناء الإجتماعي بهدف دراسة تماسك الجماعة أو تفككها .

وظائف الإختبار السسيومترى .

١ - يعتبر أداة لدراسة أنواع البناء الإجتماعي علي ضوء أنماط التجاذب والتنافر في جماعة ما .

٢ - يعتبر وسيلة تستخدم في قياس مدي التنظيم الذي يظهر في الجماعات .

والواقع أن الجماعات في مظهرها الخارجي لا تعتبر بالضرورة خير مؤثر ومعبر عن بناء الجماعة الحقيقي إذا كانت هناك الفرصة السانحة لتعبير الأفراد تلقائيا عن تفضيلاتهم بمعني أن هناك تفاوتا بين التنظيم الظاهري والحقيقي للجماعة ومن ثم فالأختبار السسيومتري أداة لإكتشاف ما هو البناء الحقيقي للجماعة كما أنه وسيلة وأسلوب من مناهج السسيومتري أو السيكو دراما والتي تهدف في جملتها إلي مناهج عمل ومعرفة وقياس لبناء الجماعات الحقيقية .

فكرة التلقائية في الإختبار السسيومتري .

من المعلوم أن الإختبار السسيومتري يقوم علي حرية الأختيار مثل السيكودراما وعلي قدرة الفرد داخل الجماعة مع إستخدام تلقائية فى تعديل الجماعة ولابد قبل تطبيق الإختبار السسيومتري من التأكد من تقبل الجماعة وإبداء رأيها وإختبارها على نحو تلقائي بمعني أن يشترط الآتي :

١ - يجب أن يكون الإختبار مقبولا من الجماعة .

٢ - يجب أن يكون للباحث مكانة مرموقة فى الجماعة .

٣ - يجب أن يكون للجماعة بناء وتنظيم معين محدد .

٤ - يجب أن يكون الإختبار محدد بمعيار معين أي لهدف معين واضح .

بمعنى أن يكون المعيار هاما في نظر الجماعة من أجل إستثارة التلقائية لدي أفراد الجماعة كأن يكون المعيار مثل من تحب أن يكون جارك؟ وفي حالة عدم وجود إختبارات محددة فإن الإختبار هنا لن يقيس «الإتساع الوجداني» وهو ذلك الإتساع الخاص بعلاقة الفردبالآخرين فهناك مثلا حالات إنكماش لدي بعض الناس . فالشخص الذي يختار نفسه يعاني من إنكماش وجداني ولابد أن يكون الشخص قادرا علي الشعور بمشاعر الآخرين لأن هذه القدرة تعتبر أساسا للمعرفة الوجدانية . والتي هي في الوقت نفسه عبارة عن عاطفة يسقطها الفرد علي العالم الباطني لفرد آخر ، وهناك ما يسمي بالمكانات السسيومترية وهي عبارة عن ترتيب معين يعطينا فكرة عن توزيع الأصوات حيث أنه عند توزيع الأفراد يكون لدينا فكرة عن ترتيب الذين نالوا أكثر الأصوات أو أقل الأصوات .

السسيوجرام .

وظيفته الرئيسية هي التحليل الكيفي للنتائج ويحصل عليه بالرسم العادي عن طريق توصيل علاقات الجذب والتنافر الموجودة داخل الجماعة وبذلك يصير شكلا يوضح لنا نوع العلاقات الموجودة بين الأفراد وهنا نستخلص بناء الجماعة السسيومتري وخصائصه ويساعدنا ذلك في الكشف عن تصوير معرفة بناء الجماعة وتحديد المكانة السسيومترية للأفراد داخل هذا البناء وبالتالي يرسم شكل مركز الأفراد داخل الجماعة .

أنماط العلاقات داخل السسيوجرام .

هناك تركيبات نمطية للجماعات توضح لنا قراءة السسيوجرام بسهولة ويسر هي :

١ - الزوج الأحمر : ويدل على إنجذاب متبادل بين فردين إثنين .

٢ - الزوج الأسود : ويدل على تنافر متبادل بين فردين إثنين .

٣ - السلسلة الحمراء : وتدل على علاقات تجاذب متبادلة بين مجموعة أفراد .

٤ - السلسلة السوداء : وتدل على علاقات تنافر متبادلة بين مجموعة أفراد .

٥ - المثلث الأحمر : ويدل على علاقات تجاذب متبادلة بين أشخاص ثلاثة فقط .

٦ - المثلث الأسود : ويدل على علاقات تنافر بين أشخاص ثلاثة فقط .

٧ - المربع الأسود : ويدل على علاقات تنافر متبادلة بين أربعة أفراد فقط .

٨ - الدائرة الحمراء : وتدل علي أن مجموعة أفراد إختار بعضهم بعضا في شكل دائري .

٩ - الزوج الغير المتناسق : ويدل علي شخصين مختلفين تماما في جذب وتنافر لكل منهما .

١٠ - النجمة الحمراء : وتدل علي أن شخصا بالذات قد وقع عليه إختيار عدد معين من الأفراد .

أنماط العزلة داخل الجماعة .

١ - نمط العزلة البسيط وهو عبارة عن فرد بالذات معزول داخل الجماعة .

٢ - فرد معين إختار عدد معينا من الأفراد ولم يختر واحدا منهم .

٣ - المثلث المنعزل ويدل علي أن ٣ أفراد بينهم علاقات إختيار موجهة متبادلة في جماعة ترفضهم .

٤ - زوج منعزل بنفس الطريقة السابقة قد يأخذ مكانه في مثل هذه الأنماط .

خلاصة القول ومجمله أن الأفراد الذين يقبلون علي إختيار أفراد لايختاروهم بدورهم تكون لهم القدرة علي التعبير الإنفعالي مصحوبة بنقص في إدراكهم بمشاعر الغير وتتسم شخصية هؤلاء الأفراد بوجود تباين وإختلاف كبيرين في قدرتهم

الممتازة علي الإندماج في الدور الإجتماعي الذي يقدمون به قدرتهم الضئيلة علي إدراك الدور الذي يقوم به الآخرون .

مفهوم التلى تجريبيا عند مورينو .

إن وظيفة مفهوم «التلى Telepathy » هي تفسير أنماط التجاذب والتنافر الذي يكشف عنها السسيوجرام ، ونعني بالتلي التخاطر أو الرؤية عن بعد وتبادل الأحاسيس والمشاعر عن بعد وهو أيضا عملية إجتماعية موضوعية من الممكن ترجمة ديناميااتها فى نطاق علم النفس المرضى بمفهوم التحويل وفى نطاق علم الجمال بمفهوم المعرفة الوجدانية .

هذا وقد قام مورينو بتجربة على جماعة مكونة من ٢٦ شخصا طلب منهم أن يحددوا الأفراد الذين يرغبون فى السكن معهم وطلب فقط ٣ أشخاص وكتب أسماء ٢٦١١ شخصا وتم خلطهم ومزجهم بعضهم ببعض ليكون الإختيار والسحب عشوائيا ، وقام بعد ذلك بإجراء نفس التجربة على ٢٦ شخص وهميا وإختار لكل شخص ٣ أشخاص آخرين وقارن أنواع الإختيارات فى الجماعة الفعلية بأنواع الإختيارات فى الجماعة الوهمية التى تمت بشكل عشوائي من حيث بناء الجماعة في كل منهم كما قارن أيضا بناء الجماعة الحقيقي بالبناء العشوائي فوجد أن الخلاف الكبير والفرق الشاسع داخل الجماعة لايرجع إلى الصدفة بل يرجع إلي وجود عامل « التلي أو التخاطر » .

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد قصة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما كان يخطب في المسلمين ذات يوم فرأي نفسه يتحدث : إلي الجبل ياسارية الجبل فتعجب المستمعون وظنوا أن الخطيب قد خرج عن موضوع الخطبة . ولكنه بعد مدة من الزمن قابل أحد المسلمين وهو «سارية» أحد قواد المسلمين وشكر عمر بن الخطاب علي نصيحته إذ أن الفاروق عمر رضي الله عنه قد رأي عن بعد وهو يخطب أن أحد قواد المسلمين يحارب ضد الكفار وعلي وشك أن ينهزم فنصحه بأن يعتلي الجبل هو وجيشه وتم ذلك فعلا فتم النصر بعد نصيحة عمر بن الخطاب هذه النصيحة التى يوجهها عن بعد يزيد عن آلاف الأميال وهذا هو ما يعرف باسم

التخاطر والشعور والرؤية عن بعد ، ويدخل هذا الموضوع في نطاق ما تسميه «بالباراسيكولوجي» علم النفس غير الحسي ، هذا وننتقل الآن إلي موضوع خاص بخصائص عمل الأخصائى الإجتماعى ألا وهو الرعاية الإجتماعية كمدخل إلي دوره الهام في المجتمع بعامة ومجتمع الشباب بخاصة مع التركيز علي مشكلة نفسية إجتماعية خطيرة وهي مشكلة الإدمان .

الرعاية الإجتماعية التي نريدها .

المقصود بالرعاية الإجتماعية أنها « مجموعة الخدمات الإجتماعية التي تقدم وتنفذ لمجموعة من الناس بقصد الوصول إلي الترقي والشعور بالتكيف والتوافق في المجال الذي يعمل فيه هؤلاء الناس » والرعاية الإجتماعية السليمة التي نتطلبها لها مبادئ وأصول منها :

أولا : دراسة مشاكل المجال أو البيئة التى تعمل فيها الجماعة .

ثانيا : تصنيف هذه المشاكل تبعا لأهمية تنفيذها والبدء بحل أهم مشكلة .

ثالثا : إشعار المجموعة بخطورة المشكلة وزيادة الشحنة العاطفية لإثارة هذا الشعور .

رابعا : وضع وإختيار الحلول للمشكلة والعمل علي حلها .

خامسا : تقديم الرعاية الإجتماعية المطلوبة فى جو إجتماعى تتوفر فيه وسائل التعاون المتبادل .

نوع الرعاية المطلوبة .

١ - معرفة مدي التكيف في الدراسة نظريا وعمليا بالمركز والورشة الرئيسية .

٢ - الوقوف علي مدي التجاوب بين الطلبة والمدربين والمدرسين .

٣ - وضع برامج توجيه وإرشاد إجتماعى بقصد الوصول إلي التكيف والتوافق في الدراسة .

٤ - دراسة الحالات الضرورية الشاذة والوصول إلي علاج لها بعد تشخيصها .

٥ - العمل علي إيجاد الثقة بالنفس في العمل والمهارة والدقة لزيادة الإنتاجية .

٦ - متابعة الخدمات الإجتماعية بعد تخرج الطلاب وتعيينهم خارج المركز أو المؤسسة التعليمية .

الأخصائى الإجتماعى والرعاية الإجتماعية .

إن تقديم أي خدمات يتوقف علي الأخصائى لمعرفته بظروف الحالة وكيفية تقبلها وفق أساليب مدروسة ومن ثم يتسني للأخصائى خدمة الجماعة وتقديم الرعاية المطلوبة لهم يجب أن يتم ذلك خلال جو من الطمأنينة الإجتماعية والإستقرار النفسي لكي يسير العمل وتتحدد شخصية كل من العميل ويتبلور العمل وبذلك نصل إلي هدفنا المنشود ألا وهو بناء البشر وهو عملية صعبة البناء فهي أهم وأصعب من بناء المصانع لأن البشر هم العامل الحاسم في بناء التاريخ والوطن .

الباحث عن المتاعب .

كيف نواجه المشاكل الموجودة هنا بالمؤسسة التعليمية ؟

لابد أن لكل شركة أو مدرسة أو مؤسسة صناعية أو وحدة إجتماعية أو مركز تدريب مهني متاعبه ومشاكله ويحسن المركز صنعا لو أنه أعد أخصائيا إجتماعيا مهمته تقصي أسباب المتاعب ودراستها ومعرفة أسبابها ودوافعها ووضع الحلول لها ومهمة الباحث عن المتاعب تنحصر في :

١ - أن يعرف المركز أولا المميزات المطلوبة في الشخص الصالح لهذا العمل .

٢ - الإرشاد فيما يجب عمله وما لا يجب في مجال العمل .

٣ - القدرة علي تقييم العمل بعد إتمامه .

المميزات المطلوبة فى الأخصائى .

أولا : تفتح الذهن .

بمعني أن يكون متيقظا ويتناول المشكلة بجدية ليتعرف تماما علي النظم

والعمليات المتعلقة بها وأن يتجنب أي قرارات أو آراء سابقة للموقف والفرقة أو القسم الذي حدثت فيه الإضطرابات .

ثانيا : وعي بالإدارة .

بمعني أن يكون علي معرفة تامة بأهداف المركز أو الوحدة التي يعمل فيها وسياستها وخططها وطرق المراقبة بها وأن يعرف آراء الإدارة فيها ويختص بالمشكلة وحلها .

ثالثا : بعد النظر .

بمعني أن يكون لديه المقدرة علي الأحساس بالمواقف تماما وقياس مدي تعقدها وأن يعرف ما إذا كانت المشكلة في طريقها إلي الحل بالتدرج أم أنها تتفاقم وأن يستطيع الملاءمة بين أهداف المؤسسة وأهداف القسم وأن يتفهم التداخل بين الوحدات التنظيمية .

رابعا : القدرة علي حساب الخطوات .

بمعني أن يكون لديه القدرة علي معرفة كيف يحل المشكلة ومتي يتقدم فيها .

خامسا : الشجاعة الأدبية .

يجب أن تكون لديه الشجاعة الأدبية ليصرح بما توصل إليه مهما كان مضمونه فقد يدعو إلي التمشي مع المواصفات وحذف بعض أشياء ذات قيمة معينة وحذف بعض المعلومات التي أعدت منذ سنين وإعطاء برامج سريعة لبعض الأفراد .

سادسا : القدرة علي الإتصالات .

أن تكون لديه القدرة علي التشاور وتبادل وجهات النظر وطرح الأسئلة وأن يجعل باب الإتصالات مفتوحا بينه وبين الأخصائيين والمسئولين .

سابعا : الأخلاق .

بمعني أن يكون علي أخلاق عالية كأن يحترم التقارير السرية وأن يتجنب

الذم في الآخرين والنيل منهم وأن يعطي كل ذي حق حقه .

ثامنا : القدرة علي التشخيص .

بعد بحث الموقف وجمع الحقائق يجب أن يرتب بيانات في وحدات ذات معني وعليه بعد ذلك أن يستعين بقدرته علي التشخيص والتحليل في إستخلاص المشكلة وأسبابها الحقيقية ، وعلي كل باحث عن المتاعب أو أخصائى جماعة أن يراعي ما يلي :

١ - أن يكون علي علم تام بحدود إختصاصاته وسلطاته ومسئولياته .

٢ - أن يحترم الجداول التخطيطية والميزانيات .

٣ - أن يكون صبورا فالمشكلة ليست وليدة لحظة ولن تحل بين يوم وليلة .

٤ - أن يخطط سير عمله مقدما .

علي الأخصائى الإجتماعي أن يتجنب ما يلي :

١ - ألا يتدخل في عمل غيره من المسئولين .

٢ - ألا يعطي سلطات أكثر مما يملك .

٣ - ألا يخلق مشاكل جديدة وهو يحاول حل المشكلة التي يعالجها .

٤ - ألا يستحوز علي عمل جميع الأشخاص الداخلين في الموضوع .

٥ - ألا يؤدب أو يوبخ الأفراد الذين يعملون معه .

تخطيط التدريب المهني .

ليس هناك أدني شك في أن الإنسان يتجه دائما في حياته نحو الأحسن والأفضل في ميدان حياته الإجتماعية ولاسيما ونحن الآن نعيش فترة من حياتنا أشد ما تكون تعقيدا وتركيبا بعد أن وصلنا إلي عصر الذرة وغزو الفضاء .

ولكي نعرف أهمية التدريب المهني يمكننا أن نعود بذاكرتنا إلي ما كانت عليه ألمانيا بعد الحرب عندما دكت القنابل مدنها دكا ونقل ما تبقي من مصانعها إلي الدول المنتصرة ودمرت مرافقها ولكن شيئا واحدا لم يدمر ألا وهو القدرة والخبرة المكتسبة ولذا فقد نهضت سريعا إلي مصاف الدول العظمي في الإنتاج .

ومن السهل إستيراد أو شراء آلات أومصانع وقد يتوافر لكل بلد عقول نابغة ممتازة وعلماء أفذاذ ولكن الصعوبة في تكوين العمال المهرة والخبراء المتمرسين لأن ذلك يحتاج إلي جيل لتكوين المدربين والمعلمين والتكوين المهني والآن يلزم التنويه بمفاهيم مهنية كثيرة الشيوع منها مثلا الآتي :

١ - التدريب المهني : وهو يقوم علي أساس إيجاد المهارة والدقة والسرعة والوصول إلي أفضل إنتاج ممكن بأقل مجهود ممكن في أسرع وقت ممكن .

٢ - التأهيل المهني :وهو خاص بالعجزة ويهدف إلي التعليم والترقي في العمل بغية الوصول إلي عدم الشعور بالعجز والقصور .

٣ - **الإرشادالمهني** : ويهدف إلي الإرشاد عن طريق إسداء النصح بالحلول المناسبة إزاء مشكلة خاصة .

٤ - **التوجيهالمهني** : وهو يهدف إلي وضع الكفاءات المناسبة في المكان المناسب بعد إجراء ملاحظات وإختبارات مهنية سليمة .

٥ - **الإختيارالمهني** : ويهدف إلي تحديد مهنة أو عمل من عدة مهن أو أعمال لشخص ما بعد عمل تحليل الوظيفة وتحليل الفرد .

٦ - **التخطيطالمهني** : ويقصد به حصر الكفاءات الإنتاجية فى جميع المهن خلال قطاعات الدولة الإقتصادية بشقيها الريفي والحضري والتنبؤ بمعرفة ما يلزم من العمال والفنيين لأعمال أو مهن جديدة وحشد الجهود ورصد المال وتحديد الوقت اللازم نحو خطة إنتاجية كاملة شاملة وذلك كما هو الحال في التنمية الإقتصادية ومشروع السنوات الخمس .

ويجب أن يبدأ التدريب المهني بالتوجيه المهني حيث يوجه النشئ ويثار إهتمامه في المدارس بكافة الوسائل الإتصالية مثل زيارات المصانع والمعامل والمحاضرات - أفلام سينمائية - مصابيح سحرية - مسارح - تليفزيون وغيرها .

ولابد أن يراعي فى النواحي المهنية بث روح الإعتزاز بالصنعة وكرامة المهنة كما يشمل التوجيه المهني للأفراد أساليب الإختبارات وذلك لتحديد الإستعدادات الفطرية والنفسية والإجتماعية .

وهنا يكمن دور الأخصائى الإجتماعي بما في ذلك وضع خطط ومشاريع للتدريب والأهم من ذلك أن الأخصائى ماهو إلا مهندس بشري يبني الرجال وبناء الرجال مساهمة منه في بناء التاريخ .

الصفات الست الأساسية للنجاح في الإشراف والإدارة .

لكي تكون حازما وناجحا في إدارة أي جماعة من الناس إتبع هذه الصفات الآتية وكل منها لها وزنها وقيمتها التي لابد أن توضع موضع الإعتبار .

أولا : الإحاطة الشاملة .

بمعني أن يكون المشرف علي علم بدقائق الموضوع الذي يريد أن يناقش فيه ويتأكد من صحة البيانات وأن يدرس كل ناحية من النواحي التي يمكن للمعارضة أن تنفذ منها إليه ولعل أحسن وسيلة لتكوين عادة الإحاطة والشمول هو أن تعقد النيه علي أننا سوف نداوم علي أن نسأل أنفسنا عند عرض أي مهمة الأسئلة التالية :

١ - هل أحطت علما بالدقائق والتفاصيل ؟

٢ - هل حصلت علي جميع المعلومات التي أحتاج إليها ؟

٣ - هل وجهت عنايتي إلي كل التفاصيل الضرورية ؟ وفي إستطاعتنا جميعا أن نحقق الإحاطة والشمول في عملنا لأن كل مجهود يبذل في هذا السبيل يؤتي ثماره .

ثانيا : العدالة والإنصاف .

بمعني أن تكون هذه الصفة هي الأساس الوحيد الأمن لكل نجاح في الإشراف علي الغير والتمسك بالعدالة أمر مقرر ولا محل للنقاش فيه فإننا مثلا لن نكذب عامدين لنتهم موظف كي نخلص أنفسنا.ولن ننسب الفخر عن أعمال قام بها بعض الذين يعملون تحت إشرافنا.ولانظلم أحدا عن عمد ظلما كبيرا.وإنها صغار الأمور هي التي قد لانكون واثقين من عدالة تصرفاتنا فيها ومع ذلك لها أهميتها فيجب مثلا ألا نصدر حكما بكفاءة شخص ما دون رؤيته ودون أن تكون الأحكام قائمة علي تحليل دقيق لحقائق الأمور مما يجعل هذا الشخص موضع ريبة عند الآخرين .

والحقيقة الأكيدة أن الإنسان منا في إمكانه أن يحوز درجة عالية من العدالة اللازمة عند اللزوم للنجاح في الإشراف إذا كان متيقظا تماما وأن يكون عادلا فى الأشياء الصغيرة التى تبدو تافهة فليس هناك أمر وسط في هذه العدالة .

ثالثا :الإبتكاروالمبادأة .

وهي القدرة علي تحمل المسئولية وعلي الأقدام علي عمل الأشياء والقدرة علي السير في العمل دون حاجة إلي إشراف إنها تتطلب إجتماع الصفات الثلاثة :
« الشجاعة – الثقة بالنفس – حسم الأمور » .

والشجاعة هي الصفة التي تمكن المؤمن مواجهة الأخطاء والأخطار والشدائد بعزم وبدون تردد إنها ليست التهور والإندفاع . والثقة هي الإيمان في قوة المرء وقدرته وهي الإعتقاد في مقدرة المرء علي تنفيذ غرض من الأغراض وعلي القيام بالمهمة التي ألقيت علي عاتقه بنجاح .

أما حسم الأمور فهي صفة البت في المسائل المعروضة دون تذبذب،والرئيس يجب ألا يكون حاسما فحسب بل عليه أن ينقل هذا الإحساس وهذه الصفة إلي مرءوسيه .

رابعا :اللباقةوالكياسة .

والمقصود بها القدرة علي كسب ولاء ومعونة الأشخاص المحيطين بالأخصائى وذلك بأن يجعلهم يشعرون بأنه يلعب دورا هاما وكبيرا في كل ما يتم من عمل وهذا هو لب اللباقة والكياسة فهي تعتبر بحق العامل المؤدي إلي النجاح في الحياة وخير ضمان في الأوقات العصيبة وإنكماش الأعمال ، والتعامل بلباقة مع الرؤساء يؤدي إلي المحبة المتبادلة وهي علي جانب كبير من الأهمية للنجاح في الأشراف والإدارة .

خامسا : التحمس .

هو إهتمام شديد وولاء في سبيل غرض من الأغراض أو مطلب أو مثل أعلي والحقيقة أنه حالة عقلية من شأنها ألا تجعل المرء يستسلم بسهولة للشدائد ولكن تغلب عليها ، ويكاد التحمس يكون الصفة المشتركة بين جميع المشرفين الناجحين

ويجب أن تكون الحماسة الحقيقة عليه أن يحاول علي الدوام إن يزيد من معرفته بالناس وبكل وجه من أوجه عمله ولابد أن يشعر الإنسان أنه قد وصل إلي نتيجة أو هدف لأن هدف الإهتمام والدراسة بالعمل تولد ثقة المرء بمقدرته وإبتهاجه بنجاح عمله ويعقب ذلك الحماسة الحقيقية كنتيجة طبيعية ويجب أن تكون الحماسة متبادلة بين المشرف والجماعة وأن تقوم علي أسس ثلاثة: الإهتمام - المعرفة - بلوغ الهدف.

سادسا : ضبط النفس .

هذه الصفة إذا توفرت في المرء عاونته علي حسن إستغلال سائر الصفات الأخرى وكثيرا ما يفسد الشئ أو الموضوع بسبب بعض ألفاظ نقولها في لحظات الإجهاد والتعب أو بالسماح للتكبر الأعمي أو الميل والهوي أن يؤثر في قرار هام، وليس معني ضبط النفس أن نتجرد من مشاعرنا تجردا تاما ، فضبط النفس معناه التمرين علي كبح جماح النفس وضبط العواطف لا يقاس بشعور المرء نحو موضوع من الموضوعات ولكن بالطريقة التي يتصرف فيها وبمدي كبح جماح مشاعره وتوجيهها بحيث تكون مسيرة بالعقل المسيطر علي العاطفة بالقدر الذي يمنع همومه ومشاغله من التدخل في كفايته في تأدية العمل وتقبله عن طيب خاطر النقد الذي يوجه إليه عن حسن قصد.كل هذا يساعدنا علي التحكم في عواطفنا بحيث لا تكون السبب المباشر في أن نقول أو نفعل شيئا غير حق أو غير لائق يمزق هيكل النجاح في الإشراف الذي نعمل علي تشييده .

ومن هنا فيجب أن ندعم في أنفسنا أهمية ضبط النفس بالنسبة لنجاحنا وسعادتنا في كل وجه من أوجه الحياة وأن نتعود التسهل في إصدار أحكامنا علي أي موضوع أو شخص وألانثور بسرعة لأتفه الأشياء مثلا ونتحمل المتاعب ونواجهها بإبتسامة ساخرة وصدر رحب كل هذا من شأنه يجعلنا نكتسب صفة ضبط النفس وهي صفة هامة ورئيسية في الإشراف علي إدارة الناس .

كيف نفهم طبيعة البشرية ؟

نحن كمشرفين علي إدارة الناس يهمنا أن نستطيع الإهتمام بالذين نشرف

عليهم والوصول إلي أهدافنا وبهذا فأري أن الناس جميعا صغيرهم وكبيرهم لايحتاجون في هذه الدنيا إلا لخمسة أشياء فقط .

كل الناس علي إختلاف ميولهم وإتجاهاتهم ورغباتهم وعقائدهم في حاجة إلي خمسة أشياء فقط هي :

١ - الشعور بإزدياد الأهمية والجدارة .

فما من شخص إلا ويحتاج إلي أن يشعر بأهميته وإحترامه الذاتي وبتقديره لنفسه وأنه يستطيع أن يقارن بزملائه لأن المظهر العام للحاجة الأساسية بالمكانة هو رغبة كل شخص في أن يكون موضع حديث الناس .

٢ - العيش في أمان .

والمقصود بها هو حب البقاء ، فإذا إقتنع شخص مثلا أن عملا يؤديه سوف يزيد من إطمئنانه علي معيشته فأغلب الظن أنه سوف يؤدي هذا العمل ويتصل هذا أيضا بالميل إلي حفظ الذات والرغبة في الشعور بالراحة والرفاهية .

٣ - العثور علي الزوجة الصالحة وتكوين الأسرة .

هذه صفة أو حاجة أقوي أثرا من الرغبة في الحياة للأخصائي الماهر إذا إستعملها في موضعها كأن يسأل من يشرف عليهم عن إبنه المريض أو إبنته الذكية في الدراسة مدللا بذلك علي أنه يذكر أن الشخص له أسرته فهذا مهم في تكوين الولاء .

٤ - الكشف عن المجهول .

الإنسان منا مولع بحب الإستطلاع لأنها غريزة في الإنسان فيجب أن يستغل الأخصائي هذه الحاجة من حين لآخر فهو بذلك يثير إهتمامه مستغلا حب الإستطلاع وحب الذات .

٥ - الفرار من الحقائق غير السارة .

فالتفكير المبني علي الإعتقاد بأن الأمور مهما ساءت وأن الحمل مهما ثقل

لابد أن ينتهي إلي فرج وخروج من الأزمات هذا التفكير بديع يمكن الإنسان من مواجهة المشاكل والمصاعب بشجاعة متجددة .

حاجتنا إلي التوجيه المهني .

إن قصة الحياة الإجتماعية مليئة بالمتناقضات فنحن نجد الآن آلافا من المهن الخطيرة يقوم بها أفراد بلا قدرات ولا إستعدادات كما أننا نعثر علي قدرات عظيمة خصبة تقوم بمهن صغيرة بسيطة ولاشك في أن هذا الوضع الشاذ ينتج عنه خطر مزدوج :

١ - خطر فردي .

٢ - خطر إجتماعي .

أما عن **الأول** فهو إهدار للإستعداد والقدرات الفردية بوصفها في موضع غير ملائم وهذا ليس إضاعة فقط لهذه القدرات والمواهب ولكن أيضا عوامل مسببة لكثير من الإنحرافات والإضطرابات النفسية فمقدار تكيف الإنسان لمهنته عامل من عوامل التكامل والتوازن النفسي والإجتماعي وهذا هو الخطر الأول خطر الفرد .

أما **الخطر الثاني** فيرجع إلي سوء التوجيه المهني للنشاط الإنساني وهو في الواقع من الأزمات الخطيرة التي تعانيها حضارتنا الصناعية الحاضرة والتي ينتج عنها المشاكل الإجتماعية الكبري . وقد كان من المتوقع في أوائل هذا القرن إن وجود الآلة في الميدان الصناعي سيحل محل الإنسان وبالتالي يلغي ضرورة وجوده وإنما حدث العكس فإن الآلة إستلزمت فيه صفات وقدرات أكبر وأعلي من ذي قبل ومن هنا أصبح للعامل النفسي أهميته الكبري لذلك كان علم النفس الصناعي يهدف إلي تحقيق أفضل تكيف بين الإنسان ومهنته وبهذا نستطيع أن نحصل علي أفضل إنتاج ممكن بأقل مجهود ممكن في أسرع وقت ممكن .

كيفية تحليل الفرد .

لاشك أن تقييم وتحليل قدرات وإستعدادات الأفراد والحكم عليهم حكما

موضوعيا يتضمن جمع وتنظيم وتفسير المعلومات والبيانات التي تميز كل فرد عن الآخرين وأهم المناهج الحديثة هي :

١ - الملاحــــظة .

٢ - تاريخ الحياة .

٣ - البيانات المسجلة .

٤ - الإختبارات الفنية .

أولا : الملاحظة .

ونراعي فيها تقييم وتقدير سلوك الفرد عن طريق أقواله وأفعاله وتسجيل البيانات الملحوظة وقت حدوثها وملاحظة السلوك في موقف الجماعة بالنسبة للفرد .

ثانيا : تاريخ الحياة .

وهي تفيدنا في الحصول علي بيانات عن سمات سلوك الفرد وإتجاهاته وميوله وهي تمدنا بالنظرةالداخلية للفرد فهي أداة مجدية للتشخيص الإكلينيكي إلا أن هناك صعوبات فقد يخطئ الشخص حين يكتب وقد لا يفرق بين الخيال والحقيقة .

ثالثا : دراسةالحالة .

ويقصد بها وصف بيئة الفرد وظروفه العائلية وثقافته وكل ما له أثر علي نموه وشخصيته ويعتمد في أثناء دراسة الحالة علي مصادر أخري خلاف العميل نفسه كالوالدين والمدربين والمشرفين علي العمل أو الرئيس المباشر.وهناك طريقة البيانات المسجلة وهي أيضا تسجيل المهن من المعلومات بشكل عملي يوضح عملية الدراسة كسجل دائم يستطاع الرجوع إليه في أي وقت في المستقبل .

رابعا : الإختبارات النفسية .

إن تحليل الفرد وتوجيهه يتضمن جمع وتفسير الجوانب الهامة من شخصيته كميوله وإتجاهاته وقدراته وسماته الإنفعالية وحالته الفسيولوجية.والأدلة توضح علي أن الإختبارات النفسية تمثل طريقة النجاح وهذا ينطبق علي الإختبارات الثابتة

الصادقة وهناك إختبارات كثيرة منها إختبارات الميول وإختبارات الشخصية والإختبارات المهنية .

مفاهيم مهنية .

آراء في التوجيه المهني .

إن الحاجة إلي التوجيه المهني في المدرسة لازمة وضرورية فليست مهمة المدارس قاصرة فقط علي تنمية الشخصيات للأفراد ومنحهم قسطا كبيرا من الثقافة والتوافق الشخصي بل مهمة المدارس أيضا هي تعليم الجيل أنواعا خاصة من المعارف والمهارات التي تؤهلهم إلي تولي بعض المهن الخاصة فإختيار الطلاب لأنواع معينة من الكليات الجامعية والمعاهد العليا سيؤهلهم بعد تخرجهم إلي مهن خاصة وهذا الإختيار يتم طبعا علي أساس التوجيه المهني السليم الذي يقدر حقيقة الأفراد وقدراتهم وإستعداداتهم وهذا يوضح أن الحاجة ماسة إلي التوجيه المهني السليم في المدرسة .

الحاجة إلي التوجيه المهني بعد ترك المدرسة .

كثير من الشباب يقضون فترة من البطالة بعد تخرجهم ويحاولون أن يبحثوا عن أي عمل بصرف النظر عن ميدان تخصصهم وفضلا عن ذلك فإن التغيرات السريعة التي تحدث من وقت لآخر في ميدان الأعمال الصناعية وخاصة بعد حدوث بعض الإكتشافات أو الإختراعات العملية أو في أثناء النهضات القومية قد يؤدي إلي حدوث تغيرات أساسية في نظام المهن السابقة فتنشأ مهن جديدة وقد يحدث في أوقات الكساد الإقتصادي أن يفقد كثير من الأفراد أعمالهم ويضطرون للبحث عن أعمال أخري من هنا كان لزاما علي الفرد أن يتخصص في المهنة الملائمة له .

والواقع أن تعقيد الحياة والتغيرات السريعة تقتضي ضرورة الإهتمام بالتوجيه المهني للشباب أثناء المدرسة وبعدها وبالمثل لابد من التوجيه المهني وحاجة الفرد إليه من وجهة النظر الإقتصادية بمعني أن الفرد يقضي سنوات طويلة في التدريب مثلا علي عمل وهذا يكلفه أموالا طائلة فلو كان مثلا لديه التوجيه المهني السليم منذ نشأته لما أضاع هذه الفترة من حياته في التدريب والبحث عن عمل .

التوجيه المهني ضرورة هامة بالنسبة للتوافق الشخصي .

قد لاتقارن الأضرار الإقتصادية والصحية بالأضرار النفسية التي تصيب الفرد إذا أساء إختيار مهنته فإن ذلك يؤدي إلي شعوره بالنقص وعدم الأمن والقلق ثم شعور الفرد بأنه عضو غير نافع للمجتمع قد يحطم معنويته ويجعله كثير الضيق بنفسه وبالناس . ويؤدي ذلك إلي الإساءة بعلاقاته الإجتماعية بوجه عام فسعادة العامل الحقيقية إنما تتحقق من حبه لعمله ورضائه عنه لأنه في الواقع إذا أحببت عملك أحببت الحياة .

وفي بعض الأحيان يكون من المهم أن يوجه الفرد بعيدا عن مهن معينة لاأمل له في النجاح فيها . فالفرد الذي ترتعش مثلا يداه لايمكنه أن ينجح في المهن التي تتطلب مهارة يدوية فائقة مثل صناعات الساعات أو الجراحة . والفرد الذي تبين الإختبارات أن نصيبه ضئيل في القدرة الميكانيكية فإنه ينصح عادة بالإبتعاد عن المهن الميكانيكية والفرد الذي يكون قليل الذكاء لايحتمل نجاحه في المهن الفنية .

الإختيار المهني .

يهدف الإختيار المهني إلي إختيار أحسن الأفراد لمهنة معينة بحيث يستطيع أن ينتج مقدارا معينا من الإنتاج مع بذل أقل قدر ممكن من الطاقة بحيث يكون أقل عرضة لسوء التوافق .

ويختلف الإختيار المهني عن التوجيه المهني من حيث أهدافهما المباشرة فالتوجيه المهني يهدف للكشف عن أحسن مهنة تلائم شخصا معينا بينما يهدف الإختيار المهني إلي إختيار أحسن شخص لمهنة معينة فالتوجيه المهني يتناول فردا واحداوعدة مهن ممكنة له أما الإختيار فيتناول مهنة واحدة يتقدم لها أفراد كثيرون وكل هذا في الواقع يؤدي إلي تحسين العنصر البشري الذي يتولي إدارة الآلات ويشرف عليها وقد تنفق المؤسسات الصناعية الأموال الكثيرة في سبيل الآلات ولكنها تضن بالأموال القليلة التي يمكن أن تنفق علي تحسين الأفراد ويؤدي تحسين الأفراد وإستخدامهم في المهن المناسبة إلي حسن القوة البشرية وإلي زيادة الكفاية الإنتاجية ،

دور الأخصائى الإجتماعى في التوجيه .

يقول جورج هالس في كتابه « إدارة الناس فن » إن الأخصائى الإجتماعى بمثابة صديق ويجب أن يظل كذلك دائما كما يجب أن يكون علي دراية تامة بسياسة الوحدة أو المجال الذي يعمل فيه وبالخدمات التي تؤديها وأن يكون علي تمام الأهبة للتقدم بأي مساعدة أو نصيحة تطلب منه ولكن لايجوز أن تكون له أي سلطة من سلطات الإشراف وعندما تتوافر في الأخصائى مثل هذه الشروط فإنه يكون عونا كبيرا لمن يعمل معهم .

وهذه هي وظيفته الأساسية . وما الوظيفة إلا مجموعة أعمال ومسئوليات تسندها السلطة إلي أي شخص ما للقيام بها بعض الوقت أو كل الوقت .

قلنا أن التدريب المهني يهدف إلي أفضل إنتاج ممكن في أسرع وقت ممكن بأقل مجهود ممكن بخلاف التوجيه المهني الذي يعمل علي توجيه كل فرد والوظيفة التي تتفق مع إمكانياته بخلاف دور التأهيل المهني الذي هو في الوقت نفسه يعتبر توجيها مهنيا لفئة معينة من الناس .

ومن أهم واجبات الأخصائى أن يعمل علي إشباع حاجات الفرد العاجز - الحاجات النفسية - وخصوصا الحاجة إلي الأمن والطمأنينة كأن يختار له العمل الذي يوفر له فرص الحياة المتوفرة .

ويقول آدلر بأن الشعور بالقصور الذي يوحي به إلي الفرد إلي أحد أعضاء بدنه يصير علي الدوام عاملا فعالا في نموه النفسي ويؤدي ذلك إلي تعويض مباشر يؤدي بالشخص الأعمي مثلا « طه حسين » إلي النبوغ في الأدب والأصم « بيتهوفن » إلي الإبداع في الموسيقي والأعرج « تيمور لنك » إلي الإمتياز في السباحة . والتعويض غير المباشر ربما يكون في نواح خلقية أو في صراع الشخصية عموما فنجد الرجل القبيح يتميز بالتفوق العقلي والروحي . والسمين خفيف الدم والظل ومعني ذلك مساعدة الفرد من جانب الأخصائى علي أن يتقبل العجز الجزئ أو الكلي .

إدمــان الخمــور والمخــدرات .

أولا إدمـان الخمـور .

تعريف الخمر .

هي عصير العنب إذا إختمر أو كل مسكر مخامر للعقل والخمر من أقدم العقاقير التي تؤثر علي المخ والتي عرفها الإنسان ويقال إن إنسان العصر الحجري عرف الخمر بتخمير التوت من ٦٤٠٠ سنة قبل الميلاد .كما يقال ان نبيذ العسل كان معروفا من ٨٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، هذا وكانت الخمر منتشرة في شبه الجزيرة العربية أيام الجاهلية ومدحها الشعراء تلك الأيام إلي أن جاء الإسلام وحرمها .

وتنقسم المشروبات الكحولية إلي قسمين :

١ - مشروبات غير مقطرة مثل : البيرة والنبيذ .

٢ - مشروبات مقطرة وهي المشروبات الروحية مثل الويسكي والفودكا .

ويتم تمثيل ٩٠ ٪ من الكحول في الكبد أما الباقي فيفرز كما هو في العرق والبول والتنفس ، والخمر بصورة عامة سم خلوي يضر بخلايا الجسم ويعطل وظائفها إذا أخذت بجرعات كبيرة والمعروف أن الخمر يعطل الجهاز العصبي ويخدره بتعطيل التركيب الشبكي المنشط الذي يتكون من نوايا منتشرة في ساق المخ ومع زيادة الجرعة تخدر الخمر المخيخ فيفقد المتعاطي سيطرته علي التوازن والكلام .

تعريف المدمن .

هو كل فرد يتعاطي أي مخدر بصورة معاودة وجبرية هذا ومن أعراض تعاطي الخمور الخلط والهذيان وإختلال التوازن وثقل الكلام والغثيان والقئ والسلوك العدواني والإستهتار .

الآثار النفسية والعقلية لمدمن الخمر .

١ - الهذيان الرعاش .

وهو من أخطر مضاعفات الإدمان ويصاب به ٥ ٪ من المدمنين عند

إمتناعهم عن الخمر فجأة فيشعر المدمن بعد حوالي ٧٢ ساعة من الإمتناع عن الخمر برعشة اليدين والإعياء وسرعة الآثار والغثيان والقيئ والأرق الشديد المصحوب بالقلق وعدم الإستقرار وإختلال الوعي بالزمان والمكان .

٢ - إلتهاب المخ .

وتبدو أعراضه فجأة علي صورة الخلط الذهني الحاد وشلل أعصاب العينين وإلتهاب أعصاب الساقين .

٣ - ذهان كورساكوف .

وهو ضعف الذاكرة للأحداث القريبة التي يتعرض لها المريض أكثر من دقيقتين بالإضافة إلي تبلد المشاعر وعدم الإستبصار وذهان كورساكوف حالة مزمنة يتحسن منها قليل من المصابين بها ، ويحدث إلتهاب المخ . وذهان كورساكوف يسبب النقص الشديد في فيتامين (ب) الموجود في بعض الأطعمة والذي يؤدي بدوره إلي تحلل في بعض خلايا الجسم وليس هناك علاج لذهان كورساكوف إلا الإمتناع عن شرب الخمر .

٤ - إضطرابات الذاكرة .

فمن مضاعفات الإدمان المبكرة ضعف الذاكرة التي من أشهر ها نوبات التعتيم وينسي أثناءها المدمن كل أحداث الأمسية السابقة التي تعاطي خلالها الخمر .

٥ - الهزيان الكحولي « التخريف » .

يؤدي إدمان الخمر إلي ضمور خلايا المخ في منطقتي القفص الجبهي والجداري ومن أعراضه النسيان وضعف التركيز والإنتباه وضحالة الإنفعالات وإهمال المظهر والنظافة وعدم السيطرة علي التبول والتبرز وتدهور الشخصية .

٦ - الهلوسة الكحولية .

ويصاب بهذه الحالة ٦٪ من المدمنين حيث تبدأ الهلاوس الكحولية بعد ٢٤ - ٤٨ ساعة من الإمتناع وتستمر لمدة أسبوع وقد تستمر عدة سنوات ويسمع

المصاب بالهلوسات أزيزا أوطنينا أوأصواتا تحدثة أو تنبهه أو تأمره أو تسخر منه ولايعاني من الخلط أو الهزيان ولكنه قد يعاني من المعتقدات الوهمية الإضطهادية التي تشبه مرض الفصام .

٧ - الغيرة المرضية «مرض عطيل» .

ومن أهم أعراضها المعتقدات الوهمية الباطلة التي تصيب المدمن وتجعله يتوهم بأن زوجته تخونه ويتهمها بذلك صراحة ويتجسس عليها ويعتدي عليها بالضرب ويفسر المصاب أي حدث يصدر من زوجته علي ضوء معتقداته الباطلة ومن أسباب تلك الحالة الضعف الجنسي الذي يعاني منه المدمن وإشمئزاز زوجته منه أثناء السكر .

٨ - حالة التجوال الكحولي.

يسافر المدمن أو يتجول من مكان لآخر وهو تحت تأثير الخمر ليفيق في بيئة غير مألوفة وهو فاقد الذاكرة لكل ما وقع له أثناء تجواله .

٩ - حالات الإنتحار وتعاطي الخمر.

تؤدي الخمر إلي الإنتحار عن طريقتين :

أ - يسبب شرب الخمر ضعف الضوابط والموانع فيقدم معتل الشخصية والمكتئب عصابيا علي الإنتحار وهو مخمور .

ب - نسبة الإنتحار بين مدمني الخمر أعلي منها بين غيرهم من الناس.هذا وهناك مضاعفات جسمية لمدمن الخمر هي كالآتي :

- إلتهاب المعدة .
- قرحة المعدة والإثني عشر .
- أمراض الكبد .
- أمراض القلب .
- نوبات الصرع .
- ضمور خلايا المخيخ .
- إلتهاب الأعصاب .

- الضعف الجنسي .
- رعشة اليدين .
- السل الرئوي .
- أمراض العضلات .
- أمراض الدم .
- العمي الكحولي .

وسائل علاج الإدمان .

أولا : العلاج الطبي .

١ - **إستخدام أقراص الأنثابيور « Anthapure »** مرة أو مرتين في اليوم ووظيفته تراكم الخمر في الدم وتسبب للمدمن الإختناق وإحتقان الوجه والغثيان الشديد والقيئ والدوخة والصداع وهبوط ضغط الدم وسرعة النبض وبعد ذلك يشعر المدمن بكل هذه المتاعب فيحاول الإقلاع عن الخمر ويستمر مفعول هذا الدواء مدة ٦ شهور .

ب - « **الأبستيم Absteem** » وتأثيره مثل الدواء السابق إلا أنه أقل فاعلية من الدواء السابق وأقل خطرا في الوقت نفسه وتؤخذ علي شكل أقراص .

جـ - « **الفلاجيل Flageel** » علاج جديد عبارة عن أقراص وإكتشفه الأطباء عن طريق الصدفة ووجدوا أنه يسبب مرارة في الفم إذا شرب الإنسان الخمر .

د - « **الأبومورفين Apomophine** » هو دواء مقيئ في جرعات معينة واتضح من إستعماله في جرعات صغيرة أنه يعالج أعراض الإمتناع والرغبة الملحة في التعاطي والرجفة التي يشعر بها المدمن ومازالت نتائج العلاج تحت الدراسة .

ثانيا : العلاج النفسي .

يعتبر العلاج النفسي من الوسائل الأساسية المساعدة في علاج الإدمان وينقسم إلي :

١ - علاج نفسي فردي .

يؤدي إلي تحسن إلي حد كبير ومن خواص العلاج النفسي الفردي مايلي :

أ - الشعور الصحيح مع المريض وتفهم مشاكله بدقة وتوفير الدفء الإنفعالي .

ب - توجيه المريض ومساندته ومصارحته بأنه مدمن وتشجيعه علي الأعتراف بذلك .

جـ - مواجهة المشاكل الحالية يوما بيوم وتعليم المريض الأساليب الصحيحة لمواجهة هذه المشاكل .

د - الإيجابية في الموقف العلاجي وتصحيح فكرة المدمن عن نفسه .

هـ - تعليم المدمن مواجهة الواقع وتحمل المسئوليات والفشل ووسائل السلوك البديلة عن الخمر .

٢ - العلاج النفسي الجماعي .

هو أكثر أنواع العلاجات فاعلية للأسباب الآتية :

أ - إن الجماعة تزود المدمن بالمساندة وتعلمه مواجهة نفسه .

ب - يتعلم المدمن من خلال تفاعل الجماعة أساليب الحياة والمهارات اللازمة لحل المشاكل .

جـ - تصحيح مفاهيم المدمنين الخاطئة عن الخمر والإدمان .

د - توفير المناخ الإنفعالي الدافئ والمتفهم عن النقد والتهديد من خلال الجماعة .

هـ - تحديد الأهداف المطلوبة للوصول إليها بوضوح وصياغتها بأسلوب بسيط .

و - دور المعالج الإيجابي عندما يوجه النقاش وتفاعلات أفراد الجماعة .

٣ - العلاج الأسرى .

من الإتجاهات الجديدة والهامة في الطب النفسي إعتبار أعراض الأمراض محصلة تفاعلات أسرية مرضية لأن المريض في واقع الأمر مثل النبات تري ساقه

وأوراقه ولاتري جذوره التي تغذيه وتمتد إلي الأرض فالمريض هو النبات الذي نراه والأسرة العليلة هي الجذور التي تغذي المرض ولانراها ونجاح العلاج النفسي يعتمد علي الوصول إلي هذه الجذورأي إلي كل أفراد الأسرة .

٤ - العلاج السلوكي .

ويقوم علي تعديل السلوك وتعليم المدمن كراهية الخمر وتعلم الوسائل الصحية التي تؤدي إلي زوال التوتر وطرق تأكيد الذات وإثبات الوجود .

ثانيا : إدمان المخدرات .

تعريف المخدر .

هو كل مادة كيمائية تسبب النعاس والنوم أو غياب الوعي المصحوب بتسكين الألم .

أنواع المخدرات ومشتقاتها .

١ - **الأفيون الخام :** وهو يستخرج من نبات الخشخاش الذي ينمو في إيران وتركيا وبعض بلدان الشرق الأوسط وثمرة الخشخاش بيضية الشكل ينساب منها عند شقها سائل حليبي اللون يتجمد عند تعرضه للهواء .

ومن مشتقات الأفيون : مشتقات خام مثل المورفين والكوكايين وهناك مشتقات نصف مصنعة مثل الهيروين وهو عبارة عن مسحوق رمادي أو أبيض ناعم الملمس له رائحة تشبه رائحة الخل ، كما إن هناك أيضا مركبات مصنعة وهي التي تستحضر في المختبرات بدون إستخدام الأفيون الخام .

٢ - **المنومات والمهدئات :** هي مجموعة مواد كيمياثية مصنعة تسبب الهدوء والسكينة أوالنعاس ، أما المهدئات فتأثيرها أكثر نوعية من المنومات حيث أنها لاتؤثر علي المخ ككل بل يقتصر تأثيرها في الجرعات العلاجية علي أجزاء معينة من المخ .

٣ - **المنشطات** : هى عـقـاقـيـر تسـبب النشـاط الزائد وكـثـرة الحـركـة وعـدم الشعور بالتعب والجوع وتسبب الأرق .

٤ - **الكوكايين** : هو عـقـار علي شكل مـسـحـوق ناعم أبيض يسـبب الشـعـور بالخفة والنشاط وزيادة الحركة والسلوك العدواني .

٥ - **القنب** : تحتوي أنثي نبات القنب علي مادة الحشيش وهي مادة صمغية تستخرج من ثمرة أو ساق النبات ويسـبب الحشـيش الشعـور بالدوخة وعدم إدراك الزمن وإختـلال الحواس وتقلب الإنفعالات وإنخفاض القدرة علي القيام بالحركات العضلية التي تحتاج إلي مهارة .

٦ - **عقاقيرالهلوسة** : هي مجموعة من المواد التي تسبب الهلوسات والخداع البـصري والسـمـعي وإخـتـلال الحواس والإنفـعـالات ومن هذه العـقـاقـيـر الميـسـاكلين والسرينيل وبذور نبات مجد الصباح .

٧ - **القـات** : ينمو هذا النبات في اليمن والحبشة والصومال ويمضغ المتعاطي أوراق النبـات ويسـتـحلبـهـا بوضعـها بين الخد والفكين « التخزين » وقد أدرج القات مؤخرا ضمن قائمة المخدرات بواسطة هيئة الصحة العالمية عام ١٩٧٣ .

٨ - **مـسـكنات الألم غـيـر المخدرة** : « الإسـبـرين والبـراسـيـمـامـول » وهي مسـكنات شائعـة . ويحتـوي لحـاء شجـرة الصـفـصـاف علي هذه المواد وكـان الإغـريق يسـتـخـدمـون اللحـاء في علاج الألم والنقرس وأمراض أخري وفي سنة ١٨٩٩قامت شركة باير الألمانية بصناعة الإسبرين .

تأثيـر الأفيـون ومشتقـاته .

يسـبب الإسـتـرخـاء والهـدوء والشـعـور بالنشـوة أحيانا والإكـتـئـاب أحيـانا أخري والغـثـيان والتشنجات في بعض الأحوال وفقـدان الشـهـيـة والهزال والضـعـف الجنسي

وإضطرابات العادة الشهرية وتسمم الدم والتهاب الكبد أو غشاء القلب والتسمم والوفاة والإنتحار وحوادث الطرق وإرتكاب جرائم السرقة للحصول علي النقود اللازمة لشراء المخدر .

طرق العلاج : يمكن علاج مدمنوا الأفيون ومشتقاته في مصحات خاصة بالإدمان بعد تقويم كل حالة من الناحية النفسية والإجتماعية والعضوية ، وتري مدرسة التحليل النفسي أن المدمن مصاب بالنرجسية حيث أن ذاته تعتمد علي نفسها في الحصول علي اللذة بدلا من إعتمادها علي الآخرين وتزوده العقاقير والمخدرات بالنشوة التي يبحث عنها لتخفيف الإكتئاب والتوتر الدائم الذي يشعر به نتيجة للغرائز العدوانية اللاشعورية التي يتعرض لها بالذات .

لذلك يعالج المريض في جلسات بالتحليل النفسي المعدل أو العلاج النفسي الجماعي الذي يساعد المدمن علي إدراك صورته علي حقيقتها والتغلب علي إزدرائه لنفسه وتحقيق السعادة من خلال تفاعله مع الآخرين ومع الواقع .

إدمـــان الحشيــش .

يستخرج الحشيش من أنثي نبات القنب الهندي وينمو في الهند وتركيا وشمال غرب أسيا وإيران وجنوب أفريقيا والمكسيك ويحتاج إلي جو بارد وتربة رطبة مشبعة بالمياه .

نبذة تاريخية عن الحشيش .

أول إشارة عن الحشيش كانت في كتاب صيدلة ألفه الإمبراطور الصيني «شانج نانج» عام ٢٧٣٧ ق.م وكانت له في رأيه فوائد طبية متعددة ويعرف «باسم Canabees» وكلمة « كانابيس » يونانية الأصل ومعناها « الضوضاء » ولعلها إشارة إلي الأصوات المرتفعة التي يصدرها المتعاطون لهذ المخدرات .

أما كلمة حشيش باللغة العربية فتعني « العشب » وقد إطلقت علي المادة المخدرة الموجودة في نبات القنب ، ولعل المسلمين عرفوه نباتا بريا فسموه الحشيش .

إنتقلت الكلمة بعد ذلك إلي اللغات الأوربية لتصبح « Assasine » الحشاشين وأطلقت الكلمة بعد ذلك أصلا علي طائفة من الإسماعلية عاشت مع

زعيمها حسن بن صباح في قلعة « الموت » بين أواخر القرن الحادي عشر وأوائل الثاني عشر في الجبال الكائنة في شمال إيران .

الآثار النفسية لإدمان الحشيش .

تتلخص هذه الآثار في النقاط التالية :

١ - دورات متوالية من الهلوسة .

٢ - إختلال الحواس وإضطرب الإنفعال ليعود إلي حالته الطبيعية بعد فترة

٣ - فقدان السيطرة عي النفس وإنعدام الزمن .

٤ - شعور المدمن بالقلق الشديد .

٥ - سرعة النبض .

٦ - الكسل والبلادة وبطء الإنتاج .

٧ - فقدان الطموح والإنزواء وتبلد الإنفعال وسوء الحكم علي الأمور

علاج إد مان الحشيش .

١ - طمأنة الشخص وعزله في غرفة ضعيفة الإضاءة .

٢ -عدم تركه منفردا .

٣ - التحدث إلي المدمن بصوت هادئ حتي يظل علي صلة بالواقع .

٤ - حقن المدمن بالمهدئات .

إتجاه جديد في علاج الإدمان .

في جمهورية مصر العربية ظهر إتجاه جديد لعلاج الإدمان في شكل تجربة جديدة لمدة عشر سنوات وكان قوام هذه التجربة خمسة الاف مدمن وتمت بأسلوب حفظ المدمن المريض علي كرامته وشخصيته ، ولنجاح التجربة إشتركت الحكومة الأمريكية في المرحلة الأخيرة من هذا العمل الفريد الذي خضع له ٢١٨ مدمنا تم

علاجهم في عيادة طبية ومسجد بأساليب علاجية جديدة ، وكان طبيعيا أن تتطرق التجربة المصرية لآثار الإدمان وأسبابه وهنا ظهر لفريق البحث أن الأفيون يؤثر بطريقة مدمرة علي وظائف الجسم الحيوية وأن خطره يتركز علي كبد الإنسان الذي يحاول عن طريق مادة خاصة يفرزها أن تحمي المدمن من نفسه . كما ثبت أن الأفيون يؤثر علي الجهاز المناعي للجسم مما يجعل المدمن عرضة للإصابة بالميكروبات ولاسيما ميكروب السل ومن الجدير بالذكر أن الدكتور / جمال ماضي أبو العزايم - هو الذي أشرف علي التجربة واستخدم في علاجه أسلوب العلاج المفتوح بإرادة المدمن نفسه علي أساس السرية التامة وبعيدا عن تدخل أي إنسان أو أي جهاز وإعتمدت سياسة العلاج علي أسس ثلاثة هى :

١ - علاج بدني .

٢ - علاج نفسي .

٣ - علاج إجتماعي .

هذا وقد ضم فريق البحث والعلاج الطبيب المتخصص والباحث الإجتماعي ورجل الدين صاحب الخبرة بالناحية النفسية بدأت التجربة منذ عام ١٩٦٨ م ووصلت الحالات إلي ٣٠٥ وفي عام ١٩٧٠ كان عدد الحالات ١٥٤٢ وقد بلغت الحالات جميعها في عام ١٩٨١ م ما يقرب من خمسة آلاف حالة وبالتحديد ٥١٣٢

وقد تحسن منهم مئات الحالات الذين رجعوا إلي حياتهم الطبيعية بعيدا عن الغياب والهروب من المسئولية والضعف والهزال والإكتئاب والقلق والتوتر والإضطراب العصبي والنفسي الملازم للإدمان .

ولقد أثار هذا النجاح إهتمام منظمة الصحة العالمية والتي أشاد خبيرها في تقريره وطالب بضرورة وضع بروتوكول للبحث العلمي المستفيض لمقارنة هذا العلاج بالعلاجات الأخري التي تستخدم لعلاج الإدمان ، وكانت الخطوة التالية هي إتفاق بين حكومتي مصر وأمريكا لمتابعة الخطة العلمية التي تضمن إختيار عيادة طبية ومسجد أبو العزايم لتقديم العلاج الطبي جنبا إلي جنب مع العلاج النفسي والإجتماعي والديني . ولقد تم في هذه المرحلة إختيار ٢١٨ من مدمني الأفيون وكلهم من مدمني الأفيون بالقاهرة الذكور تتراوح أعمارهم بين ١٥ - ٥٥ سنة وقسمت كل مجموعة إلي ثلاثة

أقسام وأعطي علاج خاص لكل مجموعة بطريقة لايعلم الطبيب أو المريض نوع العلاج الذي تم تنفيذه .

ولقد أظهرت نتائج البحث أن نسبة كبيرة من المدمنين لايعرفون القراءة أو الكتابة ووصلت نسبتهم إلي ٤٩ ٪ من حجم العينة كما أن ٣٨ ٪ منهم إما شبه أميين أو أنهم أكملوا التعليم الإبتدائي فقط ، كما وجد أن ٢٥ ٪ من المدمنين ممن إلتحقوا بالمدارس وكانوا يهربون منها وأن ١٢ ٪ منهم كانوا مشاغبين وذوي ميول عدوانية بل إن ٣ ٪ منهم إعترفوا بأنهم كانوا يتعاطون المخدرات وهم في مرحلة الدراسة والمهم إن هذه الأرقام تلقي الضوء علي المستوي التعليمي للمدمنين وتدل علي أن معظمهم كانوا من أصحاب المشاكل في فترة الدراسة .

وقد ذكرت نتائج البحث أيضا أن هناك إعتقادا راسخا في أذهان الناس الكثيرين من المصريين بأن تعاطي المواد المخدرة لا يتنافي مع أحكام الدين وهي معتقدات باطلة يرفضها الدين ذاته غير أن التوعية الإجتماعية والتربوية والدينية ليست كافية أو ليست منظمة بطريقة كافية للإقناع بأن المواد المخدرة كالمواد المسكرة كلاهما إثم يحرمه الدين ، كما أن النتائج توضح بأن الأفيون أكثر إنتشارا بين الفئات الآتية :

سائقوا سيارات النقل - صانعوا الأحذية - صانعوا الملابس - الخراطين - البرادون - عمال النسيج - عمال البناء - بعض التجار - بعض رجال المال . ويعتقد الكثير من هؤلاء أنهم لايستطيعون العمل بدون تعاطي المخدر وأن نشاطهم وقدراتهم البدنية والنفسية تنهار تماما بغير المخدر حتي أنهم قد يتعاطونه خلال ساعات اليوم الواحد أكثر من خمس مرات .والواقع أن المخدرات قادرة علي إنهاك البدن والنفس والعقل كما أن الإدمان يقود صاحبه نحو الجنون ، وإذا منعت المخدرات عن المدمن بعد أن تتكون عنده عادة الإدمان بصورة معاودة وجبرية تبدأ الخلايا العصبية في التشنج الذي يظهر علي المدمن في شكل آلام مختلفة بالجسم وقلق ورعب وأعراض مرضية كالإسهال وسيلان اللعاب وإدرار الدموع من العينين وتضطرب شهية المدمن كما تضطرب وظيفة الكبد ونقص وزن المدمن كثيرا عن الحد المألوف . ومن المعروف علميا أن مصل دم الإنسان يحتوي علي خمسة أنواع من البروتينات يفرزها الكبد ،وقد كشفت الأبحاث العلمية التي أجريت علي مدمني

الأفيون أن كبد المدمن يفرز نوعا سادسا من البروتينات لم تكشف الأبحاث عنه من قبل ولايعرف العلماء حتي الآن سببا لظهوره في جسم المدمن أو تأثيره الفسيولوجي علي الجسم ولكن نفس الأبحاث أثبتت أن هذا البروتين الغريب يختفي بعد العلاج للمدمن ويندر وجوده مع تحسين حالته ، ومعني هذا أن كبد الإنسان ربما يقوم بإفراز هذا البروتين السادس ليقي المدمن من شر نفسه .

الفصل الخامس عشر

تأصيل علم النفس فى القرآن الكريم .

* مفهوم النفس فى القرآن الكريم .
* مفهوم الروح فى القرآن الكريم .
* آراء فى الروح والنفس .
* أنواع النفوس فى القرآن الكريم .
* نفوس مريضة فى القرآن الكريم .
* شفاء النفس قرآنيا وعلميا .
* التنشئة الإجتماعية للطفل المسلم .
* التنشئة الإجتماعية وسيكولوچية نمو الذات .
* التنشئة الإجتماعية والتكيف الإجتماعى .

تأصيل علم النفس فى القرآن الكريم .

١ - مفهوم النفس فى القرآن الكريم .

ماالنفس وما الروح وما الجسد ؟ سؤال نطرحه على أنفسنا كثيرا علنا نجد إجابة كافية شافية لأننا نجد بين هذه المفاهيم الثلاثة خلطا يؤدى بنا إلى التحريف والخطأ والتشويه مما يسبب عقم المعرفة وجمودها ، وعدم تطورها وإنسيابها بطريقة صحيحة بين الناس ، وهنا نود أن ندرك وضع « النفس » فى القرآن وعلم النفس ، إن تعريف القرآن للنفس وإشاراته إليها يتسم بالنظرة الشمولية المتكاملة ، والتى تدرجها فى التنوع والتفريعات والصياغة التى بلغت حد الإعجاب والإعجاز .

وكلمة النفس ومشتقاتها فى القرآن الكريم قد تواترت وتكررت بأشكال مختلفة كانت فى مجملها ثلاث عشرة صورة مابين مفردة وجمع تذكير وتأنيث ، هذا وقد تكررت لفظة « نفس » وهى الاسم مجردا ٦١ مرة ولفظة « نفسا » ١٤ مرة و « نفسك » عشر مرات و « نفسه » ٤٠ مرة و « نفسها » مرتين و « نفسى » ١٣ مرة و« النفوس » مرة واحدة و «نفوسكم » مرة واحدة أيضا و « الأنفس » ٦ مرات و « أنفسكم » ٤٩ مرة و«أنفسنا » ثلاث مرات و « أنفسهم » ٩١ مرة و « أنفسهن » أربع مرات ومن ثم وردت لفظة نفس ومشتقاتها فى القرآن الكريم ٢٩٥ مرة « خمسا وتسعين ومائتين » .

نعود لسؤالنا الأول ماالنفس ؟ النفس الإنسانية هى ذلك الكل المركب من الجسد والروح والذى نطلق عليه أحيانا : إسم الذات أو الأنا بلغة علم النفس بهذا المعنى تحمل سمات كل من الجسم والروح لأن صفات الجسم وخصائصه الأساسية تشكل جزءا من سلوك الإنسان الفرد ، إن صفات الطول والقصر والسواد والبياض والسرعة والبطء والنحافة والسمنة والبلادة والنشاط ، كل هذه الصفات الأساسية للجسم البشرى ، تجعلنا نطلق فى كثير من الأحيان أن فلانا هذا : أهوج أو أرعن أو مندفع ، أو إنه كسول أو لطيف الطبع أو ماكر خبيث « كل قصير مكير » كما يقولون ، أو إتق شر من قرب من الأرض ! ! أو كل سمين ظريف خفيف الظل أو بارد الطبع .

بينما إذا أردنا أن نعرف صفات الروح وقفنا عاجزين أمام هذا المفهوم ويعزى ذلك إلي قول ربنا سبحانه وتعالى فى سورة الإسراء « **ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** » نحن لانعرف إلا القليل أو أقل عن الروح ، كقولنا مثلا « الروح المعنوية Morale والتى نعنى بها فى العلوم النفسية « تلك القوة المعنوية أو الحالة السيكولوجية التى تدفعنا نحو الإقدام أو الإحجام لتثير فينا حب العمل وحب الحياة ، أو التحمس لهما أو العكس بقصد إنجاز هدف أو أكثر من هدف ، ليصل الإنسان الفرد فى نهاية المطاف إلى مرحلة من حالات الرضا الذاتى Satisfaction Self ، وقولنا « أظهر محمد روحا طيبة للغاية نحو إخوانه » كما قد نجد إنسجاما بين مجموعة من الأرواح أو تنافرا وبعدا بين بعض هذه الأرواح ويؤكد ذلك ويعززه الحديث الشريف « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها إئتلف وما تنافر منها إختلف » وهكذا نرى أننا بسبيل تعريف الروح لم نؤت من العلم إلا قليلا فى هذا الصدد.أن الروح سر من أسرار الخالق جل وعلا وأودعها مخلوقاته لأنها مصدر الخلق وأساس الحياة والوجود ويترائى لنا ذلك واضحا جليا فى سورة مريم حين نقرأ قول الحق تبارك وتعالى « **فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا** » (١) وفى سورة النبأ « **يوم يقوم الروح والملائكة صفا** » (٢) وفى سورة التحريم «**ومريم إبنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا** » (٣) .

ومن ثم ندرك تماما أن النفس وهى مجموع سمات الجسد والروح تختلف كلية عن الجسد والروح لأن صفات الكل شئ وصفات الأجزاء المكون منه هذا الكل شئ آخر فضلا عن أن الكل « كوحدة » غير المجموع عناصره وأجزائه .وهكذا ينظر القرآن الكريم إلى النفس البشرية نظرة كاملة شاملة ومتكاملة فى الوقت الذى نرى فيه أن أقسام الجهازالنفسى كما يراهاعلماءالنفس المحدثون تتكون من :

أولا : اللاشعور : وهو ذلك الجزء الذى يشمل الدوافع والرغبات الجنسية كما أنه يشمل جانبين أولهما « الهو I D » وثانيهما الإستجابات المكبوتة Re-pressed Responces .

---

(١) مريم : ١٧ (٢) النبأ : ٣٨ (٢) التحريم : ١٢

ثانيا : الشعور وهو كل ما يمكننا تذكره من أفكار وأحداث ووقائع وهو يمثل الذات المدركة E G O أو الأنا .

ثالثا : الأنا العليا « supper - E G O أو الضمير ويظهر أثناء مرحلة الطفولة وبالذات عندما يبدأ الطفل فى تعليم ضبط إخراجه .

ولسنا نرى فى هذا الصدد أى خلاف أو تباين بين ما ينادى به علماء النفس المحدثون ومايشير إليه القرآن العظيم ألم يقصد باللاشعور « النفس الأمارة بالسوء » ؟ أليس المقصود بمنطقة الشعور « النفس المطمئنة » ؟ كما أن « الأنا العليا » ما هي إلا النفس اللوامة ؟ ليس هناك تعارض إذا بين القرآن الكريم وعلم النفس فى نظرة كل منهما إلى « النفس البشرية » وإن كان الأولِ ذو نظرة فاحصة دقيقة تمتاز بالعمومية والتكاملية والشمول عن الثانى « **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** » (١) .

إن مركبا يتكون من الجسد والروح هو الذى يكسب الحياة حيوية ونشاطا وبهجة ، إن النفس البشرية هى صانعة الحضارات وهى التى تعمل على تعمير الأرض وإقامة الوجود الإنسانى حتى أبد الآبدين .

نأتى إلى الشق الثانى من سؤالنا : ما الروح ؟ وقد تحدثنا عنها سالفا عندما كنا نقارن بين مكونات النفس الإنسانية ، وضربنا لذلك الكثير من الأمثلة بعد تعريف الروح وتحديد كنهها ، هذا وقد أشار القرآن الكريم إلى لفظة «الروح» ومشتقاتها ٢١ مرة فقط على أن الروح توجد داخلنا وليس لها مكان معين فى الإنسان الفرد إنها كما ذكرنا سر من أسرار الخالقِ الأعظم تظل بداخلنا أمانة مجهولة إلى أن يشاء الله لها الصعود فتصعد إلى بارئها عز وجل وعندما ينادى القرآن فى سورة آل عمران « **كل نفس ذائقة الموت** » (٢) فإنما يعنى هذا أن الروح لابد صاعدة إلى خالقها وأن الجسد فان في النهاية .

الشق الثالث من سؤالنا : ما الجسد ؟ هو الصورة أو الهيكل الذى يجسد الشخص ويكسبه الجانب المادى الملموس والمحسوس ، وقد تعرض القرآن Enbody

---

(١) ق : ١٦ (٢) آل عمران ١٨٥

الكريم للفظة الجسد أو الجسم ست مرات فقط وهذا يؤكد أن الجسد ليس له نفس قيمة النفس أو الروح ويتمشى ذلك إلى حد كبير جدا مع نظريات العلم الحديث من الناحية التشريحية والفسيولوجية والتى تقدر أن الجسد بعد الموت قد يساوى بضعة قروش زهيدة ثمنا لمجموعة عظام نخرة وبعض المواد الكيماوية التى تحللت من هذا الجسم الميت ! ! ومن ثم فالفرق كبير والبون شاسع بين النفس والجسد وما أجمل قول الإمام « البوصيرى » فى تهذيب النفس حين يقول :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ∴ حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

إلى أن يقول :

وراعها وهى فى الأعمال سائمة ∴ وإن هى إستحلت المرعى فلا تسم

مجمل القول أن هناك تزاوجا بين الجسد والنفس ، وآية ذلك وجود الأمراض السيكوسوماتية « النفسجسمية » أى الأمراض الجسمية ذات المنشأ النفسى مثل : قرحة المعدة والذبحة الصدرية وأمراض الحساسية وغيرها مما سنتكلم عنه فيما بعد ، إن متاعبنا الجسدية تنعكس بالضرورة على نفوسنا فتترك ندوبا تشكل فى النهاية مجموعة الإضطرابات والأمراض النفسية والسيكوسوماتية .

٢ - مفهوم الروح فى القرآن الكريم .

ينظر القرآن إلى الروح نظرة كاملة شاملة ويتناولها تناولا محددا يضفى عليها فهما صحيحا ، إن القرآن الكريم يعالج « الروح » من جنبات متعددة ومن أكثر من منظور إذ ينظر إليها من :

أولا : منظور الوحى : كقوله تعالى « **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا** » (١) وقوله « **يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده** » (٢) ، وهنا يدرك أن المقصود بالروح هو الوحى طبقا لما يحدثه بين أرواح الناس وقلوبهم .

ثانيا : منظور البطش والشدة والغلبة : وهو القوة التى يعزز الله بها من يشاء من عباده ويكتب لهم النصر ويبدو ذلك فى قوله « **أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه** » (٣) .

---

(١) الشورى : ٥٢ (٢) غافر : ١٥ (٣) المجادلة : ٢٢

ثالثا : منظور ملك الوحي جبريل : كما في قوله « **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين** » (١) وقوله تعالى « **من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله** » (٢) وقوله تعالى أيضا « **قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين** » (٣)

رابعا : منظور إستفهام اليهود من النبى محمد ﷺ عن الروح وذلك حينما أجابهم النبى ﷺ بأنها من أمر الله وأنها أيضا الروح المذكورة فى قوله تعالى : « **يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا** » (٤) .

وأنها تلك الروح المذكورة فى قوله : « **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم** » (٥) .

خامسا : من منظور المسيح عيسى بن مريم « **إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** » (٦) .

سادسا : ومن منظور تشغيل طاقة الكائن الحى وهو قول ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه (٧) قال : مر رسول الله ﷺ بنفر من اليهود فقال بعضهم سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه عسى أن يخبركم بشئ تكرهونه وقال بعضهم نسأله فقام رجل فقال يا أبا القاسم مالروح ؟ فسكت عنه رسول الله ﷺ فعلمت أنه يوحى إليه فقمت فلما تجلى عنه قال « **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** » (٨) .

سابعا : من منظور النفس الإنسانية حيث لا يستدل عن مفهوم الروح الآدمية فى القرآن الكريم إلا بالنفس ، قال تعالى « **ياأيتها النفس المطمئنة** » (٩)

---

(١) الشعراء : ١٩٣-١٩٤ (٢) البقرة : ٩٧ (٣) النحل : ١٠٢

(٤) النبأ ٣٨ (٥) القدر ٤ (٦) النساء : ١٧١

(٧) محمد مسلم الغنيمي : ابن قيم الجوزية المكتب الإسلامي دمشق ١٩٧٧ ص : ٢٧٩

(٨) الإسراء : ٨٥ (٩) الفجر : ٢٧

وقوله « ولا أقسم بالنفس اللوامة » (١) وقال تعالى « إن النفس لأمارة بالسوء » (٢) وقوله « إخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون » (٣)

وقال « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » (٤) وقال «كل نفس ذائقة الموت » (٥) .

٣ - آراء فى الروح والنفس .

علاقة الجسم بالروح .

ليس من الممكن ولا من المستساغ أن ننكر علاقة الجسم بالروح أو أثر النواحى البيولوچية والجسدية والبشرية والفسيولوچية فى روحانية الإنسان حيث نلاحظ الضعف والخلل والإرهاق والكسل فى جهد الإنسان ومعنويته إذا كان مريضا مما يؤثر على ملكاته الذهنية ومن ثم يمكن القول بأن أساس الذات البشرية هو «الروح» .

وقد يكون من المفيد تصوير علاقة الجسم بالروح فى المثال الآتى « الطائرة » فى أدائها وتشغيلها وإرتفاعها فى الجو تقلع من مطار وتهبط فى آخر ، هذا العمل أشبه شئ بوظيفة الإنسان الأساسية ، ولعل « قائد الطائرة » أشبه شئ بالروح وجسم الطائرة هو الجانب المادى البدنى للإنسان ، ومحركها هو القلب ومساعدوا قائد الطائرة هم بعض السمات الروحية ووقود الطائرة من بنزين أو أى طاقة أخرى هو طعام الإنسان وطبقات الجو العليا هى بيئة الإنسان والأحوال الجوية من أعاصير أو الرؤية المتعذرة والعواصف الرعدية كل ذلك أشبه شئ بالقدر .

وهنا نذكر إذا كان الجسم خاويا ، والمحرك باليا والبنزين « الطاقة » غير كاف والأحوال الجوية مرتبكة سيئة فلا يمكن القيام « بالوظيفة » برغم أن المسئولية هنا هى مسئولية « قائد الطائرة » وحده . ولعل قائل يقول إن كل التجهيزات والظروف الجوية السيئة كافية بأن تكون عذرا شديدا ، ومبررا قويا فلا تظلموا قائد الطائرة

---

(١) القيامة : ٢ (٢) يوسف : ٥٣ (٣) الأنعام : ٩٣

(٤) الشمس : ٧ -٨ (٥) آل عمران : ١٨٥

إلا أن المسئول الأول والأخير عن سوء إستخدام طائرة سليمة هو الطيار وحده وليس غيره .

هذا وقد أثبت القرآن الكريم وجود الروح بآيات كثيرة وطبقا للصراحة القرآنية بأنها من أمر الله وجب الإعتراف بأبديتها ولاشك .

بيد أن هناك بعضا من حكماء الغرب - ما عدا بعضهم المشهورين بحرية الرأى والمجمع على فضلهم وعبقريتهم قد أقروا بوجود الروح وأبديتها (١) .

فيكتور هوجو : يقول فى الروح قوله :

Je dis que le tombeau qui sur les morts. se ferme ouvre firmament ? et que ce qu , ici bas nous prenons Pour les termes est le commencement .

أقول أن هذا الرمس الذى ينطبق على الموتى يفتح باب السماء وما نظنه فى هذه الدنيا نهاية إنما هو بداية .

يقول كميل فلاماريون : الأشباح ليست الأرواح تمضى وتتغير وتبلى وتندثر والروح باقية .

يقول جوته : إنى معتقد واثق بأن أرواحنا جوهر لايفنى مؤثر منذ الأزل إلى الأبد ، فالروح مع أنها تتراءى آفلة لأمثالنا الأرضيين تشبه الشمس التى تنشر الضوء دائما .

لقد توصل فلاماريون بجهوده التى زادت عن نصف قرن من الزمان إلي النتائج الآتية :

١- توجد الروح فى صورة حقيقية منفصلة عن الجسد .

٢ - للروح خصائص لم يكتشفها العلم بعد .

٣ - للروح القدرة على التأثير عن بعد دون توسط الحواس .

٤ - للعناصر الروحية فى الطبيعة أثر كبير برغم أن حقيقتها مجهولة .

٥ - تستمر الروح بعد الجسم المادى ويمكنها القيام ببعض المظاهر عقب الموت .

---

(١) أحمد عزت وآخرون : الدين والعلم - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٠ : ص ٢٤ - ٢٤٢

وقد يكون هناك بعض القصور والعجز عن إيجاد مادة عضوية ذات حياة برغم أن أجسام الحيوان والنبات الظاهرية مركبة من مواد عضوية ، كما يمكن تحليل المادة وتركيبها كيميائيا ، وهنا يلزم الإعتراف بوجود قوة خفية من أسرار الخلق فى الحيوان والنبات ما لم يقدر العلم على كشفها على الأقل أولا وهى الروح .

رأى ابن سينا فى الروح : يري ابن سينا أن الروح هى النفس ولايفرق بينهما ، ومن ثم فالنفس عنده تنضوى تحت قسمين أحدهما يدخل تحت قسم العلوم الطبيعية والطب وثانيهما يدخل تحت « علم النفس » ويعالج القسم الثانى من علم النفس النفس المختلفة من غذاء ونماء وولادة وحس وسمع وبصر وأعصاب .

ويرى ابن سينا أن النفس هى التى تهب الأجسام حياتها العقلية ثم يتساءل بعد ذلك عن مصدر النفس ومصيرها وإلى أين تذهب بعد الموت ؟ أى بعد موت الجسد وكان جواب ابن سينا متفقا مع جواب الفلاسفة ولاسيما « أفلاطون » الذى كان يرى أن النفوس تكون قبل أن تتصل بالأجسام فى الملأ الأعلى ثم ترتكب هناك ذنبا فتُسقط « بالبناء للمجهول » إلى الأرض لتتصل بجسد مادى جزاء لها على خطيئتها ، ويدعم هذا الرأى « أفلوطين » مؤسس المذهب الإسكندرانى « الأفلاطونية الحديثة » والذى يزعم أن النفس البشرية إذا أخطأت فى الملأ الأعلى سقطت إلى عالم المادة ، فاتصلت بجسم تقضى فيه عمرها الأرضى ثم تعود إلي الملأ الأعلى .

ويتأمل ابن سينا مشهد النفوس فى الملأ الأعلى تحوم حول عرش الله سبحانه وتعالى ثم إنها تخطئ فيمتلئ الله منها غيظا وغضبا فيضرب بها وجه الأرض ليدخلها فى جسد آدمى قصاصا لها على ذنب لاندرى نحن ماهو ، وكذلك لم يفهم الباحثون كيف يمكن لنفس مجردة من جميع علائق المادة محفوفة ببهاء الألوهية وجلالها أن تخطئ ! ! .

ثم تخيل بعد ذلك ابن سينا هذه النفوس التى يضرب الله بها كل يوم وجه الأرض فإذا هى بعشرات الألوف تتساءل عن الحكمة من ذلك ولكن ذكاءه أنار له الطريق ... طريق الحرية ، فاعتقد أن مثل هذه النظرية الفطرية فى الأمور لاتحتاج إلى معالجة جدية فعالجها بشئ من اليسر والسهولة فى قصيدة من عيون الشعر العربى قال فيها عن النفس البشرية :

فلأى شئ أهبطت من شامخ	∴	سام إلى حفر الحضيض الأوضع
إن كـان أرسلها الإلـه لحكمة	∴	طويت عن الفتن اللبيب الأروع
فهبوطها إن كـان ضربـة لازم	∴	لتكون سـامعة لما لم يسمع
وتعـود عالمـة بكل خفيـة	∴	فى العالمين فخرقها لم يرقع
وهى التى قطع الزمان طريقها	∴	حتى لقد غـربت بغيـر المطلع
فكـأنها بـرق تألـق بالحمى	∴	ثم انطـوى فكأنـه لـم يلمع

هذا وقد إنتقد ابن سينا رأى أفلاطون فى النفس واعتبره على غير حق لأن الهدف الذى هبطت النفس من أجله إلى الأرض ليست له قيـمة بالمرة إذا ما الذى تعرفه النفس عند هبـوطها إلى الأرض من أحوال أهل الأرض ؟ هل تهبط النفس لتدرك وتعرف وتتعلم مـثلا ؟ إذا كان ذلك كذلك فكيف نفسر موت كثير من الأفراد قبل ولادتهم وعيشهم على كوكبنا الأرض ؟ إن هذا التفسير قاصر لأنه يقوم أصلا على الأوهام وشطحات الفلاسفة الإغريق .

ومجمل القول أن رأى ابن سينا فى النفس « الروح » ما هو إلا رأى مادى وذلك لإعتقاده أن النفوس كثيرة ومتعددة تعدل الأبدان ، إذ حين يوجد فى الأرض جسد فإنه فى حاجة إلى حياة تدب فيه وهذه الحياة لاوجود لها إلا فى النفس أى «الروح» .

الروح عند ابن قيم الجوزية : يرى ابن قيم الجوزية أن الروح «جسم نورانى متحرك من العالم العلوى مخالف بطبعه لهذا الجسم المحسوس ، سار فيه سريان الماء فى الورد والدهن فى الزيتون لا يقبل التبديل والتفريق والتمزيق يفيد الجسم المحسوس بالحياة وتوابعها مادام صالحا لقبول الفيض وعدم حدوث ما يمنع السريان وإلا حدث الموت (١) ، هنا ينظر ابن قيم الجوزية إلى الروح نظرة شفافة كالنسيم فهى موجودة ، هى أصل وجود الكائن الحى بمعنى أنها المحرك للجسم المحسوس وأنها الروح ليست كتلة هلامية كالعهن المنفوش ، إن هذه النظرة نظرة مجردة بحتة بعيدة تماما عن النظرة المادية التى يأخذ بها بعض الفلاسفة والمفكرين .

---

(١) محمد مسلم الغنيمي : ابن قيم الجوزية – مرجع سابق ص ٢٧٩ - ٢٨٠

جميل جدا أن يرى ابن القيم الروح وكأنها الماء فى الورد ولم لا ؟ والماء هو الذى منح الحياة لكل شئ على هذه الأرض ... « وجعلنا من الماء كل شئ حى » (١) ، إن الروح فى نظر ابن القيم كل لا يتجزأ تمنع التحوير والتبديل وتمنح القوة والإرادة والتمكين كما أن الروح عند ابن القيم هى النفس حيث يشير إلى ذلك بقوله « سميت النفس روحا لحصول الحياة بها وسميت نفسا إما من الشئ النفيس لنفاستها وشرفها وإما من تنفس الشئ إذا خرج ولكثرة خروجها ودخولها فى البدن سميت نفسا ومنه النفس بالتحريك فإن العبد كلما نام خرجت منه فإذا إستيقظ رجعت إليه فإذا مات خرجت خروجا كليا فإذا دفن عادت إليه فإذا سئل خرجت فإذا بعث رجعت إليه (٢) .

هذا ويربط ابن القيم بين الروح وفكرة الفيض حين يذكر أن النفس البشرية إذا فاضت أى خرجت وفارقت الجسم فإن الجسم يموت ويفنى أى أن خروج الروح هو فراق الجسد ، أما الفيض فيعنى عنده « الإندفاع وهلة واحدة » ومنه الإفاضة وهى الإندفاع بكثرة وسرعة.لكن أفاض إذا دفع بإختياره وإرادته وفاض إذا إندفع قسرا وقهرا فالله سبحانه وتعالى هو الذى يفيضها عند الموت فتفيض هى (٣) .

رأى الإمام ابن حزم فى الروح فى كتابه الممتع « الفصل فى الملل والنحل » يذكر الإمام ابن حزم قوله « وذهب سائر أهل الإسلام والملل المقرة بالمعاد إلى أن النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكانة عاقلة مميزة مصدقة للجسد قال وبهذا نقول : النفس والروح إسمان لمسمى واحد ومعناهما واحد ثم قال وأما من ذهب إلى أن النفس ليست جسما فقول يبطل بالقرآن والسنة والإجماع (٤) .

وبهذا نرى أن الإمام ابن حزم يتفق إلى حد كبير مع ابن قيم الجوزية فى نظرة كل منهما إلى الروح والنفس .

---

(١) الأنبياء : ٣٠

(٢) ابن قيم الجوزية : الروح تحقيق محمد أنيس عباده والسرجاني مكتبة نصير القاهرة ١٩٧٩ ص ٣٤٩

(٣) ابن القيم : مرجع سابق ص ٣٥٠

(٤) محمد مسلم الغنيمي : ابن قيم الجوزية - مرجع سابق ص ٢٧١

وخلاصة القول أن الحديث عن الروح كثير ومثير وكل باحث أو عالم أو مفكر ينظر إليها نظرة تتسم بثقافة العصر الذى واكبه ، وهذا ماشهدناه لدى السلفيين أو الفلاسفة أو المحدثين .

والواقع أن وصف الشئ غير المحسوس صعب للغاية وليس هذا يعنى عدم وجود هذا الشئ فالروح مثلا موجودة فى الجسم الآدمى فإذا خرجت منه بسبب الوفاة إنتقلت إلى العالم الآخر ، إن الروح حقيقة ثابتة ومؤكدة برغم عدم رؤيانا لها لأن أبصارنا ليست مجهزة لهذه الرؤية أو المشاهدة ، إننا لانستطيع رؤية « الميكروبات » أو « الفيروسات » وليس هذا دليل على عدم وجودها سابحة فى الجو أو كامنة فى جسم الإنسان إن «الميكروسكوب» جعلنا نشاهد بوضوح مثل هذه الميكروبات والفيروسات وبالمثل فإن فكرة الإستماع والرؤية فى وقت واحد وعلى بعد آلاف الأميال قد تحققت بفضل إختراع جهاز « التليفزيون » ، وهكذا نرى أن الناس إذا لم يروا للشئ نظيرًا صعب عليهم التعبير .

٤ - أنواع النفوس فى القرآن الكريم .

أشار القرآن الكريم إلى النفس البشرية إشارات كثيرة وسلط عليها ومضات من نور ليست بالقليلة ، ولاغرو فى ذلك فالقرآن يتعامل مع كل شئ معاملات يقينية تنبع من خصائص الصدق والثبات والديمومة والإستمرار هذا ونستعرض فى هذا المجال أنماط من النفوس البشرية ذكرها القرآن فنقف أمامها نتأملها لندرك أى نوع وأى نمط تكون ؟

أولا : النفس الأمارة .

هذا النمط من النفوس يميل إلي الشر والعدوان والتفكير السئ الذى يغرى صاحبه بإرتكاب المعاصى والآثام بعد أن كان فى طريق الهداية والإستقامة والرشاد. أن النفس الأمارة بالسوء تأخذ موقعها فى علم النفس عند أحد جوانب اللا شعور والمعروف باسم « الهو » أو « الهى » وهو المنطقة المنزوعة السلاح والتى تحوى الأفكار التسلطية والغرائز العدوانية والدوافع اللاشعورية والتخيلات الصبيانية .

إن منطقة « الهو » هذه مفعمة بالمتفجرات التى تحاول الظهور دائما متى سنحت لها الفرصة ، ولكنها تكبت Repressed بصمام أمن وأمان هو الضمير أو كما نسميه - بلغة علم النفس - « الأنا الأعلي » الذى يكسب الإنسان منا إنسانيته وتطبيعه الإجتماعى هذا وليست فكرة « النفس الأمارة » قاصرة فقط على عامة الناس ، بل عاشها وخبرها بعض الأنبياء ومنهم سيدنا يوسف عليه السلام ويتجلى ذلك حين نقرأ قول الحق سبحانه وتعالى « **وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي** » (١) .

ثانيا : النفس اللوامة .

يقول الحق تبارك وتعالى فى كتابه الكريم « **إن تقول نفس يا حسرتى على مافرطت فى جنب الله** »(٢) وفى موضع آخر « **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** » (٣) وفى موضع ثالث « **لا أقسم بيوم القيامة ولاأقسم بالنفس اللوامة** » (٤) ، وعندما تتحسر النفس على صاحبها وتلوم نفسها بنفسها فمعنى ذلك أنها قد أحست بذنب كبير ، وتبغى رأب الصدع والعودة إلى سيرتها الأولى التى كانت تسير على منوالها ، تريد النفس أن تعود إلي سكينتها. تريد النفس أن تقلل من التوتر الذى حدث لها فعلى سبيل المثال لا الحصر يبكى طفل الخامسة كثيرا إذا كسر كوبا أو لعبة أو أتلف شيئا بالمنزل فإذا وقع عليه عقاب من أمه أو أبيه ، زال ما أصابه من توتر وقل إحساسه بالذنب بعد أن أخذ نصيبه من العقاب وقل مثل ذلك فى حالات من يرتكب جريمة لدى الكبار لأن تنفيذ العقوبة هنا بمثابة التكفير عن الذنوب والآثام وبذا يحدث خفض التوتر Tension Reduction فى الأعم الأغلب ونقرر هنا فى هذا المجال - من الوجهة التربوية - أن مسألة الثواب والعقاب Reward and Punishment يجب أن تتسم بسمة السرعة والفورية Instancy بمعنى أن زيدا أخطأ فنوقع عليه العقاب فورا وإذا أجاد وأصاب نمنحه الجزاء الحسن بعد عمله المجيد مباشرة .

---

(١) يوسف : ٥٣
(٢) الزمر : ٥٦
(٣) فاطر : ٨
(٤) القيامة : ١ - ٢

ويؤلمنا كثيرا أن نرى فى مجتمعنا المعاصر تراخيا وإهمالا فى تطبيق القوانين لاالشئ سوى أن بعض القوانين تطبق على مجموعة من الناس دون البعض الآخر فهل مثل هذه القوانين «مقاسات» أو درجات أو لجميع المقاسات والأحجامAll Size ؟

فالقانون قانون وهو سيد على الوزير والغفير ، وسيادة القانون يجب أن تكون شيئا مقدسا من جانب الأفردا والجماعات لأن قوانين الشريعة الإسلامية الغراء لم تفرق بين عمر بن الخطاب أو جبلة بن الأيهم أو رجل الشارع أو أحد السوقة والغوغاء ، حيث أن الإسلام قد سوى بين الجميع هذا وإلا فالهلاك والفناء على موعد معنا كما قالها رسولنا محمد ﷺ « إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الكبير تركوه وإذا سرق الصغير أقاموا عليه الحد » .

إن التهوين فى إقامة حدود المولى عز وجل ظلم وتمرد وعصيان « **ومن يعصى الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها** » (١) وبالمثل «**ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه** » (٢) وكذلك « **ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون** » (٣) .

والحق نقول أن خالق الإنسان أعلم به وبما يصلح له من قوانين وتشريعات وكفانا قوانين مستوردة تارة و « مرقعة » تارة أخرى كفانا بقايا من الفرمانات العثمانية ! ! وعلينا أن نعود إلى شريعة الله المنزلة من لدن حكيم خبير لنحكم بما أنزل الله « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** » (٤) « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** » (٥) « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** » (٦) .

فهل بعد هذا يود أى مسلم حق مؤمن إيمانا راسخا أن يكون فاسقا أو كافرا أو ظالما ؟ بالطبع كلا إن النظريات التربوية والنفسية الحديثة تحض على فورية إنزال العقاب بالمسئ ومنح المحسن الجزاء الأوفى لأن فى ذلك فائدتين :

الأولى : خاصة بالفرد وذلك لأن السرعة فى القصاص أو العقاب تؤدى إلى

---

(١) النساء : ١٤ (٢) الطلاق : ١ (٣) البقرة : ٢٢٩

(٤) المائدة : ٤٧ (٥) المائدة : ٤٤ (٦) المائدة : ٤٥

خفض التوتر ... التوتر الذى يسبب الإضطرابات النفسية وزيادة تدهور الروح المعنوية والشعور بالذنب والإصابة بالقلق والخوف والتهديد رما ينتاب الفرد من صراعات نفسية

الثانية : خاصة بالمجتمع وما المجتمع إلا مجموعة من الأفراد وحينما يرى هؤلاء الأفراد عقابا وقع على أحدهم أو ثوابا وخيرا ناله فرد منهم فلسوف يكون ذلك بمثابة العبرة أو القدرة مما يجسد الإتجاهات المرغوبة Desired Attitude أمام أعين أفراد الأمة جمعاء فيقل معدل حدوث الجريمة ويعيش الناس فى أمن وأمان ، وبذلك يستقيم الوضع وتسير الحياة فى رتابة وإنسياب « **ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون** » (١) .

ثالثا : النفس المطمئنة .

هى النفس المؤمنة الخاشعة الراضية « الأمنة من الخوف » لا تتكالب على ماديات الحياة لاتتصارع على عرض زائل لاتغضب من الخلق أو الحق لا تحزن على ما فات لاتحمل هما لما هو أت لاتحقد على أحد لاتحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله هى النفس «التى تمشى على الأرض هونا » إنها نفس صابرة ظافرة تعيش الحياة كما هى أقبلت هذه الحياة أم أدبرت هى نفس يقول لسان حالها :

يادنيا غرى غيرى إن زادك لحقير . ومن ثم فهذه النفس خالية من العقد والإضطرابات والأمراض النفسية مثل القلق والإكتئاب والحصر « الحواذ » والفصام والهوس والهستريا والبرانويا والفوبيات «المخاوف المرضية » وغيرها .

إن النفس المطمئنة لا تعرف السخط وكيف تعرفه وهى تحب الله راضية بقدره وقضائه ، إن طمأنينة النفس قد نراها فى أبهى صورها وأجمل أشكالها لدى ذلك «الصوفى » الذى أصيب بوابل من المصائب أشكالا وألوانا مصائب تخر لها الجبال ولكنه كان يقابل ذلك كله بالبشر والسرور ويناجى ربه وخالقه قائلا :

ليس لى فى سواك حظ .·. كيفما شئت فإختبرنى .

---

(١) البقرة : ١٧٩

« يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى إلي ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » (١) .

رابعا : النفس الزكية .

يقصد بالنفس الزكية « النفس الطاهرة » فيقال مثلا زكا الشئ يزكو زكاء أى تطهر وفى صورة الكهف من القرآن نقرأ الآية « فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا » (٢) وفى صورة مريم نقرأ « قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » (٣) ، كما نقرأ أيضا « ذلكم أزكى وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون » (٤) .

وفى موضع آخر من كتاب الله نقرأ « فالينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه » ومن ثم ندرك أن النفس الزكية التى تسمو بنفسها وتعرف حق قدرها طبقا لأبعادها التى وضعها الخالق سبحانه وتعالى لها .

خامسا : النفس الحوازية . (٥)

يحدد علم النفس مفهوم النفس الحوازية بأنها تلك النفس التى تعانى من حصر نفسها فى حيز ضيق أو وضع محصور عليها فقط ، وأحيانا يطلق على هذه الحالة « حواز » أى فكرة أو دعوة إستبدت بصاحبها .

فالشخص الذى تستهويه فكرة سخيفة أو تطغى على عقله آراء غريبة ، أومن يحصر نفسه أسيرا لخواطر معينة فهو يعانى من أعراض وإمارات لمرض نفسى يعرف باسم « الحصر أو الحواز أو النواب » بتشديد النون وضمها وفتح الواو Compulsive obsessive neurosis ومن الناس من يحيا طوال عمره يعانى

---

(١) الفجر : ٢٧ - ٣٠ (٢) الكهف : ٧٤

(٣) مريم : ١٩ (٤) البقرة : ٢٣٢

(٥) يقصد بهذا المفهوم النفس التي تستحوذ علي الإنسان فتدفعه بأن يكرر أنماطا سلوكية رتيبة بصورة مرضية لايوجد ما يبررها من الناحية المنطقية

من هذا المرض الذى يعتمد - فى المحل الأول - على الوسوسة المستمرة القاتلة والأفكار التسلطية المهلكة ، فقد نرى أحدهم مستغرقا فى عد أعمدة التليفون أثناء سفره بالقطار ، وآخر تراه وهو يسير على إفريز الشارع بأن يضع قدم على نوع معين من البلاط ، فهو يتخطى البلاط المكسور ولايضع قدميه إلا على البلاط السليم ، وثالث وقف ينتظر صديقا تأخر عن موعده فطفق صاحبنا يعد من رقم واحد حتى المائة ، وحالة رابعة أخذ صاحبها عهدا على نفسه بألا يدخل البيت إلا بقدمه اليمنى بعد أن يدق الأرض ثلاث مرات .

هذا وقد أشار القرآن الكريم إلي ملامح هذه النفوس فى أكثر من موضع إذ يقول الحق تبارك وتعالى « **إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله** »(١) « **فوسوس إليه الشيطان قال يأدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** »(٢) وهكذا نقرأ فى سورة الناس «**قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس**» (٣) .

سادسا : النفس الظالمة .

ترى ما النفس الظالمة ؟ إنها ولاشك تلك النفس المدفوعة إلى ظلم الغير لإستكانة هذا الغير أو إهماله فى حق نفسه أو التفريط فيها وعدم معرفته قدرها ، والنفس الظالمة إذاً هى تلك النفس التى تظلم نفسها بنفسها لأن سمة الظلم أساسها ومهادها ، فالظلم هو أحد ميكانيزمات سلوكها ، ووقود نارها ، فمنذ بدء الخلق وقد عم الظلم الأرض لأن هذه سنة الكون لكى يتحقق قول الله سبحانه وتعالى «**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** » (٤) وكذلك « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع**»(٥) ولما كان الظلم من شيم معظم النفوس البشرية وطبائعها فقد أدركناه تجارة لا تبور بين الناس فى كل زمان ومكان ولدى كل البشر على إختلاف مللهم ونحلهم وألوانهم ونظمهم

---

(١) المجادلة : ١٩ (٢) طه : ١٣٠ (٣) الناس : ١ - ٦

(٤) البقرة : ٢٥١ (٥) الحج : ٤٠

المعيشية وعاداتهم ، ولذا ذكر القرآن الكريم لفظ « الظلم » ومشتقاته ٢٨٩ مرة ، ولا عجب أن نرى حدوث الظلم بين الظالم والمظلوم كالديالوج الداخلي Internal Dialogue نغماته هى « شكوى المظلوم » الحزينة وألحانه « نشوى الظالم » .

إن نفسا من النفوس قد تميل إلى ممارسة الظلم لاشعوريا دون نفس أخرى وكأن «النفس الظالمة » مثلها مثل الشخص الذى يوقع بنفسه الضرر ويميل للإستهداف للحوادث ، وإن كانت تلك مسألة نسبية بين كل الناس طبقا لما يطلق عليه علماء النفس «الفروق الفردية » والتى نعنى بها دراسة التباين بين الأفراد أو بين الجماعات بقصد تفسير السلوك البشرى وما يؤثر فيه من عوامل ومتغيرات كثيرة أهمها : العوامل الفيزيائية مثل البيئة الإجتماعية والعوامل البيولوجية كالعمر والسلالة والجنس والعوامل الثقافية مثل الإتجاهات والمعايير والقيم ، وهناك أيضا العوامل الإجتماعية مثل كثافة السكان والمستوى الإقتصادى والطبقى وهكذا (١) .

قلنا إن معظم أنواع الظلم تقع على نفوس أصحابها وآية ذلك حديث القرآن الكريم فى قوله تعالى :

« ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » (البقرة - ٢٣١)

« قال ربى إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له » (القصص - ١٦)

« يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم بإتخاذكم العجل » (البقرة - ٨٤)

« قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ... » (الأعراف - ٢٣)

« وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (النحل - ١١٨)

« وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون » (آل عمران - ١١٧)

« والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله » (آل عمران - ١٣٨)

« ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله » (النساء - ٦٤)

« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا » (الأنبياء - ٤٧)

« اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم » . (غافر - ١٧)

---

(1) J . P Guilford , General Psychology . Reinhold Com , 3rd New york . 1971 . pp . 524 - 25 .

« إن اللذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » (النساء - ٩٧)

« ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » (الجاثية - ٢٢)

« فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » (فاطر - ٣٢)

« ووفيت كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون » (آل عمران - ٢٨)

« ومن ذرياتهما محسن وظالم لنفسه مبين » (الصافات - ١١٣)

« ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » (الطلاق - ١)

« أن الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ». (يونس - ٤٤)

سابعا : النفس المجاهدة .

نقصد بالنفس المجاهدة التى تنهى عن المنكر وتأمر بالمعروف وتؤمن بالله. « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »(١) ومن هنا ومن هذا المنطلق جاء الإسلام يحضنا على الجهاد بالنفس فى أفاق الأرض لإعلاء كلمة الله وهذه هى غاية الجهاد « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو إجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » (٢) .

والجهاد فى الإسلام عنصر أصيل ومعروف لأنه هو الوسيلة الفعالة لكف الأذى وسحق الشر ومنعه سواء كان نابعا من النفس أو آتيا من فرد آخر ومن ثم نقول إذا كان الخير والشر متلازمين فى دنيا الأفراد وفى أعماقنا جميعا وإذا كان الإسلام هو الخير والحق فإن النفس المجاهدة لن تهدأ أبدا ولن يخمد أوارها لأنها نفس ثائرة بإستمرار فى خضم ثورة عارمة بين الخير والشر ، ولذلك جاء فى الحديث الشريف : « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » .

وأول صورة من صور الجهاد « جهاد النفس » وتربيتها تربية سليمة قوية بعيدا عن الصغائر والدنايا وأخذها بالصبر على المكاره والأذى والإضطهاد والحرمان

---

(١) آل عمران : ١١٠ (٢) الحج : ٧٨

والإساءة والبهتان ، إن جهاد النفس عبادة فى حد ذاته لأن كل صور العبادات نوع من المجاهدة ، فأنت حين تصوم فإنك تقاوم إغراء الشهوات وتكف عن النظر إلى مغريات ألوان الطعام وتبتعد عن فحش القول وتدرب نفسك على مجابهة الصعوبات والعقبات فتتعلم النفس الصبر على المكاره لأن عملية التعلم ما هى إلا إحلال عادة مرغوبة مطلوبة محل عادة مرفوضة مرذولة إنها تسير وفق مراحل ست هي (١) :

المرحلةالأولي : إحساس الإنسان الفرد بالضيق والتبرم والملل وعدم الرضا Dissatisfation من جراء إحساسه بأن شيئا ما يحتاجه أو ينقصه ويريد هذا الشئ أولا ولايستطيع الحصول عليه .

المرحلةالثانية : إختيار وإنتقاء سلوكيات جديدة Selection new behavior تتمشى مع متطلبات وإحتياجات الموضوع المراد تعلمه ، وفى هذه المرحلة على الفرد أن يعدل من سلوكه ليقترب من تحقيق ما يصبو إليه من تعلم أو تدريب

المرحلةالثالثة : ممارسة السلوكيات الجديدة Practicing new behavior وفى هذه المرحلة يدخل الفرد فى مجال إعداد نفسه وتحضير ذاته لتقبل الجديد من ممارسة السلوك الذى يصبح بعدئذ عادة جديدة مرغوبة مقبولة .

المرحلةالرابعة : إحراز أدلة على النتائج Getting evidence on results وهنا يتسائل الفرد : هل هو على حق ؟ ومـاالدليل على أن آداءه سليم صحيح ؟ وكيف السبيل للوصول إلى صحة نتائجه فيما يعمله أو يتعلمه ؟ إذا لابد من ربط الأدلة بالنتائج الجديدة ، ومدى مطابقتها وتماثلها مع بعض فكلما كان التطابق والتماثل كبيرا بين الأدلة والنتائج كلما كان الأداء سليما ومقبولا وصحيحا.

---

(1) Richard Hacon , Presonal and organisational effectiveness , Mc Graw - Hill Book Co (U K) ltd . England, 1972 , pp , 95 - 103 .

المرحلة الخامسة : وتعرف باسم مرحلة التعميم والتكامل والتطبيق Generalization Integration and appliction وفيها يجاهد الإنسان الفرد فى تشكيل سلوكه وفقا للسلوك المرغوب ذلك السلوك المكتسب الذى يتضمن عمومية وتكاملا وتطبيقا لما تعلمه أو إكتسبه ، وكأن هذه المرحلة بمثابة تثبيت وترسيخ « لبناء سيكولوجى Psychological Structure جديد ، قام الإنسان الفرد بتخطيطه الشبكى Network Planning المعقد وتكامله المستفيض .

أما المرحلة السادسة : والأخيرة فهى مرحلة مجابهة المشاكل الجديدة Facing New problems ونقصد بها أن الإنسان الفرد سوف يمر بنفس المراحل الخمس السابقة عندما يريد أن يتعلم شيئا جديدا آخر. مثال ذلك أن فردا يجيد السباحة وقد مر بنفس المراحل الخمس التى ذكرناها سلفا فإذا أراد أن يتعلم لغة أجنبية أو الضرب على الآلة الكاتبة ، كان لزاما عليه أن يمر بنفس المراحل وهذا ما تهدف إليه المرحلة السادسة من مصادفة مشاكل جديدة يتغلب عليها الإنسان الفرد ويطوعها لنفسه بنفسه وهذا جهاد دائم مستمر إلي الأبد للفرد والجماعات مما يفسر معني الحديث الشريف « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » .

وليس الجهاد قاصرا على التعلم والتدريب والممارسة لفن من فنون أو علم أو معرفة أو عمل أو هواية ، ولكنه يذهب إلى أبعد من ذلك ، مثال ذلك أن حب الخير جهاد.وقول الحق جهاد.وتطهير النفس من الأدران والأحقاد جهاد.وكبح جماح شهوات النفس جهاد ، ويحضر هنا قول النبى ﷺ .

« أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ، وهذا هو أسمى أنواع الجهاد » كما أننا حينما ننادى بتطبيق الشريعة الإسلامية فى مجتمعنا الإسلامى كله معاملة وعبادةً وحدودًا وتعزيرًا ، فإن هذا الجهاد كبير لإزالة الفساد ومنع الإنحراف والإجرام ، وضرب قوى البغى والإنحلال والإستغلال .

ولقد ورد لفظة « الجهاد » ومشتقاتها فى القرآن الكريم ٣٨ مرة ومعظمها يحض على الجهاد بالنفس « **ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين** » (١)

---

(١) العنكبوت : ٦

« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله » (١) ونقرأ كذلك قوله تعالى : « لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم » (٢) وفى قوله تعالى أيضا «إنفرو خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » (٣) ثم نقرأ قوله عز وجل« فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة» (٤)

وهكذا تصبح النفس المجاهدة نفس لاتخشى فى الحق لومة لائم.نفس تحب الخير والحق والجمال وتمقت الحقد والغل والفساد.نفس تحرض على الموت وتتمناه لكى توهب لها الحياة.نفس غير آبهة بالحياة الزائلة لايهمها هذه الدنيا أقبلت أم أدبرت ولاغرو فى ذلك إنها نفس إنسانية مجاهدة .

٥ - نفوس مريضة فى القرآن الكريم .

ما هى النفس المريضة ؟ هى تلك التى تعمى عن رؤية الحقيقة ولدى صاحبها عقل غير أنه لايمكنه الإدراك أو الفهم ، وله قلب عاجز عن الإنفعال لخفقات الحب والخير والجمال ، إن هذه النفس المريضة نفس معطلة الحواس لاتستقبل الخير نشطة فى إرسال موجات الشر والفتنة والفساد والضلال والغواية ، إنها نفس شريرة لعل خير مثال لهذه النفس ما أشار إليه القرآن العظيم فى سورة البقرة إبتداء من الآية السادسة إلى الآية العشرين « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون.ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلي أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم.ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون.في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكسبون.وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لايعلمون ، وإذا لقوا

---

(١) التوبة : ٢٠
(٢) التوبة : ٨٨
(٣) التوبة : ٤١
(٤) النساء : ٦٥

الذين آمنوا قـالوا آمنا وإذا خلو إلى شياطينهم قـالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن ، الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ، إولئك الذين آشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، مثلهم كمثل الذى إسـتـوقـد نارا فلما أضاءت ماحـوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لايبصرون صم بكم عمى فهم لايرجعون ، أو كصيب من السماء فيـه ظلمـات ورعـد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شئ قدير » .

من المعلوم أن معظم الأفراد فى أى مجتمع من المجتمعات الإنسانيـة قد يصـاب ببعض الإضطرابات السيكولوچيـة في أعقـاب الحروب أو إبان الأزمات الإقـتـصادية الطاحنة أو خـلال إنتـشـار وباء من الأوبئـة أو أثناء فـترات القحط والمجاعات أو نتيجة لبعض التغيرات الحضارية السريعة أو التغير التكنولوچى السريع نقول إنه في خضم هذه المتغيرات يصاب الإنسان الفرد بمس من القلق ولاغرو فى ذلك فنحن فى عـصر القلق النفسى القـاتل كما قـد يصـاب الإنسان بنوبة من الإكتئاب النفسى الحاد ولايستطيع منه شفاء إلا بعد حين .

هذا وهناك الفرصة مواتية للمعاناه من نوبات من الهستيريا أو البرانويا أو بعض المخاوف الشاذة أو مرض الفصام ، فضلا عن هيمنة النزعات العدوانية بين الأفراد وإنتشار موجات العنف والإهمال والإنحراف والإنحلال والإستغلال وتقديس الجنس والتطلعات الطبقية والتى تحدو بنا فى النهاية إلى العيش فى صراع وإحباط وبالتـالى إلى الإصابة بمرض سيكوسوماتى « نفسيجسمى » مثل : قرحة المعدة أو الإثنى عشر أو الذبحة الصدرية أو الصداع المزمن أو بعض أمراض الحساسية وكأن هذه المجموعـة من الأمراض هى « ضريبة ملاهى جسدية » - إن صح هذا التعبير - يقوم بتحصيلها وجبايتـها أحد المتغيـرات السالفة الذكر وليكن متغير التقدم الحضارى أو التغيرالتكنولوچى السريع أو تقلبات العصر الإقتـصادية والمالية .

فى هذا الصدد يشير القرآن الكريم إلي بعض هذه الإضطرابات التى تنتاب الإنسان من حقد وندم ونزعات تدميرية تخريبية من الفرد نحو أخيه ومن الفرد نحو

نفسه لنقرأ الآيات من الآية السابعة والعشرين إلى الآية الواحد والثلاثين من سورة المائدة .

« واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين.لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين إنى أريد أن تبوأ بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين. فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين » .

ندم وأى ندم ! ! على قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق وما أكثر ما تقتل نفوس وتسفك دماء وتهدر أرواح فى أيامنا هذه لا لشئ إلا من أجل المال والشهوة والجنس وإقتناء كل جديد فى عالمنا المعاصر والمسمى عصر النور (١) لكن الإنسان الواعى - فى نظرى - هو ذلك الذى لا تبهره مثل هذه الأضواء البراقة والأصوات الجوفاء هو ذلك الذي لايسير في موكب القطعان الضالة التى تبحث عن طريقها فلا تجده ، كما تتلفت يمنة ويسرة فى فزع ورعب وتنادى وما من مجيب إنها تدور وتدور فى حلقة مفرغة لأنها تعانى من الفراغ والفقدان والضياع من تصورات مشوهة ونظم إجتماعية وإقتصادية عفنة بالية عفا عليها الزمن . إذ أنها في حاجة دائما إلى دفعات قوية ودم جديد وترقيع مستمر لكى يكتب لها البقاء ولكن هيهات هيهات أن تصلح مثل هذه التصورات والنظم والتى هى من وضع إنسان ليسير على هداها أخوه الإنسان لذا كان الفرد دائما عرضة للتخبط والضلال فى سلوكه العشوائى.ألست معى أخى الإنسان فى أن إنسان العصر الحديث أصبح يغير فكره ومعتقده ومبادئه وإتجاهاته كما يغير ملابسه لا لشئ إلا باسم التغيرالإجتماعي Social change ومواكبة العصر وإلا فلا مدنية أوعصرية أو

---

(1) Jon H . Brenneche & Robert G . Amick , Psychology : understanding yourself , Benzigar Bruce . London 1975 , p . 121 .

تحضر أو إنسانية.إن من يرفض التغير ومسايرة الموادت بدائى يعيش فى كهوف مظلمة لم يرى النور بعد وحياته كلها ظلام فى ظلام (١) .

فى كثير من البلدان الأوربية رأيت (٢) معظم الناس يسيرون فى شوارع المدن صباحا إلى أعمالهم وقد جذبتهم الحياة المادية الرهيبة نحو الضياع والضلال دون إعتبار للقيم المعنوية والأخلاقية ، وفى المساء والناس عائدون من العمل كسالى حيارى وقد هدهم التعب والنصب والإعياء وأخذوا يبحثون عن أماكنهم فى حانات الخمور والعربدة جريا وراء المتعة الرخيصة لاهثين حول طاحونة الحياة حياة العمل المستمر نهارا وحياة اللهو الدائم ليلا وعاما بعد عام ويوما إثر يوم يقع الفرد صريع المادية البشعة اللعينة حيث صار بعيدا عن الإنسانية الحانية وبعيدا عن الدين والإيمان والأمان ، وهنا نقول أن هؤلاء الناس هاربون من نفوسهم - لاشك - هم غرباء فى منازلهم قلقون للغاية على مصائرهم حائرون فى معيشتهم وكأن الفرد منهم قشرة تافهة أو قشة فى مهب الريح ! ! .

« لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » (٣) وفى هذا المجال نقول : ليس كل العاملين فى المصانع والمزارع والمتاجر والمؤسسات والشركات والمدارس والمعاهد والجامعات يتسمون بالحيرة والكسل أو السطحية والإنحراف سواء كان ذلك فى أوربا أو فى عالمنا العربى أو الإسلامى ، وإنما يرجع ذلك كله إلى نوع تنشئة الفرد ونمط تربيته وثقافته وعقيدته والعوامل البيئية والوراثية والحضارية التى تؤثر فى الفرد .

خذ على سبيل المثال لا الحصر : فرد نشأ فى مجتمع إسلامى لم يتأثر بتغيرات أو عوامل البيئة والوراثة أو الحضارة وشب منذ حداثته يمارس كل أنواع

---

(١) محمد قطب : دراسات في النفس البشرية - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٦٢ ص ٣٥٩ .

(٢) كان ذلك في الفترة ما بين ١٩٧٠ : ١٩٧٤ ونحن نطلب العلم هناك وقد زرت يوغوسلافيا . إيطاليا ، بلغاريا ، رومانيا ، المجر ، اليونان .

(٣) الأعراف : ١٧٩

الإنحراف والضلال فى الوقت الذى نرى زميله فى إحدى البلدان الأوربية وقد نشأ منذ صغره متمسكا بعقيدته مهذبا فى تربيته متوافقا مع بيئته الإجتماعية متكيفا مع عمله وزملائه .

مجمل القول أن الإنسان الفرد يتشكل سلوكه وفقا لمجموعة عوامل كثيرة تؤثر فيه ومن هذه العوامل : البيئة - الوراثة - الثقافة - الحضارة - التربية - التنشئة الإجتماعية وغيرها ، وهنا يقول الحق تبارك وتعالى « **والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لايخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون** » (١) وصحيح أن الحلال واضح جلى وكذلك الحرام واضح وجلي وضوح الشمس فى الأفق الشرقى ولكن الإنسان غالبا ما ينزع بعد الإدراك والوجدان نحو السهل والشر لأن مغريات هذا الشر جذابة براقة فى نظر الإنسان الفرد بينما مقومات الخير صعبة خافتة باهتة لاتساوي شيئا لدي مثل هذا الفرد إنها كريهة منفرة أما مغريات الشر فتشكل دافعا قويا يخوض به الفرد نحو الشر جزاء لذة عابرة وقد تكون هذه اللذة فى صورة تقدير إجتماعى Social Praise هابط أو صيت ذائع لفترة محدودة أو خلاف فى الرأى « خالف تعرف » أو أن يحيط مرتكب الجرم نفسه بهالة كاذبة صنعها له رفاق السوء وزملاء الشر الذين يزينون له عمله فى صورة البطولة وما أكثرهم فى كل زمان ومكان يتلونون كالحرباء فيغشون مجالس أولى الأمر وعلية القوم ، وكبار المسئولين ليأكلوا فتات الموائد وبقايا الولائم لقاء مايدفعون من أجر يتمثل فى المدح الكاذب والمداهنة الرخيصة وإذلال النفس وتحقيرها ، يحيطون بالفرد المسئول حتى يرى الأبيض أسودا والأسود أبيضا وهكذا تكون « الهالة الكاذبة » .

يعجبنى قول شوقي أمير القوافى حين يقول فى قصيدة له :

يولد السيد المتوج غضا ∴ طهرته فى مهدها النعماء

فإذا ما المملقون تولوه ∴ تولى طباعه الخيلاء

فإذا إبيض الهديل غراب ∴ وإذا أبلج الصباح مساء

---

(٢) الأعراف : ٥٨

لكن الإنسان المؤمن الحق صاحب النفس النقية السوية هو الذى ينطبق عليه قول المولى سبحانه وتعالى :

« وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم إن الذين إتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون »(١) .

إن النفس السوية حينما تصيبها وسوسة الشيطان تستعيذ بالله وتلجأ إليه لأنه المعين والملاذ وهو السميع العليم ، إن المتقين من عباد الله إذا وسوس لهم الشيطان تذكروا أوامر الله ونواهيه فكشف الله عن بصيرتهم فأبصروا ألاعيب وحبائل الشيطان فابتعدوا عنها فنجوا منها بفضل الله .

بيد أن هناك نفوسا قامت على البخل والشح والتقتير وأدركت أنها قادرة على المنح أو المنع ، والأمر والنهى فكفرت بأنعم الله ولم تساعد الفقير أو تعطى المحتاج من مال الله أو بما أفاء الله عليها من رزق وخيرات ومن ثم فهى تخرج من حدود الله ولا تعترف بالزكاة المشروعة للفقراء والمساكين والعاملين عليها فراحوا يتخبطون في سعيهم في الحياة خبط عشواء ويشعرون بذنبهم جزاء تفريطهم في حق الله سبحانه وتعالى ولذلك كان الأمر الإلهى الحاسم البتار « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم** » (٢) ، الصدقة هنا هدفها طهارة وتزكية النفس المريضة كما أن الدعاء والصلاة تجلب السكينة والهدوء لكل نفس مضطربة هذا وترى هنا أن إضطراب النفوس قد يعزى إلى الشعور بالذنب فضلا عن الشعور بالوحدة القاتلة التى تؤدى بدورها إلى الضيق والتبرم Disstisfaction بالحياة ومن هنا لايشعر الإنسان الفرد بمباهج الحياة فهى فى نظره لا فائدة منها ولا طعم لها ولذا كان على الإنسان أن يعيش فى جماعات لأنه كائن إجتماعى أولا وقبل كل شئ فهذه جماعة الأسرة التى ينشأ فيها الفرد ثم جماعة النادى أو رفاق اللعب ثم جماعة المدرسة أو المعهد ومنها تنبثق الجماعات الثقافية والترفيهية والدينية والسياسية وغيرها .

وليس بعجيب - والحال هكذا - أن تكون شعائر ديننا الإسلامى الحنيف شعائر جماعية ، فهناك على سبيل المثال لا الحصر : الصلاة فى جماعة وصلاة

---

(١) الأعراف : ٢٠٠ - ٢٠١

(٢) التوبة : ١٠٣

الجمعة وأداء الحج فى موسم الحجيج ، والجهاد فى سبيل الله فى الحروب والغزوات لإعلاء كلمة الله كل ذلك يتسم بسمة الجماعة لأن يد الله مع الجماعة كما ينادى القرآن الكريم .

« **وجعلناكم شعوبا وقبائل ـ** » ومن ثم فالمجتمعات الإنسانية من عهد هابيل وقابيل حتى عصرنا هذا تعيش فى مجموعات لتشبع حاجات عديدة للإفراد.

إن الجماعة هى التى تجلب الأمان والأمن للفرد . هى التى تشكله وتطبعه بطبعها وتجعله يحس بوجوده وكينونته ولا عجب أن يبتهل سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام إلي مولاه وخالقه سبحانه وتعالى أن يجعل جماعة من الناس تعيش فى إستقرار مع إمرأته هاجر وابنه إسماعيل في مكة تحوطهم بالرعاية والعناية بقلوبهم الرحيمة وأن يرزقهم من ثمرات الأرض وخيراتها . أو إن شئت نقل دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه أن يحفظ أسرته الوافدة إلى أرض قاحلة جرداء لاماء فيها ولازرع دعا ربه أن » يطعمهم من الجوع ويؤمنهم من الخوف » وهنا نقرأ آيات من سورة إبراهيم من الآية ٣٥ حتى نهاية الآية ٣٩ .

« **وإذ قال إبراهيم رب إجعل هذا البلد آمنا وآجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن اتبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الأرض ولا فى السماء الحمد لله الذى وهب لى علي الكبر أسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء** » .

ومن النفوس المريضة التى يتعرض لها قرآننا الكريم تلك الحالات الخاصة بالتخلف العقلى Mental Retardation والتى تنحصر فى الضعف العقلى كأن يكون الشخص أبكم أو أصم أو معتوه وفى هذه الحالة يرى عالم النفس الفرنسى بينيه Beint أن ضعاف العقول ينقسمون حسب درجة الذكاء إلى ثلاثة هى: المعتوه Idiot والأبله Imbecile والمأفون Moron فالشخص المعتوه هو الذى لاتزيد درجة ذكائه - مهما كان - عن ذكاء طفل عادى عمره ثلاث سنوات ولايمكنه أن يعبر عما يريد كما لا يستطيع أن يغسل جسمه أو يصلح من شأن نفسه أو أن يقوم

بعمل نافع وتقدر درجة ذكاؤه ه بأقل من ٢٥ درجة ، أما الفرد الأبله فتنحصر درجة ذكاءه من ٢٥ - ٥٠ درجة ولايمكن أن يتحدث جملا مفيدة ولايزيد عن ذكاء طفل عمره ثمانى سنوات ، وإذا أردنا معرفة خصائص الشخص المأفون فلسوف نرى أن درجة ذكاؤه تنحصر ما بين ٥٠ -٧٠ درجة وهو قابل للتعليم تعلما محدودا يوائم ويناسب قدراته العقلية .

ولقد نزل القرآن منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ليشير إلى طبقة ضعاف العقول فى قوله تعالى « **وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم** » (١) .

وهناك نفوس مريضة أخرى نراها ماثلة كل يوم أمام ناظرينا إن مرضها ينحصر فى العقوق - التمرد على الوالدين - إدمان المكيفات والمخدرات - الإنحراف بوجه عام وكل هذا وذاك نتيجة سوء التربية وعدم التوجيه والإرشاد والتراخى فى رقابة الأبناء وإهمال التربية الدينية وفقدان القدوة الحسنة والمثل الأعلى مما ينتج عنه أسرا مفككة محطمة فيكون رب البيت هو أحد الأبناء المنحرفين وقد توارى الوالدان فى زوايا الإهمال بعد أن قاسا الكثير من الشتائم حينا والضرب والجوع أحيانا أخرى.والواقع أن السينما المصرية تذخر بالكثير من الأفلام التى تعالج هذه المواقف (٢) ، إلا أنها تأتى فى النهاية لتحض على التمرد والعقوق والسفاهة ولنا فى « مدرسة المشاغبين » خير دليل على ذلك هنا يضع الحق تبارك وتعالى معايير ثابتة وآداب راسخة وتعاليم مقننة وتربية أخلاقية صادقة حينما يقول « **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب إرحمهما كما ربيانى صغيرا ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا .** » (٣) .

---

(١) النحل : ٧٦

(٢) ومنها الفيلم المصري : وبالوالدين إحسانا.

(٣) الإسراء : ٢٣ - ٢٥

٦ - شفاء النفوس قرآنيا وعلميا .

يجدر بنا هنا أن نقدم « وصايا عشر » لشفاء النفوس المضطربة تلك النفوس التى عانت الكثير من الصراع والإحباط والخوف والقلق والإكتئاب والهوس والهستيريا كما نركز على المعرفة السيكولوجية والنظرة القرآنية وذلك من منطلق « المعرفة نصف الشفاء » نفسيا ومن مدلول الآية القائلة « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » قرآنيا .

لقد كان لمتغيرات كثيرة وحديثة ، الأسباب الأولى فى تكوين أعراض معظم الإضطرابات والأمراض النفسية للكثير من الناس ومن هذه المتغيرات التقدم الحضارى والثقافى مما جعل الإنسان الفرد يتطلع إلى إقتناء الأدوات العصرية مجاراة لتكنولوجيا العصر فإذا نجح فى إقتناء وشراء ما يريد كان بها وإن أخفق كان الإضطراب النفسى الذى لا مفر منه .

إن التغير الإجتماعى السريع وعدم ثبات النظم الإقتصادية من رأسمالية وإشتراكية وشيوعية فضلا عن التقلبات النقدية العالمية والحروب الطاحنة بين الدول والتفرقة العنصرية والخلافات المذهبية وطغيان المادة على عقول ونفوس الناس كل ذلك قد ساهم بنصيب وافر في إنتشار الأمراض والإضطرابات النفسية على أوسع مدى ، هذا وإليك والوصايا العشر نسوقها لك لكى تتجنب الكثير من مثل هذه الإضطرابات وإن شئت فقل الوقاية منها فالوقاية خير وأفضل وأسهل من العلاج .

أولا : تجنب الحقد .

النفس الحاقدة كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله والإنسان الحاقد يرتد حقده إليه لأن من يضرب فإنما يضرب نفسه مسكين ذلك الإنسان الحاقد لاهم له إلا الفضول والتأمل فى نعم الله التى أسبغها على عباده ، تلك النعم التي يتمنى زوالها وإيقاع الضرر بصاحبها والتشفى فيه ، إذا أصابه مكروه لأن ذلك يعتبر بردا وسلاما على قلبه الحقود ، فلماذا الحقد والحسد والحظوظ مقسمة ، والأرزاق مضمونة والمعيشة مكفولة ؟ لنستمع سويا إلى كتاب الله حين يقول :

« الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له » (١) .

« له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » (٢) .

« وفى السماء رزقكم وما توعدون » (٣) .

« وجعلنا لكم فيها معايش و من لستم له برازقين » (٤) .

« ليرزقهم الله رزقا حسنا وأن الله لهو خير الرازقين » (٥) .

تأتى بعض النظم الإقتصادية لتحل محل نظام قديم فيتغير البناء الإجتماعي Social Structure والإقتصادى للمجتمع ، ويصاب أفراد المجتمع بهزات نفسية وإجتماعية نتيجة صراع الطبقات الإجتماعية وتناحرها ولم لا ؟ ولقد رأينا ألوانا من الحراسات والتأميم والرقابة والتجسس والشعارات الجوفاء ، ووضع مصائر الناس ومقدراتهم فى أيدى عابثة كل مؤهلاتهم وكفاءاتهم أنهم من « أهل الثقة » ، وليذهب الشباب النابه من أهل الخبرة إلى الجحيم ! ! وهنا تنقلب الأوضاع ويصبح المستأجر مالكا والمالك مستأجرا والقزم عملاقا والعملاق قزما والجاهل عالما والعالم جاهلا والأمين لصا واللص أمينا وشريفا ، فقل لى بالله العظيم (٦) هل هذه عدالة إجتماعية ؟ .

فلماذا لايصاب الأفراد فى مجتمع هذا شأنه بالخوف والتهديد والحقد والإكتئاب والقلق الشديد ؟ لكن الإيمان القوى بالله عز وجل والإعتقاد بأن دوام الحال من المحال هو البلسم الشافى والحصن الواقى من الظلم والظالمين والحقد والحاقدين .

ثانيا : لا تتحسر على مافات .

وعلام التحسر والعض على بنان الندم ؟ لتأخذ على نفسك عهدا أن تلغى كلمة « ليت أو ياليت » من قاموس حياتك إن هذه الكلمة وأخواتها مثل « لو أو لو كان » تجلب اللوم والتحسر وبالتالى تجلب الهم والغم والحزن علينا أن نؤمن بأن

---

(١) العنكبوت : ٦٢ (٢) الشورى : ١٢ (٣) الذاريات : ٢٢

(٤) الحجر : ٢٠ . (٥) الحج : ٥٨

(٦) أبو الأعلى المودودي « العدالة الإجتماعية » حقيقتها وسبل تحقيقها مكتبة دار البيان الكويت «بدون تاريخ » ص ١٢

لكل إنسان منا ظروفه وإمكانياته ومقدراته وكفاءاته وإستعداده الفطرى الخاص به وأن كلا ميسر لما خلق له .

لقد كان يحلم كاتب هذه السطور أن يكون « مهندسا زراعيا » ولكن شاء الحظ أن يغير مسار دراسته ليدرس الأداب والعلوم الإنسانية بعيدا كل البعد عن أحلام الطفولة وما أراده من العلوم الزراعية ، وكان الخير كل الخير فيما رسمه القدر وما شاء به الحظ ، فلو أن إصبع القدر خط شيئا فى مستقبلك فلا صلواتك ولا دعواتك ولا ذكاؤك بمستطيع أن يغير سطرا واحدا مما خطه القدر لك . كلنا يعلم بقصة قارون القصة التى يقصها علينا القرآن الكريم فى هذا الشأن حين نقرأ قوله تعالى : « **فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ، ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولايلقاها إلا الصابرون ، فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ، وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين** » (١) .

ثالثا : ساهم فى سعادة معارفك وأصدقائك .

السعادة كلمة تغنى بها الشعراء والأدباء والمفكرون كلمة قلما خلا منها مؤلف أوكتاب كلمة تجدها دائما فى الأهازيج والأغانى والمواويل والدراما والميلودراما والتراجيديا كلمة سهلة الإستعمال ولكنها بعيدة المحال عن التحقيق إلا بعد جهد وتعب وكفاح سنين .

فالسعادة فى - نظرى - هى إسعاد الآخرين من الزملاء والأصدقاء والأقارب والأهل.إن خبرا جميلا سارا تزفه إلى قلب صديق هو مشاركة منك فى سعادته كما أن الأصلاح بين الناس سعادة.التعاون فى البر والخير مع الناس يجلب

---

(١) القصص : ٧٩ - ٨٣

السعادة.اليسر سعادة الكلمة الطيبة سعادة.الإبتسامة الصافية سعادة.مشاركة الناس في أفراحهم سعادة. خلاصة القول إن السعادة تنتشر بأشعتها هنا وهناك لتضفى علينا بشرا وسرورا مما يجعلنا نحيا فى « صحة نفسية » مقبولة وعيشة راضية ، كان من الممكن أن نشير إلى أن منح الهدايا والعطايا يجلب السعادة ولكن ربما كان العكس ، فالفرحة بهدية قيمة لا تستمر إلا ساعات أو أيام ولكن موقفا نقفه بشهامة ومروءة وشرف مع صديق قد تستمر آثاره العمر كله ومن ثم فالماديات لا تدوم بينما المعنويات والإنسانيات تدوم كثيرا وكثيرا ، إن فكرة الثواب والعقاب قد تصبح مجدية ومؤثرفى المجال التطبيقى إذا إتسمت بالسرعة والفورية ، كما أن إثابة الطفل على كل عمل يجيده يجعله يتعود أن نقدم الهدايا له فى كل مناسبة ويعتقد بعد ذلك أن هذا حق مكتسب بينما كلمة التشجيع أهم بكثير من مثل هذه الماديات .

رابعا : احبب عملك مهما كان .

حياتنا بلا عمل عبء لا يحتمل ، ومهما كان العمل صعبا إلا أنه يجعل للحياة قيمة وطعما لأن قيمة المرء بعمله وبما ينتجه أو يصنعه ، ومنذ قديم الزمان والإنسان الفرد لايقدر إلا بعمله خذ على سبيل المثال قول سيدنا عمر بن الخطاب : « أرى الرجل فيعجبنى فإذا قيل لا عمل له سقط من عينى » هذا بالإضافة إلى أن كل الأنبياء والرسل كانوا يعملون أعمالا مهنية أو حرفية بسيطة كان سيدنا داوود عليه السلام يعمل حدادا ، وكان كليم الله موسى عليه السلام يعمل أجيرا لدي سيدنا شعيب في أرض مدين كما أن سيدنا نوح عليهما السلام كان يعمل نجارا. وكان سيدنا عيسى عليه السلام يعمل بالرعى كما كان خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ يعمل بالرعى والتجارة .

نعود ونقول أنه مع تعقد الحياة وتشابكها تعددت الأعمال والمهن وامتص العمل جل وقت العاملين فيه ، ومن ثم تسرب الملل والسأم إلى نفوس الأفراد فضلا عن تعنت الرؤساء والمديرين ، فكثرت التعقيدات المكتبية والإدارية والفنية ، وكان الضحية هنا هو العامل برغم المناداة بإستخدام العلاقات الإجتماعية والإنسانية وإقامة النوادى والرحلات والأخذ بنظام الحوافز المادية .

وهنا نقول لا تجعل الملل يتسرب إلى نفسك فعملك الحالى ربما كان أسهل وأفضل بكثير من أعمال أخرى ، فضلا عن أن كثير من الأفراد لا يجدون عملا بالمرة . نظرا للبطالة حينا أو عدم كفاءاتهم فى أى عمل مثلك أحيانا أخرى ، إن متاعب العمل ومسئولياته قد تجعل الفرد ينفر منه بسرعة ، ولكن الواجب يقتضى منا أن نحب عملنا وأن نتعود على متاعبه ومسئولياته ، وهنا نتوقع أن نصل إلى التعود على الصعب فيصبح سهلا يسيرا ويكتسب الفرد مناخ عمله القديم أو الحديث مهما كان .

خامسا : الرضا والقناعة .

أن المصدر الأول للسعادة هو إحساسنا بالرضا والقناعة ، فكم من أفراد كثيرين يعيشون فى قصور عالية ويقتنون كل ما أبدعته التكنولوجيا الحديثة وما وصلت إليه الحضارة من سيجار هاڤانا النادر إلى السيارات الأمريكية الفاخرة ولا يعرفون للسعادة طعما لماذا ؟

الجواب : إنهم غير قانعين بما لديهم ويحسبون أن أشياء كثيرة ما زالت تنقصهم ولاينقصهم إلا الرضا والقناعة لو كانوا يعلمون مثال ذلك تلك الدول المتقدمة حضاريا وعلى رأسها السويد التى تتزايد معدلات الإنتحار فيها عام إثر عام ، حيث لم يعد الفرد راضيا عن حياته رغم قمة الرفاهية التى يحياها .

ويؤدى عدم الرضا فى نهاية الأمر إلى الملل والضجر والسأم فتصبح حياة الفرد لا معنى لها ، كما يعتقد الفرد جازما بأن حياته لا معنى لها وليست جديرة بالعيش وشيئا فشيئا تضعف صلاته وعلاقاته الإجتماعية بالناس والمجتمع ، يميل إلى العزوف عن الحياة بكل مباهجها وتراوده فكرة الإنتحار فيسقط صريع الدمار والدوار والفراغ الإنساني . لأنه لم يشعر بإنسانيته يوما ما ، لقد أفسدته تكنولوچيا العصر وطغت عليه المادة وأعمته النظرة المادية لكل جوانب حياته « **قتل الإنسان ما أكفره** » (١) يجحد دائما بنعمة خالقه ولا يرضى بما أفاء الله عليه من أرزاق وسعة العيش « **إن الإنسان لربه لكنود** » (٢) ولله فى خلقه شئون .

---

(١) عبس : ١٧ (٢) العاديات : ٦

سادسا : إبتسم للناس والحياة .

«ابتسم من فضلك» عنوان نقرأه كثيرا فى الصحف والمجلات كما تهدف معظم الأفلام الكوميدية إلي إضحاك الناس ورسم الإبتسامات على وجوههم وتعمل معظم الصحف اليومية على إبراز الرسوم الكاريكاتورية ليتأملها الناس أثناء القراءة ويضحكون أو يسخرون من نقد إجتماعى لاذع أو هجوم على روتين عمل حكومى وهكذا ، ثم يأتى دور المسرح ليسهم هو الآخر فى علاج أمراضنا الإجتماعية بطريقة الإبتسامةالساخرة أو النقد البناء .

والواقع أن الإبتسامة تغير خلايا الجسم البشرى ، مما يؤدى إلى التفكير السليم ومواجهة متاعب الحياة بصدر أرحب وأوسع ، ومنذ قديم الزمان كان هناك من يطلقون عليه « مضحك الملك » ووظيفته كوظيفة مثير سار يؤدى إلى إستجابة الراحة والإبتسام ، وإنعاش الملك وتجديد نشاطه لكى يحسن إدارة أحوال الرعية والشعب ولذلك فالإبتسامة ضرورة لتسير الحياة حلوة سهلة .

يروى أنه كان عند اليونان فيلسوفان يلقب أحدهما الفليسوف الضاحك والآخر الفيلسوف الباكى . كان أولهما يضحك بجدية أحيانا وضحك سخرية أحيانا أخرى ، ويضحك من سخف الناس ومن وضاعتهم وحقارتهم ويبكى الثانى مما يضحك منه الأول .

وقرأت مرة قصة لطيفة أن بئرا ركب عليها دلوان ينزل أحدهما فارغا ويطلع الآخر ملآن ، فلما تقابلا فى منصف البئر سأل الفارغ الملآن مما تبكى ؟ فقال ومالى لا أبكى أخذ الرجل مائى وسيعيدنى إلى قاع البئر المظلم وأنت مما تضحك وترقص فقال الفارغ ، ومالى لا أضحك ؟ سأنزل البئر وأمتلئ ماءا صافيا وأطلع بعد إلى النور والضياء .

وقد أراد مؤلف القصة أن يصور نفس الموقفين اللذين وقفهما الفيلسوف الضاحك والفيلسوف الباكى وأن الحياة مليئة بأشخاص يتولون عملا واحدا غير أن هذا ينظر إليه من الجانب السار الفرح وذلك ينظر إليه من الجانب الحزين القابض .

فكن الفيلسوف الضاحك ولاتكن الفيلسوف الباكى وجرب أن تلقى الحياة

باسما ضاحكا أحيانا ولأجرب معك (١) .

سابعا : لاتغضب .

كلنا يعلم أن الغضب آفة مذمومة مكروهة ، إلا أننا نغضب لأتفه الأسباب حينا وللحق حينا ، ونوع الغضب الأول مذموم والنوع الثانى مرغوب محبوب لأننا إذا غضبنا للحق فإننا نغضب لله ، والله هو الحق المبين .

والغضب من الشيطان وخلق الشيطان من نار وبذا فالغضب من النار « فمن إستنفذته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال « خلقتنى من نار وخلقته من طين » وشأن الطين السكون والوقار ، وشأن النار التلظى والإستعار ، والحركة والإضطرابات (٢) ، وقد ذكر الغضب فى القرآن حين نقرأ قوله تعالى : «**إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين** » (٣) .

وروى أبو هريرة أن رجلا قال يارسول الله مرنى بعمل وأقلل قال « لا تغضب » ثم أعاد عليه فقال لا تغضب كما قال النبى ﷺ « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » ، على أنه من علامات وإمارات المسلم الحق « قوة فى دين وحزم في لين وإيمان فى يقين وعلم فى حلم وكيس فى رفق وإعطاء فى حق وقصد فى غنى وتجمل فى فاقة وإحسان فى قدرة وتحمل فى رفاقة وصبر فى شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح بد الحمية ولاتغلبه شهوة ولا تفضحه بطنة ولايستخفه حرص ولا تقصر به نية فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر ، يغفر إذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه فى عناء والناس منه فى رخاء (٤) ، ومن مثيرات الغضب المزاح والفخار والغدر والبخل والمكر وعن علاج الغضب يحدثنا معلم البشرية الأول محمد ﷺ فيقول : إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فإنما الغضب من النار .

---

(١) أحمد أمين - فيض الخاطر جـ ١ ، ط٤ - مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ ص ٧٦

(٢) الأمام الغزالي - كتاب أحياء علوم الدين - الجزء التاسع ص ٣٦

(٣) الفتح : ٢٦ (٤) المرجع السابق .

ثامنا : لاتقلــق .

يعرف القلق Anxiety سيكولوچيا بأنه حالة من التوتر يشعر بها الفرد حين يعجز عن عمل شئ تجاه موقف رهيب سواء كان هذا الموقف داخليا أو خارجيا وفرق كبير وبون شاسع بين الخوف والقلق فالأول «الخوف» مصدره معروف ومحدود وقد يسلك الفرد نحوه سلوكا غائبا فى النهاية ، بينما الثانى وهو أخطر أنواع القلق المرضية (١) على أن هناك نوعا آخر يعرف باسم القلق الشائع ، وهو قلق مؤقت لاخوف منه كقلق الأم على وحيدها حين يتأخر عن حضوره إلى المنزل وقلق الطالب على نتيجة الإمتحان ، وكذلك قلق المسافر حين يتأخر القطار عن الميعاد ، أو قلق الزوجة المخلصة حين يتأخر زوجها عن موعد حضوره إلى المنزل وهكذا .

والقلق نوع من الإضطرابات النفسية يجلب الهم للإنسان الفرد وعلينا أن نتغلب بالإنهماك فى العمل المثمر المفيد والصبر على ضغوط الحياة ومتاعبها وهمومها ، ويكفى أن نقنع بما عندنا وأن نعيش فى سلام ووئام مع نفوسنا ومع الناس ، وأن نكون من الذين يألفون ويؤلفون تحقيقا للحديث القدسي « إن من عباد الله أناسا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى قالوا : يارسول الله تخبرنا من هم ؟ قال « هم قوم تحابوا بروح الله بينهم على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور ، ولا يخافون إن خاف الناس لا يحزنون إذا حزن الناس » .

تاسعا : تأمل فى دنيا الله .

إذا كان التأمل من سمات الفلاسفة والمفكرين فما أحق العابدين المؤمنين بهذه السمة التى تربطهم بخالق هذا الكون من أرض وسماء وقمر ونجوم وشمس وبحار ورياح وسحاب وجبال ووديان ونبات وحيوان وملاك وشيطان وجن وإنسان ،

---

(1) Clarence j . Rowe An outline of psychiarty , six ed W M C Brown C . Puplishers , U . S . A 1967 , pp . 32 - 48 .

ما أحقهم بالتأمل والنظر إلى مخلوقات الله سبحانه وتعالى يحضنا ويعلمنا القرآن الكريم كيف ولماذا ننظر ونتأمل فى الكون والعالم فقد ورد الفعل « نظر » بمختلف مشتقاته حوالى مائة مرة فى القرآن الكريم لنقرأ معا .

« أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض » . (الأعراف ١٨٨)

« أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين إتقوا » . (يوسف ١٠٩)

« أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها » . (ق ٦)

« أنظر كيف نبين لهم الآيات » . (المائدة ٧٨)

« أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون » . (الأنعام ٦٨)

« أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض » . (الإسراء ٢١)

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » . (العنكبوت ٢٠)

هذا قليل من كثير وغيض من فيض قد أشار إليه القرآن بشأن « التأمل » مما يحدو بنا إلى الوقوف أمام عظمة الله وجبروته خاشعين مستضعفين إذ حينما تدرك النفس البشرية مركزها من هذا الكون الفسيح فإنها تزداد إيمانا هذا إذا كانت تلك النفس نفسا مجاهدة تبحث عن الحق ليزيدها إيمانا وطاعة وحبا وتعظيما .

عاشرا : كن مؤمنا حقا .

« اللهم إنى أسألك إيمانا كإيمان العجائز » دعوة دعاها عمر بن الخطاب فتقبلها الله منه ولم لا ؟ وقد كان الفاروق عمر ثانى الخلفاء الراشدين وأكثر قومه فى زمانه عدلا . وأقواهم إيمانا. وأرهبهم جانبا. وأعلاهم شأنا . وأشرفهم نسبا . وأوفرهم حصافة وبصيرة .

أخى القارئ كن مؤمنا بربك وبنفسك وبعملك وبوطنك إيمانا قويا كإيمان عمر الذى لم يتزعزع ، فكم من عقبات كئود زالت بفضل الإيمان وكم من مشكلة محيرة حلت بفضل قوة الإيمان ، وكم من طامة كبرى تحولت إلى مسألة يسيرة الحل بفضل

الإيمان الحق نقول إن إيمانك بالنجاح هو نصف النجاح وإيمانك بالشفاء هونصف الشفاء .

لقد وردت لفظة الإيمان ومشتقاتها ٨٤٢ مرة فى القرآن الكريم وهذا يدل على أهمية «الإيمان والمؤمنين»الإيمان الصادق والمؤمن الحق الذى لا تزحزحه عواصف الحياة قيد أنملة

وهناك الكثير من مشتقات « الإيمان » والمؤمن » التى وردت فى آيات كتاب الله الكريم نأخذ منها بعض الآيات البينات :

« ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا » (الشورى ٨٢)

« ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم » (الحجرات ٧)

« أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه »(المجادلة ٢٢)

« ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة » (النساء ١٢٤)

«ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه »(الأنبياء ٩٤)

« وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا » (غافر ٢٨)

« الله لا إله إلا هو وعلى الله فاليتوكل المؤمنون »(التغابن ١٣)

هذا ويمكننا القول بأن معظم « الوصايا العشر » السابقة ما هى إلا وقائع موقفية مكتسبة مثال ذلك أن الوصية « لا تغضب » توضح لنا أن إنفعال الغضب خاصية رئيسية لدى معظم البشر ، إن الغضب واقعة نفسية معينة في موقف معين محدود بزمان ومكان ، إن بعض الأفراد يمكنهم التحكم فى إنفعالاتهم وكظم غيظهم عن طريق « التعلم » وما التعلم إلا عملية إكتساب عادات ومهارات ومعارف جديدة كما أن معظم مخاوفنا المرضية - أساسا - مرجعها إلى عمليات تعلم خاطئة تحتاج إلى تعديل وتحوير في سلوك الفرد .

٧ - التنشئة الإجتماعية للطفل المسلم .

هناك قول علمي يقول « إن دراسة طفل واحد وتحليل شخصيته أمر بالغ الصعوبة والتعقيد إذ قد يفوق الجهود التى تتطلبها دراسة قارة بأسرها من الناحية

الجيولوجية .

الطفل بين الإسلام وعلم النفس

قطع علم النفس الحديث شوطا كبيرا فى عالم تربية الطفل ونموه وفتح آفاقا جديدة ليدخل فى دهاليز الدوافع والإنفعالات والإحساس والإدراك والتعلم والذكاء ، وسار بعض المشتغلين بعلم النفس فى ركاب المهتمين « بتربية النشئ فى الإسلام » للوقوف على ما جاء به الإسلام وعنايته بالأسرة والطفولة ورعايته بالطفل والأمومة وطريق التغذية والرضاعة ، وحق الطفل على أبيه وكيفية تعلم الطفل وأثر اللعبة فى حياته ، هذا هو موقف الإسلام من الطفولة إنه دين الفطرة « **فطرة الله التى فطر الناس عليها** » (١) ولم لا ؟ وللطفولة فى الإسلام عالم رحب فسيح يضم في طياته البراءة والخيال والحب والوئام ، ويندرج تحت لوائه النبل والود والتوجيه والإلتزام ولا عجب إذا رأينا فى القرآن الكريم قسما بالطفولة « **لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد** » (٢) .

ودراسة الطفل بين الإسلام وعلم النفس - كما أراها - عبارة عن منظومة ديناميكية أساسها ومهادها جانبان : الأول : الجانب الروحى وما يتضمنه من نظرة إيمانية حانية هادية .

الثانى : يكمن فى الجانب المادى وما يحويه من نظرة حياتية معاشة تكتنفها الصعوبات والصراعات بهدف الحفاظ على حياة الكائن الحى الطفل « **لقد خلقنا الإنسان فى كبد** » (٣) .

وتبدو أهمية الجانب الثانى فى ضبط السلوك الإنسانى وتفسيره والتنبؤ به فضلا عن سبر غور النفس البشرية ودراسة سلوك الطفل فى جميع مراحل نموه بشتى أشكاله من النمو الحسى والحركى والفسيولوجى إلى النمو الإنفعالى والإجتماعى والعقلى ، وهنا يطل علينا دور « التنشئة الإجتماعية » ونعنى بها أساسا عملية بناء ونمو إجتماعى ، وتنمية عادات ومهارات الطفل فضلا عن أنها عملية إرتقاء إجتماعى يتطور خلالها الأداء السلوكى للفرد ، من سلبية مجردة إلى إيجابية

---

(١) الروم : ٣ (٢) البلد : ١-٢-٣ (٣) البلد : ٤

موجهة مطلوبة فعلا وسلوكا وقولا وعملا ، وغرس قيم ومعايير مثل وإتجاهات جديدة يتشربها الطفل ويتمثلها ويستدمجها لتساعده على إمتصاص السلوك السائد والمرغوب فى المجتمع الذى يعيش فيه ، إن البيئة الإجتماعية السائدة فى أى مجتمع تؤثر تأثيرا مباشرا وقويا على تشكيل شخصية أفراده وفى تحديد أنماطهم السلوكية (محمود عمر ١٩٨٨ : ١٠٠) (١) .

إذا كان هذا ماحققه علم النفس فى عالم الطفل والطفولة فإن الإسلام كان له قصب السبق كدين رائد يسبق كل فكرة تنهض بالفرد فى مراحل نموه المختلفة ويسير قدما بخطى واسعة ثابتة موليا وجهه شطر آفاق بناء الإنسان وعمارة الكون ، إن إهتمام الإسلام بالطفل لم يكن وليد مجهودات علماء النفس الغربيين بل كان ثمرة من ثمار التعاليم القرآنية الكريمة والإحاديث النبوية الشريفة وإجتهادات السلف الصالح وإنجازات الدراسات النفسية عند المسلمين الأوائل ، ومن ثم حاز الإسلام على المعرفة السيكولوجية الصادقة الثابتة .

الطفل المسلم دينيا وإجتماعيا .

هناك بعض الخصائص المرتبطة بالنمو الدينى لدى الطفل خلال مراحل طفولته ومن هذه الخصائص :

-- **التجسيدوالواقعية** : بمعنى أن الطفل يضفى تجسيدا وتشكيلا على كل الموضوعات الدينية فالملائكة فى نظرة أشخاص بيض البشرة يرتدون ملابس بيضاء ويطيرون فى الجو بأجنحتهم يجلبون الهدايا ويعملون دائما لخير الأطفال وصالحهم ، بينما الشياطين عبارة عن ملائكة الشر يتميزون بطول قامتهم وعيونهم النارية - ولكل شيطان - كما يتخيل الطفل - ذيل طويل وقرنان فوق رأسه .

- **الصوريةوالسطحية** : فالطفل - أى طفل - لايدرك حقيقة أو معنى الدين أو أساسيات طقوسه فهو يرى فى الدين أداءا حركيا أو لفظيا مكررا يقوم به كل الناس وعليه أن يقلدهم ويتشرب هذه الطقوس ويتمثلها فيما بعد .

---

(١) الرقم الأول بين القوسين يشير إلي سنة النشر والرقم الثاني يشير إلي رقم الصفحة .

- **الفائدةوالمنفعة** : يعتقد الطفل أنه إذا مارس أحد الطقوس الدينية فقد يشفى إذا كان مريضا أو ينجح فى إمتحان أو يحصل على جائزة من المسجد أو المدرسة فضلا عن حب والديه له فالدين هنا - طبقا لمفهوم الطفل - يتسم بالنفعية والفائدة المباشرة .

- **الملامح الإجتماعية** : يتسم ديننا الإسلامي الحنيف فى شعائره التعبدية بسمة التجمع أو الإجتماعية فأفضل الصلاة فى جماعة ، وصلاة الجمعة جماعة ، والصيام فريضة على جميع المسلمين المكلفين ، وحج البيت أساسه وهدفه تجمع بشرى هائل ليذكر الناس بيوم الحشر ويلتقى المسلمون جماعات من كل فج عميق لماذا ؟ « **ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله** » (١) .

وإذا كانت بيئة الطفل متدينة شب الطفل إجتماعيا ونشأ على حب العلاقات الإجتماعية التى غرسها فيه والده وهذا ما يتمشى مع قول الشاعر القديم :

وينشأ ناشئ الفتيان منا ∴ على ما كان عوده أبوه

ومن ثم يصبح الدين وسيلة من وسائل التوافق الإجتماعى (حامد زهران ١٩٧٧:٢٦٢)

إن العبادات الإسلامية مزيج من الجوانب التعبدية والجوانب العملية سواء كانت إدراكية أو وجدانية أو نزوعية أو تطوعية ، وتقوم هذه الجوانب التعبدية - أساسا - علي المظاهر الإجتماعية ، حيث أن التربية الدينية وثيقة الصلة إلى حد كبير بالتربية الإجتماعية ، ولا عجب فى ذلك فعملية التنشئة الإجتماعية هي تربية إجتماعية.إن نوع تربية الطفل في أثناء عملية التنشئة الإجتماعية وتعاليم الآباء والأمهات وإمتصاص معايير وإتجاهات وقيم وأعراف الكبار فى الأسرة والمدرسة وجماعة اللعب وزمرة الأصدقاء والجماعات الأخرى فى المجتمع كل ذلك يحدد أسلوب حياة الطفل مستقبلا ، إن خليطا من مؤثرات البيئة والوراثة وتفاعلها سويا

---

(١) الحج : ٢٨

هو الذى يشكل ويصوغ شخصية الطفل بعد أن يجتاز مراحل نمو الطفولة المبكرة ، وهى كلها مراحل يستمد الطفل منها ذاته والتى تؤدى به فى النهاية إلى الشعور بكيانه ليصبح فى نهاية المطاف ذلك الإنسان الذى خلقه الله وسواه.(عزت عبد العظيم الطويل ١٩٨٣ - ١٢٧) .

« ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » (١) .

هذا ويتأثر الشعور الديني لدى الطفل الصغير بالتفكير الراغب والتخيل الخصيب والتصور البدائي ، فكلمة الجن والعفريت تعنى عنده وقوع الأذى والشر وكلمة النبى أو الرسول تعنى البهجة والخير والحب الكثير ، إن مجري تيار الفكر لدى كل من الطفل والإنسان البدائي والشخص الذهانى يسير طبقا للمقولة السيكولوجية التى تقول بأن النية عند كل منهم تساوى الفعل والخيال يكافئ الواقع .

ويرتبط الشعور الديني - بوجه عام - بالخوف والرهبة من جانب الطفل حيث يخاف من الأصوات الفجائية العالية كصوت الرعد والمطر أو إفتقاده للسند والوقوع على وجهه أو ظهره كما أنه يخاف من الأفراد الغرباء أو الوجوه غير المألوفة.على أن الأطفال الإناث - من وجهة نظر علم النفس - أكثر خوفا من الأطفال الذكور .

ويختلف الأطفال فى خوفهم طبقا لدرجة تخيل الطفل فأكثر الأطفال تخيلا وتصورا أكثرهم هلعا وخوفا ، ومن أسباب الخوف عند الأطفال طريقة التربية الخاطئة من جانب الأسرة كالحض على العزلة وتمجيد الإنطوائية وعدم اللعب مع الأطفال وتدليل الأم لطفلها وقلقها الزائد عليه ، وحساسيتها الشديدة نحوه (عبد الله ناصح علوان ١٩٨١ - ٣٠٨) .

وفى معرض الحديث عن إرهاب الأطفال ومخاوفهم ينسب إلى أحد الصوفيين المتأخرين وهو « ابن قفل » هذه العبارة « إذا أردت أن تصبح وليا إعتنق بعض خصال الأطفال فإن لديهم خمس خصال إذا وجدت فى الكبار فسوف تجعل منهم أولياء :

---

(١) الشمس : ٧ - ١٠

١ - فهم لا يبالون برزقهم ولا يشكون من الخالق إذا مرضوا .
٢ - ويتقاسمون قوتهم مع الغير .
٣ - عندما يتشاجرون فهم لا يحملون الحقد .
٤ - وهم تواقون إلى المصالحة .
٥ - وعندما يخافون تنهمر الدموع من عيونهم (ف . زوزنتال ١٩٨٩ - ٢٩) .

كما لاحظ صوفى أطفال يبكون فى المدرسة وعندما سألهم عن سبب بكائهم أجابوا اليوم الخميس وهو اليوم الذى تسلم فيه التمرينات المكتوبة للمدرس لتصحيحها ونحن الآن خائفون لأنه سوف يضربنا . وعندما سمع الصوفى هذا بدأ هو نفسه في البكاء وقال يا أيتها الروح كيف يكون اليوم الذى يسلم فيه الكتاب إلى الله سبحانه وتعالى لتصحيحه (١) .

ومعلوم أن الفرد الذى شب على تنشئة إجتماعية أساسها الإيمان بالله والعبادة له والتسليم لرحمته فى كل أحواله لايخاف إذا ابتلى ولا يهلع إذا أصيب. **« إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » (٢) .**

إن تربية الطفل تربية إسلامية صحيحة في أثناء عملية التنشئة الإجتماعية تحدوه نحو إستدماج مبادئ الفتوة والفروسية وبناء قوته الجسدية والروحية أثناء مراحل نموه المختلفة .

هذا ومن تعاليم ديننا الإسلامى الحنيف تربية الطفل جسديا ونفسيا وهنا تطالعنا وصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه « علموا أولادكم الرماية والسباحة ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا » فالرماية لها مظهران : مظهر رياضى وآخر جهادى فهى كرياضة تتطلب فى تعلمها الخفة والرشاقة وحدة البصر والسواعد القوية والعضلات المفتولة ورباطة الجأش والشعور والثقة بالنفس والشعور بالرضا عن الإنجاز وبالتالى « تحقيق الذات » . ويعتبر تحقيق الذات من أهم الحاجات النفسية الضرورية لشخصية الطفل السوى .

---

(١) المرجع السابق آنفا

(٢) المعارج : ١٩ - ٢٣

أما عن الرماية كمظهر من مظاهر الجهاد فهى تحتاج إلى القوى النفسية والروحية التى تتميز بالإيثار والفداء وحب القتال فى سبيل الله فى تناسق ونظام والتحام كالبنيان المرصوص أثناء قتال العدو والرمى بشدة وسرعة « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمي » (١) . « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » (٢) .

وعن السباحة فهى لا تقل أهمية عن الرماية وتعتمد على سرعة الحركة والدراية بنوع المياه سواء كانت عذبا فراتا أو ملحا أجاجا، على أن السباحة عموما تنشط الدورة الدموية وتقوى الأذرع والأرجل وتشد عضلات البطن وتفيد فقرات الرقبة فى ليونة وسهولة .

وعن ركوب الخيل ففيه خير كثير لأن الخيل - كما جاء فى الأثر - معقود بنواصيها الخير، إن تعليم الأولاد لهذه الرياضة الأصيلة تفيدهم فى معرفة طباع الحيوان ، ومتى عرف الراكب الصغير حصانه سهل عليه التعامل معه أثناء السرعة فى الجرى أو تقديم الطعام له ومدى حبه أو نفوره منه وهنا يصبح الولد فارسا مغيرا، حقا أصاب عمر بن الخطاب فى وصيته هذه الخاصة بتعليم الأولاد الرماية والسباحة وركوب الخيل وذلك وصولا للهدف السامي من تربية الأولاد وهو القوة البدنية والطاقة النفسية والإيمانية وفي هذا المجال يقول نبينا الكريم ﷺ « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف »(٣) .

ننتقل بعد ذلك من تنمية الطفل جسديا إلى الإهتمام بنموه العقلى وإكتسابه للمعارف والمهارات والدرايات المتجددة ، ومساعدته على عمليات التحصيل الجيد والأداء السليم أثناء العام الدراسى ثم إبان فترة الإمتحانات والتقويم . ولا نقصد هنا مشاركة الأسرة فى نجاح طفلها التلميذ بطريقة صناعية مفتعلة كما يحدث فى الدروس الخصوصية ، بل نحن نرمى إلى الفهم والهضم والإقتناع والتمثيل بحيث يرتفع المستوى الحقيقى لتحصيل التلميذ بطريقة تراكمية تبدأ من بداية العام وليس قبل الإمتحان ، إن مثل هذه البرامج يجب أن يشترك في

---

(١) الأنفال : ١٧ (٢) الصف : ٤

(٣) رواه مسلم

أعدادها وتخطيطها وتقويمها خبراء نفسيون وتربويون متخصصون فى : سيكولوچية الطفولة والإرشاد النفسى والتعليم وذلك بهدف تغطية مجالات ومستويات متعددة فى سلوك الآباء والأمهات والتلاميذ والمعلمين .

وإذا أردنا إنجاح هذه البرامج فى مجتمعاتنا الإسلامية والعربية فيجب أن تسبقها دراسات جادة عميقة مرتبطة بكيفية تربية أولادنا فى المنزل والمدرسة وأنسب الدوافع والوسائل التى نستخدمها للإستثارة والحفز وكذلك أنواع الثواب والعقاب ومتى وأين نستخدم كل منهما ؟ بل إننا نذهب أبعد من ذلك فنتسائل : كيف يتوزع بناء القوة بين الأب والأم ؟ وفى أى المواقف يظهر تأثير الأب أكثر ؟ وفى أى المراحل يظهر تأثير الأم أكثر وأكبر ؟ وما أنواع العواطف والإتجاهات الوالدية نحو الأبناء ؟ وما هى أنسب مرحلة لمقارنة الطفل نفسه بأقرانه من جهة ثم مقارنة نفسه بالكبار من جهة أخري ومتي يسلك سلوك الكبار ؟ وهنا نؤكد أن مثل هذه الأسئلة يجب أن تكون نابعة من ذواتنا وفطرتنا الإسلامية ومجتمعنا العربى ، بعيدا بعيدا عن النزعات التغريبية والمفاهيم الأجنبية والرؤى الهامشية . (حسان محمد حسان ١٩٨٩ - ١٦٦) .

وتعتبر عملية التعلم لدى الطفل أثناء سنوات ما قبل المدرسة وفى فترة الحضانة بالذات هى ذاتها عملية تعلم إجتماعى أو بمعنى آخر هى عملية التنشئة الإجتماعية لأن سنوات الحضانة المحصورة فى الفئة العمرية من ٣ - ٥ هى أهم سن لتشرب ماتريد أن نعمله للطفل وذلك لما لها من أثر ملحوظ على صحة الطفل وجوانب نموه المختلفة ، على أن الأذى والضرر الذى يلحق بمخ الطفل فى هذه المرحلة ويعوقه عن نموه العقلى هو تزامن وإستحداث بعض الظروف الأسرية السيئة فى سنوات الطفولة مثل إنفصال أحد الوالدين عن الآخر بالطلاق أو الهجر أو الموت أو المستوى الإقتصادى السيئ للأسرة أو إصابة أحد الوالدين بعاهة مستديمة أو مرض مزمن.إن مرونة مخ الطفل ومدى إستعداده ووضعه فى قالب معين تقع على كاهل الوالدين والمربين بما يتحملونه من مسئولية إتاحة الفرصة والخبرة والمواقف العابرة لكي يتعلم الأطفال من خلالها فضلا عن تحمل مسئولية إمدادهم بالنماذج الطيبة والقدوة الصالحة التى يسيرون على منوالها وينهلون من رضابها أثناء عملية التنشئة الإجتماعية چون بريل (١٩٨٩ - ١٣٢) .

٨ - التنشئة الإجتماعية وسيكولوجية نمو الذات .

وتركز النظريات التطورية للمعرفة العقلية بشكل خاص ، على دور التفاعل الإيجابى بين الأطفال الصغار وبين الثقافة السائدة فى المجتمع فى تدعيم التنشئة الإجتماعية التى تحددالأنماط السلوكية لأدوار الرجال منهم ولأدوار النساء ، إن نظريات التعلم الإجتماعى التى أسهمت بتفسيرات هامة حول مفهوم التنشئة الإجتماعية لم تغفل دور الثقافة فى تشكيل شخصية الفرد وفى تحديد نمطه السلوكى للدور الذى يقوم به .

وفى الكتاب الشهير « الطفولة والمجتمع » الذى ألفه عام ١٩٥٠ « أريك أريكسون » يعرض لنا فرضين أساسيين تتدرج تحتهما مراحل نمو الذات فى الطفولة أن هذين الفرضين هما :

١ - نمو الشخصية الإنسانية طبقا لنمو قدرة الشخص على التفاعل مع البيئة .

٢ - يحض المجتمع على هذا التفاعل وهذه المحاولات لتشجيع ووقاية المراحل المتتالية

وفى مرحلة الطفولة المبكرة يصبح الأطفال أكثر حركة وإنتقالا وأقوى شعورا لضبط سلوكهم ، إنهم يميزون عالمهم بـ « أنا » و « أنت » و « ممتلكاتى » وإذا لبى الوالدان مطالب الأطفال لتحقيق السيادة على البيئة فإن شعور الإستقلال الذاتى سوف ينمو ويتطور .

إن أساس الشعور بالإستقلال الذاتى هو قوة الإرادة التى يعتقد أريكسون بأنها تأتى من ضبط الذات المتزايد بدون فقدان إحترام هذه الذات ، إنها فترة صعبة حرجة للوالدين حيث أن التقييد المفرط يدمر الإستقلال الذاتى ، والحرية الزائدة قد تصبح خطرا كبيرا ولكن الحل الوحيد فى هذه الحالة هو البحث عن توازن موفق وسليم بين تطرفين .

هذا ومن نافلة القول أن الوالدين فى مرحلة أريكسون الثالثة والمعروفة باسم «مرحلة المبادأة فى مقابل الذنب » يسهمون بدور حيوى فى إرتقاء هذه المهارات سواء كانت تلك المهارات لغوية أو إجتماعية أوحركية ، فالوالدان اللذان يشجعان

أطفالهم على عمل الأشياء واللعب والمساعدة فى الأعمال المنزلية إنهما بذلك يغرسان فيهم شعور المبادأة بينما الوالدان اللذان يسخران من أفكار أطفالهم ومجهوداتهم فإنما يغرسان فيهم الإحساس بالذنب ، إن الغرض هنا هو أساس الشعور بالمبادأة طالما أن هذا الغرض يدفع الأطفال بل ويعدهم لمتطلبات الرشد ، ومن هذه المتطلبات تفاعل الطفل مع الآخرين كما أن عملية التفاعل تلعب بدورها دورا حيويا هاما في طريقة الإنسان فى الحياة أو مانسميه بأسلوب الحياة فهى تمد الفرد بأنماط من السلوك تسمح له بالعمل داخل المجتمع.ولما كانت عملية التنشئة الإجتماعية عملية تعلم إجتماعى أصلا كما ذكرنا من قبل ، فإن هذه العملية لاتتم إلا عن طريق مبادئ أربعة هى : الدافع - الإشارة - الإستجابة - التدعيم ولكى يتعلم الطفل يتطلب الأمر أن يكون لديه « دافع » لعملية التعلم ثم يجب أن يرى « إشارة » يستجيب لها إستجابة صحيحة مقبولة وبدون تلك الإستجابة يصعب على الطفل أن يتعلم وفى النهاية تؤدى هذه الإستجابة إلى خفض الدافع أى التدعيم ، إن توطيد العلاقة أو تدعيمها بين الإشارات والإستجابات هى أساس عملية التعلم وبداية التكيف الإجتماعى (عزت عبد العظيم الطويل ١٩٨٨ - ٨) .

٩ - التنشئة الإجتماعية والتكيف الإجتماعى .

يكمن مفهوم التنشئة الإجتماعية من جهة ومفهوم التكيف الإجتماعى من جهة أخرى فى طريقة تعليم الفرد وتدريبه على وسائل التواصل الجيد والتفاعل الإجتماعى الإيجابى مع غيره من الناس ومواءمته مع البيئة الإجتماعية التى يعيش فيها وبها منذ ميلاده وحتى نهايته ومن المهد إلى اللحد بما يشبع حاجات الطفل من المحبة والمودة والإحترام والتقبل والأمن والإطمئنان والإستقرار والإنتماء وتأكيد الذات بما يرضى الله ورسوله والمؤمنين .

وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ لتؤكد مدى أهمية عملية التنشئة الإجتماعية السليمة للفرد وتكوين الشخصية الإنسانية وتحديد أنماطها السلوكية وأن الإنسان يولد على الفطرة السليمة فطرة التوحيد بالله عز وجل والتسبيح بحمده سبحانه وتعالى . ويأتى بعد ذلك دور الوالدين والمربين فى تدعيم هذه الفطرة الخيرة فى

الإنسان ، ومن ثم فإن الإسلام يضع المسئولية الأولى على الآباء فى تنشئة أطفالهم التنشئة الإجتماعية السليمة حيث ورد عن آبن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»(١)

وما أجمل أن تكون تنشئة الولد تنشئة إجتماعية دينية تتسم بالأبوة الحانية تجاه بنوة بارة مطيعة عابدة للخالق الأعظم عن علم وعمل ، وهنا نقف وقفة متأنية أمام التنشئة الإجتماعية الإسلامية الفاضلة التى نادى بها الإمام ابن الجوزى « أعلم أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدبن ، ثم الفضائل تتفاوت فمن الناس من يرى الفضائل الزهد فى الدنيا ومنهم من يراها التشاغل بالعبادة ، وعلى الحقيقة فليست الفضائل الكاملة إلا الجمع بين العلم والعمل ، فإذا حصلا دفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى وحركاه إلي محبته والشوق إليه فتلك الغاية القصوى.وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم (الإمام ابن الجوزى ١٩٧٩-٢٠)

على أن التنشئة الإجتماعية الإسلامية عملية متصلة الحلقات متعددة الجنبات يحكمها تواصل الأجيال ويبلورها تغير الظروف والأحوال فهي إما تمرد وعقوق أو وفاء بالحقوق ، إن التنشئة الإجتماعية الناجحة المؤثرة هى التى تتسم بالعلاقات الطيبة بين الوالدين وأطفالهم علاقات الوجود والحضور والتفاعل والإتصال المستمر ، ويدعم هذا الرأى ما جاء فى القول المأثور بشأن تنشئة الأولاد وتربيتهم « لا عبوهم سبعا وأدبوهم سبعا وصاحبوهم سبعا » فاللعب حاجة من الحاجات النفسية الضرورية للطفل ويحتاج لمرشد يوجه الصغار فى اللعب المناسب والمفيد كما يحتاج لجماعة تحث الطفل على اللعب ذاته .

هذا ويعتبر اللعب لغة الطفل الرمزية للتعبير عن الذات ليكشف عن نفسه وعن مشاعره بالنسبة لنفسه وللأشخاص المهمين فى حياته والأحداث التى مرت به . إن اللعب نشاط يميز الطفل من خلال الحركات التى يقومون بها لتحقيق المتعة والتسلية (فياض سكيكر ١٩٨٩ - ٦٥) .

ومن أثر وأهمية اللعبة فى حياة الطفل قال رسولنا الكريم ﷺ « من دخل

---

(١) متفق عليه

السوق واشترى تحفة « لعبة » فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج ، وليبدأ بالإناث قبل الذكور (١) .

هذه النظرة الإنسانية الحانية نظرة الإسلام إلى اللعبة قد يراها البعض على أنها شئ بسيط إلا أن رسول الله ﷺ ينظر إليها على أنها كبيرة وعظيمة لها وزنها وقدرها وأجرها كأنها صدقة وكأن صاحبها يحمل هذه الصدقة إلى قوم محاويج ثم يبدأ بتوزيع هذه العبة على البنات قبل الذكور لأن ذلك يجبر خاطرهن ويدفئ مشاعرهن ويدخل عليهن البهجة والسعادة لأنهن ضعاف .

« وأدبوهم سبعا » ويقصد بها : التربية والتهذيب والتدريب والتعلم ومما يتأدب به المتعلم أن يتسم بالتملق والتذلل لمن يعلمه ، فإن إستعملها غنم وإن تركها حرم لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه ، والتذلل له سبب لإدامة صبره وقد روى « معاذ بن جبل » الأنصاري عن النبي ﷺ أنه قال « ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم (الماوردي ١٩٧٣ - ٧٥) .

والسنة المطهرة تحض على إتباع القدوة الحسنة والتمسك بالأدب والتهذيب والتعليم ومنها على سبيل المثال لا الحصر الأحاديث النبوية الشريفة الآتية :

« لأن يؤدب أحدكم ولده خير من أن يتصدق » .

« أحبوا الصبيان فإذا وعدتموهم فوفوا لهم ، فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم » « إلزموا أولادكم »(٢) .

هذا ومن الآثار الأدبية الرائعة في أدبنا العربي ومعاملاتنا الإسلامية ما كتبه عقبة بن أبي سفيان إلى عبد الصمد مؤدب أولاده حين قال له « الحسن عندهم ما إستحسنت والقبح عندهم ما إستقبحت إلى أن يقول : هددهم بي وأدبهم دوني وكن لهم كالطبيب الذي لايعجل بالدواء قبل معرفة الداء وجنبهم محادثة النساء ورِوهم سير الحكماء وزد في تأديبهم أذد لك في بري إن شاء الله » وهكذا يكون التأدب والتعلم لا كما يحدث في زماننا هذا من أهمال ولامبالاة لبعض الأسر نحو أبنائها وتكون النتيجة الحتمية أسرة مفككة منهارة وإضطراب وفساد في المنزل والشارع والحارة.وإغتراب نفسي في المدرسة وتلوث أخلاقي لدى زمرة الأقران .

---

(١) مرجع سابق : ٥٣ (٢) مرجع سابق : ٥٣

أما عن الشق الثالث من القول المأثور « وصاحبوهم سبعا » فهذا يعنى أن الصداقة والصحبة تتطلب الثقة والصدق والإخلاص بين الأصدقاء والأصحاب وعندما يشب الطفل ويكبر ويتعامل مع والده كصديق ، فإن هذا يعد بمثابة نجاح أكيد لعملية التنشئة الإجتماعية ووصولها إلى بر الأمان والسلامة .

إن معاملة الوالدين لأولادهم كأصدقاء تغرس فى الطفل نوازع كريمة وتطبعه بطابع إنسانى سام نبيل ، وتقوم طبعه وخلقه وتنشئه تنشئة صالحة ، يقول رسول الله ﷺ «إلزموا أولادكم » يريد الرسول بذلك ألا تتركوهم هملا دون راع أو تتركوهم وتدعوهم لغيرهم فذلك حرى بإهتزاز معايير الأخلاق بذواتهم ويبذر بذور الشر فى نفوسهم وقد روى ابن خلدون أن الرشيد قال لمعلم ولده الأمين : « يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع لك مهجة نفسه وثمرة قلبه فاجعل يدك عليه مبسوطه وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه الأخبار وروه الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته إلى أن يقول : وقومه ما إستطعت بالقرب والملاينة (الحسينى عبد المجيد هاشم وآخرون ١٩٨٥ - ٢٦) .

ويعجبنى قول بعض الحكماء «ابنك ريحانك سبعا وخادمك سبعا ووزيرك سبعا » (١) فالريحان برائحته الزكية وعطره المفيد نحافظ عليه ونتقرب منه وإليه » والخادم يلازمنا دائما ويقدم لنا ما نحتاجه من خدمات ومتطلبات المعيشة فى المنزل إن الخادم الأمين يتحمل عنا الكثير ويجلب لنا الخير الوفير وأما عن « الوزير » فهو في موقع الإستشارة والإستنارة والتبصير والتوقير .

إن كل هذه الأقوال المأثورة وأحاديث رسول الله ﷺ الشريفة تحض على تفاعل الوالدين مع أطفالهم وتواجدهم معهم معظم الوقت لما فى ذلك من أثر كبير على التنشئة الإجتماعية والتحصيل الدراسى بالمدرسة والتكيف الإجتماعى .

ومما يدعم هذه النظرة بحث ميدانى أجراه أحد الباحثين (٢) بولاية نورث كارولينا الأمريكية ونشر عام ١٩٨٥ ، فقد إختار الباحث عينة من الأطفال تتراوح

---

(١) مرجع سابق : ١٥٣

(٢) الباحث الدكتور / حسان محمد حسان ، إستاذ بكلية التربية - جامعة عين شمس .

أعمارهم ٤ : ١٤ سنة وأجرى عليهم بحثه هم ووالديهم أيضا ، وخلال هذه الدراسة كان الآباء يحضرون إجتماعا خاصا بالتوجيه والإرشاد النفسى لمدة ساعتين أسبوعيا ، وفى نفس الوقت كان الأبناء « الأطفال » يحضرون إجتماعا مماثلا فى نفس المكان الذى أجرى فيه البحث وطبق الباحث على الأبناء مقياسا سلوكيا معينا قبل وبعد الإجتماعات ، وحاول الباحث الوصول إلى إدراك العلاقة الإحصائية بين عدد مرات حضور الوالدين لهذه الإجتماعات من جهة ومعدل إستجابة أبنائهم الأطفال علي هذا المقياس من جهة أخرى وتوصل فى نهاية بحثه إلى أن الأطفال الذين حضر آباؤهم ما يزيد عن ٥٠ ٪ من إجتماعات الوالدين حصلوا علي معدل ٧,٩٨ فى هذا المقياس ، بينما الأطفال الذين جضر آباؤهم أقل من ٥٠ ٪ من الإجتماعات حصلوا على معدل ٤,٦١ فقط فى هذا المقياس .ويرى الباحث أن للتربية دورا فعالا فى عملية التنشئة الإجتماعية حيث أن التربية تتناول تنمية الفرد من جميع جوانبه المتصلة بالنواحى الجسمية والعقلية والنفسية والروحية والعقائدية والخلقية والإجتماعية ، مما ينعكس مباشرة على مظاهر السلوكية فى جميع مراحله العمرية من المهد إلى اللحد ويقتصر دور التعليم على نقل التراث الفكرى عبر الأجيال المتعاقبة من جيل إلى جيل ونقل المعلومات المتضمنة للحقائق والمفاهيم المجردة والمتصلة بجوانب المعرفة المختلفة سواء كانت معرفة عقلية أو معرفة طبيعية أو معرفة إنسانية من مصادرها الأساسية إلى عقول الناس عن طريق الكتاب والمعلم أو المعهد خلال فترة زمنية معينة .

وفى نهاية هذا الفصل لا يسعنا إلا أن نقول : هذا غيض من فيض تعاليم الإسلام الغراء.ترشدنا دائما إلى ما ينفعنا فى ديننا ودنيانا نحو أطفالنا فلذات أكبادنا.وقرة أعيننا.وثمرة من ثمار حياتنا الدنيا.وأمل من آمال الغد المشرق الباسم. وصدق رسولنا الكريم ﷺ حين قال « الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة » وكما يقول عمر بن الخطاب من لم يؤدبه الشرع فلا أدبه الله » وفقنا الله إلى تربية أولادنا التربية القويمة وهدانا من فضله ورحمته إلى تنشئتهم التنشئة الإجتماعية السليمة ، إنه من وراء القصد وهوالحكيم العليم .

محتويات الكتاب

مـراجع الكـتـاب

أولا : المراجع العربية :

(١)القرآن الكريم .

(٢)الإمام ابن الجوزى : لفتة الكبد إلي نصيحة الولد ، دراسة وتحقيق فؤاد عبد المنعم الإسكندرية مكتبة حميدو ١٩٧٩ .

(٣ الإمام النووي الشافعي : رياض الصالحين من كلام سيدالمرسلين .
القاهرة مطبعة الأنوار المحمدية - ١٩٨٧ .

(٤ أبو الحسن البصري الماوردي : أدب الدنيا والدين ، تحقيق مصطفي السقا .
القاهرة (ط / ٤) مطبعة الحلبي وأولاده ١٩٧٣ .

(٥) الحسيني عبد المجيد هاشم وآخرون : المنهج الإسلامي في رعاية الطفولة .
القاهرة دار الإسكندرية للطباعة والنشر ١٩٨٥ .

(٦) أحمد زكي صالح : علم النفس التجريبي .
القاهرة دار النهضة العربية ١٩٧٢ .

(٧) أحمد عزت راجح :علم النفس الصناعي (طبعة ٣) .
الإسكندرية دارالكتب الجامعية ١٩٧٠ .

(٨) أحمد عزت راجح : أصول علم النفس (ط ١٣) .

الإسكندرية دار المعارف ١٩٨٣ .

(٩ **السيد محمد خيري وآخرون** : علم النفس التجريبي .
الرياض (٢١) مطبوعات جامعة الرياض (بدون تاريخ) .

(١٠) **جون بريرل** : نمو المخ والتطور العقلي للطفل .عرض ممدوحة سلامة ،
مجلة علم النفس العدد ١١ سبتمبر ١٩٨٩ .

(١١)**جان دولاي** : أمراض الذاكرة ، ترجمة ميشيل أبي فاضل منشورات عويدات
باريس ١٩٧٨ .

(١٢) **حامد عبد السلام زهران** : علم النفس النمو (ط ٤) .
القاهرة عالم الكتب ١٩٧٧ .

(١٣) **حامد عبد السلام زهران** : علم النفس الإجتماعي (ط ٤) .
القاهرة عالم الكتب ١٩٧٧ .

(١٤)**حسان محمد حسان**: قليل من الثقافة التربوية ، كثير من الثمار الناضجة .
مقال بمجلة العربي الكويتية العدد ٣٧٢ . نوفمبر ١٩٨٩ .

(١٥)**رمزية الغريب** : التقويم والقياس النفسي والتربوي .
القاهرة الأنجلو المصرية ١٩٧٧ .

(١٦) **ريتشارد بي . لازاروس** :الشخصية ترجمة سيد غنيم مراجعة محمدعثمان
نجاتي .

بيروت دار الشروق ١٩٨١ .

(١٧)**سليمان الخضري الشيخ** : الفروق الفردية في الذكاء .
القاهرة دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٦ .

(١٨) **سيد أحمد عثمان** : علم النفس الإجتماعي التربوي (الجزء الأول) التطبيع الإجتماعي . القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥ .

(١٩)**سيد قطب** : في ظلال القرآن (ط ١٧) .
القاهرة دار الشروق ١٩٩٠ .

(٢٠)**عادل الدمرداش** : الإدمان مظاهره وعلاجه .
الكويت عالم المعرفة ١٩٨٢ .

(٢١)**عبد الستار إبراهيم** : الإنسان وعلم النفس «سلسلة عالم المعرفة» العدد ٨٦
الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ١٩٨٥ .

(٢٢) **عبد الله ناصح علوان** : تربية الأولاد في الإسلام ، الجزء الأول (ط ٣) .
بيروت دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨١ .

(٢٣)**عزت عبد العظيم الطويل** : أساسيات علم النفس الإجتماعي والصناعي «مذكرة» . الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث ١٩٧٩ .

(٢٤)**عزت عبد العظيم الطويل** : في النفس والقرآن الكريم .
الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث ١٩٨٣ .

(٢٥)عزت عبد العظيم الطويل : سيكولوجية نمو الذات مراحلها وتطبيقاتها
التربوية . الإسكندرية دار المطبوعات الجديدة ١٩٨٨.

(٢٦) عزت عبد العظيم الطويل : في علم النفس التعليمي المعاصر .
الإسكندرية دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥.

(٢٧) فؤدا أبو حطب والسروجي : مدخل إلي علم النفس التعليمي .
القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠ .

(٢٨) لطفي بركات أحمد : تربية المعوقين في الوطن العربي .
الرياض دار المريخ ١٩٨١ .

(٢٩)لطفي قطيم وآخرون : الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي .
الرياض دار المريخ ١٩٨١ .

(٣٠)محمد شحاته ربيع : تاريخ علم النفس ومدارسه .
القاهرة دار الصحوة للنشر والتوزيع ١٩٨٦ .

(٣١)محمد شحاته ربيع : علم النفس التطبيقي(مذكرة)
الرياض السعودية مؤسسة المد الله ١٩٨٠ .

(٣٢)محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير .
بيروت لبنان دار القرآن الكريم ١٩٨١ .

(٣٣) **محمد عثمان نجاتي** : علم النفس في حياتنا اليومية (الطبعة العاشرة) .
الكويت دار القلم ١٩٨٣ .

(٣٤) **محمد محروس محمد** : مذكرة في تأهيل حالات التخلف العقلي .
مصر وزارة الشئون الإجتماعية ١٩٨١ .

(٣٥) **مكتب اليونسكو الإقليمي** : التربية الجديدة « مشكلة المعاقين في المنطقة العربية »
العدد ٢٤ ديسمبر ١٩٨١ .

(٣٦) **مجد الدين الفيروزابادي** : القاموس المحيط الجزء الأول .
القاهرة (د.ت) مطبعة السعادة .

ثانيا : المـراجع الأجنبيـة .

(1) Abraham K . korman Industrial and organiz . Psycholgy ,Prentice, hall Inc ,New Jersy 1971.

(2) Adok C . J . Fandamentals of Psychology, Penguin Books ,Grait Britian , 1979 .

(3) Aamodt, Michael G ., Applied Industrial and Organiz tional Psychology Wardsworth Publishing . company U.S.A1991 .

(4) Bahatia , H . R , General Psychology , Oxford and IBH publishing Co . New Delhi 1972 .

(5) Brown , J , and other Applied Psychology , American publishing ,Co , Pvt . ltd New Delhi , 1972 .

(6) Davis , K , Human behavior at work Human Relations and Organization behavior (4th ., ed) Mc Craw Hill book comp 1972 .

(7) Ericson E . , Emanuel , Teaching the industrial arts chas A. Bennett Co .Illious 1966 .

(8) Feldman , Robert Stephen , Essentials of understanding Psychology , McGrow - Hill , Inc New York 1994 .

(9) Eli Ginzberg the development of human Resources , Mc Graw Hill Book Comp., New York 1966 .

(10) Gilhmer V.H,. Industrail Psychology ., McGraw Hill Book Comp , 1966 .

(11) Guilford I.P., General Psychology Van Nostrand and Nostrand and Reinold Comp 3rd ed . New York 1971 .

(12) Haber , Ralph Norman ," How we Remember What we see " Reddings form , Scientitc American Psychology in Progress W .H . Freeman and Comp ., Francisco 1975 .

(13) Laster Crow and a , Crow , Educational Psychologyg Eueasid Publishing house (Pvt) , Litd New Jersey , 1969 .

(14) Mc Guigan , F .J Experimental Psychology ,Prentice Hall Inc England , New Jersey 1969 .

(15) Psychology; to day,May 1982 Vol IG No.5 Understaning Psychological Man .

(16)Rhodes Martin,How to Study,A thomas and Company. Northantonshire 1977 .

(17) Richard Hacon Personal and Organizational Effectivenss McGraw - Hill Book Comp ., (UK) Bcrkshore Eng 1972 ,

(18) Robert C Craig William A . Mehrens and Harvey , clarizio : Contemporary Educational Psychology , John Wiley

and Sons, Inc New York 1975.

(19) Ross Stanger and char'es M . Solly Basic Psychology Tata McGraw - Hill Book Publish ., Com ., Ltd Bombay New Delhi 1972 .

(20) Russel W . Levanway , Advanced general Psychology , F . A Davis Comp Mp ., Pheladelphia 1972 .

(21) Travers J . F. , Educational Psychology , Herber and Row Publishers ,New York 1979 .

معالم
علم النفس المعاصر

دكتور

عزت عبد العظيم الطويل

أستاذ علم النفس

كلية آداب بنها - جامعة الزقازيق

١٩٩٩

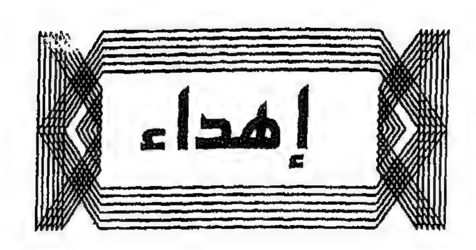
الطبعة الثالثة

(منقحة ومزيدة)

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتر - إسكندرية

ت : ٤٨٣٠١٦٣



إلى التى شاركتنى مسيرة الحياة.

ووقفت بجانبى تقاوم الرياح والأعاصير.

كنت أزمني أن نصوغ حياة المحبين الآمنين.

وفجأة إنطفأ السراج وغاب القمر معلنا الرحيل.

فسلام عليها يوم مولدها ويوم رحيلها

ويوم بعثها للحياة.

عزت عبد العظيم الطويل.

بسم الله الرحمن الرحيم

{... إقرأ باسم ربك الذى خلق.

خلق الإنسان من علق.

أقرأ وربك الأكرم.

الذى علم بالقلم.

علم الإنسان مالم يعلم.}

صدق الله العظيم

(سورة العلق)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الطبعة الثالثة.
للأستاذ الدكتور / كمال دسوقى.

بهذه الطبعة الجديدة من «معالم علم النفس المعاصر» يتابع الأستاذ الدكتور / عزت الطويل ما استجد علي الساحة في آفاق علم النفس من تطورات حثيثة أبرزت له معالم موضوعات ومناهج جديدة.وترقي بالدارس من إستيعاب العرض النظرى لحقائق ومفاهيم ونظريات ومذاهب علم النفس إلى إستراتيجيات الدراسة الفاعلة والتفكير الناقد التي هي أساسيات تفهم هذا العلم نظريا وتطبيقيا في شتى مجالات الحياة علي خطوات : أولهما الإلمام بالبناء المنطقي للكتاب الذي يدرسه للإنطباع بتسلسل موضوعاته وترابط فصوله وتكوين صورة بانورامية شاملة يمكن معها عند قراءة المقدمة التعرف علي المحاور الرئيسية للكتاب وتركيز الإنتباه علي مايثير الإهتمام ... أي الطريقة الكلية ذات خمس خطوات المسح الإستطلاعي فالتساؤل ، ثم القراءة والتسميع والمراجعة التي يسميها إختصارا بلفظ عربي دال «مساير S Q 3 R » أو الطريقة الثانية ذات ست خطوات : المزاج الخلقي الطبعي للدرس ، فالفهم والإسترجاع والهضم والإستيعاب ، فالتوسع والبسط وأخيرا المراجعة التي هي « قتل » الموضوع بحثا «MURDER » ويقابلها في اللغة العربية لفظ « مفاهام » .

وإنه - في ضوء هذا التجديد للمدخل إلي تناول محتويات الكتاب ليستبدل بالثلاثة فصول الإفتتاحية التقليدية للطبعة الأولي عن : علم النفس - علم السلوك - تاريخ ومدارس ومجالات علم النفس فمناهج البحث في علم النفس - فصلا أول شاملا لأغلب موضوعات هذه الفصول تحت اسم أساسيات فهم علم النفس الإسم الذي إختاره « روبرت إستيفن فلدمن » بجامعة ماساشوستس للفصل الأول (ص ١ - ٣٨) من كتابه «مقدمة إلي علم النفس» مكجروهل ١٩٩٤ وموضوعاته : ما يربط علماء النفس من تساؤلات حول موضوعات العلم ومناهجه ، الأسس

البيولوچية لعلم النفس ، الأسس الإجتماعية لعلم النفس ، آفاق سيكولوچية جديدة ، تطور علم النفس قديما وحديثا ، جذور علم النفس ، إسهامات المرأة في علم النفس ، نماذج علم النفس المعاصر : البيولوچى ، والسيكوديناميي ، المعرفي ، السلوكي ، الإنساني ، علم النفس والإيدز ، الإتجاهات المستقبلية لعلم النفس وفي القسم الأخير من الفصل التمهيدي الشامل بعنوان مناهج البحث في علم النفس : الملاحظة علي الطبيعة ، البحوث المسحية ، دراسة الحالة ، البحوث الإرتباطية ، البحوث التجريبية ، البحوث الأرشيفية ، أخلاقيات البحث العلمي ، معوقات التجريب في علم النفس .

وإذ يستمر الكتاب في عرض موضوعات : الأسس البيولوچية للسلوك الإنساني ، الإنتباه والإدراك الحسي ، سيكولوچية التعلم ، الذاكرة والتذكر ، دوافع السلوك الانسانى بالفصول من الثاني حتي السادس حسب التصنيف الجديد للطبعة الثالثة

اصا بسيكولوچية الدافعية للعمل والرضا المهني.فيه يعرض

بية والإجتماعية ولنظريات الوجود والإنتماء والنمو –

لماكليلاند وذات العاملين لهيرتزبرج فالنظريات المعرفية

إف لسيكولوچية الإنفعالات والفروق الفردية للذكاء «

عود ليفرد فصلا خاصا بدينامية الجماعات :التي

التفاعل معها في تحقيق أهدافها وإتجاهاتها من

ريط الإجرائي لإكتساب الإتجاه وكذلك عملية

كوين الإنطباع كما يتناول هذا الفصل أيضا

. ويركز الفصل الحادي عشر علي المؤثرات

والقبول والخضوع للضغوط الإجتماعية في

بية البينشخصية وتنمية العلاقات الإنسانية

وتستمر فصول الكتاب الاربعة الباقية في سياق معالم علم النفس المعاصر بحسب ترتيبها السابق الذي يجعل موضوع الفصل الثاني عشر عن الإضطرابات السلوكية المضادة للمجتمع من إجرام وإنحراف أحداث وسيكوباتية وتخلف عقلي ومكفوفية إبصار والثالث عشر عن الإتجاهات والقيادة ، والرابع عشر عن الصحة النفسية

والسيكودراما والإدمان وتطبيقاتها وعلاقتها بالقدرات العقلية ونمط الشخصية ، حيث الفصل الأخير الخامس عشر بعنوان : تأصيل علم النفس في القرآن الكريم « مسك الختام »

أرجو الله أن ينفع دارسي علم النفس بإستراتيچيات الدراسة الفاعلة والتفكير الناقد التى تعينهم علي تفهم موضوعات هذا العلم النظرية والتطبيقية خصوصا ما يستجد من مشكلات في مختلف مجالات الحياة الإنسانية المعاصرة الثقيلة الوطأة المتسارعة الخطوات والتي إستهدف بها الأستاذ الدكتور / عزت الطويل إعداد وتسليح رجل علم النفس المقتدر في مواجهة هذه المستجدات .

وأتمني في طبعات تالية أن يزيد تلاميذه ومريديه لمادة تدريس هذا العلم وممارساته داعيا الله له بدوام التوفيق .

كمال دسوقي .

الإسكندرية : في أغسطس ١٩٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الطبعة الثانية.

بعد نفاذ الطبعة الأولي من كتاب « معالم علم النفس المعاصر » كنا علي أعتاب بداية الدراسة في العام الجامعي ٩٦ - ١٩٩٧ وكان علينا أن نقدم الكتاب في طبعته الثانية لطلابنا الأعزاء ، طلاب علم النفس في الكليات والمعاهد العليا ، وذلك في إطار نظام الفصلين الدارسين .

لذلك آثرنا أن تكون الطبعة الثانية موجزة ومعدلة طبقا لحاجة الطالب للكتاب في بداية الدراسة من ناحية ،وحرصا والتزاما من جانب المؤلف في إفادة الطالب الفائدة المرجوة من ناحية أخري .

وفي هذه الطبعة المعدلة حذفنا الفصل الأخير من الكتاب بالإضافة إلي الجزء الخاص بثبت المصطلحات الإنجليزية ، دون أن يؤدي ذلك إلي خلل في ترتيب الكتاب من ناحية الإخراج ، وبعيدا عن التقليل من شأن الكتاب « كيفا » لا « كما » وهذا مادار في خلدي أثناء عملية الطبع وحسبي ذلك وكفي والله من وراء القصد .

دكتور / عزت عبدالعظيم الطويل

الإسكندرية : في يوليو ١٩٩٦

وهكذا فبموضوعية أستاذ الجامعة الذي يلقن تلاميذه أصول العلم الحديث التي سيطبقها علي نفسه والآخرين في الحياة المعاصرة ، أجل تأصيل علم النفس في التراث الإسلامي كتاريخ ، ودرس مبادئ العلم بأحدث تطوراته مدارس وموضوعات ومناهج بحث ، فكتابه الذي نقدمه للقراء الآن الذي هو حصيلة محاضراته وكتاباته وبحوثه في العشر سنوات الأخيرة لا يختلف عن أي مرجع علمي جامعي في المادة ، تتناول فصوله الثلاثة عشر علم النفس - علم السلوك - تاريخ ومدارس ومجالات علم النفس ، مناهج البحث في علم النفس ، الأسس البيولوچية للسلوك الإنساني ، الإنتباه والإدراك الحسي ، سيكولوچية التعلم ، الذاكرة والتذكر ، دوافع السلوك الإنساني ، سيكولوچية الإنفعالات الفروق الفردية والذكاء ، سيكولوچية السلوك المنحرف ، الإتجاهات والقيادة والسيكودراما والإدمان ، الصحة النفسية وتوافق الفرد . أما الفصل الأخير فهو الذي خصصه لمبادئه هو في تأصيل علم النفس في القرآن الكريم ، حيث عرض مفهوم النفس والروح في القرآن والآراء حولها وأنواع النفوس ، والمريض منها وشفاؤه قرآنيا وعلميا ، والتنشئة الإجتماعية للطفل المسلم - سواء في سيكولوچية نمو الذات وفي التكيف الإجتماعي بما للبيئة من أثر في تلك التنشئة .

بذا يكون المؤلف قد وفي علم النفس المعاصر حقه من الدراسة والتدريس وأفرد للتراث ملحقا خاصا لعله ثاني أكبر فصول الكتاب بعد الفصل السادس عن « التعلم - سيكولوچيته ومفهومه وأنماطه » وهو دائما بأسلوبه الأدبي البليغ لا يخلو من تفسير الظاهرة النفسية التي يعرضها في كتابه أو في أحد بحوثه عن « ظاهرة الغياب - أسبابه والعوامل المؤدية إليه » « هموم العمل والعمال - دراسة نفسية توافقية » ، « أثر إعمال العرف في مواجهة تفشي ظاهرة العنف » ، «الإكتئاب - دراسة نفسية قرآنية »، « التنشئة الإجتماعية للطفل المسلم » «إختبار الشخصية الصنوبية للراشدين » ... لايخلو من تأييد تفسير الظاهرة نفسيا بالآية من القرآن أو الحديث التي تؤصل بالتراث الإسلامي حتي في كتيب أخير (١٩٨٩) عن « الشباب بين الجنس والدين » حيث تناول الموضوع من جميع جوانبه

تاريخيا وقانونيا وعقائديا ... من حيث هو تناسل لعمارة الكون بيولوچيا واحصان بالزواج شرعيا ومودة ورحمة نفسيا ... لم يفته أن يحذر الشباب من تعاليم فرويد في الجنس ونظرته إلي الدين علي أنها التي أشاعت الشذوذ الجنسي والإنحرافات في المجتمعات الغربية التي تعترف قوانينها بالجنسية المثلية في الزواج والتجنيد بإنجلترا وأمريكا ، ليحببهم بطبيعة الحال في آداب ممارسة الجنس المثالية التي رسمها الإسلام للمسلمين في القرآن والسنة والسلف الصالح .

وقد ألحق بنهاية الكتاب قوائم مصطلحات في ثلاثة وثلاثين صفحة ، إعتمد فيها طريقة معاجم المفردات التي تعطي للفظة الأجنبية الواحدة عدة مرادفات يختار من بينها ما يلائم سياق ترجمة النص الذي يقرأه - لكن غالبا مالاتخلو جملة المفردات المعربة من اللفظ الموحد الذي نعتمده في لجنة التربية وعلم النفس بمجمع اللغة العربية وإتحاد المجامع العلمية اللغوية بالبلاد العربية ، ومن « دليل الباحثين إلي المفاهيم النفسية في التراث » الذي أعده في ثلاثة مجلدات « المعهد العالمي للفكر الإسلامي » أحد عشر أستاذ علم نفس وراجعه أ . د / محمد عثمان نجاتي ، تحرير وصياغة الدكاترة جمعة سيد يوسف ومعتز سيد عبد الله وعبد اللطيف محمد خليفة وقدم له الأساتذة د / جمال الدين عطية ومحمد عثمان نجاتي وعبد الحليم محمود مما يستطيع مع القارئ إبتغاء الدقة في إختيار اللفظ الموحد دون الرجوع إلي هذه المصادر لإستكمال فائدة وحدة المصطلح وتحديد المفهوم .

كمال دسوقي .

الإسكندرية ١٥ / ٧ / ١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولي
الأستاذ الدكتور / كمال دسوقي.

أستاذ كرسي الاجتماع / تخصص علم النفس والصحة العقلية.
عميد تربية ونائب رئيس جامعة الزقازيق الأسبق.
عضو المجمع العلمي المصري / عضو مجمع اللغة العربية.

عرفت الدكتور / عزت عبد العظيم الطويل في منتصف السبعينات بالإسكندرية إثر عودته من بعثة « الجهاز المركزي للتدريب » للحصول علي الدكتوراه من يوغسلافيا (١٩٧٠ - ١٩٧٤) حيث كان قد عمل أخصائيا نفسيا إجتماعيا بالتدريب المهني للقوات البحرية بالإسكندرية لتسع سنوات عهد إليه في السنتين الأخيرتين منها تدريس مادة التربية القومية ، كما كان قد إشتغل عقب تخرجه ١٩٥٨ بتدريس اللغة الإنجليزية بالتربية والتعليم ببنها (التي بها بدأ وإليها يعود) ثم إشتغل بعد عودته من الخارج لمدة ستة أشهر باحثا أول بمركز بحوث العمل بالإسكندرية التابع لوزارة القوي العاملة والتدريب إلي أن عين مدرسا لعلم النفس بكلية تربية جامعة طنطا في نهاية ١٩٧٤ .

ومع أن الدكتور الطويل كان قد تتلمذ بمرحلة الليسانس في الدراسات النفسية علي يد زيور وخيري ومليكه وغيرهم من آباء التحليل النفسي والإحصاء والقياسات العقلية وعلم النفس التجريبي والتطبيقي العلاجي في ميادين التربية والصناعة والجريمة ، وتدرب علي الممارسة والتشخيص الفارقي والإرشاد والتوجيه أثناء الدراسة وبعد التخرج لسنوات طويلة كما رأينا فقد كان حين عرفته شديد الحملة علي التحليل النفسي ومذهب فرويد الذي لا تدري هل إكتسب كراهيتهما

من الدراسة في إحدي الكتل الشرقية التي تنظر للإنسان ودراسته وعلاجه نظرة مادية بيولوجية تعلي فيها مذاهب علماء النفس السوفيت علي حساب التراث الغربي المهتم بصحة الفرد ومرضه ومناهج مساعدته وإرشاده كما تعالج بالعقاقير والدوائيات النفسية وغسيل المخ وتقليص الدماغ في معتقلات سجناء الرأي والضمير مما كانت تتسرب عنه الأخبار وقتئذ وإتخذ الأمريكيون من الكشف عنه شرطا للوفاق بين الغرب والشرق ... فلعله من أجل هذا بادر مبكرا وقبل الأوان باصطناع ما أسماه «علم نفس إسلامي» جعل يبشر به من قبل أن يقيم بناءه كبديل لعلم النفس التحليلي القياسي الأمبيريقي والعلاجي الذي يضرب فيه بمعوله لهدمه .

وإذا لم يكن إشتغال الدكتور الطويل بممارسة وظيفة الأخصائي النفسي طوال النصف الأول من حياته العملية قد أظهر له عدم إمكان الإستغناء عن التحليل النفسي «المعدل والمطور بعد فرويد وحتي الآن» كنظرية في النمو النفسي علي مراحل إذا لم تشبع حاجات الفرد الإنساني في كل منها قبل الإنتقال إلي التي تليها ، فإن شخصيته تتسم بالإحباط والصراع لتنتهي إلي التعقد وكمنهج تشخيص أعراض الأمراض النفسية والإضطرابات العقلية تمهيدا لإزالة الأعراض والبرء من الأمراض ، فإن إشتغاله بتدريس فروع علم النفس النظري والتطبيقي النصف الثاني من عمره الأكاديمي بكليات تربية وآداب وخدمة إجتماعية وتمريض بالإسكندرية وطنطا وبنها ... حسبما يعطي في جدول توزيع المحاضرات علي أعضاء هيئة التدريس - قد هيأ له أن يتعمق في عرض مذاهب علم النفس كلها بأمانة وإقناع - ومنه التحليل النفسي حتي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (التي كان وكيل قسم علم النفس بكلية العلوم الإجتماعية بها في الرياض آخر أربع سنوات عمله بها من (١٩٨٠ حتي ١٩٨٤) كان يدرس علم النفس الحديث بكل فروعه ومذاهبه تحت مظلة إسلامية وفي تجرد من نسبة العلم إلي ديانة العالم أو بلده أو جنسه في القديم والحديث وفي نظرةللفرد الإنساني الذي يدرسه علم النفس علي أنه الإنسان في كل زمان ومكان وإن إختلفت الثقافة الإجتماعية أو إتسعت الفروق الفردية .

بسم الله الرحمن الرحيم

ولنا كلمة .....

عزيزي الطالب ... وأخي القارئ هذه هي الطبعة الثالثة من كتابنا « معالم علم النفس المعاصر » حيث نفذت الطبعة الأولي والثانية خلال عامين تقريبا ، ويرجع ذلك لذكاءك وحرصك علي القراءة والإستفادة والإستذكار فأشكرك علي تقديرك لكل مجهود فكري وحوار عقلي وتعب مضني قام به كاتب هذه السطور من أجلك في مصرنا العزيزة وفي عالمنا العربي الحبيب فأنت عزيزي الطالب أملنا وهذا الكتاب لك وبك .

هذا وتتضمن الطبعة الثالثة فصولا جديدة وتنقيحا جديدا وزيادة مفيدة وإبداعا في الإخراج وجمالا في العرض وقد نوه بالفصول الإضافية الجديدة - في مقدمته لهذه الطبعة - أستاذنا عالم النفس الجليل وأحد رجال مجمع الخالدين ، وواحد من الرواد الإوائل في العلوم النفسية والإجتماعية إنه الأستاذ الدكتور / كمال محمد دسوقي ، متعه الله بالصحة وجزاه عنا خير الجزاء .

وإذا كان هناك من فضل فإن الفضل بيد الله والشكر الجزيل للأخ الفاضل الناشر الحاج / صابر عبد الكريم ، صاحب ومدير دار المعرفة الجامعية بالأسكندرية.

ولايفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل للأخ الفاضل / محمد جمال الدين الذي قام بكتابة الكتاب ولم يقتصر فقط علي الكتابة ولكن كان له الفضل في ترتيب وتنسيق بعض الفصول جزاه الله عنا كل خير .

ولا يسعني في هذا المقام إلا الشكر لزملائي العاملين في التخصص لملاحظاتهم ونقدهم البناء ، كما أشكر طلابي بمرحلتي الليسانس والدراسات العليا بكلية الآداب والمعهد العالي للخدمة الإجتماعية ، وأرجو للجميع موفور الصحة والتوفيق في الدراسة والعمل وأن ينفعنا الله بما علمنا فهو نعم المولي ونعم النصير .

دكتور / عزت عبدالعظيم الطويل .

الإسكندرية : في فبراير ١٩٩٨